

موسوعة أعلام المغرب

تنسيق وتحقيق

محمد هجّبي

أستاذ التاريخ بجامعة محمد الخامس سابقا

الجزء الخامس

1101. 1150 هـ



موسوعة أعلام المغرب

تتألف من تسعة نصوص تراثية يُنشر بعضها لأول مرة
وتترجم لأبرز الشخصيات المغربية حسب تسلسل سنوات
وفياتهم من بداية الاسلام إلى نهاية القرن الرابع عشر الهجري.

1 . 1400 هـ / 622 - 1980 م

نشرُ المثنائي لأهل القرن الحادي عشر والثاني

تأليف

محمد بن الحبيب القادري

القسم الثالث

تحقيق

محمد مجي أحمد التوفيق

مع

تذكرة المحسنين
بوفيات الأعيان وهوامد السنين
لعبد الكبير الفاسي

جَمِيعُ الْحُقُوقِ مَحْفُوظَةٌ

لِلْمُنَسِّقِ وَالمُحَقِّقِ المَوْسُوعَةِ

الطَّلَبَةُ الْأُولَى

نَشْرُ دَارِ الْغَرْبِ الْإِسْلَامِيِّ

بِاتِّفَاقٍ خَاصٍّ مَعَ الْمُحَقِّقِ

1417هـ - 1996م

دار الغرب الإسلامي

ص . ب . 5787-113 بيروت

جميع الحقوق محفوظة . لا يسمح بإعادة إصدار الكتاب أو تخزينه في نطاق إستعادة المعلومات أو نقله بأي شكل كان أو بواسطة وسائل إلكترونية أو كهروستاتية ، أو أشرطة ممغنطة ، أو وسائل ميكانيكية ، أو الاستنساخ الفوتوغرافي ، أو التسجيل وغيره دون إذن خطي من الناشر .

العشرة الأولى من المائة الثانية عشرة

العام الأول منها

ابراهيم بن حسن الكوراني الشهرزوري

فمنهم أبو إسحاق إبراهيم بن حسن بن شهاب الدين الكوراني المدني، أصله من شهرزور من جبل الكرد (1). وفي القاموس شهرزور مدينة زور بن الضحاك. وقال في زور إنه ملك بنى شهرزور انتهى.

وقال عبد الحق في اختصار اقباس الأنوار للرشاطي: شهرزور نهر من بلاد أذربيجان. ثم قال وأنشدنا الفقيه الحافظ أبو علي الصديقي قال: أنشدنا أبو محمد السراج لنفسه:

وعسدت بأن تزوري كلَّ شهر فزوري قد نقضى الشهرُ زوري (2)
وتشقُّ بنينا نهر المعالي إلى البلد المسمى شهرزور
وشهر صدودك المحتوم صدق ولكن شهر وصلك شهرُ زور (3)

قال أبو عبد الله محمد الطيب بن محمد بن عبد القادر الفاسي في فهرسته في حق صاحب الترجمة ما نصه: نشأ ببلده وقرأ هنالك ومهر في المعقولات والعريضة، ثم قدم بغداد وأقام بها ثم ارتحل إلى دمشق ثم إلى مصر ثم إلى الحجاز وأقام بالمدينة المنورة طالبا طريق الإرادة على يد الشيخ صفى الدين أبي العباس أحمد القشاشي، وإليه ينتسب في الطريق وهو الذي أقام بزاويته بعده. وتوفي في نامن (4) وعشرين من رجب سنة إحدى ومائة وألف، ودفن بزاويته بالمدينة المشرفة. وولد سنة خمس وعشرين وألف. وله مؤلفات كثيرة في فنون شتى. ومن مؤلفاته: تكميل التعريف لكتاب التصريف؛ وحاشية شرح الأندلسية للفيصري في العروض؛ والنبراس لكشف الالتباس الواقع في الأساس؛ والجواب العتيد لمسألة (5) أول واجب ومسألة التقلبد؛ وضياء الصباح في شرح بهجة الأرواح؛ وأجوبة في مسألة تقبيل اليد (6) والمصافحة خلف الصلوات؛ والمتممة (7) للمسألة المهمة؛ والقول الجلي في تحقيق قول

(1) في س: الكراد.

(2) صحف هذا اليب في س. فكتب سطره الأول: وعدت تزور كل شهر

(3) سقطت الأنساب كلها من ط.

(4) في س: نان

(5) في س: في مسألة

(6) في س: تبجيل الله وهو تصحيح.

(7) في ط: المتممة.

الإمام زيد بن علي؛ وتحقيق التوفيق بين كلام أهل الكلام وأهل الطريق؛ وقصد السبيل إلى توحيد الحق الوكيل؛ وشرح العقيدة المسماة بالعقيدة الصحيحة؛ وإشراق الشمس بمعرفة (8) شرح الكليات الخمس؛ وبلغه (9) المسير إلى توحيد العلي الكبير؛ وعجالة (10) دوى الأشباه بتحقيق إعراب لا إله إلا الله؛ والقول المبين في مسألة التكوين؛ وإنباه (11) الانباه عن تحقيق إعراب لا إله إلا الله؛ وإضافة العلام (12) بتحقيق مسألة الكلام، والإلماع المحبط بتحقيق الكسب والتوسيط (13) بين طرفي إفراط وتفريط؛ ومسلك الاعتدال إلى فهم آية خلق الأعمال (14)؛ وإتحاف الذكي (15) بالتحفة المرسلة إلى النبي، ومراقبة الصعود إلى صحة القول بوحدة الوجود؛ وغاية المرام في مسألة ابن الهمام؛ ونبراس الإيناس (16) بأجوبة سوالات (17) أهل فاس؛ ومسلك السداد إلى مسألة خلق (18) أفعال العباد؛ وإمداد ذوي الاستعداد لسلوك مسلك السداد، وإتحاف الخلف بتحقيق مذهب [أهل] (19) السلف، وغير ذلك. ويروي عن مشايخ كثيرين مذكورين في فهرسته، واعتماده على الشيخ الفشاشي [و] (20) الذي عول عليه في علم الظاهر وقرأ عليه ببلده وأكثر عنه هذا الشيخ الامام ملا محمد شريف بن ملا يوسف القاضي ابن القاضي محمود بن ملا كمال الدين الكردي الكوراني الشاهدي (21) الدويني (22) الصديقي. ويروي أيضا عن الشيخ سلطان المزاحي المصري والشيخ عبد الباقي الحنبلي والشيخ نجم الدين بن محمد بن الشيخ بدر الدين محمد ابن الشيخ رضي الدين بن محمد العامري الغزي ثم الدمستفي الشافعي وغيرهم. انتهى كلام صاحب الفهرسة المذكورة (23).

(8) في المخطوطات الثلاث: بتعريف

(9) في ك و س: نقله.

(10) في ك: علاجة.

(11) في ط: انتباه.

(12) في ط و س: العلم.

(13) في المخطوطات الثلاث: الكسب الوسيط.

(14) في ط: الأفعال

(15) في ك و س: الركي.

(16) في ك: الأنفاس.

(17) في ط: مسألة

(18) في ط و س: أخلاق.

(19) ساقط من س .

(20) ساقط من س و ك.

(21) في ك و س: الشناوي

(22) في المخطوطتين السابقتين: الرويسى.

(23) في م: انتهى كلام أبي عبد الله محمد الطيب الفاسي.

وقد أغفل رحمه الله تعالى بيان مسائل شنيعة (24) معروفة عن صاحب الترجمة [ذكرها عنه أئمة عصره] (25).

فمنهما القول (26) بأن الفدرة محدثة (27) تؤثر في أفعال العباد وأن قيدها بأفئدة الله تعالى قدرها، وألف في ذلك ثلاث رسائل لنصرة قوله ورد على إمام الحرمين في ذلك قال الشيخ [قال الشيخ السنوسي في شرح الكبرى] (28) والذي يقطع به تنزيهه هو وغيره من الأئمة مما نقل عنهم من شبه ذلك، وأصل ذلك إنما صدر عنهم في مناظرة مجادلة لإفحام خصم قويته منافرتة للحق فاحتالوا لسوقه للحق بتدريج. والمعلوم عن إمام الحرمين كما في الإرشاد له تصحيح مذهب أهل الحق. ولما تمسك صاحب الترجمة بالقولة المذكورة وانتصر لها فوق في أمر شنيع فقيض الله من أهل عصره من انتصر للحق وبينه وأوضح برهانه.

[وقد انتصر الأئمة للرد عليه في ذلك منهم الإمام سيدي المهدي بن أحمد الفاسي وقد ألف رسالة في الرد عليه بما لا مزيد عليه] (29).

ومنها أنه ألف في تصحيح مسألة الغرائيق التي [يذكرها بعض في تفسير] (29) سورة النجم (30).

قال في النبهة: وسمعت أنه ألف تأليفا في شبهه المعلوم [ينتصر به للمعتزلة] (31) ثم سمعت أن له تأليفا في [آبه] (32) إيمان فرعون لعنه الله وكذا سمعت أن له تأليف متعددة في إحياء أمور أمثال هذه وندرتها في هذا الزمان الذي رق فيه الدين وعم الجهل والتقليد وعجمة الصدر وقلة اليقين واتباع كل ناعق انتهى. وتلطّف أبو سالم عن أشياء نحو هذه نسبت إلى صاحب الترجمة وإلى شيوخه القشاشي فدفعها عنهما فانظرها. وأما مسألة خلق الأفعال فقد ألف في الرد عليه فيها سيدي محمد بن عبد الفادر الفاسي وولد عمه الحافظ الضابط المتقن المحقق محمد المهدي بن أحمد الفاسي [صاحب الشروح الثلاثة على دلائل الخيرات وغيرها من التأليف المحققة] (33) فألف كتابا سماه النبهة اليسيرة واللمعة الخطيرة في مسألة خلق الأفعال الشهيرة، وقد أحاط بنقل كلام أئمة أهل السنة فيه وأحسن

(24) في ك: تسعت عليه

(25) لم يرد في ط.

(26) في ط: انه يقول.

(27) في ط: الحادثة

(28) في ك: قال الشيخ اليوسى.

(29) ما بين معقوفتين زيادة في ط

(30) في م و ط: الحج.

(31) زيادة في ط.

(32) ساقط من ط.

(33) زيادة في م

في الرد على صاحب الترجمة ونقل في إجماع الأمة على كفر من نسب الاختراع لغير الله وخرج ما نقل عن إمام الحرمين [في ذلك على أحسن وجه. والفصل في ذلك هو قول الشيخ السنوسي في شرح الكبرى ونصه: وما نقل عن إمام الحرمين] (34) من أن له قولاً بأن القدرة الحادثة تؤثر في الأفعال [لكن لا] (35) على سبيل الاشتغال (36) كما يقوله القدرية بل على أقدار قدرها الله تعالى فهو قول مرغوب عنه لا يصح القول به ولا تقليده [إن صح ذلك عنه] (37) لفساده قطعاً وعدم جريه على السنة عقلاً ونقلاً. ثم قال السنوسي: وأنا أعجب من القول الذي نقل عن الإمام كيف يصح أن يقوله مع ما أكرر في الإرشاد وغيره من الأدلة لتصحيح المذهب الحق وهو مذهب الأشعري ومبالغته في النكير (38) والنضليل لمن يعتقد أن للقدرة الحادثة أثراً مآلاً. انظر تمامه [في شرح الكبرى وقد نقله سيدي المهدي المذكور بتمامه مع نصوص الأئمة القاضية ببطالان ما ظهر من صاحب الترجمة وبين بدعته. وقد نصر قول سيدي المهدي المحققون من أئمة وقته كالشيخ الإمام أبي علي الحسن بن مسعود] (39) اليوسي، ومن جملة ما كتبه على الكراسة المشتملة على تأليف أبي عبد الله المهدي المذكور ما نصه: فقد وقفت على هذه الكراسة المجموعة والنبهة الموضوعة فألفيتها محتوية في مسائل الجبر والقدر على الجملة المقنعة لأهل البصيرة، بل الخلاصة الممتعة لكل طيب السريرة، فجازى الله جامعها خيراً لقد صدع عن الخبر اليقين غير ذي منن، وأطلع الصبح المبين لذي عيبنين وحرر ما يجب اعتقاده وقرر ما يضمن به انتقاده، مع لطائف لأهل الإشارات تهون على النفوس الجموح ما عسى أن يطرقها من الاستبعادات (40) فما في هذه الكراسة هو الأمر المعول عليه والحق المرجوع إليه انتهى المراد منه. وكتب أيضاً بعض أهلنا إلى سيدي الحسن بن مسعود اليوسي رسالة بعلمونه بقول صاحب الترجمة وبطلب أن يجيبهم مما فتح الله عليه في ذلك فأجابهم بما نصه ومن خطه نقلت:

بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد وآله وصحبه. من الحسن بن مسعود البوسي إلى السادات الفضلاء القادة النبلاء الفقهاء النبيهين الأربيين الحسينيين الشريفين المنيفين أبي محمد سيدي العربي وأبي محمد سيدي عبد السلام ابني الطيب القادري الحسيني والفقهاء النبهاء سيدي المهدي بن أحمد الفاسي سلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته. هذا وقد بلغنا كتابكم الكريم وما ذكرتم فيه من نزول تلك النازلة الغربية واستنجادكم إياي في الكلام عليها جزاكم الله تعالى خيراً في النصح لأنفسكم ولعباد الله تعالى وقد كنت قبل اليوم رأيت شيئاً من تأليف ذلكم الرجل في درعة أوقفني عليها أستاذنا

(34) زيادة في ط.

(35) لم يرد في ك و س.

(36) في ط. الاستقلال.

(37) لم ترد في ك و س.

(38) في ط: التكبير.

(39) ما بين معقوفتين زيادة في ط.

(40) في ك. الاستبعادات.

أبو عبد الله ابن ناصر رحمه الله واستنهضني للكلام عليها فهمت تم وهبت (41) في عوائق، واليوم إن شاء الله أشتغل بها ونقرر ما هو الحق من الطريقة [الأشعرية] (42) ونتعرض إن شاء الله لكل ما احتج به على نحلته جملة وتفصيلاً، وقد انحنى لإحياء بدعة قد أميت منذ زمان، وتصدى لإثبات شرك الأفعال ثم لإثبات شرك الوسائط جملة نعوذ بالله منه ومن هفوته، وهي نزعة لم يجد الشيطان لإبدائها أحسن من لسان هذا الرجل المنسوب إلى العلم والإمامة [وهكذا كان معظم البدع والنحل برزت واشتهرت على ألسنة رجال يعتقد فيهم فقبلت منهم] (43) فتنحل إلى البدع نسأل الله السلامة من مثل ذلك وأن بجنبنا من كل بدعة وكتب عقب كلام سيدي الحسن اليوسي السابق على الكراسية [والرجل المذكور هو صاحب الترجمة أحد المخاطبين بالرسالة المذكورة فيما كتبه على هامشها بخطه: وممن انتصر للرد على صاحب الترجمة] (44) الإمام سيدي محمد بن أحمد الفسطنطيني بما نصه:

الحمد لله الذي حرس سماء العلم بنجوم العلماء، وأرسى أرضه أن تميد بصحيح الرواية عن القدماء، وحفظ طريقه من كل شيطان رجيم، بكل ذي فهم سليم، قائم بالحق داع إلى الصراط المستقيم، فغدت سماء العلم بنجومها محروسة، وأرضه بجبالها مرصوفة، وطريقه بالداعى إلى الهدى مخصصة. وصلى الله على مولانا محمد القائل وما ينطق عن الهوى: بحمل الدين من كل خلق عدو له، وعلى آله. وصحبه الذين أظهروا الدن وأبطلوا عنه شبه المضلين حتى سهل مطلبه وعذب مشربه. وبعد فقد طالعت الموضوع المسمى بالنبذة اليسيرة واللمعة الخطيرة فوجدته اسماً طابق مسماه، ومؤلفاً نور الله قلب مؤلفه ومن شرك الشرك حماه، فلا غرو إن كان مهدياً لهداية الله له وتوفيقه إياه. ولقد حمى براهينه حرمة التوحيد وحماه، وطعن بمشرفيات دلائله في نحر كل من رام أن يلغى الحق هواه، وأحرق بنور بصيرته كل جهول لا يعرف منطوق الحق ولا يصح فحواه، فما اشتمل عليه ذلك الموضوع هو الحق الصريح الذي لا يعول إلا عليه، والمعتمد الصحيح الذي لا يلتفت إلا إليه، فما هو إلا كمياء السعادة وإكسير النجاة، والذي يرفع الله لمعتقده في الجنة درجات. فلا يعدل عنه ذو عقل سليم، بل من استولى عليه سلطان الهوى وغدا [يعقرب نفسه لسليم أي لمدمع] (45):

كضرائر الحسناء قلن لوجهها حسداً وبغياً إنه لذييمٌ

اللهم أمتنا على توحيدك، واهدنا إلى سلوك سبيل نبيك، وامن علينا بما مننت به

(41) في ط: دहित.

(42) ساقط من ك.

(43) ما بين معقوفتين ساقط من ك و س

(44) ما بين معقوفتين زائد في م وط.

(45) في ك: يعرف نفسه، وفي س: يعرض نفسه لسلم أي لمربع.

على أوليائك، إنك على كل شيء قدير، وبالإجابة جدير، ولا حول ولا قوة إلا بالله، وصلى الله على سيدنا محمد خاتم أنبيائك، وعلى آله وأصحابه خواص حضرتك وأصفيائك، وكتب محمد بن أحمد القسطنطيني (46) لثلاث خلت من جمادى الآخرة سنة إحدى وتسعين بعد الألف انتهى من خطه.

والحاصل أن صاحب الترجمة ظهرت منه شنائع وبدع، وقوى عليه الرد في ذلك، وأجمع مشايخ فاس على الرد عليه، إلا أن منهم من اقتصر على الرد وبيان الحق فقط، ومنهم من شنع عليه حتى إنني رأيت يظهر الورقة الأولى من النبعة المسيرة بخط مؤلفها ما نصه: الحمد لله، بلغنا أن المشرفي المذكور بمحوله الذي ألف في المقالة المذكورة المردودة بهذا بعث نسخة من تأليفه ذلك لأهل تنبكتو من بلاد السودان فكتبوا له سورة الكافرون جواباً عن كتابه والله الموفق سبحانه. انتهى بنصه.

وأما مسألة الغرائيق فألف فيها صاحب الترجمة رسالة سماها *اللمعة السنية في تحقيق الإلقاء في الأمنية*، وقد رأيتها ومضمونها الكلام على ما روي أن النبي صلى الله عليه وسلم لما قرأ سورة والنجم قال: (أَفَرَأَيْتُمُ اللَّاتَ وَالْعُزَّىٰ وَمَنَاةَ الثَّالِثَةَ الْأُخْرَىٰ تِلْكَ الْغَرَانِيقُ الْعُلَا). القصة المشهورة عند المفسرين وصحح صاحب الترجمة حديثها، وهو حديث باطل وقصة موضوعة.

قال عياض في *الشفاء*: هذا حديث لم يخرج له أحد من أهل الصحة ولا رواه ثقة بسند سالم [ومثله لليزار] (47) متصل. وقد نفى القصة غير واحد من حذاق المفسرين كأبي حيان والبرهان البقاعي وغيرهما، ولو سلم صحة حديثها جديلاً لكان خبر آحاد معارض بالقاطع وهو وجوب العصمة فلم تبق عبرة به.

والحاصل أن هذه القصة ليس لها وجه أصلاً وقد قام ببيان ذلك ورده وبسط شائعه بهذا وأزيد الإمام الأوحدي شيخ الجماعة المحقق أبو عبد الله سيدي محمد بن عبد القادر الفاسي، فألف رسالة تعرض فيها لكلامه مفصلاً حتى لم يترك عليها غبار، وجزم ببطلانها، إلا أنه تلطف معه في العبارة كما فعل معه في مسألة الكسب السابقة، وذلك منه حرص على نفعه ورده إلى الحق بالطف إشارة وأبين عبارة وإطفاء للبدع قبل شيوعها، إذ بالملاحة تزيد شيوعاً واشتعاراً فبستلى بها ضعفة اليقين مع أنه بين ما في ذلك من المنع والاستحالة ولم يلن له عند المسارة بل غلظه عليه ولم يسامحه في شيء مما يستدعيه المرام ويقتضيه المقام حتى زال الوهم والربن، ووضح الصبح لذي عبنين. وقول شيخ شيوينا أبي عبد الله المسناوي: وكان رأي شيوينا فيه أي في صاحب الترجمة مختلفاً في كيفية الرد عليه، فمنهم من سلك مسلك الملاطفة والشفقة، ومنهم من سلك مسلك الغلظة والرد والزجر ليعترف بفدره

(46) في م: القسمطبي.

(47) زيادة في م.

وما أدب به من كلامهم. وأما رد كلامه فقد اتفقوا عليه بأنه بلغ من الشناعة والبشاعة والخروج عن السنة غاية ذلك. وأما تناء صاحب الرحلة عليه، بعني أبا سالم العاشي، وتناء غيره عليه من الأئمة ممن ألف الفهارس وغيرهم فالمقام يقتضي ذلك، إذ ليس ذلك المقام مقام الرد والبحث عن القدح والتجريح والتعديل وبيان من تكلم أو اتهم أو رمي بشيء من البدع وتحقيب المسائل وإنما هو عد الأشياء وذكر أسانيدهم ومروياتهم وأساخهم ومؤلفاتهم. وقد طلب القاضي عياض مع جلالته من الزمخشري الإجازة مع اشتهاار اعتزاله وبدعته وتعصبه، وفي رجال الصحيحين وغيرهما من كتب الحديث الصحيحة المحتج برجالهم فإنهم قد خرجوا عن كثير من المبتدعة غير ما رووا من بدعتهم واحتجوا بهم وقد ترجم لهم الأئمة وأثنوا عليهم بالحفظ والضبط وبينوا بدعتهم فبنحط من روابتهم ما رووا مما هو دعي إلى بدعتهم، ومن الشيوخ من كان لا يبين ما رمى به بعضهم بل ينفر عن مطالعة كتابه وكلامه ويحذر من النظر فيه وكذلك فعل بعضهم بمن رمى من الصوفية وكان يقول إن فهمه قبيح وكلامه في علم الباطن وطريق القوم وبعض مسائل الاعتقاد والله أعلم بحقيقة حال ذلك (48) ونحو هذا، ذكره الشيخ زروق وغيره في كتب الحاتمي وما ضاهاها فإنه قال في كتابه عدة المريد لما تكلم في تقسيم العلوم وذكر علم التصوف والأحوال وأن أعلى ما يطالع كتب ابن عطاء الله وما نحا نحوها ما نصه: وأما كتب الحاتمي وما جرى مجراها فلها رجال، لهم في الحقائق مجال، وعندهم في التمييز مفال، فلا شتغل بها في البداية إلا غوي، ولا في النهاية إلا خلبي، ولا في التوسط إلا ذكي يأخذ ما بان رشده ويسلم ما وراء ذلك لبس لم من آفاته، وقد أولع بها قوم فضلو وأضلوا وفارقوا العمل بما توهموه فزلوا، وربما ادعوا بما فهموه وتنسموه حالا لأنفسهم فافتضحوا بشواهد الأحوال كما قل:

مَن تحلِّي بحليَّة لبس فيه كذبته شواهدُ الامتحان

ولما تكلم في قواعده على ما حذر الناصحون منه من الكتب جملة وعلى ما حذروا من مواضع منه ذكر أن من جملة أمثلة القسم الأول كتب الحاتمي كلها أو جلها الفتوحات وغيرها، فانظر ذلك فيه إن شئت. ونقل شيخ شيوخنا المحقق محمد العربي بن يوسف الفاسي في كتابه مرآة المحاسن في الفصل التاسع من الباب الأول أن والده المذكور كتب في رسالة كتبها لبعض أصحابه: ولم تزل تطالع كتب ابن عطاء الله وما شابهها لأنها أقرب للتعريف والجمع على الله، ودع ما سواها ككتب الشيخ الحاتمي والشيخ ابن الفارض لأنها تسد عنك باب الفتح.

وقال المناوي في ترجمة الشيخ عمر بن الفارض من طبقات الصوفية بعد أن ذكر

(48) ورد ما تقدم بعبارة مخالفة في م نصها:

أوقال الشيخ شيوخنا أبو عبد الله المناوي في كتابه الذي ساء جهد المقل الفاصر في نصرته الشيخ عبد القادر ما نصه. وكان رأي شيوخنا فيه، أي صاحب الترجمة، مختلفا. فمهم من كان على مذهب صاحب الترجمة وقد أجاز لغير واحد منهم، ومنهم من كان لا يرى ذلك بل ينفر من مطالعة كلامه ويحذر من النظر في تأليفه ويقول إن علمه قبيح وكأنه يعنى كلامه في علم الباطن وطريق القوم وبعض مسائل الاعتقاد.

جماعة ممن اختلف فيهم من الكفر إلى القطبانية، وعد منهم ابن الفارض والحاتمي وابن سبعين ونلمسده الششتري وغيرهم، ما نصه: والذي أذهب إليه وفاقا لبعضهم هو أنه يجب اعتقادهم (49) وتعظيمهم ويحرم النظر في كتبهم على من لم يتأهل لتنزيل ما فيها من الشطحات على قوانين الشريعة المطهرة وقول بعض جهابذة الفقه والأثر: لا يؤول إلا كلام المعصوم لا غيره وإن جل قائله فهو غير معبر، وقد ملأ ذلك القائل كغيره كتبه الفقهية والحديثية بتأويل النصوص والوجوه واعتنى بالجمع بين الكلامين المتنافسين وتنزيل الخلاف على حالين متغارين انتهى باختصار وتلخيص.

وقال في ترجمة الشيخ الحاتمي: وأفوى ما احتج به المنكرون عليه أنه لا يؤول إلا كلام المعصوم، ويرده قول الإمام النووي في بستان العارفين إنه يجب تأويل أفعال أولياء الله التي قد ينكر ظاهرها. قال النووي وإذا يجب تأويل أفعالهم وجب تأويل أقوالهم إذ لا فرق انتهى باختصار. وقال الشيخ زروق في آخر الباب السابع من قواعد: النوقف في محل الاشتباه مطلوب، أي التوقف فما لا يتبين وجهه من خير أو شر، ويبنى الطريق على ترجيح الظن الحسن ويبنى عند موجهه وإن ظهر معارض حتى قال ابن فورك رحمه الله: الغلط في إدخال ألف كافر أهون من الغلط في إخراج مومن واحد بشبهة ظهرت منه، ثم قال: وقال قوم: ما أدى إليه الاجتهاد جزم به، ثم أمر الباطن إلى الله تعالى، فمن ثم اختلف في جماعة من الصوفية فسردهم وذكر منهم من تقدم ذكره، ثم قال: وقد سئل شيخنا أبو عبد الله القوري وأنا أسمع فقليل له: ما تقول في ابن العربي الحاتمي؟ فقال: أعرف بكل فن من أهل الفن من ذلك، فقليل له: ما سألناك عن هذا. قال: اختلف فيه من الكفر إلى القبطانية. فقليل له فما ترجح؟ قال: النسليم. قلت لأن في التكفير خطرا، وتعظيمه ربما عاد بالضرر من جهة اتباع السامع لمبهمات وموهماته، والله أعلم انتهى بغير ما وقال في بعض شروحه على الحكم العطائية: قلت لشيخنا أبي العباس الحصري: إنهم ينكرون على ابن العربي الحاتمي، فقال: والله إنه ليستحق الإنكار. لكن ممن هو أعلى منه لا ممن هو في السناديس انتهى (50). وقال في بعض آخر: ذكر لي أن النووي سئل عنه فقال: الكلام كلام صوفي، وتلك أمة قد خلت لها ما كسبت ولكم ما كسبتم ولا تسئلون عما كانوا يعملون.

ووقفت على جواب للشيخ ولي الدين العراقي في المسألة مدار كلامه على أنه يتكلم في الكلام بما يعطيه ظاهره ولا يتعرض للقائل لاحتمال أن يكون مراده غير ظاهره أو تاب من ذلك قبل موته انتهى. وقال في شرح نونية الششتري بعد نقله ما قاله شيخه القوري في ابن العربي من ترجيحه التسليم ما نصه قلت: وذلك لأن التعرض للتكفير مخفي وبتعذر إثبات مزبته مع ما ظهر به مضر وعلى ذلك يحمل ما وقع من عز الدين بن عبد السلام من

(49) في س: اعتماد.

(50) هنا في ك طرة، نصها:

(جمع سداس وهو الطاق المعتوج في المبيضة التي يتغوط فيه ويسقط في جوفه البول والغائط وسمى سداها لأنه يسد على الغائط والبول كما تسد الباب على ما يجعل في داخل جوفها).

انكاره واعتقاده مخالف لإنكاره. انتهى باختصار وتلفيق ما كلام [الشيخ المسناوي رحمه الله ونقلته بنماه لما جمع من النقول المفيدة والفوائد العديدة سيما ما يتعلق بصاحب الترجمة وقصارى أمره أن يكون ممن ينحو منحاهم لو سلم من التصريح بالاعتزال، وقد نحا منحى طريق الحاتمي شيخه صفي الدين] (51) القشاشي وشبخه الشناوي وكثير من المشاركة ممن هم من الطريقة الحاتمية.

من حوادث السنة

استبدال النعال الصفّر بالسود

ومن حوادث هذا العام [ما قيده بعضهم في ثاني وعشرين ربيع الأول نهى السلطان مولاي اسماعيل عن لبس السباط الأسود ومنعه في سائر أقطار المغرب وأمر] (52) الناس بلبس السباط الأصفر وترك لبس السباط الأسود فتركوه، وأما ما يزعم بعض الناس أنه إنما أحدث لبس السباط من زمن استيلاء النصاري على العرائش فلما أخذت أحدثوا لباس السباط الأسود حزنا عليها، والذين أحذنوه هم أهلها الذين أخرجوا، وتبعهم الناس في ذلك ليس بصحيح ومما نجزم ببطلانه أنني رأيت سباط الولي الصالح سيدي علي الصنهاجي شيخ المجذوب وزمنه أقدم من استيلاء العدو على العرائش بكثير وهو أسود عند قوم يتبركون به مذكر عندهم [إلا أن يكون في الأصل غير أسود وأسود بطول الزمان] (53).

خروج ركب الحاج ومعه الحسن اليوسي

وفي عشرين من جمادى الثانية خرج ركب الحج ومعه سيدي الحسن بن مسعود اليوسى بقصد [الحج] (54) وجهه إليه أمير المؤمنين.

عزل القاضي العميري عن فاس

وفى يوم الجمعة عاشر شعبان عزل القاضي سيدي سعيد العميري عن قضاء فاس العليا وولى مكانه سيدي عبد الواحد (55) البوعناني.

شق جوف امرأة عليلة بمكناس وشفائها

ومن العجب [ما رأيته مقيدا بخط بعضهم والله أعلم بحقيقته:] (56) أن امرأة جسيمة مرضت بمكناس شق جوفها فعالجها بعض الأطباء وأخرج منه علة ووزن فيها خمسة وثلاثون رطلا وعاشت المرأة بعد ذلك وشفيت من علتها وكان ذلك في هذا العام.

(51) ما بين معقوفتين زائد في ط

(52) ما بين معقوفتين مشترك أيضاً من ط.

(53) زائد كذلك في ط.

(54) زيادة في م. وفي الحوليات.

(55) في ط: عبد الله.

(56) إضافة من ط

العام الثاني من العشرة الأولى

محمد الخرشي

فمنهم الشيخ الكبير، العالم الشهير، سيدي محمد الخرشي صاحب الشرح الكبير والصغير على مختصر خليل، والصغير أكثر تداولاً بالمغرب من الكبير. قال أبو عبد الله محمد الطيب بن محمد الفاسي في فهرسه: الشيخ الفقيه المشارك العلامة ملحق الأحفاد بالأجداد أبو عبد الله محمد بن الشيخ عبد الله الخرشي المعروف بنسبه [قال أبو عبد الله الطب الفاسي في بعض مقدماته: ويعرف أهله] (57) بأولاد صباح الخبر، روى عن أبيه وعن الشيخ إبراهيم اللفاني وعن الشيخ علي الأجهوري. وقال فيه أبو سالم في رحلته: الشيخ العالم الناسك الورع المتقشف الزاهد المتعفف مدرس المالكية، سمعت عليه أوائل كل من الكتب السنة وأجاز لي وللجماعة (58) انتهى بنصه.

ولصاحب الترجمة شرح على صغرى الشنخ السنوسي بعثه بعد الفراغ من تأليفه إلى أمير المؤمنين السلطان المظفر الهمام مولانا إسماعيل بن الشريف الحسني بتحفة به ويهنيه مع ذلك بفتح العرائش الذي كان على يده وعن أمره [في سنة الترجمة هذه] (59) وبذكر له فرحه بذلك، وأجابه المولى المذكور بمكتوب بدع [من إنشاء بعض أدباء وقته] (60) ونص الحاجة منه وفي صحبه هذا الكتاب بلغتنا تحليلتكم الأثيرة، ومنحتكم التي هي أنفع مكتسب وأنفس ذخيرة، وهي شرحكم الأبهى للعقيدة الصغرى التي هي من أجل العقائد، وتحليلتكم جيدها من غرر المباحث بما هو أجمل من درر القلائد، فوق ذلك منا موقع الاغتباط، وارتبطت أغراضه الأنيفة بجواهر القلوب غاية الارتباط، فلكم من معنى بعيد إلى الأفهام قرب، وذي عجمة من ألفاظ المشايخ عرب، ومبحث ناقص من مباحث المهمات كُمل، وجاد على المستفيد بامتاع مما منه أمل. وكأين نقرر من تفرير، وتحرر من تحرير، طالما اعتاصت خباياه على الماجد النحرير. ولطائف معان أزال عن جمال محياها اللثام، ووضع جرائدها المستصعبة على أطراف التمام. إلى غير ذلك من المطالب اللطيفة، والفرائد المستحسنة المنيفة. نقبل الله تعالى في ذلك أعمالكم، وبلغ من جميع الخيرات العاجلة والآجلة آمالكم، آمين يا رب العالمين. غير أنه حفظكم الله ربما وقعت فيه بعض مسائل للنظر فيها مجال، وللبحث فيها موضع عند من أجاد النظر وأجال، وأرجو بحسب سلامة الطوية، وكرم هاتكم الأخلاق الطاهرة الزكية، أن لا بأس بذكر الواحدة منها لتعرض على هاتكم الأنظار (61) وتختبر بمعيار الفكر ممن حواه ساحكم الأحفل من جهابذة النظر.

(57) استدراك من ط.

(58) في ك: والجماعة.

(59) في ط و س: في السنة التي قبل هذه.

(60) في م. من إنشاء بعض أدباء وقته عن إذن من ساعده في ذلك من علماء حضرته

(61) في ك: الأقطار

ففي مبحث أقسام الحكم العفلي بعد تعريف كل منها وذكر سر العدول فيها عن المصادر إلى الأوصاف المشتقة منها كما ذكره المصنف في بعض كتبه ما نصه وأما ما وقع لأبي محمد عبد القادر من أن هذه المصادر لا تعرف كما صرح به علماؤنا فهو شيء غير معروف عندهم ولا ندري من هؤلاء الذين يمنعون تعريف المصادر بل كتبهم مشحونة بذلك كتعريف المؤلف الألوهية بالاستغناء والافتقار إليه وهو مصدر، وتعريف ابن عرفة التقليد بانه اعتقاد جازم بغير دليل، وتعريف الزكاة على أنها مصدر بأنها إخراج جزء من المال، وتعريف المازري وغيره الطهارة بأنها إزالة النجاسة أو رفع الحدث بالماء، وتعريف النحويين التشنية بأنها ضم اسم إلى مثله وغير ذلك. فإن هذا الكلام الانتقادي تنعلق به على وجه الاختصاص في الأقتصار ثلاثة مباحث.

المبحث الأول: أن ما ذكره أبو محمد من أن هذه المصادر يعني الوجوب وقسميه لا تعرف هو الأمر المشهور المعروف المتعاطى بين الخاص من أئمة الصناعة والجمهور قال ابن عرفة في الفصل الرابع من الباب الأول من الكتاب الأول من كتابه الذي حاذى به طوابع البيضاوي ما نصه: المسألة الأولى في تصوراتها يعني الوجوب وما معه بديهية، وفيها لا يمكن تعريف شيء منها إلا ببيان دورية لا يمكن تعريف واحد منها إلا بسلب الآخر عنه انتهى. وتتبع كل ما لأئمة الفن في ذلك يطول، فراجع كلام الفخر في المباحث المشرقية وأقره ابن الرقام في الملخص وسلمه الأئمة الأبهري وغيره وكلام السعد في المقاصد وشرحه والعصدي في الموافف وغير ذلك، وقد بلغت المسألة من الشهرة إلى أن كانت مذكورة في مثل الحواشي الياسينية على شرح المصنف، وما شأنه ذلك يجعل عظيم قدره عن إغفاله والتوقيف فيه فضلا عن التصميم على إنكاره.

المبحث الثاني: (62) أن تقرير تعاريف هذه الحقائق وإنكار ما ذكره أبو محمد يقتضي اعتقاداً أن هذه المطالب نظرية وأن تعاريفها المذكورة حقيقية وأنها مع ذلك صحيحة وكل ذلك محل منع. أما الأول وهو أنها ضرورية غنية عن الكسب بتصريح غير ما واحد من أئمة الفن بذلك، كما قبل فيما تقدم عن ابن عرفة أنها بديهية، وقال السعد: تصورات هذه المعاني يعني الوجوب وما معه ضرورة حاصلة لمن لم يعرف طرق الأكسساب وكذا في المتعدد من شروح الطوابع وغير ذلك. وأما الثاني وهو أن تعاريفها غير حقيقية فلنصرح جماعة من أئمة الفن أيضاً بذلك قال السعد عقب ما سبق ما نصه: قد تعرف تعاريف لفظية ولذلك لا بتحاشي أن يقال الوجوب امتناع قبول (63) العدم وقال في الشرح بعد أن ذكره: إنها ضرورية، وقد يقال على سبيل التنبيه الوجوب اقتضاء الشيء الوجود إلى آخر كلامه. وقد حرر المحقق النصير الطوسي في شرح الإشارات إلى الأغراض الذاتية لموضوعات العلوم

(62) في ط: المبحثان الثاني والثالث طوبيناها اختصاراً

(63) في ك: قبل.

إذا ذكرت أولا قبل التصديق بموجودها لا تعرف إلا بحسب الأسماء دون الماهيات والحقيقة وبسطه يوقف عليه في محله، وتبعه على ذلك تلميذه القطب الشيرازي في أوائل شرح أصل ابن الحاجب والسعد في شرح الرسالة الكاتبية: وظهره ان هذه المطالب هي الأعراض الذاتية لموضوع علم الكلام التي ثبتتها المتكلم في مسائله فيما يفيد ثبوتها من صحيح الأدلة، ولهذا قال في محل المقاصد:

تمسدها الأحكام لا نزاع ووجوب الجواز الامتناع
تقع في المحمول من مسائله فهي مباديه ومن وسائله

وهذا نظير ما قال ابن الحاجب في الأحكام/الشرعة وقرره جماعة من شروحه ومحشيه وأقروه، وأما الثالث وهو ان التعاريف المذكورة لهذه المطالب على تقدير أنها حقيقة هي غير صحيحة. فما سبق عن الفخر وغيره من أنها دورية لا يمكن تعريف شيء منها إلا بسلب غيره عنه وذلك ظاهر بأدنى التفات فإن تعريف الواجب بأنه الذي لا يتصور في العقل عدمه تعريف له بامتناع العدم واستحالته، وكذا يقال في تعريف الجائز بأنه الذي يصح في العقل وجوده وعدمه لأن الصحة بمعنى سلب الامتناع ونفي الاستحالة. وأما تعريف المستحيل بأنه الذي لا يتصور في العقل وجوده فتعريف للشيء بنفسه لأن عدم التصور المأخوذ في تعريفه هو معنى الامتناع والاستحالة المعروفة فكان تعريفه بذلك تعريفا له بنفسه، لكن لما كانت التعاريف المذكورة لفظية بحسب التنبيه والنعرية اغتفر فيها ذلك كما قال السعد وغيره.

وليس كل ما يُغتفر في اللفظي يغتفر في الحقيقي لأن الاول من قبيل التصديقات والإخبار عن مسمى اللفظ المجهول بأنه هو مسمى اللفظ المعنى بقبيل المنع وتقام عليه الأدلة النقلية عن أهل الوضع بخلاف الثاني على ما قال ابن الحاجب وغيره. وللسيد الشريف في شرح المواقف مزيد تحرير تتأكد مراجعته. ويتحقق هذه النبذة يضمحل الانتقاد الذي أشرت اليه من أن تصدير التعاريف المذكورة بالنفي متعقب من حست إن النفي يجب اجتنابه في التعاريف. وما درى هذا المنتقد أن ذلك الاجتناب إن ثبت عنهم إنما هو في التعاريف الحقيقية للأمور الوجودية دون اللفظية وتعاريف للأمور العدمية والاعتبارات العقلية، وليته درى بأي شيء يعرف المصنف ونبوعه كالمقترح والشرف الفهري التنزهات وأوصاف السلوك كالقدم مثلا.

المبحث الثالث: أن مقتضى ما ذكره في التعقب على أبي محمد يفهم أن معنى التعريف عندهم هو خاص بالمصادر المذكورة لا بتجاوز إلى الأوصاف المشتقة منها وأنه مع ذلك عام في كل مصدر غير مقصور على الوجوب وصاحبيه، ولذلك جيء في النقص بخصوص المصادر دون أوصافها وعم فيها بذكر التفليد والطهارة ما معها، وكلا الأمرين

غير مسلم. أما الأول فلأن المصدر متوس (64) من وصفه ولازم له فامتناع تعريفه لتعذره كما ذكره الفخر الرازي وغيره امتناع لتعذر وصفه، لأن تعذر الأعم واللازم تعذر للأخص والملزوم. وتصريحهم بامتناع تعريف المصدر تلويح جلي بامتناع تعريف وصفه المشتق منه. وبالجمله فالقول بأنهم إنما منعوا تعريف الوجوب والإمكان والامتناع دون الواجب والممكن والممتنع مما لا معنى له ولا قائل به وليس في كلام أبي محمد ما يدل عليه وإنما مقصوده كما تقدم بدلالة السياق منع كل من المصدر والوصف المشتق منه من الأمور الثلاثة. وأما الثاني وهو أن المنع عام في كل مصدر غير مقصور على الواجب وصاحبيه حتى يتوجه النقص بتعريف التقليد والطهارة فهو غير مراد لأبي محمد ولا لغيره من الأئمة وليس في كلام واحد منهم ما يفهم ذلك العموم ولا بوجهه بادني وجه لأن السياق دال على أن الكلام في الوجوب وما معه تم في الإتيان بكلمة الإشارة من كمال بيان الغرض على أتم وجه ما [لا] (65) سحتمل معه [حمل] (66) لفظ المصادر على العموم في كل مصدر مصدر حتى تندرج الألوهية والزكاة، وإن أمكن ذلك الحمل مع ترك الإشارة على ضرب من التأويل ونوع من النساها انتهى ما قصدنا من إيراد المكتوب السلطاني المذكور.

وفد أجل السلطان المذكور مكان صاحب الترجمة قدر مكانه وأظن في مكاتبه تعظيما لقدره وتنويها بأمره فمن ذلك قوله في صدر المكتوب المذكور: إلى كبير فقهاء عصره، وإمام أئمة الأقطار والأمصار لا خصوص قطره الفسيح ومصره، خاتمة المحققين وبقية سلف المؤيدين والموفقين وقدة المجتهدين ونخبة المنقطعين لخدمة المعارف والمتجردين، النسمة الطاهرة، والبركة الباطنة والظاهرة، ذي السنن الأنوري والعرفان الأبهري أبي عبد الله الشيخ محمد الخرشي المالكي الأزهري. أعلى الله مقامه، وأعانه على ما فيه من تهذيب المقاصد الدينية أقامه، ومتع المسلمين بإنشاء أثره، ومن عليه من الكمالات العلمية والعملية بقضاء جميع وطره، السلام عليك أيها الفجر اللامع والبحر الذي طيب المعاطش وقرط المسامع، ولا زالت نفحات الفتوحات تتراصد عليكم وتتوالى، وأنوار عوارف المعارف تتكاثف بهاتبكم الأرجاء الأريجة وتتلالا. هذا وأنا أيها الماجد الدار، والقطب الذي عليه بين أفاضل وقته المدار، منذ ولانا الله أمور عباده وأفامنا فضلا منه لحياطة دينه وكلاءة بلاده، لم نزل نجهد في جمع الكلمة بحسب الإمكان، ونجد في حسم مادة البغي بكل محل من الآفاق المغربية ومكان، ونحتفل بطهارة أديم الأرض من ضر الشرك، ونبذل في استئصال شافة أهل الضلالة والجهالة والإفك، حتى أسعف الإسعاف والحمد لله بنيل ذلك

(64) في ك: متوهم.

(95) غير وارد في س.

(66) استدراك من س و ط.

المؤمل، ولم يكن إلا على حسن الثقة بالله في تحصيل ذلك الأرب المعول. انتهى ما تعلق الغرض به من الرسالة المذكورة، وهي طويلة جدا في غاية الاتقان والتدقيق. والموجود في التقايد أن صاحب الترجمة توفي في هذا العام عام اثنين ومائة وألف. وفي فهرسة سيدي الطيب الفاسي أنه توفي [في ذي الحجة] (67) سنة إحدى ومائة وألف.

محمد بن عبد الكريم الجزائري

ومنهم الفقيه الأدب الشريف الحسني محمد بن عبد الكريم الجزائري. أخذ عن عدة شيوخ من المشاركة والمغاربة منهم الشيخ سعيد فدورة [تأرخ السلم في المنطق] (68) وهو عمدته، والشيخ عبد الفادر الفاسي، والشيخ الحسن البوسي وأبو عبد الله السوسي الجزائري المتوفي سنة ثلاث وعشرين وألف والقشاشي والأجهوري والشيخ محمد الزرقاني والبابلي وغرس الدين الأنصاري والشبراملسي والفكون والزمزمي والقيلولي وزين العابدين الطبري والشيخ علي الحلبي والشيخ يوسف الفيشي والغنيمي والشيخ أحمد المنوي والشهاب الأفندي والصفوي الشامي وشيخه الشنوي والشنواني وأحمد السنهوري وشمس الدين محمد بن محمد الفيشي نسبة إلى قبيلة بكسر الفاء، في مشايخ كثيرين عد منهم في المنح البادية نحو [كذا وكذا] (69) شيخا. وكان قدومه لفاس سنة ثلاث وثمانين وألف [فلازم بها الشيخ عبد القادر الفاسي] (70) وكان ذا كرا للأدب والتواريخ حسن المجالسة ممتع المحاضرة [وفد على السلطان مولانا إسماعيل وأكرمه مرارا وكان يجله ويعظمه] (71)، توفي بفاس سنة اثنين ومائة وألف ودفن خارج باب الجيسة. وبني على قبره بيت بروضة ابن جلول عن سار المار إذا أعبدت الطريق الممرور عليها لحارة المرضي، وترك ولده الخير الأفضل سدي عبد الكريم هو الآن في قيد الحياة، كان الله لنا وله.

وفي محاضرات سيدي الحسن اليوسي: حدثني الفاضل أبو عبد الله محمد بن عبد الكريم الجزائري قال: حج بعض الأشراف فلما وقف على الروضة المشرفة على ساكنها أفضل الصلاة والسلام قال:

إِنْ لَيْلَ زُرْتُمْ بِمَا رَجَعْتُمْ؟ يَا أَكْرَمَ الرُّسُلِ مَا أَقُولُ

بالقاف المعقودة، فسمع من الروضة المشرفة بتلك اللغة:

قُولُوا رَجَعْنَا بِكُلِّ خَيْرٍ وَاجْتَمَعَ الْفَرْعُ وَالْأُصُولُ

(68) استدراك من ط.

(69) استدراك من ط أيضا

(70) زيادة في ط.

(71) زيادة في ط كذلك.

أحمد بن محمد الشريف التونسي

ومنهم أبو العباس أحمد بن محمد الشريف التونسي. في بعض المقدمات: الفقيه العالم الدراكة، قرأ على منسبته فاس [وسمع من] (72) أبي عبد الله محمد المرباط الدلائي شارح التسهيل وسيدي عبد العادر الفاسي وولده أبي عبد الله محمد وغيرهم. وكان فقيها مدرسا عالما بأحكام الوثائق وعللها. وكان رفيق سيدي محمد مباركة الأصغر في سماط عدول فاس القرويين وفي الأخذ عن الشيوخ. وبصفه بالأخلاق الحسنة والسيرة الممدوحة المستحسنة. وكان القاضي بردلة ينوه بقدرة وبقدمه على أتباعه من أبناء عصره ويعترف له بصحة النسب ورفعة الحساب، وربما أنابه في أحكام القضاء. توفي سابع عشر جمادى الثانية عام اثنين ومائة وألف ودفن بإزاء سدى على حماموش خارج باب الفتوح أحد أبواب مدينة فاس الأندلس قرب مصلى العيد.

محمد بن أحمد الحرشي

ومنهم الفقيه أبو عبد الله محمد بن أحمد الحرشي الفاسي. ذكر أن له شرحا على مختصر خليل لم يكمل وشرحا على شمائل الترمذي. أخذ عن أبي العباس المزوار [ثم] عن أبي محمد عبد القادر الفاسي و[أخذ عنه] (73) العالم النوازي أبو عبد الله محمد حمدون بناني، توفي أوائل ذي الحجة عام اثنين وتسعين ومائة وألف.

الحسن بن مسعود اليوسى

ومنهم الإمام الكبير، المحقق السهير، أعجوبة الدهر، ونادرة العصر، سيف السنة القائم عن وجود أهل عصره، بجزيل المنة، أبو علي الحسن بن مسعود اليوسى. قال في محاضراته: أنا الحسن بن مسعود بن محمد بن علي بن يوسف وهو أبو القبيلة ابن داوود ابن بدراسن بن يلتنى. فهذا ما نعد من النسب. ثم قال: وأما اليوسى فأصله اليوسفى كما مر من أن يوسف هو أبو القبيلة وبسقوطون الفاء فى لغتهم.

قلت: وهذا أعجب، فإن جده يوسف هذا هو رابع الآباء ومع قربه من زمنه نفرع منه خلق كنبرون فإن القبيلة اليوم كبيرة جدا ولا عجب من أمره الله.

كان صاحب الترجمة رحمه الله عالما ماهرا فى المعقول والمنقول بحرا زاخرا فى المعارف والعلوم، وخص عن أهل عصره بالصدع بالحق بين يدي [خلفه] (74) الوقت اعننا به ومبالغة فى نتحجه ومحبتة فيه راجيا منه أن يكون على سرة الخلفاء.

(72) في ط . أحد عن

(73) في م. ولازمه.

(74) في م: أمير.

وقياما منه بالذب عن الدين [وحماية للرياسة وحرصا على سنن المهتدين] (75) توتر في ذلك فضايا متعددة. وأقبل الناس عليه إقبالا عظيما، فكان حثما قرأ أطبق الناس عليه وغص عليه المجلس بالخلاتق، ما لا تتفق لغره، مع استمالة العامة إليه، فكان بسبب ذلك لا يدعه [السلطان] (76) تتقرر في موضع، بل يأمره بالرحيل لموضع آخر فكثير الناس عليه أكثر من ذلك وهلم جرا. ودخل مدينة فاس ودرس بها مرارا، فمنها سنة تسع بمثناة وسبعين بموحدة وألف إذ خربت الزاوية البكرية فأقبل طلبة العلم للأخذ عنه. وتخلفت عن مجلسه [جماعة من المشاهير] (77) وما منهم بصدد التعليم إلا من هو محتاج لمجلسه، فقال في ذلك بيتين واعتذر عنهما في محاضراته بقوله: ولكن للنفس فرطات، ولا بد لها أحسانا من سفطات. قال: فمن ذلك قولي:

مَا أَنْصَفْتُ فَاسَ وَلَا أَعْلَامَهَا عِلْمِي وَلَا عَرَفُوا جَلَالَتهُ مَنْصِبِي
لَوْ أَنْصَفُوا لَصَبَوْا إِلَيَّ كَمَا صَنَّا رَأَيْ سَنِينَ إِلَى الْغَمَامِ الصَّيْبِ

فمنهم من أنصف وأذعن واعترف بما له عليهم من المنن، ومنهم من بمقتضى البديهة أنكر، ثم عند التأمل اضمحل ذلك واندثر، ومنهم من ضج فامتطى مطية التقرع، فصرح في نظمه بأمر شنيع، ولم يفع لذلك [المسمع] (78) التفات واعتبطوا به اغتباطهم بالأهل والشبيبة وصحة الأبدان، فكان حلوله فيهم حلول القطر زمن المحل وبقية صرفت بين النحل [فتحقق] (79) أمره أنه كما نبههم عليه، ولمح في شعره إليه، من قول القائل:

وَحَدِيثُهَا كَالْقَطْرِ بَسْمَعُهُ رَأَيْ سَنِينَ تَتَابَعَتْ جَدْبَا
فَأَصَاحَ يَرْجُو أَنْ تَكُونَ حَبَا وَتَقُولُ مِنْ قَرَحِ أَبَا رَبَا

قال في المحاضرات: وإنما استسألت واستغفرت الله من المدح والافتخار لأن ذلك مباح في الشعر مسلوک في سائر الأعصار والأمصار. وهذه القضية أظنها من أسباب تأليف كتابه المحاضرات الذي لم يسبق لمثله، ضمنه التعريف بنفسه وأفصح عن معان كنيرة، وتخلص لوجوب عدم الإذعان لأهل المناصب، ومنه الحسد ونفل محفوظات كثيرة نظما ونثرا في العزلة والصبر على الأذى والإعراض عن السفهاء والتأسف على ذهاب ذوى الفضل وخلو الدنيا من أهل العلم والجود والكرم.

(75) غير وارد في ك وط.

(76) في م الأمير

(77) في ط: قوم.

(78) في م: لقوله.

(79) في م: فسمعوا.

فمن ذلك قول القائل:

ذَهَبَ الَّذِينَ إِذَا رَأَوْنِي مُقْبِلًا هَسُّوا وَقَالُوا مَرْحَبًا بِالْمُقْبِلِ
وَبَقِيَتْ فِي خَلْقٍ كَانَ حَدِيثَهُمُ وَلَعُ الْكَلَابِ تَهَاوَشَتْ فِي مَنْهَلِ

ومن ذلك:

مَضَى دَهْرُ السَّمَاحِ فَلَا سَمَاحَ وَلَا يُرْجَى لَدِي كَسْرَ فَلَاحُ
رَأَيْتُ النَّاسَ قَدْ مُسَّخُوا كَلَابًا فَلَبَسَ لَدَيْهِمْ إِلَّا النَّبَاحُ
وَأَضْحَى الظُّرْفُ عِنْدَهُمْ قَبِيحًا أَلَا وَاللَّهِ إِنَّهُمْ الْفِيبَاحُ

فأشفي الغليل راجيا الغليل وأطال جدا لما بين به آفة القال والقيـل، جزاه الله جزاء المتقين وأدام أمثاله حماية للسنة والدين.

ومن المحكي أن بعض أعيان علماء (80) فاس أرسل له بطاقة فيها جواب عن قوله السابق: ما انصفت فاس الخ، والجواب المكتوب فيها هو هذه الأبيات:

بَلْ أَنْصَفْتُ فَاسَ وَمَنْ أَنْصَافَهَا أَبَدًا سُفُوطُ الْمُدْعَى وَالْمُعْجَبِ
تَنْفِي الدَّجَاجِلِ أَجَلًا بَلْ عَاجِلًا فَكَأَنَّهَا هِيَ فِي الدُّنْيَا طَرِيدَةٌ بَثْرَبِ (81).

فلما قرئت عليه لم يجبه، لكن كتب له لفظة: «سلاما» وحدها، فلما ردت البطاقة لمرسلها ورأى ذلك [أعجبته] (82) واعترف ببراعة الجواب وبين لأصحابه أنه يشير لقوله تعالى: «وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا». وكان من جملة من حضر [المجلس] (83) جدنا أبو محمد عبد السلام بن الطيب القادري الحسني فأجاب عن الأبيات المكتوبة في البطاقة بهذه الأبيات وهي من نظمه ونثره وغزله فقال:

(80) هنا في ك طرة نصها:

وقفت في بعض التقايد أنه الإمام المجاصي، وذكر بدل البيـب الثاني في الأصل بيتا آخر نصه.

مِثْلُ الْمَدِينَةِ أَخْرَجَتْ أَنْفَالَهَا إِذَا أَبْرَزَتْ أَنْفَالَهَا لَمْ تَرْسُبِ

وأجابه أيضا العلامة سيدي محمد بن عبد القادر الفاسي رضى الله عنه بقوله:

بَلْ يَحْسُرُونَهُمْ قَاسَتَنَبَقُوا جَهْلَ الَّذِي يَقْمُوكَ غَيْرُ مُكْذَبِ

تَحْزَنُ الدَّجَاجِلُ عَاجِلًا أَوْ أَجَلًا فِي فَاسَ وَهِيَ طَرِيدَةٌ مِّنْ يَتْرَبِ

(81) الشطر الثاني مكسور، وهنا طرة أخرى في ك نصها:

المجيب المذكور هو سيدي عبد الرحمان بن عبد القادر الفاسي. ولما وقع الجواب المذكور وهو: بل انصفت الخ، بيد أبي علي، طالع به شيخ الجماعة أبا محمد سيدي عبد القادر الفاسي فقال له: البادئ أظلم وأنت أزلت حجاب الوقار وأبحت عذارك لمعارضتك الأحداث وأصغائك لمقال من لم يساوك في علم ولا سن.

(82) في م: أخجلته.

وقياما منه بالذب عن الدين [وحماية للرعية وحرصا على سنن المهتدين] (75) توتر في ذلك قضايا متعددة. وأقبل الناس عليه إقبالا عظيما، فكان حشما قرأ أطنب الناس عليه وغص عليه المجلس بالخلاتق، ما لا يتفق لغيره، مع استمالة العامة إليه، فكان بسبب ذلك لا يدعه [السلطان] (76) يتقرر في موضع، بل يأمره بالرحيل لموضع آخر فبكثرت الناس عليه أكثر من ذلك وهلم جرا. ودخل مدينة فاس ودرس بها مرارا، فمنها سنة تسع بمثنائه وسبعين بموحدة وألف إذ خربت الزاوية البكرية فأقبل طلبة العلم للأخذ عنه. وتخلفت عن مجلسه [جماعة من المشاهير] (77) وما منهم بصدد التعليم إلا من هو محتاج لمجلسه، فقال في ذلك ببنتين واعتذر عنهما في محاضراته بقوله: ولكن للنفس فرطات، ولا بد لها أحيانا من سقطات. قال: فمن ذلك قلبي:

مَا أَنْصَفْتُ فَاسٌ وَلَا أَعْلَامُهَا عِلْمِي وَلَا عَرَفُوا جَلَالَةَ مَنْصِبِي
لَوْ أَنْصَفُوا لَصَبَّوْا إِلَيَّ كَمَا صَبَا رَأْيِي سَنِينَ إِلَى الْعَمَامِ الصَّيِّبِ

فمنهم من أنصف وأذعن واعترف بما له عليهم من المنن، ومنهم من بمقتضى البديهة أنكر، ثم عند التأمل اضمحل ذلك واندرثر، ومنهم من ضج فامتطى مطبة التفرع، فصرح في نظمه بأمر شنيع، ولم يقع لذلك [المسمع] (78) التفات واعتبطوا به اغتباطهم بالأهل والتسببية وصحة الأبدان، فكان حلوله فيهم حلول القطر زمن المحل وبقية صرفت بين النحل [فتحقق] (79) أمره أنه كما نبههم عليه، ولمح في شعره إليه، من قول القائل:

وَحَدِيثُهَا كَالْقَطْرِ يَسْمَعُهُ رَأْيِي سَنِينَ تَتَابَعَتْ جَذْبًا
فَأَصَاحُ يَرْجُو أَنْ يَكُونَ حَا وَتَقُولُ مِنْ قَرَحٍ أَيَا رَبًّا

قال في المحاضرات: وإنما استسألت واستغفرت الله من المدح والافتخار لأن ذلك مباح في الشعر مسلوک في سائر الأعصار والأمصار. وهذه القضية أظنها من أسباب تأليف كتابه المحاضرات الذي لم يسبق لمثله، ضمنه التعريف بنفسه وأفصح عن معان كثيرة، وتخلص لوجوب عدم الإذعان لأهل المناصب، ومنه الحسد ونقل محفوظات كثيرة نظما ونثرا في العزلة والصبر على الأذى والإعراض عن السفهاء والتأسف على ذهاب ذوى الفضل وخلق الدنيا من أهل العلم والجود والكرم.

(75) غير وارد في ك وط.

(76) في م: الأمير.

(77) في ط: قوم.

(78) في م. لقوله.

(79) في م: فسمعوا.

فمن ذلك قول القائل:

ذَهَبَ الَّذِينَ إِذَا رَأَوْنِي مُقْبِلًا هَشُّوا وَقَالُوا مَرْحَبًا بِالْمُقْبِلِ
وَبَقِيَتْ فِي خَلْقِي كَأَنَّ حَدِيثَهُم وَلَعُ الْكَلَابِ تَهَاوُشَتْ فِي مَثَلِ

ومن ذلك:

مَضَى دَهْرُ السَّمَاحِ فَلَا سَمَاحَ وَلَا يُرْجَى لَدِي كَسْرَ فَلَاخُ
رَأَيْتُ النَّاسَ قَدْ مُسَخُّوا كَلَابًا فَلَسَ لَدَيْهِمْ إِلَّا النَّبَاحُ
وَأَضْحَى الظُّرْفُ عِنْدَهُمْ فَبِيحًا أَلَا وَاللَّهِ إِنَّهُمْ الْقَبَبَاحُ

فأسفى الغليل راجبا للقليل وأطال جدا لما بين به آفة القال والقليل، جزاه الله جزاء المتقين وأدام أمثاله حماية للسنة والدين.

ومن المحكي أن بعض أعبان علماء (80) فاس أرسل له بطاقة فيها جواب عن قوله السابق: ما انصفت فاس الخ، والجواب المكتوب فيها هو هذه الأبيات:

بَلْ أَنْصَفْتُ فَاسَ وَمَنْ أَنْصَافَهَا أَبْدَأُ سُفُوطَ الْمُدْعَى وَالْمُعْجَبِ
تَنْفَى الدُّجَاجِلَ أَجَلًا بَلْ عَاجِلًا فَكَأَنَّهَا هِيَ فِي الدُّنْيَا طَرِيدَةٌ يَتَرَبَّ (81).

فلما قرئت عليه لم يجبه، لكن كتب له لفظة: «سلاما» وحدها، فلما ردت البطاقة لمرسلها ورأى ذلك [أعجبته] (82) واعترف ببراعة الجواب وبين لأصحابه أنه يشبر لقوله تعالى: «وإذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما». وكان من جملة من حضر [المجلس] (83) جدنا أبو محمد عبد السلام بن الطيب القادري الحسني فأجاب عن الأبيات المكتوبة في البطاقة بهذه الأبيات وهي من نظمه ونثره وغزله فقال:

(80) هنا في ك طرة نصها. وقف في بعض التقايد أنه الإمام المجاصي، وذكر بدل البيب الثاني في الأصل بيتا آخر نعه.

مِثْلُ الْمَدِينَةِ أَخْرَجَتْ أَنْصَافَهَا إِذَا أُتِرَتْ أَنْصَافُهَا لَمْ تَرْتَبْ
وأجابه أيضا العلامة سيدي محمد بن عبد القادر القاسي رضي الله عنه بقوله:

بَلْ يَغْرِفُونَهُمْ فَاسْتَسَيَّفُوا جَهْلُ الَّذِي يَقْسُوكَ غَبْرُ مُكْدَبِ
تُخْرِزِي الدُّجَاجِلَ عَاجِلًا أَوْ أَجَلًا فِي فَاسٍ وَهِيَ طَرِيدَةٌ مِنْ يَتَرَبِ

(81) الشطر الثاني مكسور، وهنا طرة أخرى في ك نصها: المجيب المذكور هو سيدي عبد الرحمان بن عبد القادر القاسي. ولما وقع الجواب المذكور وهو: بل انصفت الخ، بيد أبي علي، طالع به شيخ الجماعة أبا محمد سيدي عبد القادر القاسي فقال له: البادي أظلم وانت أزلت جلباب الوقار وأبج عذارك لمعارضتك الأحداث وإصغائك لمقال من لم يساوك في علم ولا سن.

(82) في م. أخجلته.

مَا أَنْصَفْتَ فَاسٍ وَلَا مِنْ شَأْنِهَا
يَا أَهْلَ فَاسٍ مَا الَّذِي أَغْنَاكُمْ
فَلَقَدْ سَقَطَتْ وَمَا صَدَقَتْ وَإِنَّهُ
لَا تَتَعَبْنَ قُدُونَ مَا حَاوَلْتَهُ
أُطْرُقُ كَذَا هَذَا الْإِمَامَ مُعْظَمَ
فَلَأْتُ نُطْفَى نُورِ رَبِّكَ جَاهِدًا
أَوْ كَالَّذِي رَامَ الصُّعُودَ إِلَى الْعَلَا
لَا تَعْجِبِينَ إِذَا الْأَكَارِمَ حَلَقَتْ

إِنْصَافُ ذِي شَرَفٍ جَلِيلِ الْمَنْصَبِ
عَنْ نَبْلِ غَبَّتْ مِنْ غَمَامٍ صَيِّبٍ
مِنْ شَأْنِ نَفْسِ الْمُدْعَى وَالْمُعْجَبِ
خَرَطُ الْقِتَادِ وَامْتِطَاءُ الْكُوكِبِ
فِي سَائِرِ الدُّنْيَا بِغَيْرِ تَعَجُّبٍ
بِالنَّفْعِ بَعْضًا كَالْجَهُولِ الْمُذْنِبِ
بِأَتَانِهِ الْعَرَجَا وَلَمْ يَسْتَوْجِبْ
غَمْرًا فَكَمْ مِنْ مَاجِدٍ لَمْ يَنْجِبْ (84)

ومدحوا صاحب الترجمة بأمداح كثيرة وأثنوا عليه بأنظام خطبة. فمن ذلك قول جدنا عبد السلام بن الطيب القادري يمدحه ويصف حالة حلوله حينئذ بفاس مخاطبا له:

حَيِّتْ بِكَ الْأَرْضُونَ مِنْذُ حَلَلْتَهَا
أَنْتَ الَّذِي أَنْهَلْتَ مِنْ بَحْرِ الْهُدَى
أَنْتَ الَّذِي لَمَّا رَقِيتَ سَمَا الْعُلَا
قَدْ جِئْتَ بِحَرًّا مِنْ عُلُومٍ زَاخِرًا
قَسَمًا بِمُرُوءَةٍ وَالصَّفَا وَبِزَمَزِمٍ
مَا حَازَ دُوْهُ عِلْمٍ وَلَا دُوْهُ هِمَّةٍ

وَحَيَّتْ بِنُورِ هُدَاكَ كُلُّ نَفْسٍ
فَسَقِيتَ مِنْهُ مُرِيدَهُ بِكُؤُوسٍ
نَارَتْ لَنَا بِسَنَّاكَ كُلُّ شَمْسٍ
مُتَضَلِّعًا مِنْهُ بِكُلِّ نَفْسٍ
قَسَمَ النُّقْى وَالْبَرِّ غَيْرَ غَمُوسٍ
كَلَّا وَلَا دَانِي مَقَامِ السُّوسِ

فأجابه بأبيات تأتي إن شاء الله في ترجمته. ومما نظمها صاحب الترجمة في شأن من يؤذيه من علماء أهل سجلماسة:

حَيِّ الْأَحْبَبَةَ عَنِّي أَيُّهَا ذُكِرُوا
وَلَا تَحِيَّ لَنَا مَا قَدْ عَاهَدْتَهُمْ
وَقُلْ لَذَلِكَ السَّجْلَمَاسِيُّ إِنْ لَنَا
إِنْ الْمُنَافِقُ لِلْعَوْرَاتِ مَلْتَمَسُ
وَلَيْسَ مِنْ عَجَبٍ إِنْ كُنْتَ مُنْتَهَسًا
فَبِإِنْ أَسْلَافَكَ الْأَرْدَالُ قَدْ أَكَلُوا
أَهْلُ سَجْلَمَاسَةَ الْأَبْدُونَ إِنْ نَطَقُوا
لَوْلَا الْأَكَارِمُ أَلِ الْمَصْطَفَى نَزَلُوا

وَحُصَّ مِنْ جِيرَتِي قَوْمًا هُمُ الْغُرُرُ
سَجِيهَةٍ فِيهِمْ الْإِبْدَاءُ وَالضَّرَرُ
عَرْضًا مَصُونًا فَلَا تَهْتِكُهُ يَا غَدْرُ
وَالْمُؤْمِنُونَ إِذَا مَا اسْتَبْصَرُوا عَذْرُوا
لَحْمَ الْوَرَى فَعَلْ كَلْبٍ لَيْسَ بِنَزَجِرُ
لَحْمَ الْكَلَابِ فَذَاكَ الْفَعْلُ مُذْخَرُ
وَالْوَمُ النَّاسُ أَحْلَامًا إِذَا اقْتَدَرُوا
بَارِضِهِمْ آخِرَ الْأَرْمَانِ مَا ذُكِرُوا

وحق لمن يؤذي [مثل] (85) صاحب الترجمة أن يقال فيه أكثر من هذا لأنه من العلماء العاملين والسادات الكاملين، وقد أفنى نفسه في الذب عن الشريعة وحرر فصولها وأسس أصولها المنيعة، فلقد كان سيفاً من سيوف الدين، وصارماً بفري هام الملحد، ومقمعاً للطغاة (86) المفسدين. ومن يديع احتراسه تصريحه بأن بلدة هذا الشخص إنما شرفت بأهل بيت الرسول ولا شك أن سجلماسة بلدة مشرفة بآل البيت الكرام، ومنحهم الله بهم من منائح الفضل العظيم، بل وسعد بهم بلاد المغرب حتى أقام الله منهم الخلفاء (87) الذين أطفأ بهم نيران الفتنة، وتدارك بهم الضعفاء والمساكين فأزال عنهم المحن، ومن وقف على ما وقع من الفساد في المغرب قبل ظهور هؤلاء الشرفاء تحققه علماً، وأحاط بصحته جزماً، وفد ذكرنا بعضاً منه فيما تقدم مفترقا في السنين، فليراجع. وكان ورود هؤلاء الشرفاء على سجلماسة أواسط المائة السابعة كما ذكره سيدي إبراهيم بن هلال في مناسكه.

وكان صاحب الترجمة آية في المعقول والمنقول وإليه المرجع فيهما، وآية في النبيل والإدراك مع الحظ الوافر في الأدب وحفظ دواوين الشعر، يستحضر ديوان أبي تمام وأبي الطيب والمعري ويسرد قصائدها عن ظهر قلب، ومدحه الشيخ الإمام الورع الزاهد سبدي أحمد العطار المراكشي الأندلسي بقصيدة مطلعها:

صَدَدَتْ وَالصَّدُّ مِنْكَ غَبَرُ مَعْهُودٍ وَبِالْوِصَالِ قَصَرَتْ كُلُّ مَمْدُودٍ
فَمَا اجْتَرَأَ مِي وَمَا أُمْسِيَتْ مُشْكِيَا بِنَقْضِ عَهْدٍ وَلَا إِخْلَافِ مَوْعُودٍ
حَتَّى نَظَمْتُ (88) عُقُوداً مِنْ خُلَاكَ حَكَّتْ شَمَائِلَ الْحَسَنِ الرَّضَى ابْنَ مَسْعُودٍ
فَتَى لَهُ قَدَمٌ فِي أَلْفُضْلِ رَاسِحَةٍ وَمَنْزِلٌ فِي أَلْعَفَافِ غَيْرِ مَجْجُودٍ

وأجابه بقصيدة [مطلعها فوله:

ما نفحة الأرض من أرجائها عود] (89)

ولصاحب (90) الترجمة مراسلات ومحاورات مع السلطان المظفر الهمام أبي النصر المنصور بالله أمير المؤمنين مولانا إسماعيل بن الشريف الحسنى السجلماسي، ووقفت على رسالة من ذلك نصها.

(85) زياده في م.

(86) في س و ط: العنة

(87) في م: الملوك

(88) كذا في م وهو الأنسب، وفي ك قصبت.

(89) ما بين معقوفتين ساقط من ط.

(90) هنا يبتدىئ بتر طويل في ط لضع صفحات، وسنبيه على نهايته.

بسم الله الرحمان الرحيم، وصلى الله على مولانا محمد وآله وصحبه وسلم، ورضي الله تعالى عن الخلفاء الراشدين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين، وعلى خليفتنا أمير المؤمنين الإمام قطب المجد ومركزه، وفخار الفخار ومثزره، وأساس الشرف الفادح ومنبعه، ومناط الفضل الشامخ ومجمعه، السلطان الأعظم، الأجل الأفخم مولانا إسماعيل بن مولانا الشريف لازلت أعلامه منشورة، وأيامه على العز واليمن مقصورة، وسلام على مولانا ورحمة الله تعالى وبركاته. هذا ولا زائد عندنا سوى المحبة لسيدنا وغاية التعظيم والإجلال، والدعاء له بصلاح الحال، وذلك بعض ما أوجبتة يده علينا المبسوسة بالبر والإحسان، والتفضل والامتنان، والنوqير والاحترام، والإنعام والإكرام، مع ما له علينا وعلى غيرنا من الحقوق التي أوجبتها منزلته السلطانية، ومثابته العلوية الفاطمية، فكتبتنا هذه البطاقة، وهي في الوقت منتهى الطاقة، وكنا كثيرا ما نرى من سيدنا التشوف إلى الموعظة والنصح، والرغبة في افتتاح أبواب الربح والنجح، فأردنا أن نرسم لسيدنا بعض ما إن وفق (91) للنهوض إليه رجونا له ربح الدنيا والآخرة، والارتقاء إلى الدرجات الفاخرة، ورجونا وإن لم نكن أهلا لأن نعظ أن يكون سيدنا أهلا لأن يتعظ، وأن يحتمي من جميع المذام ويحتفظ. فليعلم سيدنا أن الأرض وما فيها ملك لله تعالى لا شريك له، والناس كلهم عبيد لله تعالى وإماء له والسلطان واحد من العبيد، وقد ملكه الله تعالى عبده ابتلاء وامتحاناً، فإن قام عليهم بالعدل والرحمة والإنصاف والإصلاح فهو خليفة الله في أرضه وظل الله على عباده وله الدرجة العالبة عند الله تعالى، وإن قام بالجور والعنف والكبرياء والطغيان والإفساد فهو متجاسر على مولاه (92) في مملكته ومتسلط ومتكبر في الأرض بغبر حق ومتعرض لعقوبة الله تعالى الشديدة وسخطه. ولا يخفى على سيدنا حال من تسلط على رعيته يروم تملكهم بغير إذنه (93) كيف يفعل به يوم يتمكن منه، ثم نقول إن على السلطان حقوقاً كثيرة لا تفي بها البطاقة، ونقتصر منها على ثلاثة هي أمهاتها: الأول جمع المال من حق وتفريقه في حق. الثاني: إقامة الجهاد لإعلاء كلمة الله، وفي معناه تعمير الثغور بما تحتاج من عدد وعدة. الثالث: الانتصاف للمظلوم من الظالم، وفي معناه كف كل يد عادية عليهم منهم ومن غيرهم. وهذه الثلاثة قد اختلت كلها في دولة سيدنا، فوجب علينا تنبيهه لئلا يعتذر بعدم الإطلاع أو بالغفلة، فإن تنبهه وفعل فقد فاز وفي ذلك صلاح الوقت وصلاح أهله وسبوغ النعمة وشمول الرحمة، وإلا فقد أدينا الذي علينا.

أما الأمر الأول فليعلم سيدنا أن المال الذي يجبي من الرعية قد أعده الله تعالى للمصالح التي ينتظم بها الدين وتصلح الدنيا من أهل البيت والعلماء والقضاة والأئمة والمؤذنين والمجاهدين والأجناد والمساجد والقناطر وغير ذلك من المصالح، ومثال هؤلاء

(91) في س: وقفنا، وهو تصحيف.

(92) في س: على الله تعالى.

(93) في ك و م: بغير أمره

كأيتام لهم ديون قد عجزوا عن [الوصول إلى] قبضها إلا بوكيل، ومثال الرعية منزل المديان والسلطان هو الوكيل، فإن استوفى الوكيل الدين بلا زيادة ولا نقصان وأداه إلى اليتامى بحسب ما يجب لكل فقد برئ من اللوم ولم تبق عليه تبعة للمديان ولا لليتيم وحصل له أجران: أجر القبض وأجر الدفع، وإن هو زاد على الدين الواجب بغير رضى المديان فهو ظالم للمديان، وإن نقص بغير موجب فهو ظالم لليتيم وكذا إن استوفى الديون وأمسكها ولم يدفعها لأربابها فهو ظالم لهم. فلنظر سيدنا فإن جباة مملكته قد جرؤا ذبول الظلم على الرعية فأكلوا اللحم وشربوا الدم وامتسوا العظم وامتصوا المخ ولم يتركوا للناس ديناً ولا دنياً، أما الدنيا فقد أخذوها، وأما الدين فقد فتنوهم عنه وهذا شيء شهدناه لا شيء ظنناه، ثم إن أرباب الحقوق قد ضاعوا ولم نصل إليهم حقوفهم. فعلى السلطان أن يتفقد الجباة ويكف أديهم عن الظلم ولا يغتر بكلام من يزين له الوقت، فإن أكثر الدائنين به طلاب الدنيا لا يتقون الله ولا تحفظون من المداينة والنفاق والكذب، وفي أفضل منكم قال جد سيدنا أمير المؤمنين علي كرم الله وجهه: المغرور من غررتموه، وأن يتفقد المصالح ويبسط بد الفضل على خواص الناس وأهل العلم والدين والخير ليكتسب محبتهم ونناءهم ونصرهم كما قيل:

أفادتكم النعماء منى ثلاثة يدي ولساني والضمير المحجبا

وقد جُبلت النفوس على حب من أحسن إليها، ولا يهملهم فيتمنوا غيره ويتطلبوا دولة أخرى كما قيل:

إذا لم يكن للمرء في دولة امرئ نصيب ولا حظ تمنى زوالها
وما ذاك من بغض لها غسر أنه يريد سواها فهو يهوى انتفالها

وليعلم سيدنا أن السلطان إذا أخذ أموال العامة ونثرها في الخاصة وشيد بها المصالح فالعامة يدعون له ويعلمون أنه سلطان وتطيب قلوبهم بما يرون من إنفاق أموالهم في مصالحهم وإلا فالعكس، وأيضاً السلطان متعرض للسهام الراشقة من دعوات المظلومين من الرعية، فإذا أحسن إلى الخاصة دعوا له بالخير والسلام والبقاء فقابل دعاء بدعاء والله الموفق.

وأما الأمر الثاني فقد ضاع أيضاً، وذلك أنه لم يتأت في الوقت [الآن] (94) عمارة الشغور وسيدنا قد غفل عنها. فقد ضعفت اليوم غاية. وقد حضرت بمدينة تطاون (95) أبام

(94) في م: «الآن». ومثله في الاستقصا.

(95) في م: تطاون

مولانا الرشد رحمه الله فكانوا إذا سمعوا الصرخ تهتز الأرض خيلا ورماة. وقد بلغني اليوم أنهم سمعوا صرخا⁽⁹⁶⁾ من جانب البحر ذات يوم فخرجوا يسعون على أرحلهم بأيديهم العصي والمقالسع، وهذا وهن في الدين، وغرر على المسلمين، وإنما جاءهم الضعف من المغارم الثقيلة وتكليفهم الحركة⁽⁹⁷⁾ وأعطائهم⁽⁹⁸⁾ العدة كسائر الناس. فعلى سيدنا أن يتفقد السواحل كلها من القلعية⁽⁹⁹⁾ إلى ماسة ويحرضهم على الجهاد والحراسة بعد أن يحسن إليهم ويعفيهم مما بكلف به غيرهم وينرك لهم خيلهم [ورجالهم]⁽¹⁰⁰⁾ وعدتهم ويزيدهم ما يحتاجون إليه، فهم حماة بضرة الإسلام وينحري فيمن بوليه تلك النواحي أن يكون أشد الناس رغبة في الجهاد ونجدة في المضايق وغيره على الإسلام [وأهله]⁽¹⁰¹⁾ ولا يولي فيها من همته ملء بطنه والاتكاء على أركته.

وأما الأمر الثالث فقد اختل أيضا لأن المنتصبين للانتصاف بين الناس هم العمال في البلدان وخدامهم [و]⁽¹⁰²⁾ هم المستغلون بظلم الناس. فكيف يزيل الظلم مَنْ يفعله؟ ومن ذهب يشتكي سبقوه إلى الباب فزادوا عليه فلا يقدر أحد أن يشتكي. [فلتتق سيدنا دعوة المظلوم]⁽¹⁰³⁾ فليس بينها وبين الله حجاب، وليجتهد في العدل فإنه قوام الملك وصلاح الدين والدنيا. قال الله تعالى: «إن الله بأمر بالعدل والاحسان [وإيتاء ذي القربى] وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغى يعظكم لعلكم تذكرون». وقال تعالى: «ولينصرن الله من ينصره إن الله لقوي عزيز». ثم ذكر المنصورين وشرائط النصر فقال: «الذين إن مكناهم في الأرض أقاموا الصلاة وآتوا الزكاة وأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر». فضمن تعالى للملوك النصر وشرط عليهم هذه الأمور الأربعة، فمتى اختل عليهم أمر الرعية وتسلبت عليهم من يفسد عليهم الدولة علموا أن ذلك من إخلالهم بهذه الأمور، فكان عليهم الرجوع إلى الله تعالى وتفقد ما أمرهم به ورعاية ما استرعاهم إياه. وقد اتفقت حكماء العرب والعجم على أن الجور لا يثبت معه الملك ولا يستقيم، وأن العدل يستقيم معه الملك ولومع الكفر، وقد عاش الملوك من الكفرة المثين من السنين في الملك المنتظم والكلمة المسموعة والراحة من كل منغص لما كانوا بتحافظون عليه من العدل في الرعية استصلاحا لدنياهم، فكيف بمن يرجو صلاح الدنيا والدين [والآخرة]. وقال بعض الحكماء: الملك بناء والجند أساسه. فإذا ضعف

(96) في ك و س: يفرع.

(97) في م: الحركات

(98) في م: وإعطاء

(99) في م: قلعية.

(100) زياده في ك.

(101) كذلك زياده في ك

(102) زياده في م و س.

(103) في م. فليتق الله سيدنا، وليتق دعوة المظلوم.

الأساس سقط البناء. فلا سلطان إلا بجند. ولا جند إلا بمال. ولا مال إلا بجباية، ولا جباية إلا بعمارة. ولا عمارة إلا بالعدل، فالعدل أساس الجمع، وصنع أرسطاطاليس الحكيم للإسكندر الشكل المستند عنه وكتب عليه: العالم بستان سياجه الدولة، الدولة سلطان تعضده السنة، السنة سياسة سوسها الملك، الملك راع بعضده الجبش، الجيش أعوان بكفلهم المال، المال رزق يجمعه الرعية، الرعية عبيد نقودهم العدل، العدل مألوف وبه صلاح العالم، العالم بستان انتهى. وقال صلى الله عليه وسلم: (كلكم راع فالإمام راع وهو مسؤول عن رعيته). وقال صلى الله عليه وسلم: (إن رجلاً يخوضون في مال الله بغير حق لهم النار يوم القيامة). وقال صلى الله عليه وسلم أو كما قال: (ما من والٍ يلي ولاية إلا جاء يوم القيامة وبداه مغلولتان. فإمّا عدل بفكّه وإما جورٌ يُؤيقه). وعن علي بن أبي طالب كرم الله وجهه قال: رأيت عمر على قتب يعدو به بغيره بالأبطح فقلت: يا أمير المؤمنين، أبن تسير؟ قال: بعبر شرد من إبل الصدقة أطلبه. فقلت: أذلت الخلفاء من بعدك. فقال لا تلمني، والذي بعث محمداً [بالحق] عليه السلام لو أن عنقا ذهب بشاطئ الفرات لأخذ بها عمر يوم القيامة، ألا إنه لا حرمة لوالٍ ضيّع المسلمين، ولا لوالٍ () (104) المؤمنين، وقد رأى رضي الله عنه شيخاً يهودياً يسأل على الأبواب فقال عمر: ما أنصفناك، أخذنا منك الجزية مادمت شاباً ثم ضبعناك اليوم. وأمر أن يجري عليه قوته من بيت المال. وليعلم سيدنا أن أول العدل أن يعدل في نفسه فلا يأخذ لنفسه من المال إلا بحق وليسأل العلماء عما يأخذ وما يعطي وما يأني وما يذر، وقد كان بنو إسرائيل يكون فيهم الأمير على يد نبي، فالنبي يأمر والأمير ينفذ لا غير، ولما كانت هذه الأمة المشرفة انقطعت النبوة بنبيينا خاتم النبيين صلى الله عليه وسلم وعلى إخوانه النبيين، فلم يبق إلا العلماء يقتدي بهم. قال صلى الله عليه وسلم: (علماء أمتي كأنبياء بني إسرائيل). فكان حقاً على خلفاء هذه الملة أن يتبعوا العلماء ويتصرفوا على أيديهم أخذاً وعطاءً. وقد توفي النبي صلى الله عليه وسلم واستخلف أبو بكر رضي الله عنه وكان قبل ذلك ببيع ويشترى بالسوق لعالمه، فلما بوع أخذ متاعه إلى السوق على عادته حتى رده علماء الصحابة وقالوا له: إنك في شغل بأمر الخلافة عن السوق، وفرضوا له ما بكفى عياله وحملوا المال على يد أمين، وكان هو وغيره فيه سواء يأخذ منه بما افتضته الشريعة لنفسه ولغيره، وهكذا سيرة الخلفاء الراشدين من بعده. فعلى سيدنا أن يقتدي بهؤلاء الفضلاء، ولا يفتدي بأهل الأهواء (105) ويسأل من معه من الفقهاء الثقات كسيدي محمد بن الحسن وسيدي أحمد بن سعيد وغيرهما من العلماء العاملين الذين يتقون الله ولا يخافون في الله لومة لائم، فما أمره به مما ذكرناه ومما لم نذكره فعله، وما نهوه عنه انتهى. هذا سبيل النجاة إن شاء الله تعالى، نسأل الله أن يرزق سيدنا توفيقاً وتسديداً، وإرشاداً وتأييداً، وأن يصلح بوجوده البلاد والعباد وأن يحسم سيفه أهل الزيف

(104) بياض في م.

(105) في ط و س: بأهل الهوى

والفساد آمن والحمد لله رب العالمين. وكتب العبد الفقير الذليل الحسن بن مسعود اليوسي تاب الله عليه آمين. انتهى.

والأحاديث التي ذكر كلها في الصحيح بالألفاظ التي ذكر وبغيرها إلا أن قوله: ما من وال الخ الذي عزاه المنذري لصحيح ابن حبان من رواية إبراهيم بن هشام الغساني عن أبي الدرداء قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: ما من والي ثلاثة إلا لفى الله مغلوله يمينه فكه عدله وغله جوهره انتهى. وأورد المنذري في ترغيبه أحاديث كتيرة في هذا المعنى. وأما حديث: علماء أمتى كأنبياء بنى إسرائيل، فقال السيوطي في الدر المنثور: لا أصل له. نعم أخرج صاحب الترجمة الأربعة عن أبي الدرداء: علماء أمتي ورثة الأنبياء، وسيدي محمد ابن الحسن المجاصي المذكور في كلامه تأتي ترجمته في العام الذي بعد هذا، وسيدي أحمد بن سعيد هو المجلدي تقدمت ترجمته في العشرة العاشرة من المائة الحادية عشرة. وكان الخليفة مولانا إسماعيل المذكور يثني عليه خبراً، ومما يحكى عنه في ذلك أنه كان يقول: علماء الوقت على أربعة أقسام: قسم لا يخاف إلا من الله ولا يخاف منا، يعني نفسه. وقسم يخاف من الله ومنا، وقسم يخاف منا ولا يخاف من الله، وقسم لا يخاف من الله ولا منا، ويمثل للقسم الاول بصاحب الترجمة [وتركنا ذكر أصحاب التماثل الثلاثة إذ كل نفس بما كسبت رهينة، عليكم أنفسكم لا يضركم من ضل إذا اهتديتم] (106).

وقد فاز صاحب الترجمة [بدينه فلم تتحمل بشيء من غمزات المسلمين إلا ما سعى لهم في المصالح وارتكاب المخاطرة في إرشاد السلطان إلى ما هو واجب عليه بأشد من الخطاب المتقدم في الرسالة المنقولة مشافهة] (107) حيث سعى للمسلمين في المصالح ونصح الخليفة المذكور غير ما مرة وقد راجعه برسالة أخرى أطول من هذه (108) جواباً عن ما نعت به بطانة السلطان الذين بلونه ويقربون منه، واجتمع معه وشافهه، وقضياه (109) معه كثيرة. وكان صاحب الترجمة غاية في الجود والسخاء وجامعاً لكثير من الأخلاق العظيمة. وقد (110) استعار منه عمنا الأرضى النزبه الأدب الفقه الصوفي أبو العباس أحمد ابن الفقيه العدل الأرضى عبد الفادر القادري الحسن بن نسخة من فوت القلوب لأبي طالب المكي كان يملكها وخاطبه بهذين البيتين:

أَحْبَرَ الْمُؤْمِنِينَ أَتَتْ قُصْدًا لِبَابِكَ كَيْ أَحْصَلَ مِنْ نَصِيبِ
وَهَا قَلْبِي بِجُوعِ الْجَهْلِ بَفْتَى وَعِنْدَكَ سِسْدِي قُوتُ الْقُلُوبِ

(106) ما بين معقوفتين ساقط من ط.

(107) زيادة في م وط

(108) هنا في هامش ط طرة نصها: يدل خطابها أنها جواب عما بحثه به من يوالي السلطان في كلام الشيخ صاحب الترجمة في هذه الرسالة وغيرها، والتعرض لجلت جميع ذلك يطول جداً وأن كان لا يخلو من فوائد والله أعلم.

(109) في م و س. وقضياته.

(110) في ط. حكى لنا ولده أبو عبد الله محمد بن العالم أبي العباس أحمد أن أباه المذكور استعار من صاحب الترجمة..

فأرسله إليه في الحين وقال له: هو لك وبَّتْ هبته إياه منجزاً⁽¹¹¹⁾ ولما رحل صاحب الترجمة للحجاز سنة إحدى ومائة ونزل طرابلس وممر بدار سيدي أحمد بن عبد الله إذ كان مع الركب المغربي حينئذ حاجاً، فترجل سيدنا أحمد عن دابته ودخل عليه بعد الإستئذان، وكانت لهما معرفة إذ كان صاحب الترجمة حيث كان بفاس يأتى إليه ويطلب منه الدعاء يستشير، فأذن له فدخل عليه إلى الدار التي هو نازل فيها وقام إليه فتلّقه⁽¹¹²⁾ وفرح به وقال له إنى هممت أن آتيك وبعثت بعض الطلبة بسأل عن منزلتك فآتيك، تم انصرف سدى أحمد إلى منزله. فذكر ذلك [عم والدنا] أحمد بن عبد القادر القادري في رحلته. [ولصاحب الترجمة فهرسة جيدة وقد أشار فيها لعلوم كثيرة وفوائد غزيرة، ولما أشار إلى علم التاريخ قال فيه ففد يقع في الدول من أول المملكة الإنسانية، وقد يخلص بخبر دون غيره، وقد يختص بالدولة الإسلامية، وقد يكون في أعمال الأعيان ووفياتهم، وقد يكون في اختطاط البلدان أو المساجد والرباطات ونحو ذلك، وكل ما يحتاج فيه إلى شيء من أمور الشرع كتاريخ سكة معلومة أو مكبال معلوم أو مسجد عتيق أو السقى فلان من الرواة بفلان أو مكان التفائه، أو كون فلان من المتقدمين أو المتأخرين أو من الصحابة أو لا وغير ذلك، فهو داخل في العلوم الشرعية وما سوى ذلك فخارج عنه غير أنه إن أفاد فائدة أخرى كالاختبار والاستبصار وكالاقتزاز لوصف محمود بسماع أخبار من اتصف به من صلاح أو عبادة أو زهد أو شجاعة أو حلم أو سخاء ونحوه وغير ذلك من المصالح فهو محمود. انتهى.

وأنبأ بهذه النبذة لما فيها من المناسبة لهذا الكتاب. ومن فوائده الجليّة أنه ذكر حقيقة الإقراء فقال: الإقراء تصحيح المتن وحل المشكل والزيادة على هذا ضررها أكثر من نفعها. قال ولا بد أن يدرج فيما ذكر من تصحيح المتن أو حل المشكل التنبيه على النقص أو الحشو وتوجيه ما يحتاج إلى السوجه ونحو ذلك، فهذا وظيفة الإقراء، وهذا كله للمبتدئ. وأما غيره فيعامل بما يليق به، وإن لم يكن ماهراً طبيباً فضرره أكثر من نفعه والله أعلم. وقضياته في العلم كثيرة جزاه الله عن المسلمين خيراً⁽¹¹³⁾.

ولد صاحب الترجمة سنة أربعين وألف ونسأ في ديانة وعفة وصيانة، قال في فهرسته: وسافرت إلى بلاد القبلة للتعليم فبعد أن ختمت القرآن العظيم الخزمة الأولى سافرت مع معلمي القرآن فذهبت معه إلى زيارة الولي الصالح أبي الطيب بن يحيى الميسوري ومن معه في بقعته من الصالحين فزرنهم، ثم ذهبنا لزيارة الشيخ أبي يعزى، ووقع في سماعي أن الناس يطلبون الحوائج عنده فحضر في عقلي ثلاث حوائج، وهي العلم، والمال، والحج وذلك مبلغ عقلي في صغري. أما اثنتان فقد حصل منهما ما لا أنكره من فضل الله تعالى له الحمد

(111) في ط أيضاً؛ وسمعت من غير ولد عمنا المذكور من أقاربنا بهذا الوجه أو قريب منه والله أعلم.

(112) في ط: يتلقاه

(113) ما بين معقوفتين زيادة في ط.

والمنة، وأما الثالثة فنرجو من فضل الله أن يمن بها علينا مبرورة متقبلة وسببا للفوز برضاه، ثم قال: وكنت أطلع المورد العذب للجوزي وبحر الدموع له فأطلع حكايات الصالحين كأويس القرني وإبراهيم بن أدهم وإبراهيم الخواص وغيرهم فانتقشت تلك المآثر في عقلي ووقعت حلاوتها في قلبي فكان ذلك بذرا (114) لما أنعم الله به علي من الإيمان بالطريقة ومحبة أهلها والتسلم لهم انتهى.

ثم تصدر للأخذ عن المشايخ:

فمنهم الحسين بن محمد المدواني قرأ عليه القرآن ومنظومة الرقعي، وكان دأب هذا الشيخ كتب اللوح من القرآن ثم القراءة فيه ثم محوه وهكذا إلى أن مات.

ومنهم الشيخ العلامة الزاهد أبو بكر بن الحسن التطافي، قرأ عليه ختمه من القرآن وحضره في الرسالة ومختصر خليل وجمع الجوامع والخلاصة. والتطافي ممن أخذ عن الشيخ الإمام العلامة المدرس الفهامة المحقق الحافظ الزاهد الورع مولانا عبد الله بن علي بن طاهر الشريف السجلماسي الحسني.

ومنهم الأستاذ الصالح أبو العباس أحمد الدراوي إمام القصة السجلماسية وكان ظاهر الصلاح وظهرت له كرامات.

ومنهم قاضي سجلماسية الفقيه المشارك سبدي محمد بن عبد الله الحسني، حضر عنده جملة من الرسالة والصغرى والفصادي وكان محمود السيرة في ولايته.

ومنهم أبو فارس عبد العزيز الفلالي، قرأ عليه الألفية لابن مالك ولايته والخزرجية. ومنهم أبو عبد الله محمد بن محمد التجمعتي قرأ عليه [ألفية ابن مالك والقرآن، وله تحقيق في مهمات النحو.

ومنهم أبو العباس أحمد بن محمد التجمعتي. قرأ عليه [115] جملة من مورد الظمان ومن مختصر خليل وغيره.

ومنهم الشيخ الإمام الماهر العلامة قاضي القضاة أبو مهدي عيسى بن عبد الرحمان السكتاني [صاحب الحاشية على الصغرى] [116] حضر عنده جملة من مختصر السنوسي في المنطق ومحصل المفاصل [117] لابن زكري وتقدمت ترجمته عام اثنين وستين وألف.

ومنهم سيدي محمد المزوار المراكشي، قرأ عليه جملة من تهذيب مختصر السنوسي، وكان من مشاهير وقته في فنون العلم.

(114) في ط: بدءاً

(115) ما بين معقوفتين ساقط من ط.

(116) زيادة في ط

(117) صفح في المخطوطات فكتب: مختصر المقاصد.

ومنهم الإمام العالم محمد بن إبراهيم الهشتوكي، قرأ عليه تنقيح القرافي في الأصول وجملة من مختصر خليل ومورد الظمان.

ومنهم الإمام الماهر سيدي عبد العزيز بن أحمد الرسموكي، قرأ عليه جملة من مختصر خليل.

ومنهم الأستاذ الولي الصالح سيدي محمد بن ناصر الدرعي، وتقدمت ترجمته، قرأ عليه التسهيل وحضره في جملة من المختصر والتفسير والمدخل والإحياء والبخاري والشفا وطبقات الشعرازي ومواعظ ووصايا وأخذ عنه عهد الشاذلية. قال صاحب الترجمة: وانتفعت به ظاهراً وباطناً.

ومنهم العلامة سيدي أحمد بن علي بن عمران السلاسي ثم الفاسي، تقدمت ترجمته، سمع عليه كبرى السنوسي.

[ومنهم الفقيه الفاضل أبو العباس أحمد بن سعيد. حضره في مختصر خليل وقرأ عليه رسالة الاسطرلاب، وتقدمت ترجمته] (118).

ومنهم خاتمة النحاة الشيخ أبو عبد الله محمد المرباط بن محمد بن أبي بكر الدلائي، قرأ عليه نلخيص المفتاح ومواضع من الخلاصة وصدرنا من تفسير القرآن وأجازه في فنون، تقدمت ترجمته.

وتذاكر مع غير هؤلاء كالشيخ أبي محمد عبد القادر الفاسي، وتقدمت ترجمته. وكالشيخ أبي عبد الله محمد بن سعيد السوسي المرغيثي وتقدمت ترجمته. ذكر ذلك كله في فهرسته [ونص ما أجازه به سيدي عبد القادر الفاسي كما في فهرسة] (119) صاحب الترجمة:

الحمد لله الذي شيد بالعلماء أركان الإسلام، وجعل ذكرهم تاجاً على مفرق الأيام، والصلاة والسلام على سيد الأرسال الكرام، وعلى آله وأصحابه الأعلام، وبعد، فقد طلب مني الأخ في الله الفقيه العلامة، المحقق الفهامة، الصدر الأوحى، والعالم المفرد، ورئيس القراء والمنتهي، (120) للمناصب العلمية السنية الشماء الباذل في إيصال النفع لطالبه غاية المجهود أبو علي الحسن بن مسعود السوسي، يسر الله مرغويه، وأجزل من سعادة الدارين حظه ومطلوبه، أن نجيزه فيما لنا من مقروء ومسموع، ومجاز من مفرد ومجموع، فأجبت دعواه، وساعفته فما تمناه، فقلت: أحزت الفقيه المذكور، الحبر المشهور، فيما بصح لي وعني روايته على الخصوص والعموم، من كل منتور ومنظوم، بما اشتملت عليه فهرسة شيخ شيوخنا أبي العباس بن علي المنجور، وفهرسة ابن غازي، والمنشوري، وابن الزبير، بإجازة

(118) ما بين معقوفتين ساقط من ط

(119) زيادة من ك و س.

(120) كذا في ط و م، وفي س و ك: المنهي

عمي ابي زبد عبد الرحمان بن محمد الفاسي، وأبي عبد الله محمد العربي، وهما عامتان عن شيخهما الإمام القصار وعن غيره من أشياخهما وبإجازة شيخهما القاضي أبي القاسم بن أبي النعيم، وهي عامة أيضا عن المنجور، وبسماعي عن غيرهما من أشباخي أبي العباس المقري، وأبي عبد الله الجنان، وأبي محمد عبد الواحد بن عاشر. والله ينفع الجميع ويبلغ من محبته ومعرفته غاية الأمل، قال ذلك وكتبه عبد القادر بن علي بن يوسف الفاسي غفر الله ذنبه، وأصلح قلبه، وستر عيبه، آمين، أول جمادى الأولى عام واحد وتمانين وألف، وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد وآله وصحبه وسلم تسليما.

ولصاحب الترجمة مؤلفات منها زهر الأكم في الأمثال والحكم. وله حاشية جلييلة على مختصر النسخ السنوسي في المنطق وشرحه، وله تأليف كبير في الهيللة وله إسمان أحدهما منهاج الإخلاص (121) من كلمة الإخلاص والآخر: مشرب العام والخاص من كلمة الإخلاص؛ والقول الفصل في تمييز الخاصة عن الفصل؛ وكتاب المحاضرات جعله كالجواب عما أجاب به بعض أهل فاس عن بيتيه السابقين وهما: ما أنصفت فاس ولا أعلامها علمي الخ وسلك فيه سبيل التلطف والإرشاد لسبيل التصوف؛ وديوان في الشعر ساجل به فحول البلغاء من المتقدمين؛ وحاشية على شرح الكبرى؛ والقانون في ابتداء العلوم، وشرح على قصصه الدالية في مدح شيخه ابن ناصر، وله شرح على جمع الجوامع سماه الكوكب الساطع ولم يكمل، بلغ فيه إذا الفجائية، وحاشية على تلخيص المفناح لم تكمل، وتقييد في قصة العكاكزة تضمن فضحتهم وبيان خروجهم من الدين، وله كلام في كرارس مع قاضي سجلماسة الشيخ عبد المالك النجموتي في قوله صلى الله عليه وسلم أوتيت علم كل شيء، وقد كانت قراءته كلها فتحا ربانا كما أخبر هو عن نفسه في فهرسته، وجال في المغرب فقرأ في الزاوية البكرية وبمراكش ودرعة وسجلماسة. قال بعض تلامذته: وقد حدثني بعض الثقات أن جميع من لقيه من الأتياخ يتعجب من إدراكه وتحصيله وإتقانه ويقول: يكون لهذا الرجل شأن عظيم في الإدراك السليم، ومما كتب له به أستاذه أبو عبد الله بن ناصر:

أَبَا عَلِيٍّ جَزَيْتَ الْخَبَرَ وَالنَّعْمَا وَتَلَّتْ كُلُّ الْمَنَا مِنْ رَيْتَا فَسَمَا
يَا مَرْحَبًا بِكَ كُلُّ الرُّحْبِ لَا بَرَحَتْ قَرَأَتْ أَلْفُكْرِ مِنْكَ تَجْتَنِي حَكَمَا

ولما خاطبه الشيخ بهما أخذ علمه في الزيادة وفاض بحره، وعظم في الرتبة قدره، ومن ملحه أن بات عنده جماعة من الفقهاء فأرسل إليهم مع ظرف الطعام هاذين البيتين:

كُلُوا وَاعْذَرُونِي فِي التَّخَلُّفِ إِنِّي رَأَيْتُ أَتْبَاعَ الطَّرْفِ لَيْسَ مِنَ الطَّرْفِ
وَأَحْسَنُ ظَرْفِي تَرَكْتُ ضَيْفِي كَمَا بَشَا وَلَيْسَ ارْتِقَابُ الطَّرْفِ مِنْ شَيْبِ الطَّرْفِ

(121) في م و ط. منهاج الخلاص.

وَمِنْ عَجَبِ نَظْمِهِ قَوْلُهُ لَا هَلْ فَاسَ لِمَا لَمْ يَدْعُنُوا لَهُ:

عَلَى رِسْلِكُمْ يَا أَهْلَ فَاسٍ فَإِنِّي فَتَى لَسْتُ بِالْقَدَمِ الْغَيْبِي وَلَا الْقَمَرِ
أَنَا الصَّارِمُ الْمَاضِي وَيَأْرَبُ نَافِتٍ يُخَلِّفُ فِي الْبَحْثِ الْأَدْبِمَ وَلَا يُفْرِي

وكان قدومه من الزاوية البكرية الى فاس وسكنه بها آخر المحرم سنة تسع وسبعين وألف، وبقي بها إلى سنة أربع وثمانين ثم ارتحل عنها ورجع إلى فاس فدخلها أيضا في شوال عام خمسة وتسعين. قال تلمذه العلامة أبو عبد الله بن زاكور: فأقام بها أياما، ونقع بها إلى كل ظمان إلى رؤيته أواما، وأعاد نيران الجوانح على الأفئدة بردا وسلاما، فلازمت منه بحرا زاخرا، ونظمت من نفيس فوائده لؤلؤا فاخرا، وتألفت من أسرارهِ في تلك المدة ما أعدده لنواب الأيام. ولما ظفرت بالاجتماع به، وأبان لي عن وجوه خزائن الأدب وعرويه، سألته أن يشفع لي ذلك بطريقة شيخنا الذي سهل لمريد الحقيقة المسالك، وجلى بأنوارها دياجر الخطب الحالك، من ليس لفضائله حاصر، أبي عبد الله سيدي محمد بن ناصر، فدس الله روحه، وبرد ضريحه، فانظرني لغد ذلك اليوم فبات سهري يذوذ عن ورد جفوني سوار النوم، شغفا بمنار تلك الطريقة، وكلفا بمجاز تلك الحقيقة، مخاطبا بقولي، واصفا سهر ليلي.

عَنْ نُورِ هَدْيِكَ تُغَرُّ الدَّهْرُ مُبْتَسِمٌ بَا وَاحِدًا وَرَدَّتْ مِنْ بَحْرِهِ أُمٌّ
هَشَتْ لِلْقَاكِ فَاسٌ إِذْ حَلَّتْ بِهَا وَقَاسٌ لَوْلَا سَنَا وَجُودُكُمْ عَدَمٌ
فَزَهْوُهَا بِكَ يَا مَوْلَايَ مُنْتَظِمٌ وَأَنْسُهَا بِكَ يَا مَوْلَايَ مُلْتَمِسٌ
أُبْهِجَتْ عَبْدُكَ إِذْ وَافَاكَ مَكْتَسِبًا إِنَّ الْجَوَى بِكَ يَا مَوْلَايَ بِنَحْسِمِ
وَافَاكَ يَطْلُبُ نَهْجَ النَّاصِرَةِ إِذْ فِي النَّاصِرَةِ نَصْرٌ لَيْسَ بِنَصْرٍ
وَأَهَا لَهَا رَغْبَةٌ مَا كَانَ أَنْفَسَهَا بِمِثْلَهَا تَسْتَعِدُّ الْأَيْتُقُ الرُّسَمِ
أُمْهَلَتْهُ لَغْدَ فَبَاتَ فِي سَهَرٍ يَنْجِدُهُ الْوَجْدُ إِذْ أَعْوَزَهُ الْحَلَمِ
يُخَاطَبُ اللَّيْلُ كَيْ تَفْتَرَّ هُمُتُهُ عَنْ تُغْرِ صُبْحٍ فَيَبْدُو لِلْمَنَى عِلْمِ
يَا عَتَبَرَ اللَّيْلُ كَأَفْوَرِ الصَّبَاحِ أَعْدُ قَدْ كَادَ يَلْحَقُنِي مِنْ طَوْلِكَ الْهَرَمِ
إِنْ لَمْ تَجِدْ لِي بِصَبْحٍ صَحْتُ مِنْ أَسْفٍ وَآخِرَ قَلْبَاهُ مِمَّنْ قَلْبُهُ شَبِيمِ
لَا زِلْتُ مِقْبَاسَ عِلْمٍ بَسْنَضَاءُ بِهِ إِذَا بَدَتْ ظُلُمَاتُ الْجَهْلِ تَزْدَحِمِ

فساعدني رضي الله عنه في إنجاز مرغوبي، وقضاء مطلوبي، ولم أزل طائفا بكعبة أنواره، وقاطفا ما راق من أزهار العلم ونواره، إلى أن ودع راحلا، وأعاد بستان الأمانى قاحلا. انتهى كلام ابن زاكور.

ولا شك أن الشيخ ابن ناصر هو عمدة صاحب الترجمة. قال في فهرسته: وهذا الشيخ هو الذي أخذنا عنه العهد والورد وإليه ننتسب، وكل من نذكره سواء فإنه على طريق انتفاع ما. انتهى.

وفي المحاضرات: وكان من حديثي معه أنه لما تهيأ للحجة الثانية أمرني بحاجة قضيتها له، وسافرت إليه من الزاوية البكرية فرأيت منه إقبالا خارجا عن المعتاد، وشبعته إلى أن جاوز سجلماصة بمرحلة، وألهمت اتخاذ الدعاء له ورداً بعد صلاة الصبح ببعض الطريق، فلما قفل من حجه ذهبت إليه وجعلت أطلب منه في خلوه، فقال: أما الدعاء فإنني في سفرتي هذه ما دخلت مقاما ولا مزاراة ولا توجهت إلا جاء الله بك في لساني بهذا الدعاء: اللهم اجعله عينا يستقى منها أهل المشرق وأهل المغرب، فكنت أتعجب بما استحققت هذا الدعاء، قال ولما صنعت القصيدة الدالية في مدحه وتهنئته بالحج أدخلها إليه ولده الفقيه الناسك الفاضل أبو محمد عبد الله بن محمد، فخرج الي وقال: يقول لك الشيخ: جعلك الله عينا يستقى منك أهل المشرق وأهل المغرب. قال وهذا اللفظ يحتمل الدعاء والخير نسأل الله تعالى أن يحقق لنا ذلك انتهى باختصار. لكن قوله وكل من نذكره سواء فإنه على طريق انتفاع ما هذا منه رحمه الله استغراق في شيخه المذكور، وإلا فقد انتفع بغيره كما ذكر هو نفسه في فهرسته، لكن شأن أهل الطريقة لا ينتسبون إلا لمن فتح لهم فيها على يده أداء لحقها وغبطة بها وخوفا من غيرة أشياخهم الذين فتح الله لهم على أيديهم أن يفرطوا معهم في حقوق الأدب والله أعلم.

وما خصه به الشيخ ابن ناصر من الدعاء هو كذلك رسم له في القدر واهتدى إليه الشيخ بخصوصه بنورانيته. قال ابن عطاء الله: متى أطلق لسانك بالطلب فاعلم أنه يريد أن يعطيك [ولبعضهم في هذا المعنى:

لو لم ترد نيل ما أرجو وأطلبه من قَبِض جودك ما علمتني الطلب]

ثم إن المحققين على أن الدعاء لا يكون سببا لشيء وإنما يطلب من المرء لإظهار العبودية. قال ابن عباد في شرح الحكم: لم يأمر الله تعالى عباده بالطلب له في السؤال منه إلا ل يظهر افتقارهم إليه ومثولهم بالتضرع والخضوع بين يديه ليكون ذلك إظهارا لعبوديتهم وفيما بحق ربوبية ربهم، لا لأن يتوصلوا به إلى حصول ما طلبوه ونيل ما رغبوه مما لهم فيه منفعة. وهذا فهم العارفين بالله تعالى. وبدل على هذا المعنى ما يذكره المؤلف الآن وهو قوله كيف يكون طلبك اللاحق، سببا في عطائك السابق، جل حكم الأزل، أن ينضاف إلى العلل. [وصاحب الترجمة سبق له من الله في قضائه وقدره أن يكون بالحالة التي بدا بها أمره من أول شأنه إلى وفاته قبل أن يوجد في الوجود لا بدعاء الشيخ له، وهذا أمر عام فيه

وفي غيره⁽¹²²⁾ وكان والده الشيخ مسعود رأى في نومه ورد عيني ماء إحداهما له والأخرى لولد عمه علي والد العلامة سيدي عثمان البوسى، قال غير أن عين علي كنا نسنقي بها في بلدنا وعيني خرجت إلى ناحية أخرى، وكانت العين النى هى لى أقوى ماء وأكثر فيضا، ثم فسر ذلك بمولودين ينفع بهما، فكان الأمر كذلك. ثم إن صاحب الترجمة عظم به النفع للمسلمين، وأحبى الله به السنة والدين، وتأديبه بالعلم الظاهر اندرج فيه التأديب بالعلم الباطن، فنفعه أعم، وحاله أتم. قال في المحاضرات: حضرني الآن كلام فأردت أن أنبه عليه وعلى طرف منه فإن شرحه يطول. وذلك أنا بعد وفاة الأستاذ ابن ناصر لم نزل نسعى في نفع الناس بتعليم ما يحتاجون إليه من دينهم أوراد النوافل والأذكار التي يتزودون بها لمعادهم ويتحبسون بها ويتقربون إلى ربهم عاملين في ذلك على وجه المواخاة والمعاونة على البر والنصيحة لا على وجه المشيخة، وعلى وجه التعليم والإرشاد لا على وجه التريبة، ثم إنه جرى على ذلك ما عادته أن يجري من كلام مذكر أو منتصح، وأخبرني بعض أصحابي أنه جرى كلام بينه وبين بعض القضاة المتصدرين للتدريس فتكلم له الفاضل في شأنى وقال له على وجه النصيحة فيما زعم فما ألبأ فلانا إلى تلقين الأوراد؟ فهل رأيتم مريدا بشروط الإرادة قط؟ فلما حدثني بذلك قلب له: أما أنا لم نر مريدا كذلك، وكيف نراه إلا أن يتداركنا الله برحمته. وقد كان الشيخ زروق يحكي عن شيخه أبى العباس أحمد بن عفية الحضرمي أنه كان يقول لهم: لو فتشتم من أقصى الأرض إلى مغاربها على مريد صادق في أحواله لم تجدوه، فكيف بالعارف الكامل، ومع ذلك فانتقص الزمان وانتقص أهله لا يوجب انقطاع الدين ولا ارتفاع النصيحة، فإن هذا النقص سار في الدين وفي العقول وفي الأوقات وفي الإمامة الكبرى والصغرى وفي النصيحة وغير ذلك، وهو قضاء جار أخبر به الصادق المصدوق صلى الله عليه وسلم قبل كونه في الأحاديث الكثيرة، وإليه يشير القائل:

هذا الزمان الذي كنا نحاذره في قول كعب وفي قول ابن مسعود
إن دام هذا ولم يحدث له غير لم ييك ميت ولم يفرح بمولود

هذا وباليته دام، فإن الأمر لا يزيد إلا شدة، والخير إلا إداراً حتى ينقرض انقراضاً. غير أن المعنبر في كل زمان ما هو فيه، وحكم الله جار في كل بحسب حاله، والدين مستمر والحق ظاهر حتى يأتي أمر الله. ثم يلزمك أيها الناصح في مثل هذا مثل ما يلزمنا، وما كان جوابك فهو جوابنا، فإنك تصدرت للتعليم فهل رأيت بعينك متعلما على شروط التعليم المعتمدة أو رأيت نفسك على شروط المعلم وعلى من يجلس إليك شروط المتعلم فإن تجد ذلك صحيحا ظاهرا وباطنا فتصدر وإن وجدته مختلا فكيف يحل لك أن تتصدر، وارتفاع الشرط يوجب ارتفاع المشروط، وقد قال معلم لا توتوا الحكمة غير أهلها فتظلموها فإن

(122) ما بين معقوفتين ساقط من ط.

أجاب بأنه ارنكب أخف الضررين أو أن العلم أمتع جانباً من أن يصل إلى غير أهله ونحو ذلك فذلك هو جوابنا بعينه والله المسؤول والموفق أن يجاوز عنا بعفوه وبتغمدهنا برحمته إنه ولي ذلك والقادر عليه، انتهى.

والمراد من جلب هذا الكلام بيان حال صاحب الترجمة هل كان من أهل التربية وأئمة الطريق أو مقصوراً على تعلم العلم فقط، فبان أنه كان من أهل النصح والتذكير والتعلم والإرشاد لا على وجه التربية وفيه نصريح بالرد على من نسب له التربية في الطريقة، اللهم إلا أن يحصل ذلك لمتعلمه ضمناً بأمر وجداني [من آثار الانفعال للعلم والانتقباد للعمل به والمواعظ وحسن الإلقاء وبروزه من القلب - كما قل - إن الكلام إذا برز من القلب ولج القلب، وإذا خرج من مجرد اللسان لم يجاوز الآذان] (123). وبقي مستورا بالعلم. وقد سمعت بعض أشياخنا يثنى على العالم الكبير سيدي دارس بن اسماعيل دفين روضه الأنوار خارج باب الفتوح من فاس - حرسها الله - ويقول إنه من أهل الولاية الكبرى إلا أنه ستره العلم [بمعنى أنه يحصل من السماع منه والتأدب منه ما يحصل من معنى الترسية] (124). وكان لصاحب الترجمة أصحاب وأتباع وإقبال من الناس، ولا يكون مجلسه إلا غاصا بالأعيان. وكان محققاً للدراية والرواية، له عارضة كبيرة في النقل والتحقيق. وحكي لنا أنه بقي في تدريس تفسير الفاتحة بفاس نحو ستة أشهر. وهو ممن يستحق أن توضع مجلدات في ترجمته، إلا أن هذا القدر هو المتيسر لنا على قدر قصورنا، والله الموفق.

وتوفي - رحمه الله - عقب قفوله من الحج يوم الاثنين خامس عشر ذي الحجة متم عام اثنين ومائة وألف، ودفن [بازاء داره] (125) بموضع يعرف [بقرية] تمزيت بقرب قرية صفرو على [أقل من] مرحلة من فاس. ونقل بعد نحو عشرين سنة إلى موضع آخر هنالك فوجد كما دفن - رضى الله - على ما حكى.

[ووقع مثل هذا للشيخ الجزولي فإنه نقل من مدفنه أولاً إلى مراکش بعد مدة تزيد على سبعين سنة فوجد كما دفن] (126) ومثل هذا معلوم وقع لغير واحد من الأولياء نفعنا الله بهم.

(123) ما بين معوفين زيادة في ط.

(124) ساقط من ط أيضاً.

(125) ساقط كذلك من ط.

(126) ناقص من ط أيضاً.

من حوادث السنة

فتح مدينة العرائش

ومن حوادث هذا العام فتح مدينة العرائش (127) ، وذلك أن أمير المؤمنين، المجاهد في سبيل رب العالمين، الخليفة مولانا إسماعيل بن مولانا الشريف الحسن السجلماسي وجه إليها الجيوش مع وزيره الفائد عبد الله الروسي (128) وأكثر عليهم من الأمر بالقتال ونسب إليهم عدم النصح، وألحوا بالقتال على من بها من الروم إلى أن اقتحموها عنوة وفتحوها وغنموا أهلها. [ومما كتب به مولانا إسماعيل إلى قائده عبد الله الروسي ما نصه بعد البسملة والتصلة: خديمتنا القائد عبد الله بن حمدون الروسي سلام عليك ورحمة الله وبركاته وأصلح الله رأيك وسهل علينا في فتح العرائش وجعله على بديك. واعلم أنك عندي ممن لم يتهم في خدمتنا ومن انصح الناس إلينا وتحب الخبر إلينا أكثر من جميع الناس، وليس عندي في خدامي مثلك ولا أعز منك كما تعلم مني ما ذكرته لك. ثم الآن ظهر لي أنك غير ناصح لدين الإسلام حيث وجهتك إلى فتح العرائش ولم تقم بالواجب الذي عينته عليك.

وبجب على من ولاه الله أمر المسلمين متلنا إذا ولي أمبرا على القتال أن يكون من أهل النجدة في القتال، ومن أهل المحبة في نصر دين الإسلام ومحو دين الكفار.

فاخترناك عن غرك ووجهناك لذلك لظننا أن فيك ما وصفناه لك، والآن خاب المظنون فيما نوبناه فيك، والله هو حسبي وحسبك ونعم الوكيل. وإن أردت أن نقدم عليكم بنفسى وما يكون ما نوب المسلمين من الكلفة أنت المتحمل بإثمه فأنا فاعل ذلك، وليس أنا أفضل ممن فعل ذلك قبلى ولا أنت أفضل من سيف الدولة ولا أبى فراس وابن حمدان الذين قاموا بما وجهناك إليه عند غيرنا. في 13 من ذي القعدة عام 1100.

فلما قرأ الروسي هذا الكتاب بكى وقال هو وصفني بما ذكر في خدمته لم يسألني لأن ذلك من فعل الخلفاء لأمرائهم، وحسب وصفني بعدم النصح للإسلام أخذت في نفسى عليه. ثم تقلد سيفه وما نزعه حتى فتحت، واشتد في القتال ليلا ونهارا وما نام ليلة إلى أن فتحت. انتهى] (129) فجىء أولا بمن كان بها من المقاتلة أذلة سوى من هو ساكن بها وممن هرب في البحر فبلغ عدتهم إلى ألف وسبعمائة. فمضى مولانا إسماعيل على طاغيتهم وأطلقه فقط وأرسله إلى بلاده، فصدده بذلك إيصال الخير. ثم أمر بمجىء من بقي من سكانها من الروم فجىء بهم عن آخرهم إلى مكناس بنسائهم وذرائهم، ولم يحضرني الآن تحقيق عددهم. وأما الأموال والأفوات والأسلح فبدا للمجاهدين في ذلك ونهبوه ولم يتأت إلى أمير المؤمنين جمعه ونخميسه لعدم الحصر فيه فعفا عمن فعل ذلك ووكل أمره إلى الله، ولم

(127) لم يرد خبر فتح العرائش في ط ولا م.

(128) هكذا وردت. بياء التصغير - مكررة في هذا النص. والمعروف أنه الروسى.

(129) هذه الرسالة وما بعدها مما كتب بين معقوفتين زيادة في س وكتبت في هامش ك.

يحصل له منه إلا المدافع والمهاريز، واكتفى بفوز الفتح والأسر وقيل في فتحها قصائد وأنغام، فمن ذلك قول جدنا عبد السلام بن الطيب الفادري الحسنی:

علا عرش دين الله كل عرائش وهُدُ بنصر الله حصنُ العرائش
وكل عريش منه ثُلُكُ عروشُه ورُجَّتْ به رجْأُ صواعق نابش
وأسلم للإسلام من بعد كفره بوقع سيف لا برشوة رائش
أتاهم من الإيمان جيش مؤيد فناجزهم ما بين رأمٍ ورائش
وثار عليهم كل شهم عَشْمُشَم وكل كمي مسرع الضرب باطش
علوهم بأسياف أسالت رؤوسهم فصاروا سريعا بين سارٍ وطاش
وباتشرهم حوش البزاة بغاتها وقد أنخنوهم فيه إثنان فاتش
فما لبثوا أن طالبوا الأمن في الوغى وذلوا لدين الله ذلة داهش
وهان عليهم كل هول وهائل وريقة أسر بعد طول تهارش
نبذناهم من ذلك الحصن بالعدا فباءوا بخزي في الحفيفة فاحش
أبتأهم من بينه بين بئس وأتئى لهم بعد النوى والتشاش
ترى كلهم في الأرض بادي ذلة كسيفا كئيبا باله غير ناعش
بساق بأيدي الجيش سوقَ مهانةٍ يهزُ حشاه الخوفُ هزة راعش
بعضُ يداً أو ينتف الرأس واللقى لأن لم يمُت من قبلُ موت الهوارش
كانهم الغربانُ قصَ جناحها وبُكَّتْ بوئل من سواكب حافش
هنيئنا بعز المومنين وجمعهم واذلال أهل الكفر أهل الفواحش
هنيئنا بنصر الله أمة أحمدٍ وإمدادهم منه بجندٍ مباطش
بهذا ليهننا عيشُ كل موفقٍ بهذا ليفرح دائما كل عائش
لنا النصر والبشرى لنا بإماننا هزبر الوغى غيظ العدو المناقش
أبو النصر اسماعيل ناصر ديننا وحامي الحمى بالمُرَهفات البواطش
زعيم أساطين الشرى وهمامهم وسيد أقيال الورى دون خامش
مليكُ له يمنُ به صار كلنا يروح ويغدو في أجل معابش
مبارك ميمون النقيبة في الثرى له الفتح في أوساطها والهوامش
أباد حصون الكفر بالسيف والقنا وما أذعنن من قبله لبشائش
فسلَّ عامري معمورة عن فتوحه وسل طنجةً من قبل هذا العرائش
لقد كان ديننا فتحها فانفضى به كذلك ما في الأرض من كل هامش
به سعدت أهل المغارب كلها فبالشرق من جراه لهفة عاطش

نعم إنه من نَبَعَةٍ نَبَوِيَّةٍ وفرع زكي طيّب النشر عارش
لذاك ملوك الأرض طراً تهابُهُ فكلهم ما بين مدهي وداهش
وما الترك إلا في دواهٍ دهتُهُمُ صدورُهُمُ جَاشَتْ بِأَعْظَمِ جَائِشٍ
له سطوةٌ في أرضنا هاشمِيَّةٌ يذوب لها قلب الحسود المُخَادِشِ
ليهنك يا فخر الملوك وذُخْرَهَا من الله تأبىد علي كل حائشٍ
لك الفتح ممدودٌ فجاهدْ عدونا وحشهم وما أوفى لهم كل حائشٍ
فلا تخشَ حياءَ ما حَيَّيتْ فَإِنَّهُ لك النصرُ عند المُلتَقَى والتَّهَارِشِ
ودام لكل المسلمين ظلالُكُم ودُمنا به في طيِّباتِ المعاشِ

غزو العكاكرة

ثم بعد فتح العرائش غزا مولانا إسماعيل الطائفة المبتدعة المعروفة بالعكاكرة المجتمعين من قبائل بلاد تادالا ونواحيها، ورئيسهم الداعي إلى بدعتهم الذبن اجتمعوا عليه يعرف بالحطاب، وتقدم التنبيه على التقيد الذي ألقه سيدي الحسن اليوسي في بيان بدعتهم وضالهم، فراجعهم، لأن بيان ذلك هنا يستدعي طولاً، ولما غزاهم مولانا إسماعيل قتل ممن لم يستتب ويرجع عن بدعتهم ثلاثة وستين، وذلك في أوائل ذي الحجة (130).

عزل عبد الواحد البوعناني عن قضاء فاس

وفي سابع عشر جمادى الثانية عزل سيدي عبد الواحد البوعناني عن قضاء فاس الجديد وتولى مكانه الفقيه ابن رضوان الفلالي. وكان سيدي عبد الواحد المذكور تولى الفتوى بفاس الإدريسية [قبل عزله عن القضاء بيومين] (131)

نزول رعدة فيها حجر كالرمان

وفي ثامن وعشرين من رمضان نزلت رعدة نزل فيها حجر مثل الرمان إذا هرس وجد في بطنه دم وأصابته بعض الزرع فأهلكته، ويقال إنه نزل معها حبات، ويخلق ما لا تعلمون.

(130) ورد حُرْ غزو العكاكرة مختصراً في ط.

(131) ساقط من ط.

تذكرة المحسنين

الحسن بن مسعود اليوسي

الشيخ الإمام العلامة المشارك الأصولي المعقولي المنطقي البياني العروضي المبارك
الجليل أبو علي سيدي الحسن بن مسعود اليوسي، مغيرٌ بتصرف لسان العامة من اليوسفي
نسبة إلى يوسف وهو أبو قبيلتهم بن داوود بن يَدْرَاسَنُ الذي هو أبو قبيلة آيت يدراسن يوم
الاثنين الثالث والعشرين من الحجة الحرام من السنة بعد قدومه من الحج يوم الأحد السابع
والعشرين من شوال السنة، ودفن ببلاده بتمازات قرب صفرو.

سليمان بن إبراهيم العثماني

وثاني عشر ملوك الدولة العثمانية السلطان سليمان بن إبراهيم.

العام الثالث من العشرة الأولى

محمد بن الحسن المجاصي

فمنهم القاضي الشهير، الفقيه العلامة المدرس المفتي النافذ البصير، الخطيب البليغ الواعظ، المحقق المحرر الحافظ، أبو عبد الله محمد بن الحسن المجاصي [به شهر، وفي بعض التقايد: المغراوي من مغراوة الجزائر] (132) لم يبينوا حاله في القضاء وإنما ينسبونه للعلم والتدريس [وتقدم وصف الحسن اليوسي له في رسالته] (133) ولي قضاء فاس الإدريسية آخر جمادى الثانية عام تسعة وسبعين وألف بعد عزل حمدون المزوار. وفي ثامن وعشرين من رجب أربعة وثمانين وألف [ولي خطبة مسجد القرويين] (134) بعد أن عزل عنها سيدي محمد البوعناني وفي رابع القعدة من عام ثمانية وثمانين عزل عن القضاء والخطبة والفتوى. وولي القضاء والخطبة والإمامة والفتوى مكانه العربي بردلة، ثم طلب صاحب الترجمة من بردلة أن يوليه بعض ما ولي (135) فامتنع فأخذ صاحب الترجمة في التدريس في الفرويين من غير ولاية إلى أن ولاه مولانا اسماعيل قضاء حضرة مكناسة الزيتون. وسبب ولايته قضاء فاس أن أمير المومنين مولانا الرشيد بن الشريف الحسني رفع حكما إلى قاضي فاس حمدون المزوار فلم يتضح له بما يحكم به (136) وطال أمر الخصمين وهما ينظران القاضي فيما يحكم به بينهما وهو يقول لهما لم أجد الآن نصا في المسألة أمهلوني حتى أنظر ما أحكم به بينكما. فوشى به إلى مولانا الرشيد وقالوا له: إن أحد الخصمين المحكوم عليهم فيها من أصهاره، فظن مولانا الرشيد أنه يداهنه فعزله، وقال لا أولي على أهل البلاد (137) إلا من كان غريبا ليس من أهلها فيكون الناس عنده سواء ولا يداهن أحدا. فنظر إلى الطلبة الذين في المدارس فلم يجد فيهم أنجب من صاحب الترجمة، ففي الحين ولاه قضاء فاس، فسلك فيه مسلكا حسنا. وكفى به أن سيدي الحسن اليوسي ارتضاه للمشورة لما كتب الرسالة المتقدمة في ترجمته إلى مولانا إسماعيل فراجعها. [وهذه المسألة مما اختصت بها فاس فما ولي أحد من أهلها ولاية إلا وكان بعض أهل تلك الخطة في أشد حال ونفاق، وما ولي أحد خطة من غير أهلها إلا وكان أهل تلك الخطة بخير، فإذا أساء فيهم سهل عليهم الشكاية به، بخلاف إذا كان الوالي منهم فإنه يصعب عليهم الشكاية به من نفاق من هو ينافقه منهم. وما أراده السلطان من اتخاذ القاضي غريبا هو من أسباب

(132) زيادة في ط.

(133) ساقط من ط.

(134) ساقط أيضا من ط.

(135) في ط: أن يتركه معه في فتوي فاس أو خطبة مسجدها المذكور.

(136) عبارة ط: رفع إليه بعض مسائل من الأحكام المتعلقة بنسبة من له الشرف بفاس، فكلف بها قاضيه حمدون المزوار....

(137) في ط: على قضاء فاس.

العون على العدل وتيسره، وما زال أهل العدل يحتاطون لذمهم بالعزلة. وانظر فعل القاضي ابن محمود فإنه حكى عنه في التشوف أنه لما ولي قضاء فاس اتخذ زياتا بمكناسة بقضي منه الضرورات لثلا تكون له مخالطة مع أحد من أهل ولايته بوجه ماً. انظر لفظه فقد طال عهدي به، وكان صاحب الترجمة من أهل التثبت في الأحكام والتحري.

ومما حكى لنا في ذلك أنه كان إذا أشكل عليه وجه الحكم قيده وضرب الأجل للخصمين حتى يفرغ لتأمله وكان مظنة فراغه يوم الخميس فيمضي الى شبخه إمام الجماعة أبي محمد عبد القادر ابن علي الفاسي ويذكره فيه بمحضر من يتفق له حضوره من العلماء حتى يتضح الأمر.

[فإذا فرغ بتأمله يوم الخميس مع بعض الفقهاء وما رجع] فيحفظه وبحكم به على الخصمين وهذه سيرة عالية تدل على قوة الديانة فجراه الله خيرا عن شريعة نبسه وعن علمائها المهتدين^[138]. وله أجوبة حسنة تدل على ما له من العارضة في العلوم؛ وله تقبيل في الأشراف الجوطيين وقد قال في آخره أدركت والذي رحمه الله وعماً لي من حملة القرآن العظيم وهو ابن الصغير ابن يعقوب المغراوي، وينتمون للجانب العلوي ولا يرتفعون في ذلك. ورأيت رسم شرفه وظهائر لا أدري أين صارت. وكان أبي يقول إنهم من ذرية صالح مشهور يدعى بسيد يعقوب أو بأبي يعقوب وأنهم يعرفون هناك ببني مرزية سموا ببيت يعرف بذلك. أما أبي فإنما ولد بحوز فاس ببني ورثين على ما حدثنا به، وبأيديهم رسم الإراثة بشيوخ مسنين ممن أدرك الأب والعم والله يحقق لنا النسبة الروحانية وبرعانا بعين رعايته في الدارين وأدعو بدعاء القطب العارف بالله: اللهم ألحقني بنسبه وحقني بحسبه والسلام على من بقى عليه محمد بن الحسن المجاصي بتاريخ تسعة وتسعين وألف. انتهى.

[ومن خطه نقلت وهو مما يدل على شدته وقوته في دين الله حيث لم يصرح من عنده لا بدخول في النسب ولا بخروج منه بل وحكى ما وقف عليه كما هو وطلب من الله تبارك وتعالى الإلحاق بهذا النسب العظيم وذلك هو مصدر قوله صلى الله عليه وسلم فيما اتفق الجماعة على تخريجه من انتسب الى غير أبيه أو انتمى الى غير مواليه فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين (راجع ألفاظه على اختلافاها في الكتب الصحاح من كتب الحديث)، فالوعيد كما يشمل الداخل يشمل الخارج من نسبه الذي لا يعرف لنفسه سواه من غير وجه. الاحتياط ما فعل هذا الشيخ - رحمه الله - وقد اتسع أهل هذا الزمان ومن قلبهم بهتك حرمة هذه النسبة بالانتساب لها من غير وجه وبينون ذلك على أوهام لا حقيقة لها كما اتسع آخرون في هتك أعراض قوم منسوين ولا مانع لهم من نسبتهم فينفونهم بأوهام وأباطيل لا يقبل الشرع شيئاً منها مع ما قام بهم من الجهل وعدم التمييز حتى في المسائل الضرورية من الدين. فليحذر العاقل من جميع ذلك ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

وراجع ما تقدم لنا في هذه المسألة في ترجمة السيد عبد القادر بن عبد الله الشبهي فيما تقدم من عام تسعة وتسعين بمئنة فهما وألف⁽¹³⁹⁾. وذكر لى بعضهم أن لصاحب الترجمة نظماً في الشرفاء وتقييداً في العكاكزة [ولم أفق على شيء من ذلك ولم أحفظ لصاحب الترجمة شيخاً إلا سيدي عبد القادر الفاسي المتقدم ذكره وتخرج به جماعة من الفقهاء] (140).

وممن قرأ عليه محمد العربي بن الطيب الغادري وشقيقه جدنا عبد السلام وكان يشنى عليه الثناء الجميل بالعلم والمشاركة والحفظ الجزيل.

توفي صاحب الترجمة عصر يوم السبت رابع ربيع الأول عام ثلاثة ومائة وألف ودفن عند الغروب من يومه بمكناسة الزيتون بروضة سيدي أحمد الحارني.

محمد الشاذلي الدلائي

ومنهم الفقيه العلامة المشارك الحافظ الأديب الخير الدين أبو عبد الله محمد المدعو الشاذلي بن الإمام محمد بن الولي سيدي أبي بكر الدلائي تقدم نسبه وتراجم جماعة من أقاربه. كان أعجوبة الزمان في الحفظ والإتقان والغوص على المعاني الدقيقة البديعة والنكت الفائقة الرفيعة يقوم على مختصر خليل وبحفظ الكثير من حكم العرب وأمثالها ووقائعها وأيامها. ويجيد الشعر وله البراعة في النظم والنثر ذكر عنه أنه أقرأ ألفية ابن مالك مائة مرة، ومقامات الحريري نحو ثلاثين ختمة. ولد ببلادهم الدلاء، وقرأ على أبي العباس بن عمران، وسيدي العربي الفاسي، ثم سكن فاسا ولقى بها مشايخها، ودخل مراکش ولقي أئمتها، ثم عاد إلى فاس وتولى خطبة مدرسة [أبي عنان] المتوكلية بطالعة فاس، وغالب تدريسه كان بها. وقرأ عليه مشايخ فاس منهم عمنا محمد العربي وجدنا عبد السلام ابنا الطيب القادري قرأ عليه مختصر خليل من البيوع إلى الميراث، وتأتي ترجمة ولده أبي عبد الله محمد، وحفيده القاضي أبي عبد الله محمد البكري.

توفي صاحب الترجمة بفاس خامس عشر جمادى الأولى عام ثلاثة ومائة وألف.

أحمد حجي السلوي

ومنهم الولي سيدي أحمد حجي دفين ثغر سلا. قال فيه أبو العباس بن أبي عسيرة الفاسي في رحلته: الكامل الأوصاف على الإطلاق، الحائز الولاية بالاستحقاق، لكرم نفسه، وأعماله ليوم رمسه، أخلاقه صافية. حدثني من أتق به أنهم لم يشاهدوا في مشايخ عصره من يشبهه في أخلاقه، مع الاجتهاد ودوام الأوراد، الجمال يغلبه، والجلال في الأسماء يلهبه، قد جمع بين الحالتين، وورث القسمتين. أخذ عن الملامتي الصالح سيدي عبد الله الجزار، عن

(139) الفقرة الأخيرة المكتوبة بين معقوفتين مستدركة من ط.

(140) استدراك من ط أيضا.

سيدي الحارثي بن موسى دفين بهت، عن سيدي موسى بن علي دفين بهت أيضا، عن سيدي أحمد الحارثي، عن الجزولي.

توفي صاحب الترجمة سنة ثلاث ومائة وألف انتهى. وقد حكى لنا بعض الطلبة أنه رأى مقيداً عنه أنه وجد في قلبه قساوة فتوجه في ذلك لله تعالى ودام راغباً لله في رفع ذلك، فسمع يوماً هاتفا يقول له إنك تصافح الشهود، أو كلام هذا معناه. وانظر من سيدي عبد الله الجزار هذا. وبموضع لنا قرب روضة أبي مدين من الكغادين بفاس قبر عليه قوس متقن سمعت من بعض أقاربنا أنه ولى يقال له سيدي الجزار، ولا أدري أهو المذكور هنا أم غيره.

محمد ابن قرّيش التطاوني

ومنهم الشيخ الإمام عالم تطوان أبو عبد الله سيدي محمد بن قاسم بن سعيد بن سعيد بن أحمد بن قرّيش اليجمي التطاوني. كان فقيهاً نحرياً علامة لو ذعياً أليماً. بهذا وصفه سيدي عبد القادر الفاسي في أرجوزته التي أجازه فيها.

توفي صاحب الترجمة عن سن عالية بتطوان، ودفن بقرب سيدي طلحة [الدريج خارج باب النوادر من تطوان وسيدي طلحة المشار إليه من عقب عبادة بن الصامت الخزرجي الأنصاري الصحابي النقيب البصري المشهور] (141).

تذكرة المحسنين

محمد الشاذلي الدلائي

الفقيه العلامة الحافظ، الخطيب الأديب المجيد الواعظ، سيدي محمد المدعو الشاذلي ابن الشيخ الكبير سيدي محمد بن الولي الكامل العارف الواصل سيدي أبي بكر الدلائي، ودفن بالروضة المعروفة لهم بوادي الزيتون داخل باب الفتوح.

محمد بن الحسن المجاصي

والفقيه العلامة المشارك قاضي الحضرتين ومفتيهما سيدي محمد بن الحسن المجاصي المغراوي نسبة إلى مغراوة الجزائر، ودفن بروضة الولي سيدي علي بن حماد خارج مكناسة الزيتون.

العام الرابع من العشرة الأولى

عبد الرحمان المعروف بمُعَاد التواتي

فمنهم الولي الصالح المتبرك به سيدي عبد الرحمان المعروف بمُعَاد [بوزن غراب، وربما قيل فيه أبو عهد] (142) التواتي دفين [خارج] باب الجيسة من فاس وروضته ملتصقة بسورها قرب ضريح سيدي يوسف المصمودي. وكان صاحب الترجمة مشهورا بالصلاح عند الكافة من أهل فاس، ذو أحوال وكرامات لا بأكل إلا من عمل يده، يؤجر نفسه للخدمة بالفاس ويجلس حتى يفرغ من إنفاق ما خدم به وكان لا يشرب من ماء داخل لفاس بل له قلة يأتي بالماء لشربه من خارجها.

توفي يوم الجمعة ليلة المولد من عام أربعة ومائة وألف (ولا أعرف شيخه ووقع النزاع بين الناس في دفنه فحفر له ثلاثة مقابر في مواضع كل يريد دفنه حتى غلبت الطائفة التي دفن في قبرها وياتوا يحرسونه ليلا يخرجهم الذين لم يدفن عندهم فيردوه إلى قبرهم الذي حقروه له. وحكى بعض الصالحين أنه سمع امرأة من الأموات تقول لامرأة أخرى اليوم نستريح من العذاب قالت لها ما السبب في ذلك فقالت لها اليوم يدفن بجوارنا رجل صالح فيشفعه الله فبنا، فبقي السامع في ذلك اليوم يرجوه إلى آخر النهار لما رأى من الخلاف بين الناس إذ كل يريد دفنه عنده فغلبت الطائفة الذين أرادوا دفنه بجوار تلك المرأة فأنوا به إلى جوارها بعد بأسه من ذلك لأنهم كانوا يريدون دفنه في باب المحروق] (143).

مسعود بن عبد القادر الطليطلي

ومنهم الفقيه الموقت أبو الفضل مسعود بن الموقت العلامة المشارك أبي محمد عبد القادر الطليطلي الأنصاري الأندلسي الفاسي دارا. تقدمت ترجمة والده. قرأ صاحب الترجمة على مشايخ فاس، وحصل التوفيت على سيدي عبد الرحمان بن عبد القادر الفاسي، وكان ماهرا فيه، ناسكا خيرا دينا. تولى توقيت منار القرويين وليها سنين عديدة ثم نقله السلطان إلى مكناسة الزيتون وولاه توقيت منار جامع قصيته، ثم توفي بفاس سنة أربع ومائة وألف.

من حوادث السنة

إزالة سارية عبد القادر الجيلالي من القرويين

ومن حوادث هذه السنة، ففي عشرين من جمادى الثانية أزيلت السارية التي كانوا ينسبون لها لمولاي عبد القادر الجيلاني وكانت بالصف الأول من مسجد القرويين قرب الخلوة المنسوبة للشيخ المذكور بأمر من قاضي الوقت أبي عبد الله بردلة.

(142) زيادة في ط:

(143) بقية الترجمة المكتوبة بين معقوفتين ساقطة من ط.

قال مؤلفه محمد بن الطيب: وهذه النسبة في السارية والخلوّة وغيرهما جارية منذ قديم على لسان عامة أهل فاس، وهي من الكذب المحض بحسب ظاهر اللفظ، فإنهم يقولون خلوّة مولانا عبد القادر الجبلاني فظاّهره أنها محل متعبده، إذ ذاك هو مدلول الخلوّة، وهو من الكذب الصراح فإن الشيخ مولاي عبد القادر الجبلاني لم يدخل للمغرب أصلا بل ولا خرج من مكانه لناحية، وإنما محل استقراره بغداد وما والاها. وإنما خرج للحج ورجع من عامه، وهذا لاشك فيه، ومن أراد الوقوف عليه فليطالع محله من بهجة الأسرار للشيخ الشطنوفى، والروض الناضر لأمين الدين الهاشمي وغبطة الناظر للمحافظ ابن حجر وغير ذلك، فضلا عن أن يبلغ مدينة فاس حتّى يتعبّد في القرويين، ولكنهم يزعمون أن بعضهم رأى الشيخ عبد القادر الجبلاني مناما في الموضع الذي سموه بالخلوة (144) فصاروا يتبركون به لأجل ذلك. ومنهم من يزيد التبرك بماء من معدة بالمحجة التي تحتها لقسم ماء يمر لدور متعددة ويدخل يده فيها ويمر به على وجهه، وهذا أبعد. ولا شيء من ذلك يفيد بركة الشيخ عبد القادر الجبلاني، وإنما تنال بركته بالدعاء له والهداء والصدقة له وتلاوة القرآن على القول بوصولها للميت. نعم يتبرك بذلك الوضع من حيث كونه من المسجد الأعظم بفاس ومحل تلاوة القرآن لأن له وقفا على حزابين طلبية يفرّون أحزابا من القرآن به مع الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم قبل الصلوات وبعد صلاة الصبح كما هو مشروط في أصل وصية الوقف. ومطلق التبرك في مثل هذا قريب.

وأما تتبعه وتأكيده كما عليه كثير من عامة فاس فلا شك أنه منكر، لأن ذلك الموضع إنما له من الحرمة ما لسائر المسجد وتصح فيه العبادات التي تصح في المسجد إن لم يقدح في ذلك التحجير القائم به الآن، وأما في القدر الزائد فلا يقع فيه العمل الموقوف له يقرّون فيه. ومن هذا المعنى نسي الصحابة - رضوان الله عنهم - موضع شجرة بيعة الرضوان مع عظيم شأنها التي جلس النبي صلى الله عليه وسلم تحتها وباعه أهل الحديبية الذين هم أفضل الصحابة، وباع بإحدى يديه الأخرى عمّن غاب مهن كان خرج معهم وذكرها الله في كتابه إذ قال تعالى: «لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ» الآية، فلم يشب على معرفة موضعها الصحابة الذين بايعوا تحتها فضلا عن غيرهم [مخافة أن يتطرق أمر لا يليق] (145).

وفي محاضرات الشيخ اليوسى عن الشيخ أبى القاسم الغازي أنه كان يقول نزلت على الفطبانبة (146) تحت شجرة فيقول أصحابه له لِمَ لَمْ تُرْنَا تلك الشجرة؟ فيقول خفت أن

(144) هنا في هامش ك طرة نصها: «فلو قال رأيته مناما صلى فيها وكان ممن لا يتهم بالكذب لكان صادقا قياسا على حديث: رأي موسى صلى في قبره».

(145) زيادة في م وط.

(146) هنا في ك طرة نصها.

قوله الفطبانبة إذا كان المراد بها الصغرى يعنى أحد الأقطاب الأربعة يكون صادقا في دعواه وأما الفطبانبة الكبرى التي يعبر عن صاحبها بالقطب الجامع فلا يكون قطبا جامعا إلا من كان من آل صلى الله عليه وسلم من بني الحسن بن على لا من بني الحسين. انظر الغيطى على الهمزية.

تركوا السبع وتعبدوا الصورة (147)، أي يتركونه هو ويستغلون بالشجرة.

قال الشيخ موسى: نعم التبرك بآثار الصالحين مع صحة العقيدة لا بأس به وله أصل في فعل الصحابة فقد كان ابن عمر بمر براجلته حيث رأى النبي صلى الله عليه وسلم ويتحرى الأماكن التي صلى فيها صلى الله عليه وسلم وذلك مذكور في الصحيح. انتهى.

قلت : ويمكن البحث فيه بأن فعل ابن عمر من الحرص على السنن والمحافظة على الاقتداء به صلى الله عليه وسلم لصحة العبادة ولما في فعله صلى الله عليه وسلم من الأسرار التي لا يحاط بها والله أعلم. قال الشيخ البوسى، وفي بلاد المغرب مواضع اشتهرت بمآثر الصالحين ووقع التغالى فيها، منها سالة في رباط سلا لا يعرف بها إلا أنها مزاراة يزورها الناس ويتبركون بها ولم يظهر من البرك بالصالحين فيها لهذا العهد إلا يحيى بن يونس وهو معروف بها، ولا نعرف له ترجمه. وملوك بنى عبد الحن وهم معروفون [بالظلم والجور] (148) ولا بأس بهم (149) وكل ما يذكر فيها سوى ذلك ويوجد في بعض الأوراق المجهولة من الأخبار فلا يعرف له أصل ولا يعول عليه (150)، ومنها ميسرة من بلاد ميسور حيث مدفن الشيخ أبي الطيب بن يحيى الميسوري، ويقال لها تامغروت قال بعض أولاد أبي الطيب ما ثبت فيه شيء إلا أنه كان متعبدا لأسلافنا. قال ومنها رباط شاعر بدكالة وهو مشهور وكان مجمعا للصالحين من قدم. وفي التشوف أن شاكرا ذكر أنه من أصحاب عقبه بن نافع الفهرى انتهى.

وهذه الزاوية التي يسمونها بفاس: الخلوة إنما هي زاوية بنيت لقراءة حزب القرآن، أمر ببنائها الأمير المستعين بالله أبو سالم إبراهيم بن أبي الحسن المريني، وكان انتهائ بنائها في أواخر رمضان عام اثنين وستين بمشاة وسبعمائة بموحدة، ورتب فيها طلبية يقرؤون القرآن ويختمونه بطول سبعة أيام، وأجرى لهم جرايات في كل شهر ينتفعون بها. وقد غيروا اليوم ذلك الختم بما هم عليه اليوم. فهذه حقيقة أمرها والله أعلم.

(147) في ط: البعورة، وفي م البهورة

(148) زيادة في س.

(149) في هامش ك طرة: «بل هم رؤساء البأس وأصل كل سوء».

(150) ها في ك طرة أخرى نصها.

«بل عليه المعول عند أهل هذا الفن من المغاربة وبه العمل وبه يحتجون، بل كتبهم فيها، وجدت مقيدا كذا وكُتب على كلام فلان بكذا ورأيت طرة فيها كذا وفي تقييد كذا والبوسى جهل هذا الأمر ومن جهل شيئا عاداه».

العام الخامس من العشرة الأولى

أحمد المريني

فمنهم المرابط الصوفي الصالح سيدي أحمد المريني وهو بتازة، وبها دفن (151).

الهوراري الفاسي

ومنهم الفقيه المقرئ الأستاذ (152) الهوار. توفي في أواخر رمضان بفاس،

محمد المدعو حم الصقلي

ومنهم الشريف سيدي محمد المدعو حم بن أحمد طاهر الصقلي الحسني، توفي يوم عيد المولد الثاني عشر من ربيع الأول عام خمسة ومائة وألف..

إدريس المدعو ابن إدريس العمراني

ومنهم الشريف سيدي إدريس المدعو ابن إدريس العمراني الجوطي الحسني.

مات بالردم الذي أسقطت الدار بالريح الجنوبية في هذا العام، فسقط على الشريف جدار بالريح وهو ماراً تحته فمات، ودفن بحانوت بظهر الحائط الشرقي من مسجد الشرفاء. فلما أمر أمير المومنين المجاهد في سبيل رب العالمين مولانا إسماعيل بن الشريف الحسني السجلماسي ببناء مسجد الشرفاء وتوسيعه والزيادة فيه على الهيئة التي هو عليها الآن في سنة اثنتين وثلاثين ومائة وألف، أدخلت في قبة المسجد وجعلت مزاراً للحرم المذكور، فمنها يزورن ضريح مولانا إدريس من ناحية الطريق المجاورة لشرق قبته.

من حوادث السنة

هبوب ريح جنوبية قوية بفاس

ومن حوادث هذه السنة أن في عاشر ربيع الأول هبت ريح جنوبية عظيمة واسترسلت نحو ساعتين أسقطت دوراً وأقلعت أشجاراً كثيرة، ومات بالردم أناس.

تولي أحمد بن الحاج قضاء فاس

وفي المحرم ولى العلامة البركة سيدي أحمد بن الحاج قضاء فاس الجديد المرينية.

(151) تراجع هذا العام كلها ساقطة من ط و م؛ وإنما ذكرت فيهما موجزة أثناء ذكر حوادث السنة.

(152) بياض بقدر كلمة أو كلمتين في ك و س؛ وكتب في ك و س : الجهواري، ولعله تصحيف.

العام السادس من العشرة الأولى

عبد الواحد بن محمد أبو عنان

فمنهم الفقيه العالم المدرس المفتي النبيه الخطيب أبو محمد عبد الواحد ابن العلامة سيدي محمد شهر بأبي عنان. ولى الخطبة والفتوى [والتدريس] بجامع القرويين، وولى قضاء فاس الجديد البيضاء، ووجهه سلطان المغرب الى الجزائر رسولا إلى عاملها لآل عثمان الغز من ملوك الترك، فلقى جماعة من مشايخها، وقرأ بفاس على جماعة من المشايخ، منهم والده، تقدمت ترجمته وترجمة والده أيضا. وعلى سيدي عبد الفادر الفاسي، وولده سيدي محمد، وكان أديبا فصيحاً كريم الأخلاق ذا فتوة ونجدة بارع القلم خطيباً واعظاً [مدرساً ضابطاً، وفتاويه موجودة تدل على مهارته واتساع ملكته] (153).

توفي ثامن عشر صفر عام ستة ومائة وألف.

محمد بن علي مروان الأندلسي (154)

ومنهم الفقيه الأستاذ المجود المقرئ أبو عبد الله محمد بن علي بن محمد بن علي مروان الأندلسي [منزله بحومة العيون من فاس القرويين] (155) له شهرة في علم القراءات وتجويد القرآن.

توفي بفاس عام ستة ومائة وألف.

محمد ابن العروسي

ومنهم سيدي محمد بن العروسي.

توفي بمكناسة الزيتون في العشرين من شعبان عام ستة ومائة وألف.

العربي بن الطيب القادري

ومنهم الفقيه العلامة المشارك المتفنن الحافظ المؤرخ النسابة المتفي الصالح البركة الأشهر، الصوفي الأنور الأطهر، الناسك السالك الأورع عم والدنا الشفيق، وصنوه ومؤازره في طلب الطريق، جدنا للأب أبي عبد الله محمد العربي بن الطيب القادري الحسني [تقدمت ترجمة والده والكلام على نسبه] (156)، كان رحمه الله من أهل التحصيل والتحقيق ضابطاً للعلوم سيما التاريخ والأنساب والفقه والحديث مرجوعاً إليه فيما أشكل منها حافظاً

(153) زيادة في م

(154) أخرت هذه الترجمة في ط. إلى ما بعد ترجمة محمد العربي القادري.

(155) ساقط من ط.

(156) ساقط كذلك من ط.

لدقائقها معتنيا بالمهم منها مع الورع والزهد ولزوم العبادة والذكر في الخلوة والإقبال على الله وظهرت عليه أحوال وبركات. حصل العلوم على مشايخ فاس، منهم الشيخ سيدي عبد القادر الفاسي قرأ عليه مقدمة الشيخ السنوسي وصغراه وشرحها لمؤلفها، كل ذلك مرة، وشمائل الترمذي مرتين، وصحيح البخاري مرة إلا بسيرا من آخره [كل ذلك بلفظ أخي صاحب الزاوية محمد عبد السلام (157)] وطرفا من مختصر خليل من أوله إلى الفوائد، ومواضع من التفسير والرسالة لابن أبي زيد، والإحياء وسيرة العمري كل ذلك مرة، قراءة تحقيق وتفهم [قال أخوه المذكور في فهرسته: واستفدنا منه كثيرا وانتفعنا بعلومه رحمه الله، يعني هو وأخوه صاحب الترجمة] (158) واستفاد منه كثيرا. ومنهم الإمام سيدي محمد ابن عبد القادر الفاسي، قرأ عليه الألفية ست مرات، ولامية الأفعال مرتين، ومحاذي ابن هشام مرة، والصغرى والرسالة مرة واحدة وطرفا من مختصر خليل وطرفا من جمع الجوامع لابن السبكي، وشرحه للمحلي والتلخيص وغير ذلك، وصحيح البخاري نحو ست ختمات والنصف من الشفا لعياض كل ذلك بلفظ أخيه واستفاد منه ما لا يحصى. ومنهم الإمام أبو على الحسن بن مسعود اليوسي قرأ عليه تلخيص المفتاح وشرحه للسعد مرة، وجمع الجوامع للسيكي مرة، ومختصر السنوسي في المنطق، مرتين وكبراه إلا يسبرا من آخرها لم يكملها الشيخ، وطرفا من التفسير والشمائل ومختصر خليل إلا اليسير منه، والشفا لعياض مرتين واستفاد منه كثيرا أيضا. ومنهم القاضي أبو عبد الله محمد بن أحمد الفاسي. قرأ عليه ألفية ابن مالك وتلخيص المفتاح مرة وغير ذلك. ومنهم الحافظ أبو زيد عبد الرحمان بن عبد القادر الفاسي قرأ عليه نظم الخزرجي في العروض، وأرجوزة ابن سينا في الطب [وجل هؤلاء الأشياخ تقدمت نراجمهم وتلى تراجم من بقي منهم] (159).

ولقي جماعة من مشايخ الصوفية أرباب القلوب، أهل التربية والسلوك والعلم الموهوب. فلقي الشيخ الولي سيدي قاسم الخصاصي فزاره مرارا وتبرك به، ولقي الشيخ الصوفي الفقيه العلامة سيدي أحمد بن محمد بن إدريس اليميني، واتصل بالشيخ بحر الحقيقة والعلم الرباني سيدي أحمد بن عبد الله معن الأندلسي فنربى به وتأدب بأدبه واقتبس منه علوما لدينه ومعارف واقتصر على زوايته بالمخفية بفاس فلازم الصلوات الخمس [في الجامع الذي كان يؤم به وهي المعروفة بجامع سيدي خليل من حومة جزا ابن برقوقة من عدوة فاس الأندلس أطلق عليها هذا اللقب لأن مختصر خليل لما قدم به إلى فاس ابتداء تدريسه بهذا الجامع والله أعلم بغيبه، لأنه أخلصت له الدار التي هي موقوفة على سكتي المساكين الكائنة بالحومة المذكورة قرب الجامع المذكور، وكان محل سكناه قبل ذلك

(157) زيادة في م.

(158) زيادة في م كذلك.

(159) زيادة في م.

وفي هذا المكان بياض بالأصول، وكتب بإزائه في هامش س: «بياض هنا نحو ستة أسطر».

بحومة رأس الجنان من فاس الفرويين، إذ هي محل سكنى أسلافنا بفاس. فلما صحب سيدي أحمد بن عبد الله انتقل لجزا ابن برقوفة لقربه من زاوية الشيخ المذكور. وبعد أداء الفرض بالجامع المذكور يسير إلى زاوية شيخه فيحضر الحزب وتتلو الورد ويلازم الذكر.

هذا دأبه إلى أن توفي رحمة الله عليه (160) ورحل مع شيخه المذكور إلى الحجاز بقصد أداء فرض الحج، فأدّى الفرض في رفقته، ولقي معه الشيخ العارف بالله سيدي محمد بن سعيد صاحب طرابلس ولزم شيخه المذكور حتى ظهرت له [وعليه] معالم الحقيقة، وتجلت له أسرار الطريقة، فأكمل سعده، ونم مجده، وأكمل الله له غرضه وتم مطلبه ومرغوبه وتداولته عناية الله تعالى بعظيم الأجور فنزل به مرض فدام به نحو أربع سنين من آخر عمره. وكان من المحبين في سيدي أحمد ابن عبد الله من المولاهين به والمحكي عنه في ذلك أنه كان يقول لو ملئت فاس بالأولياء ما أعرج على أحد منهم سوى شيخى ابن عبد الله ولا التفت لسواه.

وكانت تأخذه الأحوال بمحضر شيخه، وربما غاب عن حسه ويخرج عن طوره مع أنه بعيد كشرا على من يصدر منه ذلك حين يكون غير مغلوب عليه شديدا الشكيمة في ذلك كثير التحافظ قائم بما أمر به مجتنب لما نهى عنه أشد اتباعاً للسنة، لا يعرف له كذب قط ولا بقول إلا الصدق.

ومما وقع له مع رجل يسمى محمد بن عيشون ويلقب بالشرائط أنه طلب منه أنه يضع كتابا في التعريف بصلحاء فاس وأخبارهم وشرع فيه وترجمهم مرتبين على السنين كما صنعنا هنا، فلما أكمل منه أربعاً وثلاثين كراساً وأجراه على نسخ ما جمع منه وأعطاه إياه لينسخ له مما كتب منه وليس فيه تبويض ولا ضرب كأنه مكتوب من أصل واحد، وأولهم مولانا إدريس باني فاس (161)، وآخر ما أعطاه ينسخه له سيدي مجبر. ثم سافر صاحب الترجمة مؤلف الكتاب إلى أداء فرض الحج المذكور فلما قدم من الحج شغله المرض الذي نزل به ثم بعد مدة وجد بعض الاستراحة فأخبره بعض الفقهاء بأن ابن عيشون المذكور نسب التأليف المذكور لنفسه، وذكر اسمه في خطبته. ثم حصل التأليف المذكور بيده فوجد ابن عيشون حذف منه وزاد نسبته لنفسه وترجم والده وزعم أن شيخه سيدي حمدون الملافي وبعض أصحاب سيدي مسعود الشراط وبعض أهل الوقت [قال صاحب الترجمة ووالله ما علمه ولا فهمه فضلاً عن أن يؤلف منه كلمة، ثم إن صاحب الترجمة لا م ابن عيشون المذكور على ذلك فخجل منه واعترف لديه أنه لا شيء له فيه ومزق الورقة الأولى التي فيها زيادة نسبته لنفسه ثم بعد ذلك استنسخ ابن عيشون الورقة الأولى وزاد فيها نسبته لنفسه كما كانت] (162). وابن عيشون المذكور ممن يعجز عن فهم الألفاظ التي فيه فضلاً عن جمعه،

(160) كل هذه الفقرة المكتوبة بين معوفتين مستدركة من م.

(161) في م: سيدي دراس.

(162) زيادة في م.

وهو الموجود الآن بين يدي الناس. قال صاحب الترجمة فمن رآه يعلم أن نسبته لابن عيشون كذب محض، إلا ما زيد فيه فإنه بصح نسبته لابن عيشون. وسئل صاحب الترجمة هل تعرف ما زيد فيه وما نقص منه؟ فأجاب لا أعرف ذلك إلا إذا حضر الأصل وقد ضيعه لي هذا الظالم. وكان عزم علي جمع آخر ثم نزل به مرض فدام به نحو أربع سنين من آخر عمره إلى أن توفي منه. قال في صاحب الترجمة شقيقه [سيدنا الجدل] (163) عبد السلام ابن الطيب الحسني آخر كتابه المقصد. وكان الحامل لي على تأليفه وجمعه، والحافز لي على انقائه صنعه ووضع، والراغب إليّ فسمّا أبديته وأداء ما أدبته أخي العلامة المشارك المتقن الدراكة المحقق المتقن أبو عبد الله محمد العربي بن الطيب القادري الحسني - أدام الله حفظه وأجزل من الخيرات حظه - فهو الذي كان السبب لي في تحصيبله ويدرئه وتكميله ومازال بعد طلبه لذلك ورغبته فيه هنالك عوناً وظهيراً ومقرباً ونصيراً معينا لي على استحضار المسائل، وتلك المحاسن والفضائل، حريصاً على تفصيله وترتيبه، وتهذيبه وتقريبه، إلى أن يسر الله تعالى إتمامه وأكمل سبحانه بغيته ومرامه. وكثيراً ما أنقل عنه فيما سلف، ولا أحليه بما به اتصف، وما منعني من وصفه بذلك وتحليله إلا ما كان من قرابته وأخوته لأنه من أخص جنسي، ومدحه مدح نفسي. وإلا فهو حفظه الله علامة متقن مشارك ثاقب الذهن بصير بغوامض المدارك من ذوي الإتقان والتحقيق، والتنقيب عما خفي والتدقيق، خير مرضي نقى زكي، ذو حال سنى وقدر في الدين علي، قوال للحق، معرض عن الخلق، قرأ النحو والحديث والبيان والمنطق والكلام والأصول، وحصل له في ذلك اتصال ووصول.

فله بد في هذه الفنون العلمية وخصوصاً الحديث والعربية. وقرأ على غير واحد من الفقهاء، وأمائل النبهاء، عمدته منهم اثنان: شيخنا العلامة المحقق الدراكة المدقق أبو عبد الله محمد بن الشيخ الإمام أبي محمد عبد القادر الفاسي، وشيخنا علامة الزمان ووحيد الأوان أبو محمد الحسن بن مسعود اليوسي، أدام الله رعايتهما، قرأ على الأول من سنة أربع وسبعين - بتقديم السين - إلى سنة تسع وسبعين. ومنها قرأ على الثاني إلى آخر اثنين وثمانين قراءة ملازمة على كل منهما انتهى.

وصاحب الترجمة هو كان الحامل للإمام المحقق سدي المهدي بن أحمد الفاسي على تأليفه المسمى بالتحفة الصديقية وهو المشار إليه بقوله فيه حملني عليه بعض الشرفاء القادريين فيما أظن (164) وهو الحامل له تحقيقاً على تأليف كتابه الإلماع ببعض من لم يذكر في ممتع الأسماع، وهو المخاطب بقول مؤلفه فيه في آخره بما نصه، فهذا أيها السيد الأطهر الشريف الأعز الفاضل الأنور التقي الأعف، الفقيه المشارك الأعرف، ما سألتنيهِ وألححت علي ما فيه غير مرة وجزاك الله خيراً عني في إخراجِه مني.

(163) زيادة في م أيضاً.

(164) هنا في هامش ك طرة: «بل حملة عليه أحمد بن عبد القادر بن علي القادري».

ولصاحب الترجمة من المؤلفات اختصار التحفة المتقدم ذكرها وهو في غابة التهذيب والإتقان، وتأليف فيه وفيات وولادات أولاد الشيخ عبد القادر بن موسى الحسني الجيلاني. وله كناش في تقاييد محررة غريبة متقنة وقد كان تحت يد أبي رحمه الله - أعرفه ما يزيد على العشرين سنة محوز الأملاك وسمعت من أبي مرارا أنه ملكه بالنسرا من ولد صاحب الترجمة إلى أن مات والذي فادعى علي الورثة أن الكناش رهن فقط فمكنت ولده منه بالفداء (165) رعيًا للرحم لكونه خالي وولد عم والذي الشقيق مع كبر سنه على شرط أن يبقيه تحت يدي حتى استنتسجه فواجرت على نسخه المسن الثقة العدل عبد الرحمان بن محمد زاكور أحد شهود فاس. ولما فرغ من نسخه بنصه أخذه الولد المذكور ثم نقص منه كثيرا لتخيلات لم يرد اطلاع الناس عليها في الأنساب وإن كانت تلك البحوث صحيحة ويبحث عليها في الكتب المنسوبة إليها فوجدها كما قال (166) وبقيت النسخة التي نسخت لي قبل وصول الأصل ليد المبدل سالمة من ذلك الحذف [على اتقانها الأول] (167) وكذلك نسخة أخرى نسخها العدل الندرومي وكذلك أيضا أعرف نسخة أخرى عند الفقيه مولاي ادريس بن محمد بن أحمد العراقي الحسيني وأظنها باقية عند ورثته الآن.

توفي صاحب الترجمة - رحمه الله - آخر الحجة من عام ستة ومائة وألف، ودفن بأعلى مطرح الجنة قريبا من قبة سيدي أحمد بن محمد اليمنى في الجنان الذي اشتراه سيدي أحمد بن عبد الله معن وأصحابه لدفن موناهم، وترك من الذكور ولدا واحدا وهو صاحب قضية الكناش المذكور، وهو الآن في سن عالية تقرب من الثمانين سنة. وهو أبو محمد عبد القادر. وكان له ولد اسمه محمد العربي توفي بالطاعون بمراكش سنة ستين ومائة وألف ودفن بزاوية جده مولانا عبد القادر بن موسى الحسني الجيلاني فهو القبر المزور بها ولا أولاد له الآن والله يرث الأرض ومن عليها وهو خير الوارثين (168).

حوادث السنة

هبوب ريح عاتية وسقوط ثلج عظيم

ومن حوادث هذه السنة ففي خامس عشر ربيع الثاني ورابع عشر نونبر هبت ريح

(165) في م بدلا من العبارة الأخيرة: «قبعد أن ضننت به وامتنعت مكنته من ذلك...»

(166) في م بدل العبارة الأخيرة: «ثم إن مفتدي الكتاب المذكور أفسده بالتغيير والزيادات والنقص لتخيلات أطمعته في الاعتراض على أبيه، وما أبعد من ذلك! فلم تبق به عبرة لذلك.

(167) زيادة في م.

(168) ورد في م تتمه للترجمة كلام تطب عليه، نص المقروء منه:

أتركه والده صغيرا وكذا عمه فكان عند الثاني منهما من نحو تمان سنين فشأ بشأ سوء إذ كانت له خثولة في أهل الرئاسة والظلم فكان يأوى إليهم وتحلق بأخلاقهم وتمكن ذلك منه بل زادت أخلاقه في الطيش والخمول واتباع هوى النفس والاجترأ على المحرم لمجرد الكذب مع كونه له سجية في الشعر وسليقة في النظم فنظم منه أنواعا كثيرة بالوزن بالصيغة من غير تعلم للفن بل بحسب الاقتصار على ما سوغ له النظم من ذلك ومثل ذلك في كثير من العوام الذين ينظمون الشعر ولم نر في شعره مع كثرته ما فيه منفعة أو حكمة بل أكثره في الفضول والتجاسر في أمور يجب الإعراض عنها.... وقد خرف عقله بما فيه من قديم من بلية الوسوسة في كل أمور... والله يعلم أني ما ذكرت هذا إلا لضرورة بيان الحال والحمد لله الذي عافانا من هذه البلياء).

عظيمة وطالت نحو الثلثين من الليل سقطت بها جدران كثيرة مات بها أزيد من مائة وثلاثين نفسا، وفي ثاني عشر جمادى الثانية نزل ثلج عظيم وألهى الناس عن معاشهم أباما. ثم ورد الخبر من توات أنه نزل بهم ظلمة عظيمة من أول النهار الى الزوال وكان لا يعرف أحد منهم الآخر إلا بكلامه، ففطعوا الخروج من منازلهم وأسرعوا لطلب العفو من الله فنداركهم الله بلطفه المرجو منه وكشف عنهم ذلك.

وضع المكوس في البلدان المغربية

[وفي آخر ذي الحجة وضعت المكوس في جميع البلدان المغربية بطلبها من بعض العمال علسها لها واللحة (كذا) منه على السلطان في ذلك] (169).

حصار سبتة المحتلة

وفى تاسع وعشرين من صفر أمر أمير المؤمنين المجاهد في سبيل رب العالمين مولانا اسماعيل بن الشريف الحسنى السجلماسى المسلمين ان ينزلوا على سبتة مرابطين إلى أن يفتحها الله عليهم [وعسن ذلك على بعض قبائل المغرب وولى على القتال عامله على طنجة القائد عبد الله بن بنى حمامة أهل جبل تمسمان من بلاد الريف. وهم فى هذا التاريخ إدالة في طنجة].

أولاد فنيش السلويون

وولى على آلات الحرب الحربية من النفوط والمهارز أولاد فنيش بكسر النون الأندلسيين من سكان ثغر سلا [وأصلهم من الأعلاج الجلالقة الذين أسروا ثم أسلموا، ونسبهم يرجع الى القوطيين من بني يافت بن نوح] - (170) فنزلوا عليها ورموها بالآلات العظمى واستمروا كذلك].

غور عين وادي سبو

وفى أول يوم من المحرم من عام ستة ومائة وألف غارت عين وادي سبو ثم رجعت بعد أيام عديدة بحملة حمراء شديدة (171).

تذكرة المحسنين

محمد العربي بن الطيب القادري

العلامة مولاي محمد العربي بن الطيب القادري الحسني.

أحمد بن إبراهيم العثماني

والثالث عشر من ملوك الدولة العثمانية السلطان أحمد بن إبراهيم، وتولي في هذه السنة الرابع عشر منهم السلطان مصطفى بن محمد وبقي تسعة أعوام ثم قامت عليه العساكر وأنزلوه عن كرسي المملكة وقتلوا المفتي الكبير ومات هو بعد ذلك بسنة.

(169) حادثه المكوس ساقطة من ط.

(170) ما بين معقوفتين ريادة في س وحدها.

(171) انفردت الحوليات بذكر حادثة غور عين عين وادي سبو.

العام السابع من العشرة الأولى

محمد بن محمد الشاذلي الدلائي

فمنهم الفقيه أبو عبده الله محمد بن العلامة أبي عبد الله الشاذلي بن الشيخ سبدي محمد بن الولي سيدي أبي بكر الدلائي، تقدمت جميع تراجمهم. أخذ صاحب الترجمة عن والده وعمه أبي عبد الله المرابط عن الشيخ سيدي عبد القادر الفاسي، وعن سبدي محمد بن عبد القادر الفاسي وكان آية في علم البلاغة والأدب وترسيله العجب. باهر الإشارة، رشيق العبارة، ولا غرو فإن الأدب سجية أهل الدلاء والعلوم اللسانية مما سخر الله لهم على الولاء:

[وهل ينبت الخطي إلاً وشيجه وتغرس إلاً في منابتها النخل] (172)

محمد بن الحسن اليوسي

ومنهم الفقيه الوجيه أبو عبد الله محمد بن الشيخ أبي علي الحسن بن مسعود اليوسي. تقدمت ترجمة والده. كان من الفضلاء النبهاء، معدودا في جملة الفقهاء، موصوفاً بالصلاح، مشهوراً بالخير والفلاح.

أخذ عن والده، واتبع بعده طارف مجده وتالده. ومن إنشاده:

اعسذر أخاك إذا رأيت زناده من دون ما ترضى فهنّ صلود
عقل العقول إذا تطنّ ذبابة وعلى أخيك أسود وأسود

قوله زناده جمع زند اسم لما يقدح به النار، ويقال زند صلود إذا صوّت ولم يُور، وتطنّ مصدره الطنين وهو صوت الذباب. والاسود جمع أسود وهى الحبة العظيمة، والعقل المنع. والعقول يحتمل أن يكون جمع عقل بمعنى الذي يتميز به الانسان عن الحيوان، ويحتمل أن يكون وصفاً على وزن فعول بفتح أوله صيغ من العقل للمبالغة. والمعنى طلب العذر لمن يرى زناده غير مرضية لأن الزناد الصلود لا تورى ناراً، ثم بين أن العقول أو أصحاب العقول إذا طنت ذبابة منعها من الإدراك أخرى من غلبته الحيات والأسود وأين نسبتها من الذباب. (173)

(172) ساقط من ط.

(173) ترجمة محمد اليوسي مقتضبة في ط لا تعدو ثلاثة أسطر.

علي بن منصور الزموري

ومنهم الفقيه العلامة أبو الحسن علي بن منصور [الزموري الشلح] (174) الفاسي، والد أبي عبد الله محمد بن منصور الذي تولى قضاء فاس [كان صاحب الترجمة عالما مدرسا بمسجد القرويين بفاس] (175)، ولازم الشيخ أبا عبد الله مبارزة شارح التحفة، وأخذ عن أبي علي اليوسي سمع عليه مختصر خليل ثم لازم بعده أبا محمد عبد القادر الفاسي، وذكره صاحب المصنف في جملة من طلب له الإجازة عن والده وعن سيدي محمد بن عبد القادر الفاسي وأجازته. ودخل يوما رجل من المجاذيب إلى القرويين وقصد مجلس الشيخ اليوسي وقصد منه صاحب الترجمة دون الحاضرين من أهل المجلس ثم قال لصاحب الترجمة: أعطني عشره مزونات وأعطيك فيها مائة مثقال وألح عليه ولم يكن عنده ما يعطيه فأمره الشيخ اليوسي بالقبام من المجلس وأن يسير لباتيه بها، وذهب وجاء بها وأعطاه إياه، وانفصل المجذوب بها. ثم أخذ اليوسي يحث أهل المجلس بتحسين الظن بسائر عباد الله، فلم ينفصل المجلس إلا والسلطان مولانا الرشيد بن الشريف الحسني السجلماسي ورد في تلك الساعة لفاس وكانت عادته في دخوله فاس يدخل للقرويين ويخرج منها للمدرسة المصباحية فتعرض له الشيخ اليوسي وصاحب الترجمة معه في جملة من الفقهاء فأعطى مولانا الرشيد مائة مثقال لكل واحد منهما فقال اليوسي لصاحب الترجمة: إن هذا المجذوب أدنى دينه ولم يماطل.

توفي صاحب الترجمة يوم الجمعة سابع وعشرين من رجب عام سبعة ومائة وألف (176).

محمد ابن الحسن

ومنهم أبو عبد الله محمد ابن الحسن، به عرف، الفاسي، الفقيه المشارك لازم الشيخ مبارزة شارح التحفة ثم لازم بعده الإمام أبا محمد سيدي عبد القادر الفاسي، يقوم على مختصر خليل والرسالة [ويحفظ نحو النصف من مختصر ابن الحاجب الفرعي] (177) كان سريع الدمع.

توفي سنة سبع ومائة وألف [وأوصى أن يدفن بباب زاوية شيخه سيدي عبد القادر] ودفن بباب زاوية سيدي عبد الرحمان بن محمد الفاسي الكائنة بحومة القلقليين (178).

(174) زيادة في س.

(175) زيادة في م.

(176) ترجمة علي بن منصور مقتضبة أيضاً في أقل من ثلاثة أسطر في س.

(177) زيادة في س و م

(178) ترجمة محمد بن الحسن ساقطة من ط.

محمد بن علال الغماري

ومنهم الناسك المتعبد أبو عبد الله محمد بن علال الغماري، كان رجلاً صالحاً كثير التلاوة، ورده ختمة من القرآن كل يوم بصوم النهار ويقوم الليل متقبضاً عن الناس. توفي بفاس عام سبعة ومائة وألف (179).

محمد بن إبراهيم ابن حم القصري

ومنهم الفقيه القاضي سيدي محمد بن إبراهيم عرف بابن حم الفصري (180) السريفي الشاوي، وتقدم ذكر أبيه وعمه وبعض أقاربه. قال في الرحلة الفاسية هضبة علاء تفر عنها الأوهام. وجملته ذكاء تشرحها الأفهام، فاق أترابه ومعاصريه بحدة نبلة ومضائه، ونظم الرئاسة في فلك قضائه. وذكر له أنظاما ومراجعات مع الأديب ابن زاكور، ثم قال: لقبته يعني صاحب الترجمة بشعر العرائش محل قضائه، وغيض إمضائه، ولا ولا زلالى (كذا) (181) نحو ثلاث مرات.

توفي بها في جمادى الآخرة سنة سبع ومائة وألف، ودفن بالقصر في بيت قرب سيدي علي أبي غالب (182).

ومن حوادث السنة

ربح عظيم لم يضر

ومن حوادث هذه السنة ربح عظيم لم يضر شيئا.

(179) ترجمة الغماري ساقطة كذلك من ط.

(180) في س: الصرصري.

(181) في م هنا: «وأنا ما أقمر هلالى، ولا نبع في الذكاء كوتري ولا زلالى» ولعل في المخطوطتين الآخرين بترأ.

(182) لم ترد ترجمة محمد بن إبراهيم في ط.

العام الثامن من العشرة الأولى

سالم ابن حمّ الشاوي

فمنهم الفقيه العالم القاضي سالم بن القاضي أبي العباس أحمد المعروف بان حم الشاوي السريفي القصري، نسبة لسريف. تقدمت ترجمة والده عام خمسة وسبعين وألف. قال في الرحلة الفاسية: كان صاحب الترجمة صدرا من صدور زمانه. ومن تزهى ترائب المها للمعارف بجمانه، وأوري له زند الذكاء اقتداحا، فأجال في كل فن قداحا، فجلى في ميدان الإجابة وبرز، وطرر المجالس وطرز، وله تأليف مشهورة، وبالإجابة مذكورة. منها المنهاج شرح المرشد المعين لسيد عبد الواحد ابن عاشر. وله في فريضة الأدب سهم، وفي معاناة المعاني تحقيق لا يدخله وهم، وله مقطعات عجيبة، يصدع فيها بمعاني غريبة.

توفي بمكناسة الزيتون في سنة ثمان ومائة وألف هـ مختصرا (183) تركت منه ما نسب له من الشعر.

من حوادث السنة

امتحان شهود فاس

ومن حوادث هذه السنة أن في ثاني جمادى الأولى امتحن شهود فاس حتى طيف بهم في الأسواق وطبعت حوانيتهم. ومن الغد أخرج جماعة منهم [شكاة إلى القائد عبد الله بن حمدون الروسي فكتب إلى عامل فاس أن يعفو عنهم، فكف العمال عنهم وأطلقوا عليهم الشهادة].

شخص يدخل الديار في هيئة امرأة وهو رجل

وحدثت غريبة وهي أن شخصا كان يدخل الديار في حالة امرأة أمة. وكان يخدم النساء في الحمامات وغيرها وكانت تلازم ضريح سيدي أبي غالب دفين سريوة عدوة فاس الأندلس. ودام على حالته ثلاث سنين، فإذا بها وجدت رجلا [حكاه الشيخ المؤرخ الصوفي أبو عبد الله محمد بن عبد الرحمان الفاسي في بعض مقيداته] (184).

(183) تقع ترجمة الشاوي في ط في أقل من سطرين ولعل في هذه الترجمة تداخلا أو خلطا مع الترجمة السابقة. فلراجع الرحلة الفاسية.

(184) زيادة في ٢.

قدوم وفد من اصطنبول يطلب من مولاي اسماعيل مصالحة أترك الجزائر
وفي يوم عرفة قدم على أمير المومنين مولانا اسماعيل عشرة رجال من اصطمبول
بمهم كتاب من سلطانهم يطلب من الخليفة أمير المومنين مولانا اسماعيل الصلح من أهل
الجزائر (185) فاکرم الوفود وأسرع إلى الصلح الذي هو خير وتحاددوا في البلاد ، وتعاهدوا
على تهنئة العباد .

توبيخ قاضي فاس وعلمائها بسبب مشكل العبيد
وفي هذا اليوم (يوم عرفة) من الشهر نفسه ورد على فاس كتاب من عند السلطان
بتوبيخ العلماء والقاضى وألزمهم الموافقة على تمليك العبيد الذين فى الديوان.
وفى آخر الشهر نفسه خرج السيد محمد اعليش لناحية القصر لقصد تمليك الأحمر
والأسود من القبائل، والحوال والقوة بالله (186).

185) فى م بدل العبارة الأخيرة: يأمر سلطان المغرب بالصلح مع أهل الجزائر.
186) انفردت الحواليا بإيراد مشكل العبيد.

العام التاسع من العشرة الأولى

محمد المهدي الفاسي

فمنهم الإمام الحافظ المحقق المشارك [المتقن] المتفنن الصوفي الزاهد الورع أبو عبد الله محمد المهدي بن الإمام الحافظ أبي العباس أحمد بن الناسك الخير أبي الحسن علي بن يوسف الفاسي. تقدمت جميع تراجمهم. كان صاحب الترجمة من الأعلام الأكابر، ومن الفضلاء المشاهير، رئيساً في الضبط والاتقان وذلك بما أربى به على أهل الأزمان، مجدداً لتدريس العلم والتأليف في ذلك الزمان والتقييد والعبادة والإفادة والاستفادة [قال فيه صاحب المقصد: صاحبنا ومفيدنا السيد الفقيه النبيل المشارك العالم المحدث الصوفي الجليل الدراكة الواعية الجليل المصنف المفيد، المتقي الزاهد العفيف، الخير البركة أبو عبد الله المهدي إلى آخره ثم قال: (187) قرأ على أبيه وأعمامه (وعلى غير واحد ممن في طبقتهم من مشيخة فاس) (188) العربية والحديث والفقه والعقائد وغير ذلك. وعمدته قراءة ومجالسة واستفادة والده الشيخ أبو العباس أحمد، وعمه شقيق أبيه سيدي عبد القادر بن علي، وخاله الشيخ أبو عبد الله محمد بن أحمد بن يوسف الفاسي. ثم صحب الإمام العارف الولي الصادق أبا عبد الله سيدي محمد بن عبد الله والد سيدي أحمد يعني معن الأندلسي [ولازمه بقصد الاقتداء والاتباع والتبرك والانفعال فانتفع به نفعا ظاهرا ونال منه بركة وخبرا وافرا وحصل له فتح في الطريق وذوق في التحقيق وبقي معه إلى أن توفي رضي الله عنه، وامتدت صحبته له سبع سنين ثم صحب بعده اقتداء واتباعا خليفته بزاوته ووراثته الشيخ العارف المحقق المجذوب والفاني المستغرق سبدي قاسم الخصاصي ولازمه إلى أن توفي سنة ثلاث وثمانين. وامتدت صحبته له عشرين سنة] (189) وهو الآن في صحبة خليفته ووراثته سيدي أحمد. وله تأليف عديدة، منها شرحان على دلائل الخيرات [أما الكبير منهما فهو تحفة الأخيار وهو في سفرين أجاد فيه ما شاء من نقل وتحرير، وأما الصغير فسماه مطالع المسرات نحا فيه منحى التهذيب، مع الإفادة وحسن الترتيب. وله شرح عليه ثالث سماه التجريد لما في الكبير على الصغرى من المزيد] (190) ثم قال في المقصد: وثلاثة تأليف في السير [فسمى أحدها العقد المنضد من جواهر مفاخر سيدنا ومولانا محمد، وهو في سفر كبير، والثاني سماه كفاية المحتاج، من خبر صاحب التاج واللواء والمعراج، وهو في سفر صغير، والثالث سماه سماء الجواهر الفاخر من مفاخر النبي الأول والآخر، في سفر كبير]. ثم قال: وثلاثة في أهل الله نقلنا عن بعضها فيما سلف فسمى أحدها ممتع الأسماع في مناقب الشيخ الجزولي والتباع وما لهما من الأتباع، والثاني سماه الإلماع ببعض من لم يذكر في ممتع الأسماع، والثالث سماه تحفة أهل الصديقية بأسانيد الطائفة الجزولية والزروقة وواحد في أنساب العرب سماه داعي الطرب، وغيرها، وهو الآن في قيد الحياة لم

(187) ما بين معقوفتين ساقط من ط.

(188) ساقط كذلك من ط.

(189) ساقط أيضا من ط.

(190) ما بين معقوفتين لا يوجد أيضاً في ط، وكذلك فقرات أخرى لم بر فائدة في الاستمرار في الإشارة إليها.

يولد له ذكر ولا أنثى، أبهى الله بركته، وأجرى عليه منته. وله تأليف سوى ذلك منها الدرّة الغراء في وقف القراء، تكلم فيه على الفصل والوصل؛ والنبتة اليسيرة واللمعة الخطيرة في مسألة خلق أفعال العباد الشهيرة احتوت على اتقان ما لأهل السنة في المسألة مع تحقيق وبحر، والجواهر الصفة من المحاسن السوفية نحو كراسة احتوى على ترجمة جده أبي المحاسن. وروضة المحاسن الزهية بمآثر الشيخ أبي المحاسن البهية سع نحو عشرة كراريس في الرباعي. ومعوذ الناسك بالضرورة من المناسك. (وتحفة الناسك بالمهم من المناسك، وداعى الطرب باختصار انساب العرب) (191) وشفاء الغلة وانقشاع السحابة عن حكم السكران أول الملة، وتنزيه الصحابة، والرصاص المطفية في الذب عن أهل المخففة (أرابت كراسة واحدة منه يخط مؤلفه لكنها في القلب الكبير وخطه مزحوم جدا وغالب الظن أنه جله، وسبب جمعه لهذا التأليف أنه وقع من بعض طلبة (192) عمه سيدي عبد القادر إنكار واعتراض على حال سيدي قاسم حتى كذب مكتوبا وأرسله إلى أهل زاوية سيدي محمد بن عبد الله تضمن ألفاظا شنيعة فيها تنقيص لأصحاب سيدي محمد بن عبد الله وفيه خطاب لسيدي محمد بن عبد الله وهو مبت ولو كان باقيا حيا حاشاه من أن يوصف أو يخاطب بذلك، فأدركت سيدي المهدي نورانية الانتصار للحق فالف الكتاب المذكور. وكان بارع الخط في الكتابة في غابة الإتقان والتحرى في الضبط والبيان، دائم التثبت في المسائل، وله إدراك تام في أحوال أهل الطريقة ومقاماتهم، وكلامه فبهيم عن ذوق مع طول الباع وغاية الاطلاع، وحيثما تكلم في فن لا يخالف قوله التحقيق، ولا سجد عن رواية التوثيق، وتأليفه كلها مبنية على التحرير والاحتيال في النقل والفهم المؤيد بالتنوير ويطلب في التراجم إن وجد النفل متسعا ويقصر ان لم يجد للمول موقعا. ولا ينكر هذا إلا غبي أو معاند أو جهول ذو ربة جاحد، وقد أثنى عليه بأكثر من هذا غير واحد ممن رأناه من جهابذة العلماء الأعوان، وأطبن الكل على وصفه بالحفظ والضبط والتثبت والثقة والإتقان، وأخذ عن مشايخ غير من تقدم منهم أبو العباس حمدون الأبار، والقاضي محمد بن سودة ومحمد بن أحمد الزموري، وأحمد بن جلال وغيرهم ولزم من الصوفية سيدي محمد بن عبد الله، وسيدي قاسم الخصاصي، وسيدي أحمد بن عبد الله.

ولد - رضي الله عنه - آخر ليلة السبت السابع والعشرين من رجب عام ثلاثة وثلاثين

(191) هذان الكتابان الأخران مكرران مع ما سبق، وهما عمر مكررس في ط

(192) هما في هامش س و ك طره، نصها:

« منهم العربي بردله فاضي الوف ومفنيه والحوي عبد السلام حسوس ولما كثر ذلك منهم سد في وجوههم سيدي عبد الرحمان بن عبد القادر العاسي الزاوية وعطلت الصلوات فيها ثلاثة أيام ولم يحلها. ولما كلم في حلها قال أردم أن نجعلها سبكه لأهل الغيبة كما يصحب الصاد النسكه لجمع الطيور ثم سمع في ذلك ورأى أن تلك المدة عفوية لم تكلم فيها بذلك وسراً من أن سوهم الجاهل أن يكون وافهم على ذلك وأن مكتوبه في تلك الرسالة صحيح ثم لما كتب سيدي المهدي هذا التأليف المذكور وقع كلام أدى إلى انفصال بين أولاد سيدي يوسف بن محمد العاسي فصاروا فرسين أولاد سيدي عبد القادر ابن علي بن يوسف فرقه وما بقي من أولاد سيدي يوسف فرقه معترقين بين أهل المخففة وأهل العلفين، ومن ذلك اليوم انقطع العلم والصلاح من أولاد سيدي عبد القادر. انتهى »

وألف، وتوفي يوم السبت التاسع من شعبان عام تسعة ومائة وألف، ودفن بداخل فبة جده سبدي بوسف الفاسي وراء ظهره من أعلاها (193) بعد صلاة العصر.

أحمد بن العربي ابن الحاج

ومنهم الققبه العلامة المشارك القدوة البركة المدرس النفاع أبو العباس سدى أحمد ابن العربي المعروف بابن الحاج الفاسي ولادة ومنشأ. كان من العلماء العاملين ، ومن الصلحاء الفاضلين. ولي قضاء المدينة البيضاء وفاس الجديد ودرس بفاس الإدرسية وانتفع به خلق كثير [منهم جدنا عبد السلام، وشقيقه محمد العربي ابنا الطيب القادري الحسني، قرأ عليه ألفمة ابن مالك وغيرها. كان صاحب الترجمة كبير الصيت مشهور البركة معلوما بالصلاح وخالص النية]. أخذ عن سيدي عبد القادر الفاسي وغره من طبقتة. وكان حجة إماما.

ولد عام اثنين وأربعين وألف، وتوفي عام تسعة مائة وألف.

أحمد بن محمد العلمي السلامي

ومنهم الشريف الفقيه أبو العباس أحمد بن محمد بن عمر السلامي الوهابي العلمي من بني عبد الوهاب السلامي العلمي. قرأ على جماعة من شيوخ فاس، وولي قضاء بلده العلم [ودرس العلم] وظهر فيه ظهور نار على علم. توفي عام تسعة ومائة وألف (194).

عبد الرحمان الرابع

ومنه الفقيه الأسناذ أبو زيد عبد الرحمان بن محمد المدعو الرايس الفاسي. كان أستاذا مجودا مقرنا جمع السبع على الشيخ أبي زيد ابن القاضي وغيره، وأخذ عن الحافظ الفاسي، وأحمد بن الحاج وغيرهم، وتولي إقراء الطلبة بمدرسة العطارين القرآن بالروايات. وكان يدرس الألفية والتشافية والكراريس والرسالة ونظم الرقعي، فانتفع به أقوام. وكان ذا حالة مرضية، وكان يؤم بمسجد الففاصن من عدوة فاس القرويس، فكان يجمع بين العنانين

(193) هنا في هامش م و س طرتان متعارتان في المعنى، نص أولاهما.

«إنما ترك الدفن في ذلك المكان لكونه حجراً صلباً لكن بالغ سيدنا أحمد بن عبد الله في تكلف حفره وأحضر المعاول العظيمة والرجال وأهل الكد والجهد حتى فُتح له القبر تمه اعناء به لشدة محبته له».

(194) سقط نرحمة أحمد العلمي من ط

بأدنى سبب، فمرت بقرة بباب المسجد المذكور فقال بعض المداعبين يمازح صاحبها: أنهض بقرتك للسير لئلا تبول بباب المسجد فيجمع الإمام.
توفي عام تسعة ومائة وألف.

محمد ابن عيشون الشراط

ومنهم [المرباط المجذوب المحب لأولياء الله الغالب عليه التلذذ بذكرهم] (195) أبو عبد الله محمد بن محمد [بن محمد] (196) ابن عيشون الملقب بالشرط الذي ينسب إليه أنه هو الذي ألف التأليف المشتمل على التعريف ببعض صلحاء فاس. [وقد تقدم النبيه على ذلك في ترجمة مؤلفه عم والدنا محمد العربي بن الطيب القادري الحسني سنة ست ومائة وألف] (197) ولد سنة خمس وثلاثين وألف حسبما رأيت بخطه [في هامش بعض تأليفه] (198) وتوفي سابع صفر عامه تسعة ومائة وألف. ورأيت له تأليفا آخر ذكر فيه سلسلة صالحى فاس من غير ترجمة لواحد منهم، وإنما يسردهم سردا [ويعين محل دفنهم من فاس، وهو جامع لعدد أكثر مما اشتمل عليه التأليف المذكور، وتأليفا آخر في الأذان. وله تأليف آخر في أشياخه، وكلامه في هذا التأليف يدل على حرصه في التعلق بأهل الخير عمنا الله وإياه بفضله. ونسب نفسه في الطريق الى سيدي مسعود الشراط بواسطة أبيه ذكر ذلك في التأليف المذكور في ترجمة سيدي مسعود المذكور، وكان يتردد للعلماء والفقراء ويستفيد منهم] (199)

(195) ساقط من ط.

(196) محمد الثالث ساقط من ط.

(197) ساقط كذلك من ط.

(198) زيادة في م.

(199) هذا القسم الأخير من ترجمة ابن عيسون الشراط أتبعنا الأولى منه في النسخ التي بين أيدينا دون أن ننبه على ما سقط أو راد في كل منها.

تذكرة المحسنين

أحمد بن العربي ابن الحاج

الفقيه العلامة الحافظ الدراكة الهمام القدوة البركة الناصح النفع قاضي فاس ومفتيها وخطيب جامعها الأعظم سيدي أحمد بن الحاج العربي ابن الحاج. وتأليفه *المدخل* (199م) يدل على جلالته وعلو مقامه في العلوم. توفي غدوة الأربعاء مهل ربيع النبوي من السنة، ودفن بروضه سيدي عزيز بدر الطويل من عدوة فاس القرويين.

محمد المهدي الفاسي

والشيخ الإمام، العلامة الهمام، المتفنن الصوفي أبو عبد الله سيدي محمد المهدي ابن الشيخ أبي العباس سيدي أحمد بن سيدي علي بن تاج العارفين أبي المحاسن سيدي يوسف الفاسي. وله شروح ثلاثة على *دلائل الخيرات*، وممتع الأسماع في الشيخ الجزولي ومن له من الأتباع، *والسيرة النبوية الكبرى*، وغير ذلك من التأليف الدالة على فضله وجزالة علمه. رضي الله عنه.، ودفن خلف ظهر جده أبي المحاسن داخل القبة.

199م) في هامش مخطوط خ. ع طرة: سبق قلم منه رحمه الله.

العام العاشر من العشرة الأولى

عبد السلام بن الطيب القادري

فمنهم [نسابة حضرتنا وديباجة بيتنا] (200) جدنا للأب المباشر عبد السلام بن الطيب القادري الحسني. وأذكر في تحليلي إياه ما قاله ولد ناظم النحفة في وصف أبيه، ونص المحتاج إليه: إن بسطت القول أو عددت الطول، وأحكمت الأوصاف، وتوخيت الإنصاف، أنفدت الطروس، وكنت كما يقول الناس في المثل في مدح العروس. وإن أضريت عن ذلك صفحا فبئس ما صنعت، ولشر ما أمسكت من المعروف ومنعت، ولكم من حقوق الأبوة أضعت، ومن ثدي المعقة رضعت، ومن شيطان في غمظه الحق أطعت، ولم أرد إلا الإصلاح ما استطعت. وإن توسطت واقتصرت، وأوجزت واختصرت، فلا الحق نصرت، ولا أفنان البلاغة هصرت ولا سبيل الرشد أبصرت، ولا عن هذا الحدث أقصرت، هذا ولو أني أجهدت السنة البلاغة فجهدت، وأيقظت عيون الإجابة فسهدت، واستعرت مواقف عكاظ على ما عهدت. لما قررت من الفضل إلا ما به الأعداء قد شهدت. انتهى نقله في نفع الطيب [وقد تحققنا أن قدر صاحب الترجمة أمر أجمع عليه أهل زمانه] (201) وأثنى عليه بعض أهل زمانه وليس الخبر كالعيان. فمن ذلك ترجمة كتبها في التعريف به على تأليفه المسمى بالدر السني الفقيه الفصيح البليغ العدل الأرضي أبو العباس أحمد بن عبد الوهاب الغساني شهر بالوزير الأندلسي. ونصها:

الحمد لله الذي أفرغ على الإنسان، ملابس الجود والإحسان، وغمره بنعم لا يفي بشكرها اللسان، فهو يتقلب فيها بظهر لبطن وحدث عنها بما شئت من طرق هي مع غرايتها حسان. وصلى الله على سيدنا محمد المنعوت في التوراة والانجيل والفرقان، الكبير القدر العظيم الشأن، وعلى آله المطهرين من الأدران، وعلى صحابته القادة الأعيان. أما بعد، فالقصد التعريف بمؤلف هذا الكتاب الشريف، هو السيد الفقيه العالم النزيه، العلامة المدرس النبیه، الفاضل المبارك الوجیه، شریف العلماء وعالم الشرفاء، المشارک الدراکه الأنور، الزاهد الورع الأطهر، ذو الأخلاق الحسنة، والأفعال المستحسنة، البليغ المصقع، الأديب الأريب الأبرع، الباذل محبته في مرضاة الله، العطوف الشفيق على خلق الله، أبو محمد سيدي عبد السلام ابن السيد الأجل، العدل الأرضي المبجل، سيدي الطيب بن السيد أبي عبد الله محمد بن محمد بن محمد بن محمد بن محمد بن محمد بن محمد (202) بن

(200) زيادة في م وط

(201) زيادة من ط وم.

(202) في س : سعد. مكان محمد السابع.

أحمد بن أحمد بن أحمد بن محمد بن أحمد بن علي [بن محمد] بن سراج الدين أبي إسحاق إبراهيم ابن الشيخ الإمام الولي الكبير سلطان الأقطاب ومن تضرع شذاه وطاب، أبي محمد عبد القادر الجيلاني بن موسى بن عبد اله بن يحيى الزاهد بن محمد بن داوود بن موسى الماجد، بن عبد الله أبي الكرام بن موسى الجون بن عبد الله الكامل بن حسن المثنى بن مولانا الحسن السبط بن مولانا علي بن أبي طالب وسيدتنا فاطمة بنت مولانا رسول الله صلى الله عليه وسلم ورضي الله عنهم، الملقب بالقادري نسبة إلى مولانا عبد القادر الجيلاني المذكور.

وكان - رضي الله عنه - سيداً صالحاً، ومقرئاً ناصحاً، وعالماً عاملاً، سيداً فاضلاً، وقدوة وإماماً، ومن الذين إذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاماً، وإذا مروا باللغو مروا كراماً، يميل إلى المساكين والضعفاء ويؤثرهم بنفسه (203) وكان لهم ملجأ وملذاً وإلفاً، تاركاً مراده لمرادهم، ساعياً في حوائجهم وأغراضهم، برّاً وفيّاً سنياً، نشأ في عفاف وصيانة، وثقى وديانة. بيته بيت أصالة وحسب، مع ما له من عراقاة النسب. لم يزل منذ نشأ حسن السيرة نقي الأطراف صافي السيرة مكباً على تعلم العلم وملازمة أهله، والانحياش إليه واقتفاء سبيله، إلى أن حصل له منه أوفر نصيب، ورَمَى فيه بسهم مصيب. فقرأ على جماعة من الأعلام الذين بهم الانتماء: منهم الشيخ الفقيه المشارك التنزيه المبارك الصالح الأنور الزاهد الناصح أبو عبد الله سيدي محمد العربي بن أحمد الفشتالي، قرأ عليه القرآن بحرف نافع بروايته، والجرومية.

ومنهم الصدر العلم، والركن الملتزم، العالم القدوة الأعمد، المشارك المحقق أبو عبد الله سيدي محمد بن شيخ الإسلام سيدي عبد القادر الفاسي، قرأ عليه الجرومية ثلاث مرات ومحاذاً ابن هشام، ورسالة ابن أبي زيد، وطرفاً من مختصر خليل، وطرفاً من جمع الجوامع لابن السبكي، وطرفاً من شرح المحلي، وطرفاً من التلخيص للفزويني، وأخذ عنه علم الحديث من ذلك صحيح البخاري ست مرات، ونحو النصف من الشفا للقاضي عياض، وجميع ما قرأ عليه بلفظه، وقرأ عليه بلفظه، وقرأ عليه تحفة الحافظ ابن حجر واستفاد منه فوائد كثيرة.

(203) في المخطوطات: ويورثهم.

ومنهم الشيخ البركة العالم العلامة المحقق العدو أبو محمد عبد الفادر بن على الفاسى، قرأ عليه مقدمة الشيخ السنوسى وصغراه وشرحها للمؤلف، وصحيح البخارى بلفظه، وسمع عليه تفسير مواضع من كتاب الله عز وجل ومواضع من الرسالة، ومواضع من الإحياء للغزالي، وطرفا من السيرة للبعمرى.

ومنهم الشيخ الامام العلامة فريد العصر فى المعقول والمنقول أبو على الحسن بن مسعود اليوسى، قرأ عليه تلخيص المفتاح مره، وشرحه للسعد مره، وجمع الجوامع كذلك، ومختصر الشيخ السنوسى [فى المنطق، وجمل الخونجى، وكبرى الشيخ السنوسى]، وطرفا من مختصر ابن الحاجب الأصلى، وطرفا من الصغرى، وطرفا من التسهيل، وطرفا من التفسير، وطرفا من الشمائل، ومختصر خلبل إلا مواضع بسيرة، ومره أخرى لم تكمل، والشفا لعياض مرتين.

ومنهم الشيخ الفقيه العالم الفهامة المفتى ابلخ المشارك سيدي محمد بن أحمد الفاسى. قرأ عليه ألفية ابن مالك والتلخيص وطرفا من المراسد فى العقائد لعنه العلامة الأوحى سيدي العربى، وطرفا من الطالع المسروق فى المنطق للعلم المذكور.

ومنهم الفقيه الفقيه الحافظ أحد قضاة العدل فى الزمان أبو عبد الله سيدي محمد بن الحسن المجاصى. قرأ عليه الجرومة مرتين ونظم المجراد فى الجمل، وأفية ابن مالك إلى الإضافة.

ومنهم الفقيه العدل العلامة الأستاذ الحافظ الخطيب البليغ فاضى المدينه الببضاء فاس المرينة سبدي محمد بن على الفلالى. قرأ عليه الجرومية ثلاث مرات والألفية مره.

ومنهم الفقيه العلامة المشارك التحرير القاضى الأعدل سيدي العربى بن أحمد بردلة الأندلسى. قرأ عليه الألفية، والصغرى، والسلم، ومختصر السنوسى فى المنطق، ومن النكاح إلى الببوع من المختصر ومواضع متفرقة منه وطرفا من رسالة ابن أبى زيد.

ومنهم الفقيه المشارك المحقق الأفضل الأتقى الحاج أحمد بن الحاج العربى بن الحاج، به عرف، قرأ عليه الألفية، واللامسة لابن مالك، وفواعد ابن هشام وطرفا من المختصر.

ومنهم الفقيه العلامة المشارك البباني الأصولي المحقق قاضي مكناسة الزيتون سبدي محمد بن الحسن بن مدين (204)، به عرف، السوسي الأصل المكناسي الدار والمنشأ، قرأ عليه نظم الخزرجي في علم العروض وطرفا من صغرى السنوسى.

ومنهم الفقيه المشارك الأديب سبدي عبد الرحمان بن الشيخ سيدي عبد القادر الفاسي. قرأ عليه نظم الخزرجي في العروض، ونظم ابن سبنا في الطب. ومنهم ناظر الفرويين الفقه المشارك سبدي عبد الوهاب بن سدى العربى الفاسي قرأ عليه الخزرجية.

ومنهم الفقيه الأستاذ المشارك الأنبل الفارنى الفصيح سبدي محمد بن مبارك المغراوي. قرأ عليه مورد الظمان للخراز.

ومنهم الفقيه المشارك الحافظ الخطيب الأديب سبدي الشاذلي بن الشيخ سيدي محمد بن الولي الصالح سيدي أبي بكر الدلائي. قرأ عليه من البيوع إلى الميراث من مختصر خليل، وطرفا من الاكتفا للكلاعي.

ومنهم الشيخ الإمام الولي الكامل العارف الراسخ المحقق الواصل سيدي أحمد بن محمد السمنى قرأ عليه من النكاح إلى الإجازة من مختصر خليل. فلما حصل من العلوم ماحصل، وبرع في فنون منها ونحمل من فوائدها اتصل (205) وصارت له في ذلك اليد الطولى والباع الكبير، تصدر للتدريس والإفراء بعبارة رائقة، والغوص على معان فائقة. وكان في البلاغة والإنشاء والنظم والنثر نخبة أهل زمانه، فاق في يذلك جميع أقرانه. وبرع في فن العربية والتصريف واللغة ومعرفته النسب، ولا سيما أنساب بني هاشم وخصوصا العلويين منهم، وإليه كان المرجع في ذلك بحضرة فاس، وعلمه الاعتماد فيما يقع الاختلاف فيه بين الناس. وكان يعرف البيان والمنطق والأصول. وكانت له مشاركة في الحديث والسير والفقه، وكان ذا ذكاء وفهم وتحقق، وبحرير للمسائل وحل لمشكلاتها مع فطنة وتدقيق، وغفلة عن أمور الدنيا وعن الركون إليها وإلى أهلها وعن زينتها وبهجتها، سالكا سبيل الهداة، تاركا طريق أهل الغواية، ربي على ذلك منذ نشأ، وما مد البد إلى ما لا يرضى مولاه ولا إلى ما

(204) في م. محمد بن الحسين أبو مدين.

(205) كان في المخطوطات، ولعل كلمات سقطت من العبارة الأخيرة لتكون - حسب السياق - متل. «ما يصل» أو «يحمل من فوائدها ما يحمل».

برديه خطئا ومنشأ، حتّى جذبتة أبدى العنابة، إلى بيت الصلاح والولاء، وهبت عليه نسيمات الوصال، بأمر لم يكن منه على بال، ففاده منه زمام السعادة، إلى حيث الإفادة والاستفادة، حضرة حُقَّتْ بالأنوار، إذ صارت معدناً للأسرار، وحيث تنال المواهب الغزار، تحط الذنوب والأوار. خدّم التوفيق بابها، وحمّت بها المعالي ومدّت أطنابها، حضرة زين الزمان، وشمس الأوان جيل السنة السامخ، وطودها الراسخ، بحر الحقائق العرفانية، ومنهل العلوم الربانية، الولي الإمام، هرية (206) الائتنام، وملاد الإسلام، وغوث الأنام، وملجأ الخاص والعام، بت الولاية والصلاح، ومعدن الأسرار والفلاح، بحر الجود، الذي لم نر ولم نسمع بمثله في الوجود، المتحقق بالشهود، الفذ القربد الجامع، الكثير المنافع، الواقى بنفسه للمسلمين والمُدافع، القدوة الأعمد، أبو العباس سدى أحمد، ابن الشيخ الإمام، الولي الكامل الهمام، كهف الإيقان، ومحل العرفان، والمتخلّى عن كل عَرَضٍ قَان، محيى السنة والدين، وحبل الله المتين، سبدي محمد بن عبد الله معن الأندلسى المحتد، الفاسى الآباء والمولد، فصاحبه (207) وانقاد إليه، وأقبل بكلّته عليه، واعترف بما لديه، ولازمه نحو خمس وعشرين سنة، ومارس أحواله السنية وسيرته المستحسنة، وسمع من حفائقه، وعلومه ورفائقه، وفهومه وحكمه ولطائفه، وأسراره ومعارفه، ما لا بدخل تحت حد، ولا يحبط بمقوله الإحصاء والعَدّ، ولا يدرك بالعقول، ولا تحويه النفول، مما هو جائز أن تشدّ إليه الرحال، وتخضع له فحول الرجال، واقتبس من أنواره، واقتطف من ثماره وأزهاره، واغترف من بحره الوافر المديد، واستفاد منه فوائد مع معونة من الله وتأبيد، وانتفع به أيّ الانتفاع، وهذب منه الأخلاق والطباع، وحكّمه في نفسه، وانفرد لمّا عرفه عن أبناء جنسه، وانقطع به عن مألوفاته وعوائده ومستحسناته، وألّقى إليه قباده، وجعل مراده مراده، وظهرت عليه بركته، وانطبعت في قلبه محبته، وعمته فلما وقالبا (208) رعابنه. وكان سيدنا أحمد المذكور يحبه ويجله ويبر به غاية البرور، ويحسن به ظاهرا وباطنا، ونهاه عن ما خفى عليه من أموره وكان فيه كامنا، وبلازم مجالسه البهية، فيستفيد منها فوائد سنية، ونال منه حظا وافرا، وكان له مادحا وذاكرا، وأطلق الله منه اللسان، بما أودعه من الحسن والإحسان، فقال فيه فصائد عدبدة، جسده فريدة، بطرب لها السامع، وتسبحسنتها المسامع، وجمع منها جملة وافرة فى مجلد صغير [وجعل له خطبة] (209) سماه مصابيح الاقتباس، فى مدائح سيدنا أبى العباس، ثم ألف فيه تأليفا لم ينسح على منواله، ولم يجد أحد على مثاله، سماه المقصد الأحمد، فى

(206) كذا فى المخطوطات ولعل الأصل «مناط» أو ما أسبها

(207) فى م: فصيا به

(208) صحف فى ك و س مكيب. قلبلا وقابلأ.

(209) زيادة فى م.

التعريف بسيدى ابن عبد الله أحمد، في مجلد [كبير، فاح منه عنبر وعبير] (210) وكانت له قدرة على التأليف، وقوة على التصنيف، فألف عدة من الكتب، منها هذا التأليف المكتوب هذا على ظهره المسمى بالدر السننى فيمن بفاس من أهل النسب الحسنى..

ومنها العرف العاطر، فمن بفاس من أبناء الشيخ عبد القادر.

ومنها إغاةة اللهفان، بأسانيد أولى العرفان.

ومنها الإشراف، على نسب الأقطاب الأربعة الأشراف (211).

ومنها معتمد الراوى، فى مناقب ولى الله سدى أحمد الشاوى.

ومنها نبيل القربات، باهل العقبات.

ومنها رجاء الإجابة، بالبديين من الصحابة.

ومنها مناهج (212) الرشاد، فى لامبة الإسناد.

ومنها وسيلة السالكين، بالعارفين الكاملين.

[ومنها تحفة النبى، بنسب بنى طاهر وبنى الشبيه] (213)

ومنها عقد اللآل، ووسيلة السؤال، بما له صلى الله عليه وسلم من الآل.

ومنها: أداء الحقوق، فى إيداء الفروق.

ومنها ننبىه المعرضين، عن آبات السماوات و الأرضين.

ومنها تتميم الأفراس، بنعيم الأرواح.

ومنها ذخيرة الاكتساب، فمن بدخل الجنة بغير حساب.

ومنها النسم المعبق فى توجيه الخلاف من المنطق.

ومنها معونة الاخوان [بمعرفة أركان الإيمان والإسلام والإحسان] (214).

[ومنها الحكم المنسوق، فى أحكام المسبوق] (215).

(210) زباده فى م كذلك.

(211) هم سدى عبد القادر الجيلانى، وسدى عبد السلام بن مسيخ، وسدى أبو الحسن الساذلى، وسدى محمد بن سليمان الحزولى.

(212) فى م و س. «نهج»

(213) ساقط من ط.

(214) سقط ما بين معقوفين من المخطوطات، وكب فيها بدلاً منه: فى الديانات.

(215) ساقط من ط.

ومنها مطلع الإشراق، في الشرفاء الواردين من العراق.

ومنها الروض الأنيق الزاهي، في أحكام المصلّي والساهي. وغبر ذلك مما لم يحضرني، والتقايد والأجوبة. وكل كلامه في غاية البلاغة والتحرير، كلام عالم نقاد تحريبي، جهبذ فطن أثبر، فلم يزل على تلك الحالة إلى أن انتقل إلى رحمة الله عند صبح يوم الجمعة الثالث عشر من ربيع الأول النبوي المفضل عام عشرة ومائة وألف، وعمره خمسون سنة. وصلى على مولانا محمد وآله وصحبه وسلم، انتهى، بحذف فيه ومن خطه نقلت (216).

وكتب عقبه الإمام المحقق أبو عبد الله محمد بن أحمد المسناوي الدلائي ما نصه: الحمد لله طالعت هذه الأوراق من إنشاء صاحبنا العدل الأرضي النزيه، الحسب النبیه، الفصيح القلم واللسان، المتحلي من الفضائل بما فاق به الأقران، الماجد الأثر، أبي العباس أحمد بن عبد الوهاب الشهير بالوزير، الغساني الأندلسي المحتد، الفاسي المنشأ والمولد، فوجدتها مطابقة فيما تضمنته من التعريف بتسخنا المذكور، المقدس المبرور، لما أعرفه من حال المعرف به وأعلمه من نشأته من غر غلو ولا زيادة، بل ربما فصرت عن فضائله وفواضله المعلومه لجميع من خالطه. وقد أعجلني طالبها عما في غرضي من مزيد تصحيحها واختصارها وتنقيحها، فتركته على حالها [سوى ما أصلحت من بعض ألفاظها أو زدت لبيان أغراضها] (217) والله تعالى يكون لجميعنا بفضلها، وكتب محمد بن أحمد المسناوي الدلائي كان الله له. انتهى. ومن خطه نقلت.

وقد أننى على صاحب الترجمة بعض أشياخه وغيرهم من الأعيان، منهم شخه سبدي محمد بن سيدي عبد القادر الفاسي، فكتب على نسخة من كتاب صاحب الترجمة المسمى بمطلع الإشراق المتقدم ذكره، ونص محل الحاجة مكتوب عليه: [الحمد لله رب العالمی وصلواته وسلامه على سيد المرسلين وعلى آله وصحابه أجمعين. وبعد فيقول عبد الله سبحانه محمد بن عبد القادر الفاسي كان الله به بما كان لأوليائه. قد تصفحت هذا الكتاب المسمى بمطلع الإشراق] (218). الذي صنفه فتى الإفادة، المشهود له بالإجادة، العلامة التحرير الأدب، الشريف المنيف الحسيب سيدي عبد السلام بن الطيب القادري الحسني، فألفيته قد ساق سواق أنسقا، ونسج نسجا محكما وثيقا، ونظم من الفوائد دررها، وأبدى من وجوه المحاسن غررها، وأطلع في سماء المكارم قمرها، وسبق إلى جمع فضائل بغبط

(216) قى م انتهى بصحه ومن خطه نقلت، وبه إصلاح بخط الإمام المحقق أبي عبد الله المساوي وكتب بظهر آخر ورقة منها ما نصه.

(217) زيادة في م

(218) زيادة في م.

جامعها، نهض إلى حفظ مسائل يطرب سامعها [وأثبت الحق لأهله، ونبه على حبازة الشرف في محله، فجزاه الله سبحانه على ما صنع، بجزيل جزائه الأوسع. فقد قام بالواجب، وقضى ديننا كان قضاؤه من المتأكد اللازب، ولا غرو فقد كان أحق بتأديته وإظهاره، وأولى بتولي تنويهه وإشهاره، حمالة لنورهم الباهر، وغيره من ذوي النسبة على نسبهم الطاهر، والله سبحانه ببقيتهم للأمانة أمانة، ويجريهم على السنن الأقوم الأسنى. وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم تسليما انتهى. ومن خطه نقلت. والنسخة المكتوب عليها هذا بخط من ذكر موجودة الآن عند أولاد الشريف الفقيه، الماجد الوجيه، الطيب الأخلاق، الطاهر الاعراق، أبي العلاء مولاى ادريس العرافى الحسنى القاطن بفرن الشاطة من عدوة فاس القرويين] (219).

ومما كتبه الإمام سيدي المهدي الفاسي على الكتاب المذكور: وبعد فقد تصفحت هذا التأليف فألفيته ظاهر الآيات، باهر الآيات (220) قد احتوى على علم جم، وتحرير أتم، وفوائد عجيبة، ونكت وفوائد غريبة. وقد أتى على جميع مقصوده، ووفى بما ذكره من وعوده، [وأثبت من الحق لأهله ما هو ثابت لهم بتأييده بالنقول، ولم يبق بعده لقائل يقدر وجوده ما يقول] (221) مع ما حواه من بلاغة وفصاحة، وحسن تنميق وملاحة، وأبلغ ترسيل وانشاء، وإحسانه فيه ما شاء، وما يجد له قارئه وسامعه من عذوبة واستطابة، لإصابته صوب الإصابة، وما تخلله من طلاوة، وكساه من رونق حلاوة، تستلذه العقول، وتعجز عن أحاده الفحول. ولا عجب بأن يكون على أحسن وصف، وأتقن رصف، وهو نفشة عالم نحري، ذي تحقيق وتحرير، طالما مارس الأنساب، وجال في طلاب معرفة الأحساب، فمز منها السقيم والصحيح، والدخيل والصريح، وعانى البلاغة فاستمسك منها بأوثق عراها، واستوى على أعلى ذراها. بل كيف لا يكون يديع الوضع، بالغ النهاية في حسن الصنع، تعجز عنه الأمثال، وتقصر عن مراده الأشكال، [ومصدره من شريف إلى شريف]، (222) فهو لا شك مستمد من مشكاة النبوة وأنوارها به تطيف. أما المؤلف فهو سليل الأستاذ الأعظم، والقطب الأفخم، والبحر الخضم، النجم الشاقب، الشهير الأول، ومن يدين بذكره وجبه البادي والحاضر، وإلى التمسك به والنعلق بأذياله يبادر، الشيخ أبو محمد عبد القادر [وأما المؤلف له فهو من نسل سلسلة الذهب، ذات البهاء والسناء وذهاب الذكر كل مذهب، وإذا بان هذا وعرف امحى فيه معان وممدود، وميز تميز المقصور من الممدود. فلا نسأل عما يشتمل من حسن

(219) الفقرة الطويلة المكتوبة بين معفوتين مستدركة كذلك من م.

(220) هكذا كررت كلمة الآيات في المخطوطات.

(221) زيادة في م.

(222) زيادة في م.

وإحسان، وإبداع ترصيف وإتقان، مع ما يكسوه من البهاء والنور، وينشأ عنه من الخبرة والسرور. وقد وجد محل أقول واسع المجال، وفتق لسانه بالقول فقال. فبالحقيقة ماهو إلا روضة الأنوار، وحديقة تمار وأزهار، تستنشق منه روائح الورد والتسرين والنيلوفر والبنفسج والعرار، إلى غيرها من أنواع الراحس وأزهار الأشجار، فجزاه الله بما جازى به السادة أمثاله وضاعف له إنعامه وإفضاله، بمنه أمين، وكتب عبيد الله تعالى محمد المهدي بن أحمد بن علي بن يوسف الفاسي، آواه الله من فيء هذه الشجرة الشماء، التي أصلها ثابت وفرعها في السماء، ظلا ظلللا، ورزقه من المحترم يحرمها ما يكون له بالعروة الأبدية والسعادة السرمدية كفيلا، وأبقى وجودها بركة للعباد، وجيدة ونورا في البلاد، بمنه فضله، وجوده وطوله، أمين، وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم تسليما كثيرا إلى يوم الدين. والحمد لله رب العالمى. انتهى، ومن خطة نقلت [(223) وكتب محمد المهدي بن أحمد بن علي بن يوسف الفاسي. انتهى.

ومما كتبه الإمام المحقق سيدي الطيب بن سبدي محمد بن سيدي عبد القادر الفاسي [ما نص المراد منه: ولقد طالعت هذا التأليف الشريف المسمى بمطلع الإشراف في نسب الشرفاء الواردين من العراق] (224) الذي جمعه عالم الشرفاء، وسريف العلماء، العلامة التحرير، العلكم الشهير، ذو المجد الأثير، والقدر الخطير، أبو المجد سبدي عبد السلام بن السيد الطيب الشريف الحسن بن القادري [فألفيته بهجة للناظرين، فتبارك الله أحسن الخالقين. فلقد ساق ذلك النسب الكريم في أحسن مساق، ورتبه ترتيبا تستعذبه الأسماع والأذواق، واحتمل فيه] (225) وجمع فأوعى، وبلغ من التحرير والتحقيق المنتهى. ونثر على بساط معانيه من جواهره الحسان، ونظم من مكنون ألفاظه عقود اليواقيت والمرجان، ورصع ديباجه بلاكي فوائد تلك المنافب والآثار، وجني من رياض تلك المحاسن أطيب الأزهار وأحلى الثمار، [وألحق فيه الفروع بالأصول، وأحكم القواعد والفصول، وأيد المطالب بواضح البيانات ومحرر النقول. فلا غرو إن عرف الحق وأثبتته لذويه] (226) فإنه من أهل البيت وهم أدري بما فيه. وكيف لا وهو في هذا الأمر [ممن] له القدم الراسخ والبد الببضاء، وانه غصن من الشجرة الشماء، التي أصلها ثابت وفرعها في السماء. انتهى من خطه.

(223) هذه الفقرة الطويلة المكتوبة بين معفوتين مسدركة من م.

(224) مستدرك أيضا من م.

(225) زيادة كذلك في م.

(226) مستدرك كذلك من م.

ومما كتبه عليه معاصره الإمام الحافظ أبو عبد الله سيدي محمد بن أحمد القسمطيني [ما نص محل الحاجة منه: هذا وقد طالعت مطلع الإشراق في نسب الشرفاء الواردين من العراق] (227) الذي ألّفه الإمام العلامة النحرير، الدراكة الأثير، النسابة الشريف الحسني، سبدي عبد السلام بن الطيب القادري الكيلاني. فوجدته مبنيا على قواعد التحقيق وتحقيق القواعد، مملوءا بفرائد الفوائد. قد حرر النقول، وأتقن الدلائل والفصول [وروي أحاديث شرفهم عن الثقات، وأسند أخبار فواضلهم عن أثبات، لها منها عليها شواهد، ومتابعات صحيحة وزوائد، فهي صحيحة السند، ولا كمسند أحمد] (228) فلتنهأ أبا محمد بمصنّفك الذي أبدعته فأتييت بما لبس له مثال، واخترعت فجئت به على أكمل الأحوال، لقد تكلمت فأبلغت، ونقلت فحققت، واستدللت فأفحمت، وأطنبت فأصبت، فسجّبت شكر أياديك، بارك الله لنا فيك. انتهى من خطه.

ومما كتبه عليه أيضا العلامة الصوفي المحقق سيدي الحاج أحمد الجرندي [ما محلّ المراد منه: وبعد فقد أمرني من لا تسعني مخالفتي، وتتعين عليّ إجابته، أن أتصفح هذا التأليف المكتوب، المحتوي على كل مطلوب ومرغوب، المسمى بمطلع الإشراق المشتمل على نسب ساداتنا الشرفاء الواردين من العراق، تأليف] (229) الإمام، العدو الهام، عكّم الأعلام، والمجلّى بعلمه عن علم الأنام، غياهب الظلام، مولانا عبد السلام بن مولانا الطيب الشريف الفادري، قدر الله له مقادير الحسني، وبلغه من فضله ما تمنّى، وجعله مثابة للناس وأمنا، ولم يزل مقام إبراهيم حساً ومعنى، إلى أن قال: فلله در مؤلفه من عالم نحرير، موصوف بالتحقيق والتحرير. قد انقاد له العلوم وتوقفت عليه الآراء والفهوم، فتواليه تستلذها النفوس، ونكرع فتشرب منها بغير كؤوس، وخصوصا خوضه في الأحساب، وإجالة فكره في معرفة الأنساب، فلا أحد فيها يضاهيه، ولا سير سيره فيها أو بدانيه، ولا يستطيع النسيج على ذلك المنوال، إلا الخواص من فحول الرجال. لقد طالت ممارسته لها، فعلم أصولها وفروعها، وميّز منها السقيم والصحيح، والمكني عنها والصريح، فالحق ما شهد به لأهله، وأفشاه بتدوينه ونشره، فأهل مكة أعرف بشعابها، وبطنون أوديتها و آكامها. انتهى ومن خطه نقلت.

ومما كتبه عليه القاضي العلامة أبو مدين السوسي شارح السلم وغيره: وكيف لا و مصنفه بحر المعارف الزاخر، وبالاتمّاء إلى نسبه الباهر تفنخر المفخر (230) انتهى بخطه.

(227) كذلك مسدرك من م.

(228) من م. أيضاً.

(229) زيادة في م كذلك

(230) هكذا في م، وهو الأنسب، وكتب عبارته قرينة من هذه في ك وس يظهر عليها نصيف

ومما كتبه عليه شبخه العلامة الورع أبو العباس سدي أحمد بن الحاج ما نص المراد مه: وقد قام مؤلفه - رضى الله عنه وبلغه من مامله أدنائه و أقصاه - [بحق هؤلاء السادات الكرام، الفضلاء الأعلام، وأبان به من رفع قدرهم ما يبقى على طول الأنام] (231). انتهى من خطه.

ومما كتبه الشيخ سبدي محمد ولد الشيخ الم رابط الدلاني شارح /التسهيل [ما محل الحاجة منه: هذا وقد شرفني بعض الشرفاء العراقيسن، والسراة الحسينيين، بالوقوف على] (232). التصنيف المحبر، والتألف المعبر، صنعة مولانا الإمام، الجبر الهمام، محلي جيد الدهر من تألفه وأوضاعه، ومخترعته وإبداعه، مما تنقطع الأطماع دونه، ونود الشهب العوالي أن تكونه، المستنق أسماع المعاني بمنتقى جواهره، والمروني أفنان البلاغة بموانق أزاهره، المبدع في أنواع الإنشاء، اللاعب بأطرافه كيف شاء، وحسد العصر، وعميد مصر، المقابل بالإذعان والانسلاخ، أبي محمد عبد السلام، ابن مولانا الطب معني وحسا، وذاتا ونفسا، الجيلي بلدا، القادري نسبا ومحتدا. لازالت أمامه مسرقة، وأنواء أفضائه مغدقة] (233).

ناهيك به من حبر قد عطر السماكن أرجه، ويحر ملأ الخافقن ببحه، فد سحر الألباب نظما، من ورد عذب كوتره لا نظما. فسا له من ماهر فد حاك دباج البراعة في هذا المصنف وفوق، وقوم فيه أود البيان وثقف، ونظم فيه درر الفصاحة في أسلاكها، وضم دراري الأدب فيأفلاكها، واستجلى مخدراتها فأسفرت عن لنامها، وأفضى إليها بعد فض حنامها، فعذارى المعاني من جمالها سافره، وعيون الأمانى برواشقها ساحرة. فد انحشرت إليه وجوه البلاغة فحازها، وانحسرت بإشاراته إليها فحقق حقائقها ومجازها. وكيف لا وقد انصر لهذا الجانب الأعلى، والجانب الأعلى، الذي هو جرومته، وصرحاء عمومته. لقد وجد - كلاه الله - للمقال مجالا، وألفى لوضعه الشريف وبحره المنف نساء ورجالا، زاحموا التريبا بالمناكب، وجاوزوا هامة الجوزا - بالكواكب، الرضعاء من ندي النبوة ألبانها، والحائزون من المآثر الأثرة ألبانها، فمجرد ذكرهم بنهض بلاغة البلغا، ونكص رؤوس من كابر الحق منهم وبقا:

كرر على حدشهم يا حادي فحدبهم نطفي لهيب فؤادي

(231) زيادة في م.

(232) زيادة في م كذلك.

(233) زيادة أيضا في م.

[انتهى المراد منه. وقد أطل، وما أعوزه المفال، وقد اقتصرنا على هذا القدر، ففيه ما ينلج الصدر] (234) ومن خطه نفلت.

ومما كتب عليه مفتي فاس وخطيب جامعها الأعظم قاضي فاس العلما العالم الفقيه، النوازلي الوجيه، سيدي عبد الواحد بن محمد شهر بأبي عنان [ما نص المحتاج منه: وبعد فقد من الله عليّ بمطالعة مطلع الإشراف] (235) تأليف الفقيه العلم (236)، الحجة البالغة والركن المسنك، الجامع لأشتات العلوم، ومالك أزمة المنثور والمنظوم، الهمام الماهر، والإمام الباهر، شريف العلماء، وعالم الشرفاء، رئيس فوارس الأفلام، أبي محمد مولانا عبد السلام، ابن مولانا الطيب بن مولانا أبي عبد الله محمد الشريف الحسن الشهير بالقادري خلد الله فخره، وأبقى مدى الأيام ذكره. ولما سرحت فسه الناظر، وأجلت فيه خاطر، وجدته منظراً غربياً، وبحراً عميقاً، ومنزعا عجيبي، وروضا أنيقاً، يزرى بأعجوبات الزمان ومنتهزات الدنيا، وتستحسن منه العين [أجمل] من نهر الأبله بلا شك ولا ثنيا:

هو البحر إن حَدَّثَتْ عَنْ مُحْكَمَاتِهِ ضَعُفَتْ عَنْ اسْتِيفَاءِ تِلْكَ الْعَجَائِبِ
وإن رَامَ فَكَّرُ أَنْ يُحِطَ بِوَصْفِهِ أَحَاطَ عَلَيْهِ الْعَجْزُ مِنْ كُلِّ جَانِبِ

[قام فيه مؤلفه بحقوق الشرف، وأزال فيه عن وجه الإصابة الكلف، وأسكن الدار بانبها، وأعطى الفواس باربها] (237). فله دره من إمام قال الحق وببته، وجمع ما افترق من شمله ودوئه، وشرح بما فتح الله علمه فيه جميع الصدور، وملا قلوب المحسن للجناب العلي بأنواع السرور، فزادنا تببنا، وزاد على ما عنده بقنا.

فيا واقفاً منه على شرح مُشْكَلٍ أبان له المعنى الذي لم يَكُنْ ظَهَرَ
سألتك بالرحمان ثم رسوله تَرَحَّمْ عَلَى مَنْ أَتَعَبَ الْقَلْبَ وَالْبَصَرَ
وباحت بالأشباح فسه زمانه أولي العلم بالتنزيل والفقه والأثر
وأبرزه للنظاريس حديقته مُدَبَّجَةً الْأَرْجَاءِ بِالنُّورِ وَالزَّهْرِ

(234) ما بين معفوتين مستدرک من م.

(235) مستدرک من م كذلك.

(236) هذا ما يقتضيه سياق السجع، وفي المخطوطات. العالم، إلا أن يكون الأصل: العالم العلم، فوق إسقاط.

(237) زيادة في م.

لقد كفاك واللّه المطالعة، ولمسبق لك إلا الإذعانُ له عند المراجعة[(238) فهو من الثقات، والعلماء الأثبات، كشرّاً ما صدر منه الاعتناء بهذا النسب الشريف، وأبان فيه الصحيح والسقيم والقوي والضعيف، فأهل مكة أعرف بشعابها، والبعل أدري بزوجه ولو كانت بنعابها. انتهى من خطه.

ومما كتب عليه شسخه سدى الشاذلي (239) بن محمد بن أبي بكر الدلائي: [وبعد فيقول أفقر العبيد إلى مولاه محمد بن محمد الشاذلي: قد وقفت على المطنّف العجيب، والمؤلف البديع الصنع الغرب، الموسوم بمطلع الإشراف، في نسب الشرفاء الوارد من العراق، تأليف الإمام الكبير، والجهيز الناقد البصير، صاحب القلم العالي، والقدم الذي رسخت أناملها على هام المعالي، جامع أشتات الفصائل على التمام، المزبل عن وجوه خبايا العلوم والمعارف النقاب واللتام، مولانا عبد السلام بن مولانا الطيب الحسيني القادري، أبقى الله سناء وسناه، وبلغه من مقاصد الدارين غاية أمله ومناه. سرحت الطرف في مراتعه الحسان، وأجلت الفكر في مرابعه المزينة بشعب بوان، وتأملت ما احتوى عليه من النكت الشريفة والفوائد، وما انطوى عليه من الدرر الثمينة والفرائد، فوجدته نزهة للأبصار، وفرجة أطبارها، روضة غناء فُصرت عليها المحاسن، وبكرها الوسمي فسقاها حوداً غر مفسد ولا اسن، وبحر علم سوى أنه عذب المذاق، وبدر تم لا يعترى أضواءه كسوف ولا محاق، ماشتت من تحقيب وبتقيق، وترصيع وتنميق، ودليل واضح، وبرهان وسبيل لائح، وبيان أصول وقواعد، وتحرير فروع وشواهد، ورياض ناعمة مونقة، وحياض نابعة متدفقة. فلقد أبدع مؤلفه وأجاد، وذل الصعب العويص فانقاد. ورفع عن الناظر في هذا النسب الشريف التعب، وأوقفه عند الحيرة والالتباس على غايه المرام والطلب، وأثبت الحق لأهله بالدليل، وسلك إلى معرفة الصواب نهج السبيل، وأزاح ما يختلج بالخواطر والنفوس، وجدد من أعلام هذا النسب العلي ما بخشي عليه التلاشي والدروس، فأرغم بذلك أنف كل حاسب، وألهم الحجر فم كل كاشح مارد، وأدخل فلوب المحبين من السرور والحبور، ما لانزال يتجدد على توالي الأعصار وتعاقب الدهور، ولعمري ما فيض للقسام بحق هذا الوظيف، والمصدى لحماية هذا النسب الشريف، ولا أمد بالأقدار والمعونة، ولا نمهد له هذا الأمر الجليل من غير كبر تعب فيه ولا مؤونة، إلا على من له سبحانه به عناية سابقة، وسعاده له بفضل الله تعالى وكرمه في دار الجزاء لا حقة. فقد أتى بما نكص دونه الأكابر والأعنان، ولا دليل أقمع للخصم من المشاهدة والعيان. ولقد قام بأعظم فروض الكفاية والعسن، من أزال عن آل بيت النبوة كل

(238) ما بين معقوفتين في م وحدها

(239) في م هنا: وتقدم ما كتبه عنه سدى الشاذلي عام سبعة فراجعه.

لبس في نسبهم الرفيع ورين. وإنما دافع عن حوزة المسلمين والإسلام، من ذب بلسانه وسانه عن عترة سد الأنام، فحق على كل من له للدين الحق أنساب، أن يتلقى بالقبول والتسليم ما يرد عليه من هذا الكتاب. فقد تضافرت على صحته النقول، وتظاهرت فيه الأدلة المسلمة من المعقول والمنقول. وقد كرع مؤلفه من مناهل التحقيق، وسلك لتحصيل مرامه كل نقب وطريق، فالفضل منه وإليه، والمحاسن كلها مقصورة عليه. وكيف لا وهو من صريح آل بيب النبوة والرسالة، ومن أهل السادة الشامخة والرفعة والجلالة، الذين منحوا من نصائح الرضوان أوفرها، ومن نفائح العرفان أعظها. وهم عصمة الله وعروته الوثقى، وحبله المنس الذي من تمسك به لا يضل ولا نسق. جعلنا الله ممن تمسك بأذناهم الضافسة، ونروى من مناهل حبه العذبة الصافية، بمنه وكرمه امين. وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وتسلم تسليماً [(240)

وبقى علماء آخرون أثنوا على صاحب الترجمة بمثل الثناء المذكور، اكتفينا عن نقل شيء من كلامهم اختصاراً لئلا يفضي ذلك إلى الطول، منهم العلامة القاضي أبو عثمان سعيد بن أبي القاسم العميري، ومالك زمانه أبو محمد الحسن بن رحال، والعالم النزيل أبو عبد الله بن الحسن البوسى، والعلامة إمام المحققين أبو عبد الله المسناوي، والقاضي أبو العباس بن ناجي في آخرين. وقد أنشأ الفقيه الأديب، العالم الصوفي النجيب، أبو عبد الله الطيب بن مسعود المرينى مقامة في مدح سدى أحمد بن عبد الله معن. وأثنى فيه على صاحب الترجمة ومدح فيه كتاب المقصد الذي ألفه صاحب الترجمة في سدى أحمد المذكور مطلعها:

[لأموأ عليك وما دروأ بالمقصد ورأوا سلامى للسلامة مرشد] (241)

ومنها:

لو كان يدرك وصفه مدأحه	طراً لكان أحقهم ذو المقصد
فلقد أتى فيه بما سبى النهى	وبزید في إيمان كل موحد
ما ان رأى راء له شهأ ولا	راو روى خبراً كهذا المرشد
فيه الفضائل والمكارم جمه	ما حازها في وقتنا من أمجد
نعم الذخيرة والجليس قلم ندع	شوقاً لشخصينهم أو منجد

(240) افردت م باثبات النص الكامل لما كتبه الساذلى الدلائى

(241) زيادة فى م.

العاني ويجلو غُمة القلب الصِّدِّ
متعجباً وأنشَقَّ شَذَاهَا تَرشُدِ
وَرَدَ المَعِينِ بحوضه وتورِدِ
والحوضِ والروضِ الأنيقِ الأصعدِ
عبدِ السلامِ القادريِّ الأوحِدِ
أُسماعٍ من خبرِ صحيحِ مُسندِ
ببديعِ لفظِ للجَمُوحِ مُقْبِدِ
أو عَزُّ مَقْدَامِ الشُّرَى بِمُهْنِدِ
وَمَنْ اقْتَفَى سُبُلَ المحامدِ يُحْمَدِ
للخلقِ مأجوراً ليومِ المَشْهَدِ
إِلَّا السَّعِيدِ وَمَنْ أَنَاهِ تَسْعِدِ
هذا هو الكَنْزُ الذي لم يَنْقُدِ
عساني وَبَنَفِي كُلِّ خَطْبِ أَكْثَدِ
وتولَّها وتَحَبَّرا لم يُعْهَدِ
فالشَّمْسُ مَا وَضَحَتْ لِعَيْنِ الأَرْمَدِ
هذا مناقبُ فوقِ كُلِّ تَعْدُدِ

ويانس (242) الصَّبَّ الغريبَ ونُعْشُ
سَرَّحَ لحاظك في رياض صفاحه
وَأَنْحَ رِكَابَ العِزِّمِ نَحْتَ لَوَائِهِ
بُغْنَبِكَ عن زهرِ الرَّبِيعِ وزهوه
واشْكُرْ لجامعه الموقِّعِ سبدي
مَاذَا بِهِ طَيَّبَتْ يَا ابْنَ الطَّيِّبِ الِ
وأفدتنا من كَمِيَاءِ علومِكُمْ
ما ذبَّ (243) عن كنزٍ وحرزٍ مانعٍ
وسلكتَ منهاجَ التحقُّقِ للعُلا
لازلتَ نفعاً مُفِيداً ناصحاً
هذي مواهبُ ربِّنا ما نالها
هذا هو الحُسْنُ البدعُ طرازه
هذا هو السَّحرُ الحلالُ يروِّجُ الِ
وبزیدُ فی القلبِ المَشْهُوقِ تولَّعاً
خَلَّ الخَلِيَّ وما اقنضاهُ رأبه
هذي نواقبُ زهراءُ في الدُّجاة

وهي طويلة تزيد على سنين بيتا. ومن نظم سيدي الطيب المريني المذكور في مدح صاحب الترجمة مع رفع نسبه وفي أخيه (244) محمد العربي المتقدم ذكره في عام سنة (مع مدح أهل البيت ومحبيهم) (245) هذه الفصيذة:

(242) كذا في الأصول، ولعل الصواب: ونُؤَسُّ.

(243) كذا في م. وهو الأسب. وفي المخطوطتين الآخرين: ما ناب

(244) عبارة م: مع رفع نسبه مبتدئا به وبأخيه.

(245) زيادة في م

شرف البرية حب آل محمد
عز الإنام وذخريهم وعمادهم
وهم الكرام ذوو المفخر والوقا
فاقوا الوجود بهمة ومروءة
ولهم مزايا في الورى مشهورة
هم زينة الدنيا وبهجة حسنها
فالارض منهم ذات حسن رائق
تزهو بهم فخراً على شب السما
فبفضلهم فاز الرجال فبلغوا
لم لا وقد حازوا بئوة من به
خير العباد رسولنا المختار من
من عهد آدم لم يزل في خطوة
مازال عرفهم الذكي معطراً
وبهاؤهم كالشمس أضحى لائحاً
فبكل قطر حل بعض رجالهم
ولنا بحمد الله أوفر قسمة
منهم بنو الشيخ العظيم البر عب
قوم هداة لا يزال حليفهم
أوردت سلسلة الموالى منهم
ورأيت ذكرهم المبارك قربة
خصت صاحبى ابن عبد الله شيخ
الهمام محمد العربي مع
العالمان الفاضلان الخيرا
ابن الفقيه محمد كهف الأنا
ابن السمي محمد بن محمد

أهل المكارم والجناب الأصعد
وملاذهم عند الملّم المكمّد
والفضل والمجد الصميم السرمّد
وتألف وتعطف وتودّد
وماثر من غيرهم لم تعهد
وهم مطالع نورها المتجدّد
والناس في أمن بهم وتمهّد
فهم أجل من النجوم الوقّد
من فضل مولاهم لأسمى مقصد
شرف الوجود وساد كل مسود
نسب تأثّل مجده في السوّد
وهلم جرّ إلى أوّل المشهد
لم يحكه أس ولا روض شّد
لم يخف عن كنه ولا عن أرمّد
ظهرت به بركاتهم لم تُفقد
سعدت بها فاس وكلّ موحد
د القادر القطب الجليل الأوحّد
في منعة بهم وعيش أرغد
عذباً زلاً صافياً للورد
أرجو بها فضل الشفاعة في عذ
خ زماننا وسراجنا المتوقّد
علم النهى عبد السلام الأمجد
ن ابننا الكريم الطيب المسترشد
م بن الهمام محمد بن محمد
بن محمد الأسمى بن سعد الأسعد

ذاك ابنُ أحمدَ نجلِ أحمدَ شَبَّهه
 ابنُ السَّميِّ محمدَ بنِ عَدْبِهم
 ابنُ الهمامِ محمدَ بنِ الشَّيخِ
 ابنُ المُقَرَّبِ قُطَبِ الأَقْطَابِ الإمامِ
 مولاى عبدِ القادرِ الجبلاني مَنْ
 ابنُ الرضى موسى بن عبد الله نج
 ذاك ابنُ داوود بنِ مــــوسى نج
 ابنُ المُجَلِّ المحضِ عبدِ الله نج
 ابنُ الامامِ السيدِ الحسنِ الذي
 ابنُ الامامِ عليّ وفاطمة التي
 بنتُ الرسولِ المصطفى بحرِ الوفا
 أزكى الصلاة عليهم ما طال المدى
 نجلِ السَّميِّ لِدينِ أحمدَ الأحمَدِ
 نجلِ الوليِّ أبي المعالي أحمدِ
 إبراهيمَ حَبْرِهِمُ السراجِ المُوقَدِ
 مِ الكاملِ الطودِ العظيمِ المفردِ
 قد ساد كلُّ مُبْجَلٍ ومُجَدِّ
 ل المرتضى يحيى سليل محمد
 ل عبد الله نجلِ الجَوْنِ مَوْسى الأُرْتَدِ
 ل السيدِ الحسنِ المثنى المهتدِ
 ساد الورى أعظمُ بِهِ مِنْ سَيِّدِ
 جمعتُ شتاتِ المجدِ دونُ تعددِ
 كنزِ الصفا خيرِ الأنامِ الأُمجدِ
 وعليهم أبداً يروحُ وَيَغْتَدِي (246)

[وقد حذف التنوين من اسمين منصرفين وصرف اسماً واحداً فخفضه بالجر، وكلاهما مرتكب عند العرب للضرورة كثيراً، وهو من ضروراتهم الخفيفة المستحسنة. ويا. على من قوله ابن الامام على غير مُتَشَدِّدة، سَكَّنْها سَكُوناً مِيتاً بنية الوقف وإجراء الوصل مجرى الوقف فأس به النظم ونبهنا عل بهذا وان كان واضحاً وجهه لئلا يضبط على الأصل فيكسر ا لوزن والله الموفق. والمراد بابن عبد الله في قوله خصصت صاحبي ابن عبد الله هو سيدي أحمد بن عبد الله المتقدم ذكره] (247).

ومدح صاحب الترجمة أيضاً أبو علي الحسن بن مسعود اليوسي فقال مجيباً له على القطعة السابقة في ترجمته:

(246) هذه القصيدة ساقطة من ك و س ماعدا مطلعها. ومعه هذه العبارة. « وهي مشتملة على سبعة وثلاثين بيتاً ».

(247) هذه الفقرة لا توجد كذلك إلا في م.

يا ابن المطاعم والمطاعن مَنْ غدا
والفاتحين لَهْيَ لكلِّ مُنفَس
والفاسين الخبرَ غيرَ ملبَّ»
والمحتمين عن الدُّنَا عَفَّةً
والمُحْجِمين على السَّفَاهِ عرائسا
شَنَّفَتْ سَمْعِي بِأَحْلا وكسوتني
وأبَحَّتْني رَوْضاً أربضاً غِيبُماً
وَصَبَحَتْني مِنْ خَنْدَرِسٍ نُنَائِكَ أَل
ونبعثَ من سُلُسِ البَيَانِ بما حَكَى
لا ملفيَا مني مَكَانَ القَوْلِ ذَا
لَكِنْ نَجَلِي فِي ضَمِيرِكَ مَا لَكُمْ
وطريف ودك صافياً فرأيتني
والفضلُ عندك في الضميرِ وإنما
فَلَأَنْتَ أَنْتَ كَشَشَفْتَ كُلَّ دُجْنَةٍ
وصَهَرَتْ (248) للمجد الرفيع فأمسكت
ولأنت ذو الفضل الذي لا يُمْتَرَى

أَوْ مَنْ عَدَا فِي الْبَاسِ أَوْ فِي الْبُوسِ
وَالْمَانِحِينَ لَهْيَ بِكُلِّ نَفِيسِ
وَاللَّاسِينَ الْخَبَرَ غَيْرَ لَبِيسِ
وَالْمُنْتَمِنِينَ إِلَى الْكِرَامِ الرُّوسِ
وَالْمُقَدِّمِينَ كَزَارَةَ الْعَرُوسِ
مِنْ حِلَّةِ التَّقْرِيطِ خَيْرَ لَبُوسِ
غَيْثَ أَجَشٍّ مِنَ الْوَلِيِّ عَبُوسِ
حُلُوِ الْمَذَاقِ بِمُشْرَعَاتِ كُؤُوسِ
غُرَرَ الْجُمَانِ رَصِينَةَ التَّسْلِيسِ
سَعَةً وَلَا اسْتَحْصَبْتَ غَيْرَ شَيْسِ
مَنْ تَالِدِ التُّطْهِسِرِ وَالتَّقْصِيسِ
بِهِمَا أَخَا فَضْلٍ عَلِيَّ حَبِيسِ
جُودُ الْفَتَى أَبْدَأُ بِمَا فِي الْكَبِيسِ
بِضِيَاءِ أَقْصَارِ عِلَّتْ وَشُمُوسِ
كَفْضَاكَ مِنْهُ عَنَانُ كُلِّ شُمُوسِ
فِيهِ وَإِنَّكَ لِلْكَرِيمِ التُّسُوسِ

فقوله المطاعم جمع مطعم وهو كثير الأضياف، يصف بذلك صاحب الترجمة بالوجود والكرم، والمطاعن بالنون جمع مطعان ومطعن وهو كثير الطعن بصفه بالإقدام على الأمور المحدودة. وقوله كزاره - بالهمزة - فعلة من الزئير. والعريس الأسد، وأراد أن يصف آباء صاحب الترجمة بالإحجام عن السَّفاهِ بفتح أوله وهو خفة العقل ولو كنوا عرائسا إذ الخلوة مع العروس مَطْنَةٌ ذلك. ويصفهم أيضا بالإقدام في محل الإقدام ولهم هيبة بذلك ولو بمجرد نطفهم كسنان الأسود إذا زَارَ لا يستطيع من بقابلها فضلا عن فتكها. فالإحجام والإقدام من المقابلة. وقوله غيما غيث: غب الغيث عاقبته وغب كل شيء بالكسر هو عاقبته وما زائدة. وأجش من جَسَّتِ الأرض إذا التفت نباتها، والولي المطر المتكرر، أي الذي ينزل مرة بعد

مرة. وعبوس بفتح أوله صفة لغب والسُّلُسُ: الخيط الذي بنظم فيه الحزْزُ. وورسنه - بالراء والصاد، ويجوز إبدال الصاد زياً فمثناه تحتة بعدها نون فهاء التأنيث - : فعيلة من الرصانة وهي الإتقان بمعنى مفعولة، والتسلسل: الترصيع والتأليف في الحلّي خاصة لأنه محله، والشئس: الأرض التي تنبت، والشُّموس - بفتح أوله - : الفرس المانع الظهر، والنُّوس: الطبيعة، وباقي ألفاظ الأبيات ظاهر.

وممن أنني عليه، في حكاية عن صاحب الترجمة، الشيخ الأدب العالم الصوفي أبو العباس أحمد بن عبد الحى الحلبي السافعي في كتابه ربحانة القلوب فيما للشيخ عبد الله البرنزي من أسرار الغيوب مانصه: أخبرني الفقيه المشارك الأصولي البستاني الجامع بين غرائب العلوم والفهوم الناظم الناصر الحسن الفادري السيد عبد السلام بن السيد المبارك المرحوم السيد الطيب بن السيد محمد بن السيد محمد بن السيد محمد بن السيد محمد بن السيد محمد (249) بن السيد أبي الخرات سعد بن السد أحمد بن السيد الصالح أبي العباس أحمد بن السيد أحمد بن الشيخ العارف المحقق القدوة أبي عبد الله محمد بن السيد أبي الحسن علي بن الشيخ الفقيه الصالح الزاهد سيف الدين أبي العباس أحمد بن الشيخ الناسك الورع أبي عبد الله محمد ابن الشيخ الإمام العالم الصالح سراج الدين أبي اسحاق ابراهيم بن شيخ المشايخ وقطب الأقطاب مولانا عبد القادر الجيلاني نفعنا الله بهم. ودارهم بفاس شهيرة، وهي دار جلالة وحسب وبركة وحرمة قديما وحديثا. قال: لما كنت في عنفوان الشباب والصبا وهيئني مناسبة للصبا ولياسي كذلك فجئت ذات يوم إلى زاوية الشيخ ابن عبد اله بالمخفصة وأردت زيارة الشيخ قاسم الخصاصي، فاجتمعت بأهل الزاوية وجلست معهم، فلم أر منهم تعظيما لي وتوفيرا كعادتي مع غيرهم، فقلت في نفسي: هؤلاء عامه أجلاف لا يعرفون حقّي [أو كهذا القول] (250) ووجدت عليهم في نفسي ثم قلت لهم: أسناذونا لي الشيخ للزيارة وكان مريضا لا يخرج إذ ذاك.

فال فأذن لي في الدخول علمه فسلمت عليه وجلست بين يديه فسأل عني فعرف بي ففرح بي. ثم قال لي الشيخ عبد الرحمان إن بعض الطلبة ممن توغل في علم الكلام وكان يحقر العامة، وكان الشيخ عبد الرحمان بغله في العلم والدلائل وبفحمة إذا تكلم، فقال له: لا تحقر العامة إذا حقروك. قال ففهمت وأنا بين يديه أنه كشف ما في ظني وما قلت في سري. ثم قلت له ادع الله لي باسبدي أن يرزقني محبة رسول الله صلى الله عليه وسلم قال، فاضطرب الشيخ وهاج واحمرت وجناته وضج ضجيجا عظيما وقال: أتسأل المحبة ولولا سبق

(249) في م وس سنه من الأحداث المحدثين.

(250) زيادة في م.

محبة الله تعالى لك ومحبة رسوله صلى الله عليه وسلم لما بلغت هذا الحال حتى خُلقت مومنا من أمته، وزيادة على ذلك فإن كنت من ذريته صلى الله عليه وسلم فأَي محبة لك؟ ليس لك محبة، فاعرف قدر محبة الله لك، ولا تنسب لنفسك محبته. وامرأد بالشيوخ عبد الرحمان هو العارف بالله سبدي عبد الرحمان بن محمد افاسي انتهَى من نسخة بخط العلامة المحقق سبدي أحمد بن علي الوجاري الأندلسي.

قلت: وهذا أمر عظيم مبين أن صاحب الترجمة مصرح بأنه من المحبوبين عند الله وعند رسول. وقد ظهر عليه مصداق ذلك، وسيأتي بيان ذلك مفصلاً إن شاء الله، وبين له بأنه من ذريته صلى الله عليه وسلم. وقد كان الأكابر يطلبون ذلك، منهم إمام الطريقة وبحر الحقيقة مولانا عبد السلام بن مشيش الشريف الحسني فقال: و ألحقني بنسبه، وحققني بحسبه. والشيخ قاسم الخصاصي من أهل الأحوال والمكاشفات، وأخبره مذكوره في الإلماع لسبدي المهدي الفاسي، والمقصد لصاحب الترجمة، وفي تأليف لي فبه سمبته بالزهر الباسم.

ومن بديع صنع صاحب الترجمة جوابه عن سؤال ورد لفاس من العلامة الحافظ المشارك المدرس المحقق الصوفي الصالح البركة أبي الحسن سبدي الحاج علي بن محمد بركة الأندلسي النطاواني دفنهما، يطلب من صاحب الترجمة الجواب عن خمس مسائل، ونص السؤال بعد الحمد لله والصلاة على سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم: سبدي - رضي اله عنكم وأدام بقاءكم - جوابكم عن مسائل: الأولى قوله صلى لله عليه وسلم وَضَعَ رَبِّي يده بين كَتَفَيَّ فَوَجَدْتُ بَرْدَ أَنَامِلِهِ مَا بَيْنَ تَدْيِي هل ثبت؟ وعلى ثبوته فما تأويله؟ الثانية قوله صلى الله عليه وسلم: حُجُّوا هَذَا الْبَيْتَ قَبْلَ أَنْ تُنْبِتَ فِي الْبَادِيَةِ شَجَرَةً فَلَا تَأْكُلُ مِنْهُ دَابَّةٌ إِلَّا نَافَقَتْ. هل هذا لفظه؟ وما المراد به؟ الثالثة قبل إنه ثبت عن سبدي عبد الكريم المراكشي أنه قرئ بين يديه خبر حُبِّ الدُّنْيَا رَأْسُ كُلِّ خَطِيئَةٍ فقال لأصحابه: وأنا أقول لكم حُبُّ الآخرة رَأْسُ كُلِّ خَطِيئَةٍ. فبلغ ذلك الشيخ سبدي عبد الله الغزواني فقال: وأنا أقول لكم حب الله رأس كل خطيئة. ما محل هذا الكلام على ثبوته سيما من ذلك الشيخ؟ وما وجه زيادة الشيخين المذكورين على ما في الخبر؟ الرابعة قول أبي زيد البسطامي: كنت من الزاهدين في الله. ما معنى هذا الزهد الذي أشار إليه؟ الخامسة قول بعض العارفين لو عرفت الله ما دخل قلبي حق ولا باطل. ما معناه؟ فأجاب عن جميعها وقرر كلا من المسائل أي تقرير، وحررها أتم تحرير، أطل فيه نحو كراستين من الرباعي، ولما اطلع على ذلك الجواب الشيخ محمد بن عبد القادر الفاسي كتب بآخر ورقة منه ما نصه: الحمد لله. تصفحت هذه الأوبة المرفقة

فألفبتها قد قرطت (251) سهامها ونشرت بالنصر أعلامها، وتبين لذى الإنصاف انماها وإبرامها. فالله سبحانه بجزي منشئها جزاء من أحسن، ويضاعف له ثواب من عمل فأتقن. قال هذا وكتبه عبد الله تعالى الفقير إلى رحمته محمد بن عبد القادر الفاسي كان الله له انتهى.

وجميع من أدركه من الأعيان وأشائنا ممن أدرك صاحب الترجمة كان يبالغ بالثناء عليه بالعلم، ويصفونه بالتحقيق والزهد والسخاء حتى كان هذا من الضروري عندهم. مما حكاه لنا بعض أشيائنا ممن كان يلازم مجلسه في تدريسه أنه كان ربما أبطأ عن المجلس حتى يمضي نصف الوقت أو أكثر، فيقبل ويجلس على الكرسي ويغص عليه المجلس بأعيان طلبة الوقت فيقرأ نحو خمسين بيناً من الألفية قراءة التحقيق والتدقن، ويأتي من النقول بما يبهر العقول، بسعه الوقت لذلك مع تخلفه عن قدر كثير. كان يصدر منه ذلك لحوائج بعض الناس حيث بتعلقون به، فلا بضره إبطاؤه لحسن نيته، فيفهم ذلك من حضر، فانتفعوا به أتم النفع، وكساه الله الحسن والهبة والمحبة من جميع الناس، وقد قبل:

وجهه عليه من الحياء مهابةً ومودةً تجرى مع الأنفاس
وإذا أحبَّ الله يوماً عبدهً ألقى عليه محبةً للناس.

وفي الصحيحين عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم: (إذا أحبَّ الله العبد نادى جبريل إن الله يحب فلاناً فأحبه فيحبه جبريل فبنادي في أهل السماء إن الله يحب فلاناً فأحبه فيحبه أهل السماء ثم يوضع له القبول في الأرض). وكان صاحب الترجمة المرجع في العلوم في وقته مع وجود أشياخه وغيرهم، منها النحو والبيان والمنطق والأصول وعلم الكلام، واعترف له بذلك أشياخه وتلامذته وأقرانه. قال شيوخنا أبو العباس أحمد بن عبد العزيز الهلالي في شرحه على منظومة صاحب الترجمة المسماة بالجواهر المنطقية المسمى بالزواهر الألفية ما نصه بعد أن ذكر التعريف به وبنسبه والثناء عليه: وأخذ عنه - يعني صاحب الترجمة - جماعة من الشيوخ، منهم فريد العصر، والمائر التي لا يدركها الحصر، شيوخنا أبو العباس سيدي أحمد الحبيب بن محمد السجلماسي، قال بعد أن وصفه بأوصاف كثيرة: حدثني سيدنا أحمد المذكور أنه لما ابتدأ على الناظم - يعني صاحب الترجمة - قراءة الرسالة الشمسية للكاتب قرر له الناظم كلام السعد في أول شرحه لها تقريراً بدعاً انتفى به ما ينوهم من ظاهر الكلام من جربه على أصول الفلاسفة الواهية، ومتابعتهم في ضلالتهم المتناهية. وأثنى سيدنا على الناظم بجودة الفهم، وقوة العارضة في النشر والنظم.

(251) كنا في ك. وفي س: درست. ولا يظهر لهما معنى.

وكم مثلها للناظم معجزة لس بها من سنلس المجادة أسبغة وافرة (كذا) (252) .

وله في أصناف شتى من العلوم تصانيف مفيدة ما بين منشور ومنظوم، وقد وقفت على جملة منها، كلها في غابة التحقيق والإفادة شكر الله مسعاه، وكساه حلة الرضوان في منابه ورفعته انتهت. وقد حذفت منه ما يفضي إلى الطول. وهذا النظم من تأليفه النبي لم يقف عليها الوزير المذكور فلذلك لم يذكرها، وله أيضا نظم في السير شرحه العلامة المدرس أبو عبد الله مولاي محمد العراقي. ولم يعدّه أيضا أبو العباس الوزير. وله أحكام المعروف من أحكام الظروف، ونقبيد في سرور الإخلاص. والتماس البركة بالتعريف بالحاج علي بركة. ومنظوم في وصف أهل القادسية. وما ذكر من التأليف كلها كملت وأخرجت من مبيضتها في حياته وشاعت في سائر بلاد المغرب، ووصل بعضها بغداد وهو الدر السني. ومن تأليفه التي لم تكمل نزهة النادي في أهل القرن الحادي. والحكم المنسوق والروض وغير ذلك. وله مقيدات كثيرة وأجوبة وانظام موجودة بخطه الآن. وأما الدر السني فسبب تصنيفه له أن شرفاء فاس ذهبوا للعد مع أمير المؤمنين مولانا إسماعيل بن مولانا الشريف الحسيني السجلماسي بمكناسة الزيتون، ومن جملتهم صاحب الترجمة على العادة في ذلك والعرف الجاري مع سلاطين المغرب، فصادفوا العلامة النبيل، القاضي الجليل، أبا مروان عبد المالك التاجموعتي بالحضرة السلطانية، فسألهم بمحضر السلطان عن عدة أولاد مولانا إدريس باني فاس ومن أعقب منهم وأسن هو مستفرهم. وكان السؤال للأداسة منهم فلم يجدوا جوابا لجهلهم بذلك وعدم معرفتهم به، فأخجلهم ذلك وأعاب عليهم. فلما رجعوا إلى فاس ألحوا على صاحب الترجمة في تأليف مفيد فيمن وقف عليه من الأداسة فأطلعوه على ما بأيديهم، فاطلع بسبب ذلك على ما بأبدى شرفاء فاس وغيرها مع ما كان له من المهارة في علم النسب مطلقا، فألف الدر السني جمع فيه جماعة من مشاهير أشراف فاس، وبين فيه الحجة والدلائل حتى قيل إنه لم يؤلف في هذا الفن أحسن صناعة منه، وكان جمعه له في زمن الوباء الكبير، فخاف الأشراف أن يموتوا ويتركوا أولادهم صبياناً صغاراً لا بتحققون معرفة أنسابهم، فألحوا عليه في الطلب فأجابهم لذلك وألفه فأمنوا مما كانوا يخافون عليه.

وأما نظمه المسمى بالإشراف عن نسب الأقطاب الأربعة الأشراف فسبب نظمه له أنه وقع سؤال من بعض الطلب لآخرين عن الشيخ أبي الحسن الشاذلي والشيخ ابن سليمان الجزولي، فقال بعضهم إنه لا حظ لهما في النسب النبوي وأقسموا على ذلك، وقال البعض إن

(252) هكذا في المخطوطتين ولعله بيت منظوم وقع فيه تصحيف.

الشاذلي شريف ثم اختلفوا هل هو حسني أم حسيني ثم اتفقوا على سؤال صاحب الترجمة عنهما، فسأله فأخبرهم بصحة الأمر وبالخلاف الذي وقع في نسب الشاذلي وبالصحيح من الخلاف، ونظم لهم النظم المذكور.

ورحل صاحب الترجمة لسوس الأقصى (253) رجاء فتنة وقعت وعرضت أن نخمد أو تضمحل فما زادت إلا قوة، فلما أيس من خمودها رجع إلى فاس بعد أن غاب عنها نحو عام ونصف، فمرض عقب دخوله لفاس بنحو اثني عشر يوماً، وتوفي - رحمه الله - صباح يوم الجمعة ثالث عشر ربيع الأول عام عشرة ومائة اثني عشر ألف [ودفن خارج باب الفتوح قرب قبة سيدي أحمد اليميني من فاس رحم الله الجميع] (254)، وكانت ولادته وقت صلاة الجمعة العاشر من رمضان عام ثمانية وخمسين وألف، فعمره خمسون سنة وستة أشهر وثلاثة أيام. ورمز لوفاته ابن عم جده الأديب الفقيه أبو العباس أحمد بن الفقيه العدل الوراق عبد القادر القادري الحسني من تذييله من قصدته التاريخية بأول كلمة من هذا البيت:

بَشُقُّ عَلَى الْأَقْوَامِ مَوْتُ إِمَامِهِمْ كَعَبْدِ السَّلَامِ الْقَادِرِ الْمَبْجَلِ

قال شيخنا علامة الزمان أبو العباس أحمد بن عبد العزيز الهلالي (255) في شرحه على الجواهر المنطقية لصاحب الترجمة ما نصه: وقد أرخت وفاته بقولي (أظلم الدهر) معتبراً لام التعريف بحسب أصلها قبل الادغام مُلَغِباً همزة الأداة لوجوب سقوطها في الدرج، وضمنت ذلك مبتأ مع الرمز لمدة عمره ومنها يعرف تاريخ ميلاده بقولي طما، فقلت:

لموت الرضّي عبد السلام بن طسب وقد كان قاموساً طما أظلم الدهرُ
فكم زفٌ للأفكار أبكار حكمة عرائس ما غسر الجنان لها مهرُ
علبه من الرحمان صوب تحية تفيض على مَغْنَاهُ من سَيْلِهِ نهرُ (256)

(253) هنا طرطان في هامش ك و س تينان سبب خروج المترحم إلى سوس عبارات محلله أوقاها ما في ك، ونسها «رحل إلى سوس لما وصل خروج مولاي محمد بن مولاي اسماعيل على والده المذكور، وكان قرأ عليه، أرسله إليه مولاي اسماعيل ليرده عما عزم، فسار إليه وردّه فلم يساعفه في ذلك، وزادت قوته وعظم تنوكه ودعا لنفسه وباعوده، إلى أن كان من أمره ما كان. فلما أيس منه أسرع في الرجوع إلى فاس قبل إيقاع القتال بينهما انتهى» (254) زيادة في ط.

(255) في المخطوطتين: الفيلاي.

(256) هذه الرحمة المطولة في المخطوطات الثلاث لجدة المزل عبد السلام بن الطبيب القادري احصرت في ط في ثلاث صفحات فقط.

محمد بن حمدون الشَّديدُ

ومنهم الفقيه العلامة أبو عبد الله محمد بن حمدون الشَّديدُ - بكسر الدال وسكون الثاني بينهما مثناة تحتية مكبراً - (257). قرأ على سيدي محمد وأجاز له سائر مروياته التي تضمنتها فهرسة ولده سيدي الطيب حسبما ذكر فيها. وكان صاحب الترجمة من فقهاء فاس المعنبرين، وعدولها المرضيين. وموضع درسه للرسالة بالمستودع الذي عن يسار الداخل من باب الكتبيين (258). توفي رحمه الله - في ربيع الثاني عام عشرة ومائة وألف (259)

محمد بن المهدي اللخمي (حَاظُ رُوْحُو)

ومنهم الفقيه النحوي المقرئ الصالح البركة أبو عبد الله سيدي محمد بن المهدي اللخمي الشهير بحاظ روحو. كان خيراً ديناً.

توفي في رمضان معام عشرة ومائة وألف (260)

حوادث السنة

الأمر بتمليك أعيان فاس واستشفاعهم للسلطان

وفي ثاني عشر من المحرم من عام عشرة ومائة وألف جاء القائد عبد الله الروسي بالأمر بتمليك أعيان فاس.

وفي ثامن عشر منه اجتمع المرابطون والفقهاء مع القائد عبد الله الروسي بالقرويين وأجمعوا رأيهم على أن يشاوروا السلطان مستشفعين له في ذلك.

وفي الثاني والعشرين من الشهر نفسه جاء أهل فاس لبعض فضلاء السادات الفاسيين وطلبوا منه أن يخرج إلى مكناسة الزيتون ليشفع لهم عند السلطان وصنعت له محفة لذهب فيها من كبر سنه، ومن الغد عزم على الخروج فصُدَّ عنه.

(257) هنا في هامش ك و س طرة نصها: احترز به من أن يتوهم أنه من عقب الشديد الذي عُرِفَ به ابن الخطيب في الإحاطة

(258) هنا أيضاً في هامش المخطوطتين طرة: «بل أزاله الرئيس القائد محمد الصفار المتولى فاس القرويين لحفيده العدل السيد حمدون بن أحمد بن حمدون صاحب الترجمة، وصرفه للفقيه العلامة المحقق الفهامة سيدي عبد الكريم بن علي اليازغي عام 1175 هـ وفيها خلل.

(259) هذه الترجمة ساقطة من ط.

(260) سقطت هذه الترجمة أيضاً من ط.

زمام الحراطين بفاس ثم العفو عنهم

وشرع القائد عبد الله في زمام الحراطين. وفي رابع عشر ربيع الأول النبوي من العام جاء العفو عن الحراطين.

توبيخ فقهاء فاس على مسألة الحراطين والأحرار

وفي سادس عشر من جمادى الأولى من العام بعث السلطان مولانا إسماعيل بكتاب إلى فاس يوبخ الفقهاء فيه على مسألة الحراطين. وفي الرابع والعشرين من الشهر نفسه قام القائد عبد الله الروسي بكتاب من عند السلطان بتوبيخ الفقهاء على عدم موافقتهم لتمليك الأحرار، وجمع أعيان المدينة وقرئت عليهم بزاوية القلقلين. وفي ثاني جمادى النانية من العام وصلت لفاس براءة من عند السلطان أيضا بمدح العامة وذم الفقهاء. (261)

تذكر المحسنين

عبد السلام بن الطيب القادري

العلامة الأشهر الضابط الأكبر الشريف سيدي عبد السلام القادري الحسنى شقيق مولاي العربي المذكور عام ستة قبله.

العشرة الثانية من القرن الحادي عشر العام الأول مها

محمد بن يوسف العباسي

فمنهم الفقيه الخطيب أبو عبد الله محمد بن يوسف العباسي، ولد عم الشيخ أبي سالم ومشاركه (262) في جميع شيوخه. كان فقيها عالما أدبيا رائق الخط، وأخذ عن أبي سالم وسدي عبد القادر بن علي الفاسي [وحج] (263) وولي قضاء بلده ودرس بها وبفاس. قال في المنح البادية: سمعت (264) عليه أوائل الصحيحين، والمسلسل بالأولسة، وسورة الصف [وغير ذلك، وأجازني في ذلك وكتب لي بخطه] (265).

توفي ببلده سنة إحدى عشرة ومائة وألف.

الحسين بن محمد القواس

ومنهم الولي الصالح الشهير، المجذوب الكبير، أبو محمد الحسين (266) بن محمد شهر بالقواس [بوزن درأك] (267) من أهل فاس. كانت تتوارد عليه أحوال (268) وكان أولاً بخدم شراطاً ثم غلب عليه الحال. [وأشتهر وكان له أصحاب وأتباع، ولم يزل يتبرك به مقصوداً للزيارة] (269).

توفي سنة إحدى عشرة ومائة وألف، ودفن بداره بالفلفلين، فصارت زاوية عليه بعد ذلك معظمة من مزارات فاس. وكان مشهوداً له بالخصوصية من صلحاء فاس في وقته. وحكى أن سيدي أحمد بن عبد الله كان يسوق الرصيف من فاس القرويين فأبصر صاحب الترجمة فرجع من الطريق إلى طريق أخرى على رحبة الزبيب على عقبة العيون إلى داره وهو يقول: طرق السلامة ولو دارت. وكان سيدي أحمد بن عبد الله ينهى عن مقاربة المجذوبين

(262) في المخطوطين: «ومشاركاً له» وقد كتبناه على مقتضى القواعد، لأن هذه الجملة ساقطة من ط.

(263) ساقط من ط.

(264) صحف في ك فككب. وسمع.

(265) ساقط من ط.

(266) صحف في صلب المخطوطتين فكتب فيهما: «الحسن» كما كتب في س: القواس - بالصاد - وفي هامتها بالجمرة. «سدي حساين القواس» ويظهر أن هذا هو النطق الشعبي الصحيح.

(267) زيادة في ط

(268) زيادة في ك وس.

(269) زيادة في ك وس أيضاً.

ويقول إنهم يكسرون ولا بحIRON، معنى أنهم لا يصلحون لتربية المربدين وبخشي منهم أمور،
ولهم في ذلك حكايات. وقد أننى على صاحب الترجمة أبو عبد الله المدرع في منظومته
بقوله:

والسيد الغائبُ في الشهود	مُوَلَّهٌ في المَلِكِ المعبود
الهائمُ المتيمُّ الحيرانُ	الشائقُ المهيمُّ السكرانُ
حُسَيْنُ القَوَّاسِ ذو الكرامة	والفائضُ الراموشُ قُلْ أمامه

وتأتي ترجمة الراموش وكلاهما من المجازب (270).

(270) القسم الأخير من هذه الترجمة كتب مختصراً في ط.

العام الثاني من العشرة الثانية

عبد الله حَسُو

فمنهم الولي الصالح سيدي عبد الله حَسُو - بجاء مهمة فسين مشددة مضمومة بإشباع حركاتها - (271)، قال أبو العباس أحمد بن أبي عسرية الفاسي في رحلته: من أصحاب الشيخ أبي القاسم بن اللوشة. كان صالحا ملامتيا ذا جذب وأحوال. أحد الأكواش الذين هم حامدون بولاية الحق سبحانه، كنير التواضع والامتحان والصبر على حمل المصائب، يحترف بقطع أحجار الرخا ويتقوّ منها، وبنى قبة وهي التي دفن بها بسده، وله كرامات وأحوال تدل على صدق حاله مع الله تعالى. توفي سنة اثنتي عشرة ومائة وألف (272).

(271) كنب في س. حَسُو - بنين معجمه - ولعله تصحيف.

(272) اخصر بترجمة حَسُو في سطر ونصف في ط.

العام الثالث من العشرة الثانية

أحمد بن محمد البمني

فمنهم الإمام الخضر الهمام الواصل، الولي الكامل، العارف بالله تعالى الصديق الشهري الفقيه العلامة الشريف أبو العباس سبدي أحمد بن الشيخ الولي الجليل أبي عبد الله سيدي محمد بن الشيخ | لعارف الكبير الولي الشهير أبي العلاء | إدريس الشريف شهر باليمن. قال العلامة أحمد بن يعقوب الولا في كتابه مباحث الأنوار في حق صاحب الترجمة ما نصه: [أصله - رضي الله عنه - من اليمن، من شرفاء النبيوع (273)، وقد صح غير واحد أنه من ذرية الولي الكبير الشيخ عبد القادر الجيلاني] (273م) وكان لأهله ملك و إمارة في بلدهم. وقد أخبرني من خالطه أنه فُتح عليه بما رفض به أهله وما لهم من الوجاهة وساح في الدنيا كما وقع لإبراهيم بن أدهم [وقد أخبرني من خالطه أنه لقي الخضر في أول سياحته] (274) وقال في المقصد: وسيدي أحمد اليمنى شرف النسب، أصيل الحسب، له سلف في الخصوصية، إلا أنه لا بشيع نسب بل لا بذكره، وصرح لبعض الأصحاب أنه ترك ذلك الله. وهو من قرية يقال لها مهكرو - بفنجات وتشديد الهاء - بن أريجى - بفنح الهمزة وسكون الراء وكسر الموحدة والجيم ثم مناة تحنية - وبين ستر - بضم السين وفتح النون المشددة وراء - مدينتان بصحراء بين أعالي صعيد مصر وبلاد السودان، بينما نحو عشرين يوما. بستة بيت ولابة وصلاح. ذكر أنه من ذرية سيدنا عبد القادر الجيلاني. انتهى. ثم قال بعد: ووصفه بالشرف والولاية والعرفان الشيخ الكبير المجذوب أبو حفص عمر ولد شيخه سيدي عبد الله البرنوي. ولجده بأرضه مزارة كبيرة شهرة وولاه، ولأبيه وأخيه ولاية.

(273) ها في هامش كل من ك و س طره نص الأولى:

«رأيت ترجمة صاحب الترجمة بخط إدرس بن غلال القادري الحسنى وسبه فقال: الشريف القادري الحسنى. وسمعت من مؤلف هذا الكتاب أنه من عقب الشيخ داود ابن عبد الوهاب بن عبد القادر بن موسى الجيلاني الحسنى دفين بغداد، وأورد هذا الذهبى في الميزان في الضعفاء وابن حجر في اللسان وأخبرني شحنا مولاي حمدون بن محمد الطاهر الشريف الحوطي أن الشيخ ابن رجال المعداني أخبره أنه سأل صاحب الترجمة عن نسبه فقال له وكان ولده سدى محمد حاضرا. أو حدك هذا الشريف؟ فقال له لا ولكن من سليل مضر. وسبب سؤاله له أنه سمع أصحابه يسبونه للسرف فسأله بمحضتهم وحدثنى الساحر السقاط قال لى لما حججنا فى هذا العام وحج معا سيدي أحمد بن محمد بن سدى أحمد المسمى، يعنى صاحب الترجمة، فاحتجنا بمن حج من أهل العراق بمكة، فسألهم سيدي أحمد على نسبه وعن أهله فعرفوا أهله وعرفوا حدك صاحب الترجمة فأجبروه أن أهله سرفاء معظومون عندهم ببلده، ولم يحد منهم من يحفظ رفع عمود سبهم فى ذلك العام، وهو الخامس من ولاية سدى محمد بن مولاى عبد الله بن مولاى اسماعيل الشريف الحسنى السحلماسى».

ويص طره س

«نسبه للشرف غير واحد. وقال سيدي حمدون بن محمد الطاهري إن الفقيه سيدي الحسن بن رجال لما سمع بالانساب أتى إليه فوجد معه ولده فقال: ولذلك هذا من سليل الحسن أو الحسين؟ فقال: لا بل من سليل مضر ه. ويمكن أن يكون قال له ذلك قبل أن يطلع على حقيقة الشرف وبعد ذلك اطلع. وبالجمله فترفعهم صحيح لا سيما وقد رأنا بأليف ذكر سرفهم وظواهر بأيديهم قدمه هي كذلك».

(273م) ما بين معقوفين ساقط من ط

(274) ساقط من ط أيضا.

وأخبر أن خروجه من بلاده كان سنة خمس وسبعين - بتقديم السن - وألف، وجال في الأقطار برسم الحج ولقى المنايخ، وأتى على بلاد السودان، وأتى على سبجلماسة وأقام بها، ودخل فاسا في اليوم الثامن والعشرين من جمادى الأخيرة سنة نسع - بتقديم المشناه - وسبعين - بتقديم السن - يعني بعد ألف، وأقام يوم دخوله فاسا بجامع القرويين إذ لم يعرفه إذ ذاك أحد، ومن الغد أسكنه بصفليبة مسجد الأبارن القاضي أبو عبد الله محمد بن الحسن المجاصى من غير أن يطلب منه ذلك. وبقي بها إلى أن تزوج في ذى القعدة سنة تسعين - بمتناه - وألف، وسكن بالمخفية من عدوة فاس الأندلس. وخرج من فاس لزيارة شيوخه سيدي عبد الله البرنوي ببرنو من بلاد السودان عند طلوع قمر ليلة الاثنين ثامن عشر شعبان سنة اثنتين وتسعين - بمثناة - وألف. ثم رجع لفاس أواسط ربيع الأول سنة أربع وتسعين - بمتناة - وألف، كما قيده سيدي المهدي الفاسي ومن خطه نقلت، فوجد شيخه المذكور نوفي.

قال في مباحث الأنوار: ثم أطلع الله تعالى الشيخ السمني بأن أظهره للخلق إطلاع البدر فوق الأفق، فأضاءت به أركان ظلمات هذا المغرب، فلم يبق عالم ولا شريف ولا عامي إلا عرفه وتوسل به، وله من أحوال النوكل وسقوط خوف الخلق وهم الرزق ما بهر العقول، وله من الأخلاق السنية وحسن المعاملة ومعاشرة الخلق ما يشهد بسببه على صحة حاله المعقول والمنقول، وله داربة حسنة في علم الفقه، فكان يخاطب مختصر خليل، وتوضيحه، والمدونة. وله تصرف في أحوال الخلق تصرفاً ظاهراً مع شدة تستره، وإشارات بادية في حال الكشف فتظهر كما أشار إليها، فترى الناس بشكون إليه أمر دينهم ودنياهم ولا ينفصل عنه أحد إلا وقد فرج عنه من بركته، إما بدفع ما خاف وإما بتقويه على ما نزل. وترى أصحابه يزدادون في معاني اليقين والتقوى. وأنا أشار إلى بأمور فوفعت كما أخبر، وفرج الله تعالى عني أموراً ببقائه - رضى الله عنه - أو أطل عمره للمسلمين. وقد زاره يوماً رزجل يشكو بعض الولاية وانه كلفه أن يدخل في جملة الجيش ويغزو مع الجيش بعض بلاد المسلمين، فلما رآه صادقاً في الرغبة عما كلف به قال له: لعلك لا تفعل ما أمرك به، فقال له والله يا سدي لأفعلن: فقال له إن كنت تفعله فاذهب لمن أمرك به، فقال له والله يا سيدي لأفعلن: فقال له إن كنت تفعله فاذهب لمن أمرك بالدخول في الرماة لبعطيك كل ما تحتاج إليه الرماة ويكمل عليك ما كلفك به، فقال له يا سدي ومن هذا أفر، فقال له ألم تقل إنك تفعل ما أمرتك به؟ فقال له نعم، فقال لم أر ما يصلح بك إلا هذا. فأذعن ذلك الرجل وذهب ليدخل في الرماة الجيشية ويطلب كل ما يحتاج إليه، فلما تمثل بين يدي متولي أمر الجيش قال له: ما تريد؟ قال أنا من جملة من قُدمت في الرماة فأعطوني راتبي ومكحلتني والبارود والرصاص لأتهسأ. فتأمل فيه ذلك الوالي فأبد له الله تعالى بين عينيه، فرأى نفي الأهلية عنه، فسبّه وسب من قسده في الرماة فقال اذهب لسبيلك فلست أهلاً لهذا، فرجع ذلك الرجل فرحاً، فقال له يا

سدي عافاني الله من هذا الذي نزل وقصّ عليه الخير، فقال الشيخ أحمد - رضي الله عنه - تستراً: أنا ما أمرتك إلا تكمل لهم الغرض. فانظر هذا التصريف.

وأخبرني بعض الثقات من علماء فاس أنه عقد على امرأة ولم يكن عنده ما يقوم به أمرها، فشكا إليه ذلك فقال له اذهب بين المغرب والعشاء إلى مولانا ادرس وزره. قال ففعلت، قال ولم أشعر أن ألقى إليّ رجل أربعين مثقالاً حينئذ فبقيت متحيراً في ذلك الأمر، وكفتني في مؤونة المرأة. وأخبرني هذا البعض أيضاً أن عندهم امرأة خطبها بعض الناس فأبوا أن يزوجه، فسحرت فمرضت، وتقوى ظننا أن ذلك الخاطب هو الساحر. قال فشكوت إلى الشيخ أحمد السمني أمرها فكانه رأى أنه هو الساحر وأن مرضها من سحره. قال فقال لي وأبن ذلك الرجل؟ هذا زمان ما رأيته. فبقيت لحظة من الزمان معه، فإذا ذلك الرجل داخل، فسلم عليه فقال له: يا سيدي إنا على الباب الفلاني من المدينة نريد الخروج لحاجة، فإذا قلبي كأنه مجذوب لأراك فلم أستطع أن أخطو خطوة حتى أراك فرجعت إليك. فلما فرغ من الكلام مع الشيخ قال له الشيخ: ألا تتقي الله تعالى في هذه المسكينة؟ قال: فتاب إلى الله تعالى من أمرها، فعوفيت لحينها، ووقائعه في هذا المعنى أكثر من أن تحصى.

وقد مرض لي مريض يوماً شديداً، فلما رأى ما بي من شدة الاهتمام بأمره رحماني فقال لي صراحة وأنا حينئذ كالآيس من ذلك المريض: لا تخف عليه فإنه يبرأ بإذن الله تعالى، فكان الأمر كذلك بحمد الله تعالى. وقد كنت خطبت بنت الشيخ العلامة الحسن بن مسعود اليوسي، وكانت بعض العوارض تعرض في تزويجها، فكنت أتردد هل يكمل أمرها أم لا؟ ثم توفي بعض أقاربها فأرسلت ولد أخينا لينوب عني في تعزيتهم، وأمرته أن يلقي بعد التعزية الشيخ أحمد اليمني، فلما عزأهم لقيه فقال له متبسماً: قل لعمك لِمَ لَمْ بأت لتعزية أصهاره؟ فلما رجع ولد أخي قلت له وما قال الشيخ: فاستحيي مني فتبسّم، ثم قلت له تكلم ولا تستحي، فأخبرني بأنه قال لِمَ لَمْ بأت لتعزية أصهاره؟ فقلت له سيكونون أصهاراً إذا قال الشيخ أحمد ذلك، فكان الأمر كذلك بإذن الله، وقد أخبرني قبل ذلك أنني أسكن مكناسة على حال معين، وكان عندي ذلك كالمحال، فوقع الأمر كما أخبر، جعل الله عاقبة ذلك خيراً (275).

وبالجملة، إنك لا تلقي من عاشره إلا أخبرك بكرامة عنه من مكاشفة أو كشف كرب أو جلب نفع. وقد أشار إليّ يوماً أنه ربما كشف له عن جميع ما يقع في الوجود، ثم ستر ذلك عنه. وهذا حال القطب المحمدي. وأما أمره في علم القلوب فبحر لا تكدّره الدلاء، فلا تتكلم

(275) سافط من ط أيضاً.

معه في فن من الفنون في ذلك العلم إلا بهرك وأراك من نفسك ما عرفت به قدرك بلا مطالعة ولا ملازمة تدريس ولا كتاب، بل بالبصيرة الواضحة، والحالة الراجعة. وأما أمره في الصبر فجبل لا تحركه الرياح، وطود لا تجانبه (276) الأسباب. وتصيبه الأمراض الشاقة فلا تؤثر فيه جزعا، وكتيرا ما يُؤذى من قبل الخلق فيدفع بالتي هي أحسن مرارا ومسمعا (كذا) فلا يزداد مع الإذابة إلا صبرا، ولا مع الجفاء إلا حِلماً سراً وجهراً، وتراه تتستر بمعاشرة الخلق وابلخوض معهم حيتهما خاضوا طول نهارهم لا يتخذ عنهم خلوة ولا سنا، ولا يزيده ذلك إلا مهابة من بينهم، وإلا محبة فيه وطموحا لأعينهم. وبالجملته مآثر كمال حال العبودية فيه كالمنار على علم، وعلامة الولاية الكبرى عليه أظهر من ظهور الورد في تميزه. انتهى. وأما أمره في تصاريف القلوب فأمر عجيب، وسمعت شخنا العلامة الأنور، البحر الزاخر الأبهري، سيدي الكبير بن محمد السرعيني يحكي عن سيدنا أحمد اليميني أنه قال يوماً بعد أن دخل فاساً: ما عليّ منة لأحد من صالحي فاس إلا لسيدي محمد بن عباد، يعني أنه دخلها مرئياً مؤدباً مهذباً محصلاً لكل مقام من مقامات الطريقة لا يحتاج إلى أحد في تربية ولا انتفاع ولا حصل له من أحد نفع سوى ابن عباد أي من مطالعة كتبه (وكان شيخنا المذكور إذا حكى ذلك ربما قال: وسيدي أحمد اليميني فوق ذلك) (277).

وفي المقصد أن سيدي أحمد اليميني من أجلة الزمان، وأكابر الأعيان، ومن أهل الرسوخ والعرفان، شهد له سيدي أحمد بن عبد الله معن بالخصوصة الكاملة والبصيرة الثامنة، وزهده وورعه وكمال اتباعه للسنة المحمدية وكرم أخلاقه أدل دليل على ذلك. وقد أخبرني هو عن نفسه بما يؤذن بعظيم المعرفة وحال الجذب، فقال يوماً لصاحبنا السيد الصالح الثقة الصدوق أبي عبد الله محمد بن محمد الدريج التطاوني - حفظه الله - وقد تكلم معه في شأن الخواطر التي تعتري لإنسان ولا يمكنه الانفكاك عنها حتى الخصوص من الخلق، ولا ينجو منها إلا من كان غائباً في شهود الذات العلية. قال وقد وقعت لي تلك الغيبة مرة فبقيت هائماً لا أشعر بشيء يوماً وليلة، ثم اسصحت مع ذلك واستأنست به ولم تبق الغيبة على ظاهر انتهى. ولما حدث بذلك العالم الفاضل المبارك لأنور سيدي محمد المهدي بن أحمد الفاسي استعظمه وقال: هذا التصريح بالعرفان، وصار بعد ذلك إذا كتب اسمه عبّر عنه بالعارف الكامل الراسخ، وهو من رجال التصريف، له الكرامات الكثيرة، والأفاعيل الكبيرة، مع الكشف القوي والفراسة النيرة، يظهر كل ذلك عليه، إذا تنكر لأحد ظهر عليه أثر الخسران مكانه، وإذا أضرّ به أحد أهلكة الله لحبسه. وقد قال يوماً لبعض

(276) في المخطوطين «صود». وبعدها في ك: «لا تجانبه». وفي س: لا توازنه. والعبارة كلها ساقطة من ط.

(277) زيادة في ط.

الموالبين له: إني إذا آذاني أحد ففاضت عيني أهلكه الله لا محالة، ولما أنهى هذا البعض هذه المقالة لسيدى أحمد بن عبد الله معن قال: أما أنا فلست كذلك، بل على العكس، فإني إذا آذاني أحد وضحكت أخذه الله، وهذا البكاء والضحك منهما حالان غير اختياريين، ولذا نشأ عنهما ما نشأ. وهو - رضي الله عنه - من المجردين عن الأسباب الواففين بالباب، ممن أوتي في التوكل قوة، وصار فيه علماً وقُدوة. وقد صرح مراراً بأن أمرين كليهما لا يهمانه أبداً، وهما هم الرزق وخوف الخلق. وله هم ساميه، وإشارة في الطريق عالية، وهو على ما منحه الله من العلوم اللدنية ينعطى قراءة العلم، ويعتني بدقائق الفهم، يفوم على محتصر خليل يعلمه بعض الطلبة من أصحابه، له درس منه كل يوم أحضره أنا لهذا العهد وأقرؤه عليه. وقد أمدني بإقرائه للطلبة فأخذت في هذا الوقت في تدرسه ووجدت ببركته تيسيراً.

لقي عدداً كثيراً من المشايخ الكمال، وفحول الرجال، وأخذ عنهم وانتفع بهم نفعاً تاماً بذكرهم لها في كنير من الأحيان ويذكر أخبارهم، والمشايخ الذين أخذ عنهم منهم سيدى دفع الله العراقي وهو عمدته وعلى يده فتح له وإليه ينتسب، والشيخ أبو محمد عبد الله البرناوي الحميري، والشيخ أحمد الصادق، والشيخ فارس السنان، وتقدمت تراجم جميعهم، ولقي صاحب الترجمة الخضر كما تقدم، وكان يعرف اسم الله الأعظم، وهو قادري الطريقة كما صرح به مراراً.

وقد طاف أي صاحب الترجمة في البلاد وجال في الأقطار برسم لقاء المشايخ، وحج البيت الحرام، ودخل في بلاد السودان وأطال فيها التردد، ثم قدم على سبجلماسة وأقام بها مدة، فحصل لشرفائها به معرفة أكيدة ومودة عظيمة، كلهم مطيعون على محبته وتعظيمه، ووفد على فاس فدخلها في اليوم الثاني والعشرين من جمادى الأولى سنة تسع - بتقدم المشاة - وسبعين - بتقديم السين - وألف كما تقدم انتهى من المقصد.

وفيه أيضاً: من عظيم فتوحاته - يعنى سيدى أحمد بن عبد معن - ما هو عليه من معاملته، يعنى لصاحب الترجمة، ومرافقته إياه بأنواع المبرة والإكرام، والإجلال والإعظام، والقبام به ووصة أصحابه وعظم أدبه معه وحسن معاصرتة ومواخاتة له في الله ومودته وإشارته على نفسه في كل شيء من الأشياء. فقد كان أولاً سيدى أحمد البمني بجامع الأبارين من حارة قيس من عدوة فاس القرويين يأوى بصقلبية منها، وهى الني فوق السقابة من صحن الجامع المذكور، فقد كان سيدى أحمد بن عبد الله معن يرسل إليه ما يحتاجه من الطعام المطبوخ كل يوم، ويتخير له من أنواع الأطعمة جديدها وأرفعها، ويقمه من كل شيء حتى الأواني الصغار ولا تجد عنده منها إلا أبدعها وأحسنها، ويتعاهد أموره كلها، وبسنعمل له الأدوية والأشربة إذا مرض ويباشرها بيده، وربما فصد له في درعه بيده لأنه يحسن ذلك،

وبادر إلى الأمر الذي فهم عنه إرادته ولا يتركه ينمني لشيء، ويشفع فيمن نعلق به عند ولاية فاس مراسلة ولا يحوجه إلى مراسلتهم، ويواسى أصحابه بأنواع المواساة كلها، فيكسو عاريهم، ويسبغ جائعهم، ويدافع عنهم من أراد ضيغهم، وبغار عليهم، وبجهد في نصحتهم وإيصال الخبر إليهم، وإذا خرج لزيارة مولانا عبد السلام بن مشيش - رضى الله عنه - وغيره من المشايخ خرجا معا في رفقة واحدة استصحب معه ليطعمهم الطعام وبركه أعد له مركوباً وفرقا وأمر له بتسخين الماء الساخن ولا يغفل عنه في السفر كله وببالغ في إكرامه وتوقيره واحترامه، ويرفع بأصحابه بأكلون معه فلا يحتاجون إلى زاد في سائر أسفارهم.

ولما كثر اعتراء الأمراض، له أعني سيدي أحمد اليميني، حتى إنها في بعض الأحيان تُلزمه الفراش أياماً طويلة، ورأى سيدنا أحمد (محتاجاً) إلى من يبأسر له بعض ضرورياته عرض عليه التزويج ونذبه إليه فأجابته لذلك: فتهض إذ ذاك سدي أحمد لتحصيل هذا المطلوب وإمضائه، فظهر له بمفتضى نظره السديد، ورأيه الحميد، وبحسب ما يلين بهذا السيد المبارك المجيد، أن يخطب له ابنة الولي الصالح، ذي الكشف الواضح، الخاشع أبي مروان سيدي عبد الملك بن محمد الغمري - بالمعجمة - دفين أكدل من بلاد غمارة على نصف مرحلة من فاس، لكونها من بيت صلاح وديانة، وعفاف وصيانة، ومن لا يعرف عوائد هذه البلدة أعني فاساً وتكاليفها من أهل بادية لا تترفعون ولا يترفهون. فذهب إلى بلاد غمارة خاطباً لها من أخيها السيد الفاضل أبي العباس أحمد بن سيدي عبد الملك المذكور، وهو من أصحاب سيدي أحمد، واستصحب معه جماعة من بعض معارفه الشرفاء والنفهاء والفقراء والطلبة، كنت أنا وأخي فيهم، ووفد بهم على أخي المخطوبة المذكورة بمنزله، وفرح بليقهم وأكرم مشايرهم وأجل رتبهم ولبي دعوتهم وسر بهم وبما جاؤا إليه رغبة في جانب الله سبحانه، وعظم عليه الفرح بمصاهرة هذا السيد المبارك، وبمباشرة سيدي أحمد لذلك، فعدوا النكاح حبيئاً على صداق قدره خمسمائة أوقية وأمة من وسط الرقيق. وكنت أنا وأخي الشاهدين على ذلك كله، وتولى سيدنا أحمد - على عادته - القيام بجميع ذلك ونقد الصداق المذكور المعجل منه كله من ماله، ثم اشترى الأمة المشتترطة من أفضل الرقيق أحسن مما اشترطوا بعد تحريره فيها وتحقق أنها سُبِت كافرة لبصع تملكها شرعاً بتمن قدره أربعمائة أوقية قديمة تنقص منقالبين. وكان بعض من حضر الخطبة يريد أن يكون الصداق أقل من ذلك ويحرص على الفرق فيه، فقال سيدنا أحمد: الذي عندي أن المنسوب إلى الله لا يرفق به في نحو هذا لأنه لا برى الإنفاق من ماله إنما براه من مال الله ومن عنده، ثم قام بجميع ما بعد ذلك من المؤن مما سجهز به العرس من قبل الزوج وما يحتاجه الزوج من اللباس وحوائج الدار وأوانيها ووظيفة العرس، وصنع وليمة عظيمة يدار سيدي قاسم قبل البناء بيوم وحشد بها من الضعفاء والغرباء والطلبة والمسافرين ما لا يكاد بعد وأطعمهم

التريد واللحم والعسل، وظل الناس بومهم بجيئون ويذهبون، ترجع طائفة وتأتي أخرى، وكثير من الناس أنها دون دعاء نعرضاً للبركة. وأعد له البناء داراً أخرى مجاورة لحفدة أخته أولاد ابن الفقيه وأسكنه بها، وحل سنق عليه ويقيم داره من كل ما تحتاج إليه من قمح وإدام وعسل وغير ذلك، يجعل ذلك كله بدار سيدي أحمد البمني معداً متى احتاجه أو غشيه الأضياف وجده يرسل إليه زيادة على ذلك ما يكفيه من الطعام المطبوخ كل يوم، ويقيم أصحابه وأضيافه وأعد لهم داراً يبسون بها، ويبعث لهم من الطعام المطبوخ غذاء وعشاء قدر مؤنهم وكفايتهم بالغبن ما بلغوا، وكثيراً ما يفضل عنهم الطعام فيلتمسون من يأكله، إذ من شأنه أن لا يرجع ما خرج من داره إليها، هذا مع ما علم من شدة هذا الوقت وغلاء الزرع فيه حيث يباع المد (278) فيه بأوفيتين فأزبد، وحال هذه البلدة وصعوبة المؤنة فيها دائماً، وبقي يعاهد أمورهم وبسعى في قضاء حوائجهم لا بغفل عنهم في شيء من الأشياء، وبقي سيدي أحمد البمني على ما كان عليه لا تصدي لأمر ولا يعرج على شيء، مشتغلاً بعبادته، مقبلاً على شأنه، مجموع الغلب على مولاه. وقد راوده بعض أهل فاس لما سمعوا بتزويجه أن شتروا له داراً يبايئهم لسكن بها فأبى عليهم وامتنع من قبول منتهم واختار مجاورة سيدي أحمد وإرفاقه ومرافقته لما بينهما من المواخاة في الله تعالى. وقد قال مرة إن سيدي أحمد بن عبد الله لا يقدر أحد أن يرد عليه شيئاً، وإن رده خاف على نفسه، لأن ماله لله وفي الله، فمن دفعه خشي ما ينزل به من عقوبة الله. وقال في موضع آخر وقد ظهر من القسام بوظيفة ومعرفة حقه ما لسيدي أحمد من الفتوة والإينار، بل ما له من الحرية عن الاغيار، إذ الحرية مطعمها (كذا) كما قال الفسيري في خدمة الفقراء. وفي الخبر أوحى الله إلى داود: إذا رأيت لى طالباً فكن له خادماً. وعن يحيى بن معاذ: أبناء الدنيا يخدمهم الإماء والعبيد، وأبناء الآخرة يخدمهم الأحرار، وفي الحديث سيد القوم خادهم. وأمر هذين السيدين في مواخاتهما وكمال حالهما واتفاق سيرتهما واتحاد نظرهما من أعاجيب الزمان، وكذا أخوة كل واحد منهما في الله وغناؤه به إعطاء وأخذاً. وما أمرهما في ذلك إلا كما اتفق لبعض أهل الله مع بعضهم قال له: خذ لك، فقال له الآخر آخذه لا منك، وكان كل منهما بالله ولله كما كان هذان السيدان في كل أمورهما انتهى.

ولصاحب الترجمة كرامات لا تحصى، وخوارق لا تستقصى. قال عم والدنا محمد العربي بن الطيب الفادري في تفسد له ومن خطه نقلت: ومن كرامات الشيخ أبي العباس أحمد بن محمد البمني أنه ذهب مرة إلى زيارة الشيخ أبي شعيب الزموري نسخ أبي يعزى، وكان مولعا بزيارته وشني عليه كنسرا وبشهد له بالقوة، وكان بخبر أنه براه يقظة وتحدث

(278) هنا في هامش ك طرة نصها: «كان في هذا الوقت المد من صاع ونصف نبوي».

معه. فذهب مرة إلى زيارته وذلك سنة إحدى وتسعين وألف، فلما أتى ضريحه فُتح له القبر المبارك وتبدى له سيدي أبو شعيب وجعل يحدث معه، فبينما هو كذلك إذ خرج من القبر شيء بشبه النور أو غيره وصار ممتدا في الأرض، فنظرا إليه الشيخ أبو العباس البمني وأراد أن يتبعه ببصره لينظر أين يذهب، فقال له الشيخ أبو شعيب لا تنظر إليه فإن من نظر إلى ذلك مات، فقال الشيخ البمني ما ذلك باسبدي؟ فقال له إن تلك السكينة ذهبت لتزيل الهلع من قلوب الناس والسعر يبقى على حاله لا يزيد، وكان قد حدث حينئذ غلاء في ذلك الوقت، وبلغ مد القمح فيه ثلاث أواق، فكان الأمر كما قال ووقع كما أخبر. وكان الناس بعد فيه مطمئنين مدعنين ساكنين لم يقع في قلوبهم هلع، ولم يحصل لهم فزع، حسبما شوهد من حالهم، وتحذروا بذلك، ولم يعلموا ما هنالك، وتعجبوا من ذلك كنسراً لعدم اعتمادهم ذلك في الغلاء وبقوا على حالتهم تلك إلى أن انقضت، وذهب ومضى. أخبرني بذلك صاحبنا أبو عبد الله الدريج عن الشيخ البمني وكان حاضراً معه في تلك الزبارة وأنه سمع ذلك منه انتهى.

وقال أيضاً، حدثني من أتى به من الإخوان، من أهل الذوق والضبط والإنقان، أن الشيخ أبا العباس البمني زار مرة سيدي أبا يعزى بتاغيا، فلما جاء لبسلم على سيدي أحمد بن عبد الله في الزاوية بالمخفة فجلسا معا بها، قال وجلست بإزائهما قريباً منهما، فشهدت الشيخ البمني وقد كُسى من الحسن ما بجل عن الصفة وبقصر عن التعبير عنه كل لسان، وحلي من الجمال ما يذهل العقول، ولا يخبر عنه مقول، وألبس من البهاء النوراني، والسر الرباني، ما يبهز العقول والألباب، يفنن به من كذلك رآه، ويملك حبه وهواه، فقال فذهب عقلي وكذبت أغيب عن نفسي، وأخرج عن دائرة حسي. فقال فشاهدت فيه ما كنت أشاهد في سيدي أحمد بن عبد الله، فجعلت أقول وأنا على تلك الحالة سرّاً: لا، لا، لا، ابن عبد الله، يعني سيدي أحمد، أي لا أريد ذلك ولا أحبه ولا أقبله ولا أريد إلا ابن عبد الله ولا أريد سواه، ومازلت أكرر ذلك المرة بعد المرة وبفتت كذلك مدة وهما جالسان يتحدثان حتى اعتدل الحال وذهب ذلك عني وشاهدت في سيدي أحمد بن عبد الله ما كنت أشاهده فيه قبل. قال فحمدت الله كثيراً الذي أنقذني من ذلك وصرف عني تلك المهالك، وتذكرت حسن قول سيدي أحمد ابن عبد الله إن الشيخ قد يختبر بعض أصحابه فستجلى له في صفة شيخ آخر فينظر هل يميل معه ويتبعه ويرك صاحبه أم لا امتحاناً له، فسبحان الحافظ لعباده المومنين، وكان ذلك قبل سنة تسعين وألف حيث كان الشيخ البمني قاطناً بجامع الأبارين.

قلت: وهذا من شأن إدراك أرباب القلوب. قال أبو العباس المرسي: لو كشف عن نور الولي لعبده فمن أراد الله نفعه بولي أطلعه على نورانيته، وعلى ما منحه من سره وعنايته. جعلنا الله من أهل حرمتهم، ومن علينا بمعرفتهم. آمين (279)

(279) هذه الترجمة المطولة لأحمد المسمى مغلولة من المخطوطات. وقد اختصرت في صفحة ونصف في ط.

الطيب بن محمد الفاسي

ومنهم الإمام العلامة الدراكة المشارك المحصل المحقق المتمعن أبو عبد الله محمد الطيب بن سيدي محمد بن سدي عبد القادر الفاسي (280). تقدمت ترجمة جده، وتأتي إن شاء الله ترجمة والده، كان صاحب الترجمة من أهل الحفظ والتحقيق والإتقان، له الباع في الفقه والحديث والأصول والبيان والتصوف والتاريخ، وله إقدام في حل المشكلات والمعضلات، والجد في التدريس والحرص على بيان الحق. ووجهه أمر المومنين المنصور بالله مولانا إسماعيل بن الشريف الحسنى مع ولده لبث الكتاب وأحد الحلفاء بعد والده أمير المومنين مولانا عبد المالك بن مولانا إسماعيل المذكور، وجهه صحبه ولده المذكور للمهادنة مع الترك في حدود عام ثلاثة ومائة وألف إلى الجزائر بعد وقعة المزارع، ووجه أيضا مع مولاي عبد المالك المذكور الفقيه المشارك المؤرخ أبا عبد الله محمد بن عبد الوهاب الوزير الغساني الأندلسي وغبرهما من وجوه الدولة، فرحل مولاي عبد المالك بن مولاي إسماعيل من فاس بريد الجزائر، فبلغ خبره لوالي الجزائر فخرج في عسكره إلى حدود البلاد وسفك الدماء وأكثر من القتل، فوصل الخبر إلى مولاي عبد المالك فرجع لأنه لم بأمره والده بالقتال فيعاقبه والده على ذلك حيث لم بأمره به، فرجع إلى والده. وكان وصل الخبر إلى فاس أنهم قتلوا في القتال مع صاحب الجزائر، وصادف الخبر يوم عاشورا، فبقى الإنفاق بفاس كله ملفى لم يبع لكثرة ما اعتري الناس من الوجد والغبار عليهم. ثم من الغد ورد الخبر بسلامتهم وأنهم وصلوا تازة، ففرح الناس بذلك وأعادوا الإنفاق إلى الحوانيت كبوم عاشورا، ونفذ الإنفاق وحمد الله الناس على سلامتهم.

(وزعموا أن صاحب الترجمة لما رأى عوارض المحن في وفنه زار مولاي إدريس دفن زرهون وتوسل لله تعالى أن يبيضه، وكان بريد الذهاب لزيارة مولانا عبد السلام بن مستبين في ذلك، فأخذه وجع منعه من المرور إليه، فرجع من مولانا إدريس فاستجاب الله دعاه فوصلوه لفاس مريضا ومات. ومثل هذا وقع لجماعة، منهم أبو عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري فإنه لما عرضت له الفتن التي لا يسلم معها دينه قال: اللهم افضني إليك ضاق على الأرض بما رحب، ففض - رحمه الله - وبعده طلب أبو العباس ابن الحاج مثل ذلك من صالح باب الجيسة (281).

(280) هنا في هامش ك و س طرة: «بولى صاحب الترجمة الكتابة عند مولاي عبد المالك بن مولاي إسماعيل فعظم أهل سبه بذلك».

(281) ماسن معوفتين ساقط من ط

أخذ صاحب الترجمة عن جماعة من الأعلام، منهم جده سيدي عبد القادر، وولده سيدي محمد (وعمه الحافظ أبو زيد سبدي عبد الرحمان، وأبو العباس ابن الحاج) (282) وأبو سالم العياشي وأجازه، وأجاز له أيضا الشيخ الخرشبي. وله من النأليف شرح على مقدمة جده في الأصول، وجمع فهرسة والده في مروبات سبدا الوالد، وهو مفيد في بابيه. وشرع في تاريخ المائة الحادية وسماه مطمح النظر وبلغ فيه إلى السنة الثالثة عشرة (فختم ترجمه جده سيدي يوسف ولم تتفق له زيادة عن ذلك حسبيما رأبته بخطه فلم يكمله) (283) وله تقييد عديدة وأجوبة. وأخذ عنه خلائق وتخرج به أئمة.

ولد - رضي الله عنه - سنة أربع وستين أو ثمان وستين وألف.

وتوفي ليلة الخميس تاسع عشر ربيع الثاني عام ثلاثة وعشر ومائة وألف ودفن بزاوية (جده للأمر العارف بالله سيدي عبد الرحمان بن محمد الفاسي الكائنة بحومة القلقلبيين من فاس القرويين وراء جده للأب سيدي عبد القادر الفاسي) (284).

محمد بن الحسن الأبار

ومنهم الفقيه العدل الأرضي أبو عبد الله محمد بن الحسن الأبار. كان فقيها له معرفة تامة بالفرائض، وله ملكة في علم الحساب، من المقصودين لذلك بفاس. أخذ عن عمه أبي العباس حمدون الأبار، وعن أبي عبد الله ميارة شارح العاصمية والمرشد، وعن سيدي عبد القادر الفاسي، وعن والده سبدي محمد. وكان له مجلس يدرس فيه، ونسرح فرائض خليل، وله براعة في التوثيق، وسهرة في الشهود المنتصبين بفاس لتلقي الشهادات.

قلت: وتحمل الشهادة كان حرفة كثير من أكابر الفقهاء قديما ولا يرتضى لها إلا من ترضي فطنته وديانته، فكان الاسم طبق المسمى. ثم حدث فبها في هذه الأزمنة من التهاون والإخلال بالواجب ما أدى إلى تعطيل شروطها، وصار يتخللها من كان لا يطمع في لمس مروطها. كما قبل:

(282) سافط أيضا من ط.

رياده في ط.

(283) زيادة في ط.

(284) هنا بهامش ك طره نصها.

أم سيدي الطيب بنت حالة الكاتب سدي أحمد بن العارف بالله سيدي عبد الرحمان بن محمد الفاسي. وأم والده سيدي محمد بن عبد القادر الفاسي بنت العارف بالله سيد عبد الرحمان المذكور. فمن تم ورتوا زاوية سيدي عبد الرحمان بالعلقلين. وبنت عبد الرحمان العارف بالله المذكور زوجة سيدي عبد القادر المذكور هي أم ولده الحافظ سيدي عبد الرحمان ناظم العلمات أيضا وكذلك نزوح ابنه سيدي أحمد بنت عمه سيدي محمد سعة سيدي الطيب المذكور ومات بحضاه عليها سيدي أحمد بن عبد الرحمان بن عبد القادر. انظر الفريضة التي باعوا بها دار الرومي التي يدرج واد الشرفاء من العلقلين، وهي الثالثة عن اليمين في الدرب المذكور، اشتراها ابن يحيى، وأخذ القادرون حفيهم في المرات ممن ذكر.

لقد هزلت حتّى بدا من هُزالها كُلاها وحتّى سامَها كلُّ مُفلسٍ
وقال آخر:

تلك المكارمُ لا قعبان من لبنٍ شيبا بماءٍ فعادا بعدُ أبوالاً

ولما زوج ولده الإمام سيدي أحمد بن يحيى الونشريسي مؤلف المعيار، وهو الإمام أبو مالك سيدي عبد الواحد، أطلق له القاضي المكناسي تحمل الشهادة وقال لأبيه هذه هدبتى للعرس، وهذه الخطة عندي عزيزة فمن طلبها مني كمن خطب عندي ابنتي. وما كان في شهود فاس في مثل هذه الأزمنة إلا الأكابر، كالإمام ابن غازي، وابن هارون، والزفاق، وأضرابهم ممن لا أحصيه، وكان الاعتناء بها قديما أشد من ذلك، فقد حكى في أول السفر الثاني من كتاب نفح الطيب أن أهل فرطية كانوا لا يقدمون أحداً للفتوى ولا لقبول الشهادة حتّى يطول وتُعقد له مجالس المذاكرة ويكون ذا مال في غالب الحال خوفاً من أن بميل به الفقر إلى الطمع فما في أيدي الناس فيبيع به حقوق الدين. ولقد أخبرت أن الحكم الرضي أراد تقديم شخص من الفقهاء مختص به للشهادة فأخذ في ذلك مع يحيى بن يحيى وعبد الملك بن حبيب وغيرهم من أعلام العلماء فقالوا له هو أهل ولكنه سديد الفقر، ومن يكون في هذه الحالة لا نأمنه على حقوق المسلمين، ولا سيما وأنت تريد انتصابه وظهوره في الدخول في المواريت والوصايا وأشباه ذلك، فسكت ولم ير منازعتهم وبقي مهموماً من كونهم لم يقبلوا قوله. فنظر إليه ولده عبد الرحمان الذي ولي الملك بعده وعلى وجهه أثر ذلك فقال له: مالك مامولانا؟ فقال: ألا ترى لهؤلاء الذين تقدمهم ونوه عند الناس مكانهم حتّى إذا كلفناهم ما ليس عليهم فيه شطط بل لا يعنيهم وليس هو ممأ برزأهم شيئاً صدونا عنه وغلقوا أبواب الشفاعة، وذكر له ما كان منهم. فقال له يا مولاي أنت أولى بالإنصاف، إن هؤلاء ما قدمتهم أنت ولا نوهت بهم، وإنما قدمهم ونوه بهم علمهم، أو كنت تأخذ جهالاً فتضعهم في مواضعهم؟ قال: فأنصفهم فيما نعبوا فيه من العلم لبنالوا لذة الدنيا وراحة الآخرة، قال صدقت. قال: وأما كونهم لم يقبلوا هذا الرجل لشدة فقره فالحل في ذلك ما يعي لك في الصالحات ذكرا. قال: وما هو؟ قال تعطيه من مالك قدر ما يلحق به من الغنى ما يؤهله لتلك المنزلة ويزيل عنك هذا خجل ردهم لك ويكون هذا مكرمة ماسبق إليها أحد، فتهلل وجه الحكم وقال: إلي وإلى والله شنتنه عبثمة وإن الذي قال فينا لصادق:

وأبناء أُملاك خضارمُ سادةٌ صغبرُهُم عند الأُتُام كُبُبر (285)

ثم استدعى عبد الملك بن حبيب وسأله عن قدر ما يؤهله لتلك المرتبة من الغنى فذكر له عدداً فأمر له به في الحين، ونوه بقدره بأن أعطاه من اصطبله مركوباً. وكانت هذه أكرامة لاختفاء بعضهم. بقي الزمان وما بنته مخلد. ثم إنه إذا كان له من الغنى ما يكفيه عن أموال الناس، ومن الدين ما يصده عن محارم الله، ومن العلم ما لا يجهل التصرف به في الشريعة، أباحوا له الفتوى والشهادة، وجعلوا علامة لذلك بين الناس القلائس والرداء. انتهى (286).

توفي - رحمه الله - سنة ثلاث عشرة و مائة وألف، ودفن عند رأس الولي الشهير سيدي أبي جيدة خارج باب المسافرين أحد أبواب مدينة فاس الأندلس.

أحمد ميارة المدعو حَدُّ

ومنهم الفقيه العدل الأَرْضِي أَبُو العباس المدعو (حدُّ) (287) ابن أبي عبد الله (بن الشيخ) (288) محمد ميارة شارح المرشد وغيره، وتقدمت ترجمته. (كان صاحب الترجمة من وجوه عدول فاس القرويين ممن لهم فيه شهرة. توفي سنة ثلاث عشرة ومائة وألف) (289).

حسن بن علي العجيمي

ومنهم الشيخ المشارك في العلوم الشرعية، المبرز في الأذواق الصوفية، أبو علي حسن بن علي بن بحبى بن عمر العجيمي (بالتصغير - المكي) (290) الحنفي.

قال في الرحلة العيانية: شاب نشأ في عبادة الله، وجبل علي محاسن الشيخ من صغره، وأعانته العناية الإلهية على اكتساب ما فاتته منها في كبره. صحب من أدرك من

(285) هنا بهامس ط طرة نصها: هذا السب من قصيدة على دير هتام بن عبد الملك بن مروان أولها

أنا منزلاً بالدير أصبح حالاً تَلَاعَبَ فَسَه شَمَّالٌ وَدَبُورُ

وبعد البيت المذكور:

إذا لَسُوا أَدْرَاعَهُمْ فَعَابِسُ وَإِنْ لَبَسُوا بِيَجَابِهِمْ فُبِدُورُ
على أنهم يومُ اللُغَاءِ خُزَاعِمُ وَأَنَّهُمْ يَوْمَ النُّوَالِ بَحُورُ

(286) هذه الفقرة الطويلة المكوبة بس معوفتين سافطة من المخطوطات، مستدركة من ط.

(287) سافطة من ك.

(288) سافطة من ط.

(289) زيادة من ك و س.

(290) زيادة في ط.

مسايق الحرمين وانتفع بصحبته، وخدمهم فنالَ المقام الأعلى بخدمتهم، وأجلُّ من انتفع بصحبته، وتشرف بخدمته، عارف وقته، وواحد عصره، غوت الزمان شبخنا صفى الدين القشاشى. صحبه مدة مديدة، وسمعه وتلقى واكتسب منه مراتب عديدة، ونرقت منزلته لديه، حتى صار يعد من جملة من ينتسب إليه، وانتفع به في علوم كثره، وأذواق غزيرة، بكثرة زيارته، وبمثثل إشارته، ويتردد إليه من مكة مراراً، ويقدمه على نفسه إعلاناً وإسراءً، ويلازم مجلسه بالمدينة شهوراً، إلى أن صار بين أصحابه علماً مشهوراً. أذن له - على ما أخبرني به - بالاشتغال بعلم الأسماء والجداول وأسرار الحروف والدعوات وخواص الأذكار وسائر العلوم التي لم يزل المشايخ يتواصون على إخفائها، ويحذرون الطلبة من الاشتغال بها، وقال له إن فيك أهلية لذلك، ومثلك من يرجى له خيرها ولا بخشى عليه ضررها، فكان له بركة يد طولى مع حسن الهدى والسمت، وكنت ربما أنكرت عليه الاشتغال في طلبها، وأحذره من استعمالها، إلى أن أخبرني بإذن الشيخ فقلت إنه ملحوظ بالناية فسلمت له. ومع سلوكه طريق القوم لم يخل من الاشتغال بالعلوم الظاهرة سيما علم رواية الحديث، فقد جدَّ فيه كل الجِدِّ، وبلغ فى الاعناء به غابة الحدِّ. فأخذ عن شيخه الصفى وأجازه بسائر مروياته عن سائر شيوخه، ولازم شيوخنا أبا مهدي عيسى الثعالى فسمع منه الكثير وروى عنه غالب مروياته. ولا يقدم أحد من علماء الآفاق على الحرمين إلا جدَّ في لفائه والأخذ عنه، ورزق في ذلك سعادة واقبالاً من المشايخ، ما رآه أحد إلا أحبه، ولا خالطه إلا ملأت مودته قلبه، فكثرت بذلك مروياته، واتسعت مسموعاته. وقد استجازني مراراً وسمع منى كثيراً وقيد من أساندي ما احتجاج إليه.

وقال في موضع آخر: ومِنَ مَنْ أَلَّهْ عَلَى بِمَخَالَطَتِهِ وَمَصَاحِبَتِهِ، وَأَسَدَى إِلَى مَنْ بَرَهُ وَإِحْسَانَهُ مَا عَجَزَتْ عَنْ مَكَافَاتِهِ، خَلِيلُنَا الْأَصْفَى، وَحَبِينَا الْأَوْفَى، أَبَسَطَ مِنْ لَقِيَّتِهِ مَنْ أَهْلَ مَكَّةَ كَفَا، وَأَبَّرَ مِنْ اتَّخَذَتْهُ إِفْلَا، الظريف الناسك العفيف، انظر تمامه (291). وله رسالة بعث إليه يثني عليه فيها مع رسالة استوعب فيها طرق الصوفية الموجودة في عصره نفلها في الرحلة نصها:

بسم الرحمان الرحيم. الحمد لله وحده، وصلى الله على من لانبى بعده، وعلى آله وصحبه أهل المحبة والمودة، من العبد الفقير الحقير الكسير حسن بن على العجيمي إلى شبخه وأستاذه وبركته وسيده وحبيبه وصفيه ووليه في الله الشيخ العلامة، والحبر الفهامة، القدوة المحقق، والعارف المتفنن المدقق، سيدنا ومولانا الشيخ أبى سالم عبد الله بن محمد، حفظه الله بما حفظ به عبادته إلى آخرها.

ونص ما نقل من رسالته في الطرق المتشتملة على أربعين طريقا، وهذه أسماء الطرق: محمدية، أويسية، فلندرية، صدنفة، ملامتية، كبروية، همدانية، ركنة، نورية، خلوتية، مولوية، جهرية، برهانة، أحمدية، سهروردية، خفيفة، شاذلية، وفائية، زروقية، بكريّة، جزولة، خواطرية، عبدوسية، مشارعية، حاتمية، قادرية، عرابية، مدينية، قشيرية، رفاعية، خرازية، جشتية، مدارية، شطارية، عشقية، نقشبندية، غوثية، حلاجية، جُنيدية، سهلبية.

أما المحمدية فمنسوبة إلى سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم ووجه اختصاصها بالانتساب إليه مع أن الكل راجعة إليه ومستمدة منه أن صاحبها بعد تصحيح بدايته وسلوكه على منهاج الاستقامة الميّن في الكتاب والسنة يشتغل بالصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم إلى أن تستولى محبته على قلبه ويخامر سره تعظمه بحيت يهتز عند سماع ذكره، ويغلب على قلبه مشاهدته ويصير تمثاله بين عيني بصيرته، يسبغ الله عليه نعمه ظاهرة وباطنة، ولا يجعل لمخلوق عليه منة إلا النبي صلى الله عليه وسلم فيراه بقطة ومناماً ويسأله عما يريد، وقد سلك على هذا القدم جماعة (من المشايخ قديما وحديثا ذكر صاحب الرسالة جماعة) منهم (292).

قلت: وقد لقيت بالقاهرة سنة أربع وستين بجامع الماردية الشيخ محمد الخلوتي، وهو رجل مُسن منقطع بالمسجد له أصحاب، فسألته عن طريقه ولمن ينتسب، فقال أما أنا فطريقي محمدية لا أنتسب لأحد، وذكر أنه محافظ على استحضر صورته (في باطنه، فأغناه ذلك عن التقليد بشيخ والاستمداد منه أو كلاما قريبا من هذا).

وأما الأويسية فهم المنتسبون إلى روحانية بعض الأنبياء أو المشايخ، كأخذ سبدنا أويس عن روحانية سيد المرسلين صلى الله عليه وسلم، وكأخذ أبي زيد عن روحانية (الإمام جعفر الصادق رضي الله عنه فصار كل من يأخذ عن روحانية) (293) المشايخ تسمى طريقته أويسية.

وأما القلندرية فمبني طريقهم على حصول طبعة القلب والتقليل من الدنيا وترك الأدّخار، ومن شأنهم أنهم لا يشتغلون بترك الملهذات من الأطعمة المباحة ولا بالزيادة على الفرائض إذا حصل لهم.

وأما الصّدّيقية فمنسوبة إلى أبي بكر الصديق، وقد ذكرها ابن عطاء الله في مفتاح

الفلاح.

(292) ساقط من ك وس

(293) ساقط من ك.

وأما المَلَامَتِيَّةُ فمبناها على الخروج عن رعونات النفس وتطهيرها من جنابة العجب والرباء وحب الجاه والرياسة وإسقاط المنزلة من فلوب الناس بأمور ينكرها العوام. والمنسوب إلى هذه الطريقة فِرَقٌ ذكر صاحب الترجمة جملةً منها، وأساندهم تنتهي إلى أبي زيد البسطامي.

وأما الكبروية (294) فمنسوبة إلى نجم الدين الكبرى، وهي مشهورة.

وأما الهمدانيَّة، وهي شعبة من التي قبلها، إلا أن أهلها يختارون الأسرار بالذكر إلا بعد فريضة الصبح فإنهم يفرؤون الأوراد الصباحية (295) بالجهر، وبعد العصر الأوراد العصرية، وهما لشيخ (هذه العصاية السبد على الهمداني وقد ذكر المَلَابِاسِي أن سيدي) (296) على الهمداني ساح الربع المعمور، وصحب ألفاً وأربعمائة ولي، أخذ من كل واحد ذكراً وجد ذلك الشيخ نموته، فجمعها، ثم لما زار النبي صلى الله عليه وسلم رآه وقد أعطاه شيئاً وقال له: خذ هذه الأوراد فراها فإذا هي (التي جمعها عن مسابخه، فجعلها ورداً في الصباح، وقف على بركتها كثيرٌ ممن لازمها. وقد أخذها صاحب الرسالة عن بعض ذريته.

وأما الرُكْنِيَّة، وهي شعبة من التي قبلها، إلا أن لأستاذها مولانا ركن الدين علاء الدولة السمناني في كيفية الذكر بالكلمة الطبية جلسةً معينةً وزيادة في الضروب.

وأما الثُورِيَّة، وهي شعبة من التي قبلها، إلا أن لشيخ خرقتها سجدنا نور الدين الإسفراييني كيفية أخرى.

وأما الخلوتية فمبنتى طريقهم على الذكر بالكلمة الطبية بكيفية مخصوصة، ثم يستغل بذكر الجلالة، ثم يذكر هذه الأسماء العشرة على الترتيب، وهي: هو، حق، حي، قهار، وهاب، فتاح، واحد، أحد، صمد، قيوم. وننتهي طريقتهم إلى الشيخ قطب الدين أحمد بن محمد الأبهري.

وأما المولوية فمبناها على دوام الاشتغال بالذكر والسلوك بالمحبة. ومن شأنهم الذكر الحفيّ مع حبس النفس والدوران. ومن أكبر المشايخ الذين تنتهي إليهم هذه الطريقة ومنتسب إليه أكثرهم مولانا جلال الدين الرومي.

وأما الجهرية فمبناها على الجهر بالذكر في جميع الأوقات إلا في الخلوة. ولهم أوراد معلومة، وتنتهي إلى الخوجة أحمد اليوسوي، وهو من سيدنا الخضر - عليه السلام -.

(294) في س: الكروية...

(295) في ك: الأذوار المتحبه

(296) ساقط من ك.

وأما البرهانية فتتنسب إلى سيدي برهان الدين إبراهيم الدسوقي، ومن شأنهم الذكر بالجهر والاشتهار بذكر دائم بباء النداء، ولبس الزي هو الأخضر.

وأما الأحمدية فتنتهي لسيدي أحمد بن علي بن إبراهيم الشهير بالبدوي، مبنها على الاشتغال بنبلاوة القرآن وبالذكر على كيفية مخصوصة. ومن شأنهم حمل العكاز عملا بالسنة وتذكيراً بسفر الآخرة، ولبس الزي وهو الأحمر.

وأما السُّهْرَوْرْدِيَّةُ فمعروفة.

وأما الخفيفية فمنسوبة إلى أبي عبد الله بن خفيف الشيرازي، وطريقه الغيبة والحضور.

وأما الخواطرية فمبنها على الذكر بكلمتي التوحيد على كيفية مخصوصة لطرد الخواطر من القلب حتى لا يبقى إلا الله فيه. ومن شأنهم الاشتغال بالرياضة الشاقة والتجريد وقراءة الأوراد المذكورة في كتب الشيخ علوان الحموي، وابن عراق. وأشهر مشايخ هذه السلسلة شيخها الشيخ سيدي علي بن ميمون الإدريسي الفاسي.

وأما العيدروسية فمبنها على الاشتغال بالذكر المفرد بالجهر. ومن شأنهم دخول الخلوة بالجوع وضبط الحواس وحفظ الأنفاس بالذكر على الدوام، ونسبتهم إلى سيدي عبد الله بن أبي بكر العيدروس.

وأما المشارعية فمبنها على ذكر الجهر. ومن شأنهم السماع بشروطه، ومطالعة الكتب أي كتب القوم وقراءتها، ولبس الزنبيل للدروزة، وهو الوقوف على الناس للسؤال، ونسبتهم إلى الشيخ أحمد بن موسى المشرع اليمني.

وأما الحاتمية فمنسوبة للشيخ محيي الدين بن عربي وهي معلومة.

وأما القادرية فالقبط شيخنا أبي محمد عبد القادر بن موسى الحسني الجيلي، رضى الله عنه وهي معروفة.

وأما العَرَابِيَّةُ فنسبة من القادرية منسوبة إلى الأستاذ عمر العرابي.

و أما المَدِينِيَّةُ فمنسوبة إلى الغوث أبي مدين، وهي شعبة من القادرية.

وأما الرفاعية فنسبة إلى سيدي أحمد الرفاعي، وهي شعبة من القادرية.

وأما القُنْشِيرِيَّةُ فالقبط الأستاذ أبي القاسم القشيري.

وأما الخرازية فالقبط أبي سعد أحمد بن عيسى الخراز.

وأما الجشتة فإلى قطب الدين مودود بن يوسف بن محمد بن سمعان الجشتي.
و أما المداربة فإلى الشيخ بديع الدين الشاه مداري.
وأما الشطارية فمبنية على عمارة القلب بالتوحيد، ويشغلون المريد بالذكر الجهري،
وقد يستعملون إن كان قوي الاستعداد في الدعوة لمشاهدة عجائب آيات الله في ملكه
وملكوته (297) وتنسب إلى الشيخ عبد الله الشطاري.
وأما العسقية فطائفة من الشطارية، مبناهم على طريق الفناء المطلق، وتنسب إلى
الشيخ أبي يزيد العشقي.
وأما النقشبندية فمنسوبة إلى الخوجة بهاء الدين النقشبندي.
و أما الغوثية فهم خلاصة السادات الشطارية، ينسبون إلى إمام العارفين سيدنا بهاء
الدين محمد بن خطير الدين غوث الله صاحب كتاب الجواهر الخمس.
وأما الحلاجية فإلى الحسين بن منصور الحلاج.
و أما الجنيدية فمعروفة.
و أما السهلة فإلى سهل بن عبد الله التستوري - رضي الله عن جميعهم - .
وقد استوفى في الرسالة الأسانيد إلى أرباب الطوائف المذكورة وذكر في الرحلة أن
صاحب الترجمة كتب له رسالة أخرى في الأوقاف وأخرى في خط الرمل.
توفي صاحب الترجمة في شوال عام الترجمة (298).
أحمد الشفشاوني
ومنهم الشريف الفقيه العدل سيدي أحمد الشفشاوني من أهل فاس توفي (في سادس
عسر ذي القعدة) سنة ثلاث عشرة ومائة وألف (299) .
محمد بن حمدون اللبار
ومنهم الفقيه فرضي فاس سيدي محمد بن حمدون اللبار، توفي في رجب (300).
حوادث السنة
قتل عبد الخالق الروسي
ومن حوادث هذه السنة أن في سادس المحرم قُتل البطل الرئيس الفائت عبد الخالق بن

(297) هنا في هامش ك طرة: «أي يستدعي الجن بالعزائم، وإليهم ينسب من يلعبها في الأسواق».
(298) كل ما في هذه الترجمة من نقول حرفية أو مختصرة عن الرحلة العياشية ساقط في ط. بحث لا تحاوز ترجمة
العجيمي فيها نصف صفحة
(299) لم يذكر أحمد الشفشاوني في ط إلا عرضاً خلال حوادث السنة.
(300) لم يرد ذكر اللبار في.

الوزير الرئيس عبد الله الروسي بمكناسة بأمر مولانا حفيد ابن أمير المؤمنين مولانا إسماعيل، وكان استخلفه والده بفاس الجديد فنشأت الوحشة بينهما بسبب ذلك (301).

أخذ بستيون بادس من يد النصاري

وفي أوائل رمضان العام أخذ القائد علي بن عبد الله بستيون بادس من يد النصاري - دمرهم الله (302).

قيام مولاي محمد علي والده المولى اسماعيل بسوس

وفي يوم المولد ثاني عشر ربيع الأول قام مولاي محمد بن أمير المؤمنين علي والده ودعا لنفسه فباعه أهل سوس الأقصى و الأوسط إلى وادي أم الربيع، وعظمت شوكرته في تلك البلاد (303).

علي جسوس أمير الركب

وعزل الشيخ الحسين، وولي الحاج علي جسوس وخرج أميراً للركب. وهذا أول إمارته في قصة يطول إيرادها (304)

*** ————— *** ————— **تذكرة المحسنين** ————— *** ————— ***

أحمد بن محمد اليمني

الشيخ الفقيه العالم العامل، العارف المحقق الواصل الكامل، أبو العباس سيدي أحمد بن محمد بن إدريس اليمني، في ليلة مهل رجب، ودفن - رضي الله عنه - بالقبب خارج باب الفتوح. وهو رضي الله عنه من قرية يقال لها مهلوكو بفتحات وشد اللام أربجي وسنر. وأربجي مويثة الصحراء بين صعيد مصر وأرض الحبشة بينهما وبين سنر نحو خمسة أيام. وسنر أيضا مدينة بالصحراء المذكورة وكلتاها على النيل. وكان خروجه - رضي الله عنه - من بلاده سنة خمس وسبعين وألف، ودخله لفاس في الثامن والعشرين من جمادى الأخيرة سنة تسع وسبعين وألف، وكانت مدة إقامته بها أربعاً وثلاثين سنة وخرج من فاس لزيارة شيخه سيدي عبد الله البرنوي ببلاد السودان عند طلوع قمر ليلة الاثنين ثامن شعبان عام اثنين وتسعين، ثم رجع لفاس أواسط ربيع عام أربعة وتسعين. انتهى من خط ابن عمنا العلامة سيدي عبد الواحد بن محمد.

محمد الطيب الفاسي

وفي هذه السنة توفي العلامة المحقق الأوحى سيدي محمد الطيب بن شيخ الإسلام سيدي محمد بن عبد القادر الفاسي، ودُفن بظهر جده بالزاوية.

(301) أثبتنا في قضية قتل الروسي عبارة ك و س لأنها أوفى. وهي مختصرة في كل من ط والحوليات .

(302) انفردت الحوليات بذكر هذا الحادث.

(303) انفردت ك وس بإيراد حادث ثورة مولاي محمد .

(304) انفردتا كذلك بذكر هذا الحادث.

العام الرابع من العشرة الثانية من هذه المائة

عثمان السوداني

فمنهم الفقيه أبو سعيد عثمان السوداني قرأ على سبدي عبد القادر الفاسي.

سعيد أخصّال

ومنهم الشيخ المرباط أبو عثمان سعيد أخصّال - بهمزة أوله فحاء مهملة فنون ساكنة - صاحب الزاوية بأبت عطا. بنسب في الطريقة في الأخذ للشيخ أبي الحسن على بن عبد الرحمان الدراوي دفين تادلا. تقدمت ترجمته في سنة إحدى وتسعين وألف.

حوادث السنة

استشفاع أهل فاس في شدة المغرم بالنعل النبوي

ومن حوادث هذا العام خروج أهل فاس بالنعل النبوي الذي تحت يد السرفاء الطاهريين المراكشيين الصقليين الحسنين القاظيين بمصمودة من عدوة فاس الأندلس، مستشفعين في شدة المغرم وغير ذلك، فقبل شفاعتهم وترك النعال عنده بداره، لأن النبي صلى الله عليه وسلم لم يورث، وما تركه نصدق به خليفته أبو بكر الصديق - رضي الله عنه - وزعم بعضهم أن النعال أهديت لبني عبد المومن من بني كومي ملوك الموحدبن. وكان حينئذ من السرفاء الطاهريين قاضي القضاة وقاضي الدولة، بعني الجيش والكتاب وغيرهم من خدام الدولة. فلما دخل أبو يوسف بن عبد الحق المريني مراكش وخرج منها من بقي بها من شيعة بني عبد المومن الموحدبن وغيرهم أخلصوا لهم النعال وقدموا بها على المغرب.

قتال عظيم بمراكش بين جيوش مولاي إسماعيل وابنه محمد

ووجه أمير المومنين مولاي إسماعيل جيوش الغرب مع ولده مولاي زيدان الأكبر، فنزل وادي أم الربيع، وزحف مولاي محمد بجيوش سوس إلى مراكش فتزلها، ووجه خلفه أخاه مولاي بناصر بن مولاي إسماعيل إلى حرب مولاي زيدان، فالتقى الجمعان وكانت بينهما حروب انهزم فيها مولاي بناصر وجيشه، ورجع إلى مراكش مهزوما، وقتل بينهما نحو ثمانية آلاف. ثم زحف مولاي زيدان إلى مراكش فالتقى الجيشان بمراكش وكانت بينهما (حروب) ففني فيها من مخلوقات الله ما لا يعلم عددها إلا الله تعالى. ثم تَكَثَّرَتْ على مولاي محمد جيوش الغرب مما لا طاقة له بهم، فانهزم عن مراكش ودخلها مولاي زيدان

واستباحها ونهبت عن آخرها، ووثبوا على النساء بالوطء واستباحوا الفروج، ولم يردّوا السيف إلا عن النساء والصبيان والبهائم، في خبر لم يسمع بالمغرب مثله، مثلما فعل الموحدون بوهراة وغيرها، أو قواد الشيعة بالمغرب. ولما وصل الخبر إلى مولاي إسماعيل تغيّر على الجيوش لفعلهم ذلك غاية الغيار، ولا حول ولا قوة إلا بالله .

خروج محمد اعليش من فاس بعد رفض الفقهاء مسألة الحراطين

وفي يوم الاثنين رابع عشر جمادى الثاني من عام أربعة عشر ومائة وألف خرج السيد محمد اعليش من فاس ولم يكتب له أحد من الفقهاء ما أراد على شأن الحراطين (305).

(305) انفردت ك و س بذكر الحوادث السابقة لهذه السنة. وليس منها في ط والحواليات سوى أربع كلمات: « كانت وقعة مراکش العظيمة » وأضاف الحواريات خبر اعليش التالي.

العام الخامس من العشرة الثانية من المائة الثانية

محمد بن عبد الرحمان الصيني التازي

فمنهم الشيخ محمد بن عبد الرحمان الصيني التازي. وصفه شيخنا سيدي محمد بن عبد السلام بناني في مشيخته بسر الزمان، وآية العرفان، العالم العلامة، الحبر الفهامة، المحدث الصوفي المفسر الفقيه الجليل، ثم قال: لقبته بمنزله من تازة وقرأت عليه أوائل الكتب الستة وصدرًا من الشمائل والشفاء ومختصر ابن الحاجب وخليل، وأجازني في جميع ما له من مروي ومسموع، ومفرق ومجموع، بحق روايته لجميع ذلك عن شيوخه مشايخ الإسلام أبي عثمان سعيد قدورة الجزائري، عن شيوخه المشاركة كالبابلي، وإبراهيم اللقاني، وعيسى الثعالبي وغيرهم، وعن الشيخ سيدي محمد المقرئ من شيوخ الجزائر، ويقاس عن سيدي عبد القادر الفاسي، وسيدي حمدون المزوار، وسيدي محمد بن أحمد الفاسي وغيرهم، وكتب لي الإجازة بخطه.

وتوفي - رحمه الله - سنة خمس عشرة ومائة وألف (ودفن بتازة نفعا الله به آمين) (306).

أحمد المدعو الحاج الشعير

ومنهم الولي الصالح سيدي أبو العباس أحمد المدعو الحاج الشعير، له مزارعة ومعه مقبرة ملتصقة بزاوية العارف بالله سيدي عبد الرحمان بن محمد الفاسي الكائنة بحومة القلقليين من فاس القرويين (من جهة قبلتها) (307) شهد له الشيوخ بالخصوصية ووصفوه بالرسوخ والتمكين. كانت تعثره الأحوال قبل بلوغه، وعند بلوغه نزل به حال عظيم، وربما سجن وسلسل ثم سكن حاله وسافر للحج ورجع فكان يلزم سماع بعض الكتب التي تقرأ بكراسي القرويين، وفي بعض المقيدات أنه أخذ عن سيدي أحمد بن يوسف الشريف العلمي اليونسي، عن سيدي علي بن أحمد دفين صرصر (من مصمودة الغرب) (308). ولد صاحب الترجمة سنة خمس وثلاثين وألف. وتوفي في ذي الحجة سنة خمس عشرة ومائة وألف. وفي نظم سيدي أبي عبد الله المدرع قال:

و السيد الحاج الشعيرُ الأمدُ الزاهدُ الأورعُ والمسجُورُ

والحاج بالتخفيف لضرورة الوزن، إذ لا يلتقي ساكنان في الشعر.

(306) زيادة في ك و س.

(307) ساقط من ط. وفيها: زاوية سيدي عبد القادر الفاسي.

(308) ساقط من ط.

يوسف بن محمد بن أبي عسيرة الفاسي

ومنهم الفقيه العالم المشارك (أبو الحجاج) يوسف بن سيدي محمد بن أبي عسيرة بن علي بن أبي المحاسن يوسف الفاسي. تقدمت تراجم آبائه. كان صاحب الترجمة محبا في طلب العلم (ورحل إليه. قال في الابتهاج: وأما أبو الحجاج يوسف فقرأ ما قدر الله له ووجد في طلب العلم الرحلة بعد الرحلة) (309) مولده في جمادى الأولى سنة ثمان وثلاثين وألف (310) ورأيت له شرحا على أرجوزة السيوطي المسماة بالثبثيت في ليلة المبيت ضمنه فوائد غزيرة من علوم، وأكثر من الفوائد التاريخية فبه، ورأيت له تقايد كثيرة تدل على اعتناؤه. أدرك والده بنحو العشر سنين، وقرأ في رحتله لفاس على عمه سيدي عبد القادر الفاسي، والقاضي أبي عبد الله بن سودة، و أبي عبد الله مباركة الشارح، وأبي العباس الزموري الأصغر، وابن عمه سيدي محمد بن أحمد، وعبد السلام بن ناصر الجابري، وأبي العباس المزوار، وأحمد بن جلال. ثم استوطن تطاون وتزوج بها وأقام بها مدة، ثم استوطن القصر وكان إماما مدرسا بزاوية جده إلى أن توفي عام خمسة عشر ومائة وألف، وبها دفن (311).

محمد العربي بن محمد العافية

ومنهم الصالح الفقيه المتعبد أبو عبد الله محمد العربي بن محمد العافية، به عرف الأندلسي. كان مؤدبا للصبيان وانتفع به خلق كثير ولم تحفظ له صبوة قط. وكان من أصحاب العارف بالله سيدي محمد بن عبد الله معن الأندلسي، وصحب بعده سيدي عبد القادر الفاسي وكان يثني عليه. ولد سنة ثمان عشرة وألف، وتوفي سنة خمس عشرة ومائة وألف، فعمره سبعة - بموحدة - وتسعون - بتقديم مئاة - سنة.

محمد بن أحمد الزجني

ومنهم القاضي أبو عبد الله محمد بن أحمد الزجني. سمع من سيدي عبد القادر الفاسي وطبقته، وولي قضاء بلدته مصمودة الغرب، ثم ولي قضاء تطاون، وتوفي سنة خمس عشرة ومائة وألف (312).

(309) ساقط من ط.

(310) كذا في ط وهو الصحيح. وصُحِفَ في المخطوطين فكتب: عام ثمان وثمانين

(311) عبارات النسخ في هذه الترجمة مختلفة متقاربة، أثبتنا أوقافها يتلحق دون أن نشير إلى التفاصيل.

(312) ترجمة الزجني ساقطة من ط

محمد بن محمد بيو^{٣١٣}

ومنهم الفقيه أبو عبد الله محمد بن محمد بيو^{٣١٤} - بيا فبا تحنية فواو ساكن - سمع من سدي عبد القادر الفاسي والطيفة. نوفي عام الترجمة (313).

محمد المدعو الحاج الخياط الرقي

ومنهم الشيخ الفقيه السالك الصوفي الولي الصالح أبو عبد الله محمد المدعو الحاج الخياط الرقي، دفين الشرشور من عدوة فاس القرويين، مزاره قرب دار سادتنا الشرفاء أهل وزان. نسبة إلى الرقة موضع كان به قرنة عظيمة وخرت من بلاد لمطة على نحو نصف مرحلة من فاس، وبها ضريح الإمام الرقي صاحب الفقهية المشهورة (314) ومنها قدم سلفه لفاس واستوطنوا حومة الشرشور من فاس القرويين. أخذ الطريقة وعلم الحقيقة عن الشيخ الإمام الصوفي مولاي عبد الله بن إبراهيم الشريف اليملحي الحسني العلمي دفبن وزان من بلاد مسمودة الغرب، ثم بعد وفاته عن ولده الإمام سدي محمد بن عبد الله. وفي أيامه اتخذ الزاوية الكائنة بالشرشور المدفون بها المجاورة لدار الشرفاء أولاد مولاي التهامي بن محمد المذكور. ولصاحب الترجمة أتباع كثيرون لا يحصون، ويحكمون له كرامات وخوارق للعادة وتصريفات، وإخبار بمغيبات يصدق فيها، ويحدثون عنه بعجائب، وأكثر عامة فاس وغبرها مطبقون على تعظيمه ووصفه بالخصوصية العظيمة ونقديمه، والإذن له من شيخه مشهور، وصلاحه ولايته مستفيض مذكور (315).

حوادث السنة

تجديد قنطرة الرصيف

ومن حوادث العام تجديد قنطرة الرصيف التي بين العدوتين عند الداخل لحومه اكزى ابن برقوقة بأمر الرئيس القائد عبد الله الروسي.

رفض أحمد الجرندي القضاء بفاس

وعُزل القاضي محمد العربي بُردلة عن قضاء مدينه فاس، وولّى مكانه أحمد الجرندي. فلم يقبل، فاستعفى (مولاي اسماعيل) فأعفاه، وقيل إنه جعل يفعل بنفسه فعل

(313) ترجمة بيو سافطة من ط.

(314) في ط. صاحب نظم مقدمات ابن رسد

(315) أتبتنا في ترجمة الرقي نص المخطوطتين ك و س لأنه أوفى، وكذلك فعلنا في الحوادث بعدها،

مَنْ لا عقل له فراراً من تقلد حقوق المسلمين واخنياراً للسلامة بنفسه، فنركه السلطان ورد
بردلة للفضاء والخطبة والإمامة كما كان عليه.

حدوث غرائب من نبات وطيور

وفى هذه السنة قامت شجرة زيتون وهي قاعدة عظيمة كان قد قلعها الريح بجذورها
منذ شهر وبليت، ثم تحركت واضطربت وقامت قائمة ورجعت لمنبتها الأصلى ولقحت من
أسفلها. وبعد أيام فعلت شجرة خرنوب مثلها، وذلك كله ببني يازغة. وفيه أيضا وقع قتال
عظيم بمراكش بين الغراب و بُرْأَج وهو أبو شقشاق، والله على كل شيء قدير (316).

(316) انعدت الحوليات بهذه الحوادث الغربيه.

العام السادس من العشرة الثانية

مُحمَّد بن عبد القادر الفاسي

فمنهم الإمام الكبير، العالم العلامة الشهير، إمام المحققين، ورئيس المحدثين، الفقيه المشارك المتفنن، الداركة المحقق المتفنن، أبو عبد الله سيدي مُحمَّد بن سيدي عبد القادر بن علي بن أبي المحاسن الفاسي. تقدمت تراجمهم، كان صاحب الترجمة ممن بهر العقول، في المعقول والمنقول، أحد أعلام علماء فاس وفقهائها، وبدرها الطالع في أفق سمائها، زاهدا ورعا متسنن الدين، قويا في ذات الله قدوة للمهتدين. أحرز قصب السبق في علوم كالتحقيق والبيان والمنطق والحديث والسير والنصوف والأصول والفقه ومهر في جمعها، وكان ممن إله المرجع في الحوادث الوقتية، والنوازل الدينية والدنيوية، ومدار كل المهمات عليه، والمرجع في جميعها إله.

أخذ - رضي الله عنه - عن جماعة من المشايخ، كوالده، وعمه محمد بن أحمد الفاسي، وأحمد بن محمد الزموري الأصغر وأبي العباس الأبار (وأبي الحسن علي الزرهوني) ومحمد بن عبد الرحمان بن جلال متسافهة، وبالإجازة عن (عم والده) سيدي العربي الفاسي من أهل المغرب، ومن أهل المشرق بالإجازة أيضا عن نور الدين أبي الحسن الشبرايملي المصري، وإبراهيم بن محمد الميموني، وعبد السلام بن الشيخ إبراهيم اللقاني، ومحمد بن علاء الدين البابلي المصري، وخطيب المسجد الحرام زين العابدين الطبري الحسني، وأبي عبد الله الخراسي سارح خليل، وإبراهيم بن عبد الرحمان الخياري المصري، وباسن بن محمد بن عريس الدين الشافعي المدني الأنصاري، وإبراهيم بن حسن السهرزوري، وأبي مهدي عيسى بن محمد الثعالبي الجعفري الجزائري ثم المكِّي، ومفتي غزة وقاضيهَا عمر بن عبد القادر المشرفي، ويوسف بن حجاز الجنيد الخليلي، وعبد القادر الغمصري - بضم الغين المعجمة - الغزي، وعشور الفسمطيني، حسبما تضمنته فهرسته التي فيها ولده سيدي الطيب، (وتقدمت تراجمهم إلا النزر).

وأخذ عن صاحب الترجمة وانتفع به خلائق، منهم جدنا عبد السلام، وشقيقه محمد العربي، وأبو عبد الله المسناوي وجميع من كانت له الشهرة بالعلم بفاس فما علمنا.

وألف صاحب الترجمة كتباً، منها شرح شواهد أوضح ابن هشام، وشرح نظم نخبة ابن حجر في اصطلاح الحديث لعلم أبيه محمد العربي، وشرح كتاب الحصن الحصين لابن الجزري في الحديث، وهو مما بدل على طول باعه واتساع عارضته وقد اشتمل على مجلد كبير. والمباحث الانشائية في الجملة الخبرية والانشائية؛ وله رسالة في الرد على إبراهيم

الشهرزوري في مسألة خلق الأفعال أجاد فسها وبين الحق في المسألة في الرد عليه وتقدم الإلمام ببعض ذلك في ترجمة الشهرزوري؛ وتنظم في التوسل بالصحابة؛ وشرح على الطالع المشرق في المنطق لعلم أبيه محمد العربي ولم يكمل، وله تقبيل على نظم مختصر خليل من أوله إلى الذكاة، وجمع حاشية عم جده سيدي عبد الرحمان بن محمد الفاسي على مختصر خليل. وكان عالي الهمة كثر الورع والصبر على مشاق الزمان ومصائب الوقت ولزوم العبادة والاتصاف بجمل الأوصاف، والتحري ما أمكن مما لا يعني والرضى والنسليم، ولازم داره نحو سبع سنين فسلم بذلك من كثير الفتن، وظن الناس أنه مقعد، ثم فهم الناس حاله، ولم يخرج من داره حتى مات ولده سيدي محمد الطب، فخرج إلى الزاوية وصلى عليه ومكت يخرج إلى الصلاة ويرجع إلى داره نحو ثلاث سنين.

ولد صاحب الترجمة في نصف ربيع الأول عام اثنين وأربعين وألف، ونوفي في ثامن وعشرين من رجب سنة ست عشرة ومائة وألف. ودفن عن يسار المحراب بزاوية عم جده سدي عبد الرحمان بن محمد الفاسي الكائنة بالقلقلين من فاس القرويين.

الزاوية الفاسية بالقلقلين

وهذه الزاوية من أعظم مزارات فاس، وبها عدة مقابر للسادات الفاسيين رهط صاحب الترجمة وغيرهم من أصحابهم وخدامهم وغيرهم. ويحترم بها أهل الجنابات ومن طلب بالتكاليف المخزنة. وكان السلطان مولاي إسماعيل يجير من استجار بها، ولا يقدر أحد من عماله أن تتجاسر على أحد ممن لجأ إليها ولو جنى ما جنى. ولما اختطها سبدي عبد الرحمان ابن محمد الفاسي كانت أصغر مما هي عليه اليوم نحو ربعها اليوم، ثم هدمها السلطان مولاي إسماعيل بعد حصار أهل فاس وزاد فيها طولا مما عليه من إتقان البناء وقوة المياه عين وواد، والمنافع والمرافق والأوقاف، ووقع فسها بث العلم ونشره وتدرسه وانتفع فيها جم غفير. وبها منار يؤذنون به المؤذنون لسائر الأوقات الخمس النبي تصلى بها، ويتكرر ذلك منهم آخر الليل. وفيها الأوقاف على فراءة أحزاب القرآن وإقامة أحزاب الأوراد كما أقامهم بها سيدي عبد الرحمان بن محمد الفاسي. ولهم حق على جميع من يتعاطى العلم بفاس وكشر من غيرها من المدن المغرب ومدارسه وقراه لأنك تجد أكثرهم سمع من بعضهم أو بوسائط بينهم، فحقهم لا يجهل، وقدرهم لا يغفل. نفع الله بهم آمين.

(ولما مات راسل الشيخ اليوسي أولاده بعزبهم بكتاب وانشد لهم فيه:

مصاب لو أن الأرض مس أديمها لما أنبعت نهراً ولا أنبتت زهرا
ولو أن آفاق السماء أصابها لما أطلعت شمساً ولا أنزلت قطرا
وبحق ذلك لأن موت العالم ثلثة لا تجبر إذ فيه رفع العلم الذي به حياة الدبن
(317).

(ورثي صاحب الترجمة ولده أبو العباس أحمد بهذه الأبيات:

يقولون مات الحبرُ وهو كواحدٍ	لعمركُ ذا قول لمن كان أخرقا
وهيهات ما حبرُ يموت كواحد	ولكنه جمعُ لقوم نفرُقا
وما كان إلا ملجأ لذوى النُهَى	وحصناً لدين الله لم يكن بُرتقى
مطعاً لأمر الله كان، ومن يكن	مطيعاً لأمر الله يُخشى ويُتقى
إماماً هماماً زاهداً متواضعاً	جواداً حليّ الحليم والعلم والتقى
حقّ لعيني أن تُسحّ لففده	دموعاً تعم الأرض غرباً ومنسرقا
ولم لا وقد عمّ البلادُ مصابهُ	وأصبح طرف الدين للكرب مطرفا
وقد شمل الاسلامُ يومَ فراقه	أسى فيد الأشجان والدمع أطلقا
بقول لسان العلم أين نظيره	لحملي ومن يلقى لفهمي محقفا
فقل للذي لم يقدر الحبر قدره	وربي ما أبصرتُ مثلك أحمقا (318)

وفي الحديث (إن الله لا يقبض العلم انتزاعاً وإنما يقبضه بموت العلماء) الحديث.

محمد بن أحمد القسمطيني

ومنهم العالم العلامة، التحرير الحافظ الفهامة، فارس المعقول والمنقول، الآتي في دروسه بما يبهر العقول، أبو عبد الله سيدي محمد بن أحمد القسمطيني الشريف الحسيني. (رأيت بخطه في غير موضع إذا كتب يقول: محمد بن أحمد القسمطيني الحسيني، وكان مدعوا في بلاده بالكماد. قدم على فاس وتصدر للتدريس بها فأفاد وأجاد، وأخذ عنه الجم

(317) ما بين معقوتين زيادة في ط. وهو مشكل لأن الحسن اليوسى مات قبل محمد بن عبد العادر الفاسي بسحو ثلاث عشرة سنة. وقد يكون في الكلام سقط، والأصل مثلاً: « ولما مات والد المترجم راسل الشيخ اليوسى أولاده... »
والتاريخ بعضه، إذ كان اليوسى ممن أحازه الشيخ عبد القادر الفاسي.
(318) هذه المرتبة ساقطة من ط. وكذلك عدد من الفقرات السابقة لم ير فائدة في تتبع الإشارات إليها، واتبتنا الأوفى من النسخ التي بأيدينا.

الغفير من كل بلاد. كان - رضي الله عنه - آية في الحفظ والتحصيل، وجودة التفسير وحسن التفصيل، وكان حافظا مطلعاً، وبنفائس العلوم متضلعا. له الملكة في علم الكلام والمنطق والمطالعة والحفظ التام في علم الحديث والفقه مرجوعا إليه في مهماتها مقصودا في حل مشكلاتها، كبير الباع تام الاطلاع، وتعرف للرؤساء فعظم صسته عندهم، فأذعن له الكافة من علماء فاس.

قال في أثناء بعض إحازاته لبعض تلامذته: وقد أخذت صحيح البخاري رواه عن الشيخين الإمامين سيدي محمد المقرئ وأبي عبد الله سيدي محمد بن الإمام الشهير الذكر الطب النشر سيدي سعبد قدورة، ودراية لبعضه عن الثاني، وإجازة عن العلامة الشريف سيدي محمد بن محمد بن عبد المومن فاضي الجزائر، عن شخه شيخ مصر على الإطلاق أبي الحسن علي الشبراملسي، عن شيخ المحدثين في زمانه إبراهيم اللقاني عن سالم السنهوري بقراءته لجميعه عن العلامة رُحلة المحدثين نجم الدين الغيطي، عن شيخ الإسلام زكرياء الأنصاري. انتهى المراد منه، وله أجوبة حسنة في نوازل كثيرة دالة على مهارته واتساع ملكته. ولملازمته للتدريس بفاس لم يتفق له التصنيف، وإلا فهو أحق به ومدحه الأديب ابن زاكور (319).

محمد بن العربي العراقي

ومنهم الشريف المولاه المجذوب، المقرب المحبوب، أبو عبد الله مولاي محمد بن العربي العراقي الحسيني المعروف على السنة عامة فاس بمولاي الحاج العراقي، المشهور بالولاية عند عامة فاس وخاصتها. صحيح الإشارة حسن العبارة، ساقط الكلبي، دائم الجذب يخبر بمغيبات، بغتنم منه أهل الفطنة ذلك ويستفيده ويتبركون به. وكان قبل أن ينزل ما نزل به من أهل الثروة والمال، فسافر للحج فنزل به ما نزل أثناء سفره، فنزع ثيابه وعمامته ولبس المرقعات وأخذ يسأل الناس فبقول في سؤاله: متاع الله، يطوف على الحجاج يسألهم، ويذهب في الطريق راجلا، فأرجفت الناس من ذلك ثم علموا أنه وارد إلهي فأقبلوا على التبرك به والإعطاء له. ولما قدم لفاس جعل يطوف في الأسواق كذلك، فاشتهر بالولاية والخصوصية وظهرت له كرامات.

توفي ثالث شعبان عام ستة عشر ومائة وألف، ودفن في روضة سيدي أبي جيدة خارج باب المسافرين، (وبقى محل دفنه من الروضة المذكورة مقبرة لأقاربه إلى الآن، ولم يترك ذكرا. ووصفه الأديب الصوفي أبو عبد الله المدرع في منظومته في صالحه فاس بقوله:

(319) اتبتنا هنا أيضا الأوفى، وهو ما في المخطوطات مضافا إليه ما انفردت به ط.

بقريه قبر الحُسَيْنِي السني سيدنا محمد العراقي
الغائب المُولِه المُمَكِّن له كمال مدد السُّبَّاق (320)

أحمد بن محمد أدراقي

ومنهم الطبيب الماهر أبو العباس أحمد بن الطبيب أبي عبد الله محمد أدراقي، تقدمت ترجمة والده. كان صاحب الترجمة ماهراً في الطب عارفاً بأنواع العلاجات، من وجوه أهل زمانه، ومن أعيان أقرانه. توفي سنة ست عشرة ومائة وألف (321)

حوادث السنة

تداول قضاء فاس بين العربي بردلة والكبير ابن سودة

ومن حوادث العام عزل عن القضاء سيدي العربي بُردلة بأمر من السلطان مولاي اسماعيل، وولي مكانه سيدي الكبير بن سودة في ثامن وعشرين من المحرم، ثم شفع للسلطان فيه الرئيس عبد الله الروسي فعزل سيدي الكبير بن سودة في حادي وعشرين من ربيع الأول وأعيد للقضاء سيدي العربي بردلة.

وقوع نار بتامسنا

وقعت نار بتامسنا فأحرقت خلائق نحو ألفين فيما ذكر.

معاقة القبائل المجاورة لسوس بضرائب

وجعل على القبائل المجاورين لسوس الأقصى المضروب بكل قبيلة منهم لسكونهم على قيام مولاي محمد بن مولانا اسماعيل (322).

*** ———— *** ———— **تذكرة المحسنين** ———— *** ———— ***

محمد بن عبد القادر الفاسي

الشيخ الإمام، العلامة الهمام، أوجد زمانه دياناً ودراية، وعين أعيان أوانه علماً وعملاً واطلاعاً ورواية، المحدث الثقة المتقن الحافظ الضابط الحجة المشارك المتفطن العارف بالله سيدي محمد بن شيخ الإسلام سيدي عبد القادر الفاسي بداره المعروفة له بوادي الشرفا من حرم زاوية والده المذكور من عدوة فاس القرويين عند زوال يوم الخميس تامن وعشرين رجب من السنة والرابع عشر من العثمانيين الخ ما في السنة السادسة قبله.

(320) ليس في ترجمة العراقي سوى أربعة أسطر في ط، وأثبتنا ما في المخطوطات،

(321) لم ترد ترجمة أحمد أدراقي في ط.

(322) انفردت الحوليات بحادث معاقة القبائل المجاورة لسوس.

العام السابع من العشرة الثانية

أحمد بن المسناوي الدلائي

فمنهم الفقيه الأستاذ المجود أبو العباس أحمد بن المسناوي بن محمد بن أبي بكر الدلائي. تقدمت تراجمهم. كان صاحب الترجمة سيدا فاضلا وجيها حافظا للقراءات السبع منها. قرأ ببلاهم الدلاء، ولقى بها جماعة من العلماء، ثم استوطن فاسا وكان يقرئ بها. وستأتي إن شاء الله ترجمة والده شيخ الجماعة.

توفي سنة سبع عشرة ومائة وألف، ودفن بجنان أصحاب سيدنا أحمد بن عبد الله الذي اتخذته مقبرة لدفن موتاهم الذي به قبة سيدي أحمد اليماني خارج باب الفنوح، بسنه ويسن قبر والدي قبر أخي.

أبو عسرية بن أحمد الفاسي

ومنهم الفقيه اللبيب الأديب سيدي أبو عسرية بن الشيخ الصالح سيدي أحمد بن العلامة الحافظ سيدي أحمد بن سيدي يوسف الفاسي. تقدمت تراجمهم. كان صاحب الترجمة أدبيا له أزجال وموشحات وانظام. توفي في العام السابع عشر ومائة وألف، ودفن بزاويتهم بالقصر.

محمد امسى الخير

ومنهم الولي المجذوب الموله البهلول المتبرك به أبو عبد الله سيدي محمد الملقب امسى الخير لكثرة جريانها على لسانه، المدفون بالمقبرة المقابلة لمدرسة أمير المؤمنين مولانا الرشيد الكائنة بالشراطين من فاس القروين. وفهموا من إشارته بها أن أهل الخير ذهبوا وان الخير ذهب معهم، ولا بقى منهم إلا أهل المساء، كما إذا ذهب أهل النهار ولم بقى منهم إلا أهل المساء فإذا ذهب الضوء فلا يأتي بعده إلا الظلمة. ومن المحكى عنه أن (ولد السلطان الخليفة بفاس الجديد مولانا حفيد بن مولانا اسماعيل) (323) لقيه بالمرس بن المدينتين، فخله فرسه فاجفل به الفرس منه، فأمر الودادين بالقبض عليه فقبضوه وقال له: بأي شيء تعرف الله؟ فأجابه سيدي محمد صاحب الترجمة: أعرفه بأنه هو الذي بأمر بفتلك ولا يعطي فيك دية، فبعد ذلك اليوم قتل مولاي حفيد بفاس الجديد غدرا، لأنه أراد القبام على والده، فعلم به فوجه إليه من غدرة بكابوس ولم يطلع عليه أحد ومات (324).

(323) هذه عبارة لك وس. وهي ساقطة من ط، وفيها بدلا منها: أن بعض أهل الجاه والعلو لقيه.

(324) ترجمة امسى الخير في ط مختزلة في نحو خمسة سطور، والوفاء من المخطوطتين

حوادث السنة

سيل عظيم يجرف أربعة دواوير

ومن حوادث العام نزل سيل عظم حملت به الأنهار وذهب (بموضع يقال به تفرسس)
بأربع دواوير، بما اشتملت عليه من آدمي ودواب وماشية.

فقتل بمكة ذهب بستمائة نفر

ووقع قتال بمكة شرفها الله، فقتل أزيد من ستمائة وهم معلقون بأستار الكعبة.
نعوذ بالله من سماع مثل هذا.

قدوم أحمد بن ناصر لملاقة مولاي اسماعيل بمكناسة

وفي أوائل ذي القعدة من عام سبعة عشر ومائة وألف قدم الشيخ أبو العباس سيدي
أحمد بن الشيخ الإمام أبي عبد الله سيدي محمد بن ناصر الدرعي على مكناسة الزيتون
أمنها الله لملاقة السلطان مولانا اسماعيل رحم الله الجميع بمنه فتلاقى معه ورجع (325).

(325) انفردت الحوليات بخبر قدوم الشيخ أحمد بن ناصر.

العام الثامن من العشرة الثالثة

عبد الرحمان بن محمد السلاسي

فمنهم الإمام النحوى أبو زيد عبد الرحمان بن محمد بن عبد الرحمان (بن عمران) السلاسي، الأصل، الفاسي المولد. وليس هو من أولاد قاضي فاس المتقدم، إنما هو من أبناء عمه. وكان صاحب الترجمة يحسن النحو مداوما على تدريس ألفية ابن مالك، وبحفظ توضيح ابن هشام يقوم على جمع ذلك بحواشيه وشروحه، وأخذ عنه جماعة، وله مشاركة في علم البيان وغيره. ومحل تدريسه مدرسة الصهرج من عدوة فاس الأندلس وغيرها. قرأ على أبي العباس ابن الحاج، وعلى جدنا عبد السلام بن الطيب الفادري، وعلى أبي عبد الله القسمطيني، وعلى أبي عبد الله محمد بن عبد الفادر الفاسي، وأبي عبد الله محمد العربي ابن أحمد الفشتالي وغيرهم.

وله شرح على أبيات البطلسي في تصريف الفعل المحذوف الفاء واللام في صيغته الأمر وهي عجيبة جدا ومفيدة ونصها:

إذا أقولُ لمنْ تُرجى وقائِته	قِ المستجِرَ قِبَاهُ قُوهُ قِي قِبْنَا
وإن صرفتْ لوالٍ شغلَ آخرِ قل	لِ شغلَ هذا لِبَاهِ لُوهُ لِي لِنَا
وإن وُتِي ثوبٌ غبرِ قُلْتُ في ضجر	شِ الثوبِ وَبَكَ شِبَاهُ شُوهُ سِي سَبْنَا
وقل لقاتلِ إنسانٍ على خطإ	دِ مَنْ قُتِلَتْ دِبَاهُ دُوهُ دِي دِنَا
وإن هُمُ لم يروا رأى أقولُ لهم	رَ الرَّأْيِ وَبَكَ رِيَاهُ رُوهُ رِي رِنَا
وإن هُمُ لم يعو فولى أقولُ لهم	عَ القولِ مِنِّي عِيَاهُ عُوهُ عِي عِنَا
وإن أُرمتْ بوأى للمحبِّ فقل	إِ مَنْ تُحِبَّ إِبَاهُ أُوهُ إِي إِنَا
وإن أردتَ الوئى وهو الفتورُ فقل	نِ باخلىلى نِبَاهُ نُوهُ نِي نِنَا
ومن أبى أن يفى بالوعدِ قلت له	فِ باحببى فِبَاهُ قُوهُ فِي فِينَا
وقل لساكِنِ قلبٍ إن جراك به	جِ القلبِ مِنِّي جِبَاهُ جُوهُ جِي جِنَا

وقد استدرك على هذا النظم كثيرا، وله نظائر كثيرة.

توفي صاحب الترجمة بفاس عام ثمانية عشر ومائة وألف، ودفن داخل باب المسافرين، في روضة سيدي عمران.

عبد الملك بن محمد التَّاجْمُوعِي

ومنهم الفقيه العالم العلامة قاضي سجلماسة أبو مروان عبد الملك بن محمد التاجموعي. كان إماما محدثا خطيبا ولي قضاء سجلماسة، وكان إليه المرحع في نوازلها وله التقديم على علمائها، وله وجهة مع السلطان (في أبهة وتوقير بناسب منصب العلم، يصدع له بالحق في مواطن التلطيف، نصحا له من غير تكلف، سامى الهمة منبئ القول حاد اللسان ذرب في الأمور المخزنة، عالم بالمخاطبات السلطانية. وكانت له مشاحنة مع النسيخ اليوسي تقدمت الإشارة إلى ذلك. ووقع النزاع بينه وبين بعض علماء فاس في مسائل حتى قال في بعض رسائله بخاطب بعض خواصه: أما بعد فقد اتصل بنا مكتوبكم الأنور بلمس الإفادة بحقيقة العلم النبوي، وقد أجبنا به بحضرة النخبة العليا، وبهجة هذه الدنيا، الزكي التحرير، النافذ البصر، مولانا محمد ابن مولانا السلطان أدام الله تأسده وتسديده من أنه صلى الله علي وسلم لم يفارق الدنيا حتى علم كل شيء، استغربه أو استنكره طلبة فاس، وبالعوا في التشنيع بن عوام الناس. فإنا لله وإنا إليه راجعون على ضياع العلم وفقد أهله، ههات ما هذا بعشك فادرجي، وإنى ممن أنكر الخوض في مثل هذه المسائل، وغالبا ما يتعاطاه وشيوخه من قل في الدروس: ندب لفاضي الحاجة جلوس. ورحم الله ابن خلدون حيث قال: لم نرفي المائة من سلك طريق النظر بفاس لأجل انقطاع ملكة التعليم عنهم، ولم يكن منهم من له عناية بالرحلة، بل قصرت همهم واقتصرت على طريق نحصل الفراء ودرس التهذيب فقط. نعم أخذوا شيئا من مبادئ العربية من أهل الأندلس مثل ابن أبي الربيع والشلوبين وغيرهما لوجود ملكة النحو في قطر الأندلس بسبب رحلة علمائهم إلى تلقيه من أربابه بالمشرق، كما ارتحل أعلامهم إلى بغداد في تحصيل الفقه عن الأبهري، وكذا بحى ابن بحيان عن مالك وغير واحد. وكذا علوم الحديث كرحلة الإمام أبي بكر بن العربي. انتهى الغرض منه، وسقناه حجة على كبر ممن يغفل منهم ويرى الفضل لنفسه بمجرد سكنى فاس، كالحاكم في قضية العلم النبوي بكفر القائل بعلم النبي صلى الله عليه وسلم كل شيء على ما أخبرنا به الفرع الزكي مولانا محمد بن السلطان أدامه الله، لما سألنا عن ذلك فأجابه بأن القول بعلم النبي صلى الله عليه وسلم على كل شيء صحيح، والتكفر بعد وجهل من الفائل به. انتهى كلام صاحب الترجمة بنصه. ثم استدلل على ما قاله بحديث الطبراني عن ابن عمر مرفوعاً: أوتيت مفاتيح كل شيء إلا الخمس. وقول حسان - رضى الله عنه - :

نَبِيٌّ بَرَى مَا لَا يَرَى النَّاسُ حَوْلَهُ وَيَتْلُو كِتَابَ اللَّهِ فِي كُلِّ مَسْنَدٍ
فَإِنْ قَالَ فِي يَوْمٍ مَقَالَةً غَائِبٍ فَتَصْدِيقُهُ فِي ضَحْوَةِ السُّورِ أَوْ غَدٍ

وأطال النقل في ذلك وذكر أنه صلى الله عليه وسلم علم حتى الخمس على ما عليه المحققون، ثم قال ما نصه: وفي الصحيح وسنن أبي داود عن أبي وائل عن حذيفة قال: قام فينا رسول الله صلى الله عليه وسلم مقاما فما ترك شيئا يكون في معامه ذلك إلى قيام الساعة إلا أخبرنا به، حفظه من حفظه ونسبه من نسبه. قد علمه أصحابي هؤلاء، وأنه ل يكون منه الشيء فأعرفه فأذكره كما نذكر الرجل وجه الرجل إذا غاب عنه ثم إذا رآه عرفه انتهى واللفظ لأبي داود. ومثله في جامع أبي عيسى عن أبي سعيد - رضى الله عنه - قال صلى بنا رسول الله صلى الله عليه وسلم يوماً صلاة العصر ثم قام خطيباً فلم يدع شيئاً يكون إلى قيام الساعة إلا أخبرنا به حفظه من حفظه ونسبه من نسبه.

وفي حديث أبي ذر - رضى الله عنه - فيما أخرجه الإمام أحمد والطبراني وغيرهما: لقد تركنا رسول الله صلى الله عليه وسلم وما تحرك طائر بجناحيه في السماء إلا أذكرنا منه علماً، وفي الطبراني عن ابن عمر مرفوعاً إن الله قد رفع الدنيا فأنا أنظر إليها وإلى ما هو كائن فيها إلى يوم القامة كما أنظر إلى كفى هذه انتهى بلفظه. وكونه صلى الله عليه وسلم لم يفارق الدنيا حتى علم كل شيء حتى الروح قال به جماعة من المحققين منهم إبراهيم اللقاني وعلى الأجهوري، وقال الشيخ البوصيري في الهزمية:

لَكَ ذَاتُ الْعُلُومِ مِنْ عَالَمِ الْغَيْبِ سَبِّ وَمِنْهَا لَادَمَ الْأَسْمَاءُ

وقال في البردة:

دَعَا مَا ادْعَتْهُ النَّصَارَى فِي نَبِيِّهِمْ وَاحْكُمْ بِمَا شِئْتَ مَدْحًا فِيهِ وَاحْتَكِمِ

قلت: هذا حاصل ما استدل به صاحب الترجمة ولا خلاف بينه وبين من حاجه من أهل فاس أنه صلى الله عليه وسلم يعلم كثيرا من المغيبات مما يتعلق بالدنيا والآخرة، ويعلم جميع ما دلَّت على علمه هذه الأحاديث وأكثر من ذلك لأنها لا تدل على الإحاطة بالمعلومات، وفي الموطأ والصحيح عن عائشة (326): أنه صلى الله عليه وسلم خطب بعد صلاة الكسوف ثم قال: ما من شيء كنت لم أراه إلا وقد رأيتُه في معامبي هذا حتى الجنة والنار ولكن في كل الروايات التي عند مسلم غير هذه بزيادة كل شيء وعُدتُم، وفي رواية وعدت بالافراد. قال الأبي وغيره أي الجنة والنار، ويحتمل أن علمه بالرؤية مقصور عليه

(326) في ط: عن أسما.

فتكون هذه الرؤية مخصوصة لا برؤية الإطلاق كما هو معلوم من حمل الإطلاق على المقيد. وفي رواية أخرى عن جابر عرض عليّ كل شيء تلومته فيحتمل أن يكون المعنى في رواية عائشة على هذه الزيادة ويكون ما عداها مفسرة لها، فلا يتم الاستدلال بها حسنئذ لتطرق الاحتمال، فوق الاختلاف. وإنما اختلافهم في الإحاطة بكل المعلومات بحيث يستوي العلم القديم والحادث فيكون متعلقهما واحداً مع التباين في الحقيقة، إذ حقيقة القديم (لا) مماثلة بينها وبين حقيقة العلم الحادث، فبعضهم امتنع من هذا الإطلاق ورأى الإحجام عنه واجباً لأنه لا قاطع فيه ولا ناقص في كونه يخرج عن علمه بعض المعلومات صلى الله عليه وسلم، وبعضهم أقدم عليه لأنه فعلي لا ذاتي، بل ممّا من الله به على هذا النبي الكريم ورفع قدره به فضلاً منه تعالى ومنة وكرامة. وهو مفهوم من تفضيله صلى الله عليه وسلم على جميع المرسلين، بل وجميع المخلوقين، للنصوص القاطعة في ذلك والإجماع عليه من أهل الحق، وكونه صلى الله عليه وسلم علمه الله تعالى كل شيء وأطلع عليه لا محال فيه، إذ يفعل في ملكه ما يشاء، ويفضل من يشاء بما شاء.

وَلَا تَقُلْ لِي بِمَآذَا نَلْتَ جَيْدَهَا فَمَا يُقَالُ لِفَضْلِ اللَّهِ ذَا بِكَمِ
دَعْ مَا ادَّعَتْهُ النَّصَارَى فِي نَبِيِّهِمْ وَاحْكُمْ بِمَا شِئْتَ مَدْحًا فِيهِ وَاحْتِكِمِ
وَانسِبْ إِلَى ذَاتِهِ مَا شِئْتَ مِنْ شَرَفٍ وَانْسِبْ إِلَى ذَاتِهِ مَا شِئْتَ مِنْ عِظَمِ
فَإِنْ فَضَّلَ رَسُولُ اللَّهِ لَيْسَ لَهُ حَدٌّ فَيُعْرَبُ عَنْهُ نَاطِقٌ بِقَمِ

والذي يظهر لي الإمساك عن الخوض في هذه المسألة بالنسبة فيما ظهر اختلافهم فيه، وهو الإحاطة بكل المعلومات، لأنه لا قاطع فيها، مع اعتقادنا أنه صلى الله عليه وسلم أفضل من كل مخلوق على الإطلاق.

نَبِيُّنَا أَفْضَلُ بِالْإِطْبَاقِ مِنْ كُلِّ مَخْلُوقٍ عَلَى الْإِطْلَاقِ

وأنه في أعلى درجات الكمال التي لا درجة فوقها. ولصاحب الترجمة شرح على قصيدة الشيخ أبي عبد الله بن ناصر الرائية في الديانات، وهي مختصرة جداً. وكان ينظم الشعر، فله قصائد، وله في مدح الولي الصالح الشهير سيدنا أبي يعزى - رضي الله عنه ونفعنا ببركاته - آمين.

عباد الله في الدنيا اللثالي أبو الأنوار لؤلؤها الشمينُ
أَنْحُ بِجَنَانِهِ وَاحْكُمْ عَلَيْهِ بِمَا أُمِّلَتْهُ وَأَنَا الضَّمِينُ

أخذ صاحب الترجمة عن شيوخ المغرب ثم رحل إلى الحجاز بقصد الحج فلمي الشبّخ إبراهيم الشهرزوري وطلب منه الإجازة فأجازه جتمع مقروآته ومروياته بما اشتملت عليه فهرسته، وقرن معه في الإجازة القاضي أبا عبد الله محمد بن الحسن المجاوى.

توفي صاحب الترجمة عام ثمانية عشر ومائة وألف بتافالالت. فلما بلغ خبر موته السلطان أرسل من باتيه بماله، فجىء له بماله وولده مقبدا من سجلماسة إلى مكناس (327)

مُحمّد بن مولاي اسماعيل

ومنهم الفقيه الشريف، العالم المنيف، الماجد الأسعد، الفارس الأنجد، أبو عبد الله مولاي مُحمّد ابن السلطان الجليل أبو النصر مولاي إسماعيل السجلماسي الحسني. كان ماهرا في علوم كالنحو والبيان والمنطق والكلام والأصول، وله مشاركة في علوم أخرى. وكان حريصاً على مجالسة العلماء لأخذ العلم منهم، وبالف في تعظيمهم وإكرامهم. فاحصم به منهم جماعة لحرصه على العلم رجاء نفع الخلّاق وأن يسير سيرة المهتدين من الولاة، فلم يكن إلا ما قدر الله تعالى. فقد كانت على يده فتنة في الخلّاق عظيمة، فنار على والده (328) ودعا الناس إلى بيعته. ففي يوم عبد الفطر من عام أربعة عشر ومائة وألف ورد خبر لفاس بنزول مولاي مُحمّد من مراكش بمن كان معه حارك من قبائل المغرب وجيش الدولة الذين وجههم والده معه حيث وجهه إلى سوس وجمع قبائل سوس يريد بهم الإستبلاء على المغرب. ثم وجه مولاي إسماعيل ولده مولاي زيدان مع قبائل الغرب وجوشته، فوجه إليه السلطان مولاي مُحمّد لملاقاة أخيه مولاي زيدان أخاه مولاي بناصر، وكان ممن بعنه معه والده حيث وجهه إلى سوس، فالنقى الجمعان قرب وادى المربع (329) فكانت الهزيمة على مولاي بناصر. ثم زحف مولاي زيدان بمجموعه إليه فنزل مراكش، فكانت بينهما حروب عظيمة كان الظفر في آخرها لمولاي زيدان. ومن جملة ما وقع بأهل فاس الذين كانوا مع مولاي مُحمّد وعددهم أربعمئة رامٍ أنه لما كانت الهزيمة على مولاي مُحمّد لم يرضوا بذلك فشبّتوا وحعلوا ظهور بعضهم لبعض [فأمر مولاي زيدان الجيوش أن تحبّط بهم] (330) ففاتلوا حتى نفذ لهم البندق أي الرصاص الذي جعل في المدافع فجعلوا يجعلون مكانه دنانير الذهب ويرمون به إلى الليل ونفذ القتل جميعهم ولم ينج منهم إلا من كان به رفق فجرح ففر إلى إخوانه الرماة الذين مع مولاي زيدان ليلا فأخفوه ونسبوه من جرحاهم. ثم تخلى

(327) تقع ترجمة التجموعى في ط مختصره في صفحتين ونصف، وأتبتا كل الزادات التى فى المخطوطات دون الإشارة إلى تمييزها.

(328) ضرب عن ذكرها صفحا في ط واكتفى بالقول: وفصيه صاحب الترجمة مع أبيه معلومه رحم الله الجميع بسبه وكرمه

(329) لعله « أم الربيع » كتب حسب النطق الدارج.

(330) ساقط من ك.

مولاي محمد عن مراكش ولحق بتارودانت واستقر بها، ودخل مولاي زيدان مراكش بجيوشه فنهبوا أموالها وسبوا ووثبوا على الأبيكار والنساء بالوطء، ووقع الفساد والقتل للرجال والنساء والصبيان. ثم ارتحل مولاي زيدان من مراكش في طلب أخيه مولاي محمد فكانت بينهما حروب كان الظفر في آخرها لمولاي زيدان، فتحصن مولاي محمد بتارودانت وحاصره بها أخوه مولاي زيدان إلى أن دخل عام ثمانية عشر ومائة وألف فدخلها عليه مولاي زيدان عنوة فهرا، وقتل رجالها ونساءها وصبيانها وسبى أهلها ونهب أموالهم، وقبض أخاه مولاي محمد وقيده في الحديد ووجه به إلى والدهما السلطان مولاي إسماعيل، فجيء بصاحب الترجمة مصفدا في الحديد إلى مكناسة الزيتون، فخرج والدهما السلطان مولاي إسماعيل للقائه وظن أنه قريب من مكناسة، فلم يلقه حتى قطع وادي بهت وخرج معه العلماء وجميع وزرائه وأتباعه وحشمه، فلم يحتفل بطعام لظنه الرجوع عن قريب حتى أدركه الجوع وجميع من معه، فكان ذلك مما زاد في غضبه، وكان خديمه القائد عبد الله الروسي تركه مولاي إسماعيل بمكناسة على مصالحه، فبعث الواردين إلى مكناس الذين جاءوا رفقة مولاي محمد أين تركوه بالأمس، فعلم أن مولاي إسماعيل لم يدركه قريبا مع علمه أنه خرج بغير زاد ظنا منه أنه يلقاه قريبا فأمر أصحابه أن ينشئوا له جمصع ما بمكناسة من طعام، فاشترؤوه له بعجل ويدبن حتى يرجع، واكثرى جميع دواب الحمارة وحمله عليهم وأسرع السير في اتباعه، فلما اشتد بأصحاب السلطان الجوع رأوا الروسي مسرعا في أثره، فسأل عنه فأخبر بأنه الروسي، فقال لهم السلطان : ولعله سأل عن خبر مولاي محمد فأخبره بأنه بعيد وأعلمه بنا أننا خرجنا بغير زاد، فترك ما تركته على خدمته ورأى هذا أكد، فهو قد أتاكم بالطعام، فسألوه فأخبرهم بما أخبره به السلطان، ثم دفع للسلطان طعاما كثيرا ففرقه على الناس فسكن روعهم، ورجع الروسي إلى خدمته بمكناسة التي تركه عليها، ثم لقي الذين أتوا بولده مولاي محمد ودفعوه إليه فجعل مولاي إسماعيل يسأل الفقهاء عن حكم الله فيه، فأجابه من كان يبغيض مولاي محمد من المتطلبة المتعصبين بقطع يده ورحله من خلاف، وتلا عليه قوله تعالى : «إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ» الآية، ففعل به ذلك، فبقي مولاي محمد أياما ثم مات رحمة الله عليه، وصلى عليه القاضي سيدي العربي بردلة، ودفن بمكناس قرب سيدي مكرز (331) ثم سكن روع السلطان وندم على ما فعل بولده من قطع، فكان ندمه على ما فعل رحمة للمتطلبة الذين كانوا يخالطون ولده مولاي محمد فلم ينكب واحدا منهم ولم يعانبههم على معرفته. وكان وشي إليه بالتشيخ أبي عبد الله المسناوي بأنه من أخص خاصته الذين لا يتحرك في القيام على والده إلا عن مشورته، وبادر العامل إلى قبضه، فلما بلغه أن مولاي إسماعيل ندم على ما فعل بولده سرحه، فكان ذلك من لطف الله به. وكان لما وصل الخبر

(331) في هامش س طرة: الصواب أن يقول قرب سيدي عمر الحصيني.

للغرب بابتداء قيام مولاي محمد كتب له الشيخ المسناوي بهذه الأبيات الثلاثة فلم يجبه عنها :

مهلاً فإن لكل شيء غايةً والدهرُ يعكسُ حيلةَ المحتال
والبدرُ ليسَ بلوحٌ ساطعُ نوره والشمسُ باهرةُ السُنا في الحال
فإذا توارت بالحجابِ فإئتما يَبْدُو وامدد لعزر وأحمال

فلما وجد السلطان هذه الأبيات مقبدة في كناش صاحب الترجمة ونسبها للشيخ المسناوي علم أنه نهاه عما يريد قبل منه عدم موافقته وخلى سبيله .

وهذه الفتنة ابتلى الله بها أهل الأفق السوسي فكانت من أعظم المصائب عليهم بل وعلى جميع أهل المغرب، ولله در الشيخ زروق فإنه كان لا يصلي خلف إمام القرويين سيدي عبد العزيز الورياغلي مع زهده وروعه وعلمه ومع ما علم من نناء الشيخ زروق عليه لقيام أهل فاس على السلطان عبد الحق المريني بمشاورته في قتل اليهودي الذي ولاه عليهم، وكان يقول في شأنه أنا لا أصلي خلف سيدي عبد العزيز فإنه غندور كالملاعب له، ويزيد : الصلاة لا تجوز خلف الغندور . فيجمع بذلك بين تعظيمه والتبري منه . وهذا شأن أهل الورع والنهي، وتقدمت القضية بتمامها .

وكان صاحب الترجمة ينتحل الشعر وتهزه أريحة الأدب، قصده الناس بالفصائد والرسائل كثيرا، وكسب له أخوه مولانا الشريف، صدر مراسلة ما خاطب به سف الدولة ابن حمدان أخاه ناصر الدولة وهو هذا :

رضبتُ لك العلياً وإن كنتَ أهلها وقلتُ لهمُ بيني وبين أخِي فَرَقُ
أما كنتَ تَرْضَى أن أَكُونَ مُصَلِّاً إذا كنتُ أَرْضَى أن يَكُونَ لك السَّبِقُ

والمصلي هو الثاني من الخيل في الحلبة، والمجلي هو الأول، فطلب المكنوب إليه أبا عبد الله المسناوي أن ينوب عنه في الجواب لأنه كان من الوافدين عليه حينئذ فأجاب :

بلى قد رضيتُ أن تَكُونَ مُجَلِّياً وَيَثْلُوا نَدَاكُم في العُلا من لهُ السَّبِقُ
وما لي لا أَرْضَى لك المَجْدَ كُلَّهُ وأنت شقيقُ النَّفْسِ إن عَرَفَ الحقُّ
ولكن دَوُوا الضُّغْنِ ائْتَحُوا ذاتَ بَيْنَا فَعَادَرَهَا إفسَادُهُم وبِهَا رَنُقُ

وفي القاموس : رَبَّنَا المَاءُ كَفَرِحَ ونَصَرَ رَبَّنَا ورَبَّنَا ورَبَّنَا ورَبَّنَا : كدر .

والأمداح في صاحب الترجمة كثيرة في أيدي الناس. ولما توفي صاحب الترجمة -رحمه الله - صلى عليه القاضي أبو عبد الله بردلة فنقم عليه بعض الطلبة، ووشى إلى السلطان به وأوغر قلب السلطان عليه قبل ندمه على ما فعل بولده بإشارة الطلبة، وقال له إنه ييغضك ويحب ما فعل ولدك، ولولا شدة بغضه لك ما صلى على عدوك الذي قام عليك. فكتب السلطان إلى أبي عبد الله بردلة يعاتبه ويهدده، فأجابه بأن صلاته عليه لم تكن من غير إذن بل جاءه الإذن من الدارالعالية بلغ مبلغ الشهرة وخرج عن طريق الشك، وذلك كله آداب مع الأمر العالي، بل الواجب حينئذ هو القيام بذلك كما فعله بردلة إجلالا له. وإذا كان المقصود تعظيم السلطان فلا بنصت إلا لما يعاتب به في الآداب معه، ولما قال (صلى الله عليه وسلم) في قضية الحديدية امح يا علي رسول الله، قال والله لا أمحو رسول الله أبدا، فنعارض وجوب امتثال أمره (صلى الله عليه وسلم) بالمحو ووجوب الإجلال لمقامه، فرجع عليّ - رضي الله عنه - جانب التعظيم، وفي شرح الأبي لمسلم أن الحسن البصري لما ليم على صلانه على الحجاج قال: استحيت من الله عز وجل أن أستعظم ذنب الحجاج في جانب عفوه. والصحيح أن الحدود كفارات، ففي كتاب الإيمان من صحيح البخاري عن عبادة بن الصامت وكان شهد بدرا وهو أحد النقباء ليلة العقبة أن رسول الله (ص) قال وحوله عصابة من أصحابه: (بأيعوني على أن لا تُشركوا بالله شيئا ولا تسرقوا ولا تزنا ولا تاتوا ببهتان تفترونه بين أيديكم وأرجلكم ولا تعصوني في معروف، فمن وفي منكم فأجره على الله، ومن أصاب من ذلك شيئا فعوقب في الدنيا فهو كفارة له، ومن أصاب من ذلك شيئا ثم ستره الله فهو إلى الله إن شاء عفا عنه وإن شاء عاقبه، فبايعناه على ذلك) انتهى. فهذا حاصل ما اعتذر به وهو جيد مناسب، وهذه الترجمة تستدعي طولا. وكان حبس صاحب الترجمة في سادس عشر صفر، وفي رابع ربيع الأول قطعت يده ورجله، وبعد ذلك بعشرة أيام مات (332).

أحمد بن أحمد العمراني الطود

ومنهم الفقيه القاضي أبو العباس سيدي أحمد بن أحمد الشريف العمراني المعروف بالطود، نسبة إلى جبل سكن به سلفه يسمى بذلك لعلوه عن الجبال المجاورة له ببلاد الهبط، وهم من بني عمران الإدريسيين الذين ببلاد الهبط. تولى صاحب الترجمة القضاء بأبي ومراس وغيره من قبيلة بني عروس، ومات عام ثمانية عشر ومائة وألف عن سن عالية نحو مائة سنة وثمانية أعوام. أخبرني بذلك حفيده المسن سيدي محمد بن علي بن أحمد المذكور (333).

(332) اختصرت ترجمة محمد العالم في ط في صفحة واحدة، وما أثنائه زائد في المخطوطات.

(333) ترجمة الطود ساقطة من ط.

علال طاهر الحسني الجوطي

ومنهم الشريف سبدي علال طاهر الحسني الجوطي. توفي خامس المحرم فاتح عام ثمانية عشر ومائة وألف (334).

حوادث السنة

كسوف الشمس

ومن حوادث العام، ففي التاسع والعشرين (335) من المحرم كسفت الشمس كسوفاً بينا فاسودَّ جرمها كله وأظلمت الدنيا حتَّى بدت النجوم ومكثت كذلك زماناً من النهار وخرج القاضي أبو عبد الله بردلة إلى مسجد الفرويين فافتتح بالناس صلاة الكسوف وصلوا وانجلت الشمس .

استباحة قبيلة بن أحمد

وأطلق العامل السبيل في قبيلة بني أحمد فقتل النساء والرجال والصبيان [وقع] النهب والسبي (336) .

ثورة مولاي محمد العالم على والده

وفي هذا العام وقعت قضية الشريف الفقيه، العالم العلامة النزيه، ديباجة الدنيا، وتاج المكانة العليا، الماجد الأنجد، الفاضل الأسعد، أبو عبد الله مولاي محمد مع والده السلطان المظفر المؤيد شمس الدنيا وبدرها الأزهر تاج الشرف الأثيل أبي الفتوحات مولانا إسماعيل -رحم الله الجميع بمنه وكرمه- أمين وهي معلومة. وذلك أنه قام على والده مُنكراً لما هو عليه من تكسيب العبد والتصرف في بناتهم بغير وجه شرعي حقيقى. وخالف أمره وثار عليه حتى اهتز الغرب من أجله ومال الناس محبة فيه إليه. فبعت إليه السلطان ولده مولانا زيدان فكان يقاتله فى كل موضع ومكان والهزيمة تقع على مولاي محمد حتَّى حاصره بتارودانت أياماً عديدة. وفى يوم الخميس الحادي والعشرين من صفر العام جاء الخبر بأخذ تارودانت وقتل كثير من أهلها رجالاً ونساءً وصبياناً فنهبت أموالهم واستنبتحت محارمهم وأعراضهم، فحبس مولاي محمد وجعل عليه كبل وأونى به لوالده السلطان مولانا إسماعيل لمكناسة الزيتون أمنها الله. وفي الرابع من ربيع الأول النبوي من العام خرج السلطان مولانا إسماعيل من مكناسة الزيتون إلى وادي بهت وفيه أمر بقطع يد ولده مولاي محمد ورجله. وفي خامس عشر من الشهر نفسه مات مولاي محمد المذكور إذ لم يأمر والده بمداواته من القطع المذكور نسأل الله السلامة والعافية (337).

(334) ترجمة الجوطى ساقطه أيضا من ط

(335) في ط. والحواليات: تاسع عشر.

(336) انفردت ك و س بخير استباحة هذه القبيلة.

(337) انفردت الحوالمات بإدراج خبر الثورة فى حوادث السنة. وقد أئنتاه على ما فيه من تكرار لبعض ماسق، بسبب ما اشتمل عليه من إشارات تاريخية لم نرد فى سياق الأصل.

العام التاسع من العشرة الثانية

محمد حمُّ بن عبد الوهاب الوزير الغساني

فمنهم الفقيه المنار المتفني الدارك المتقن الأرفع أبو عبد الله محمد المدعو حمُّ بن عبد الوهاب الوزير الغساني الأندلسي الفاسي. كتب للسلطان أمير المومنين مولانا إسماعيل، وكان نجيباً في ذلك، ذكر أن كل ما يلقي إليه في مجلس السلطان يحسن فيه الوثيقة. انتهت إليه صنعة الترسيل باتى فى كل أمرٍ أمر به بوجه على أسلوب مختلفة الألفاظ والمعنى واحد، عجز أهل العصر عن إدراك ذلك. وكان الخليفة يملئ عليه الأمر برسائل عديدة لعمال وغبرهم متفرقون فى البلدان، فيذهب لمنزله ويستوفي جميع ما أمره بكتبه ويعطي كل ذى حق حقه من غير زيادة ولا نقصان، ثم يأتى بجميع الرسائل ويمليها على السلطان فيتعجب من سرعة الكتابة وحسن العبارة ومن عدم الزيادة والنقصان. وكان له سرعة فى نسخ الكتب لم تعرف لغيره. وقد أرسله السلطان لبلاد الروم المتولس على بلاد الأندلس بقصد أن يستخرج ما تحت أيديهم من الأسرى المسلمين، ويستخرج ما بقي للمسلمين من كتب بالمساجد المهجورة هنالك، وألف فى ذلك رحلة يسعها كتاب سماه : رحلة الوزير، فى افتكاك الأسر، ذكر فيها بعض ما رأى من العجائب الفريدة المثل، وذكر فيها خبره معهم، وتوفي من مرض بدارهم الكائنة بزقة الرطل من عدوة فاس القرويين، ودفن بروضتهم التى بالكغاطين المجاورة لروضة الشرفاء [الإدرسيين العمرانيين الحسينيين وهي المدفون بها القاضي أبو القاسم ابن أبى النعيم الغساني ابن عمهم وجدهم أبو القاسم الغساني الطبيب المعروف بالوزير، عرف بذلك لما استوزره مولانا أحمد المنصور الذهبي السعدي الشريف الحسنى وبعثه بفكاك الأسرى بأسرى وقعة وادي المخازن مع محمد المسلوخ ومولاي عبد الملك الغازي السعدي أخ أحمد المنصور وعم محمد ابن عبد الله الغالب المعروف بالمسلوخ. ولما كان قبل يعرفون بالغسانيين وهم رهط أبى علي الغساني الأندلسي وإنما جرى على ما ذكر منهم لقب الوزير بوزارة أبى القاسم المذكور ثم ولي لأولادهم بعده كذلك إلى الآن وهي التي فى شركة فى الإدريسي (كذا) الأندلسي] (338) وفى عام تسعة عشر ومائة وألف (339).

مسعود بن محمد جموع

ومنهم الأستاذ المجود الفقيه أبو الفضل مسعود بن محمد جموع بوزن كلوب -
بتشديد الميم وضمها - الفاسي الدار السجلماسي الأصل السلوي الوفا.

(338) ما بين معقوفتين زيادة فى س.

(339) أخرت ترجمة الفاسي عن ترجمة جموع فى ط، واختزلت فى ستة أسطر

قال الشريف الأديب سيدي محمد بن الطيب في كتابه المسمى بالأنيس المطرب فمن لقيه من أدباء المغرب : فرأت عليه ، يعنى صاحب الترجمة، ختمة من كتاب الله عز وجل، والشمائل للرمذى وصحيح البخاري، والشفاء لعياض، والاكتفا للكلاعي، وسيرة اليعمرى، والنصيحة الكافية لسيدى زروق، وألفه ابن مالك، وتلخيص المفتاح وشرحه للسعد، وكتابه المسمى بنفائس الدرر فى سيرة خير البشر انتهى مختصرا.

وفي الرحلة الفاسية أن صاحب الترجمة عالم بالتفسير والحديث والفقه أستاذ عارف بأحكام القراءات صبور حلم جميل المعاشرة جواد كثير التلاوة والصلاة على النبي (ص) دين وورع، لا يرى إلا مدرسا أو تالياً أو ناسخاً جيد الخط. أخذ النسخ عن سيدي عبد القادر الفاسي، وابن عمه سيدي محمد بن أحمد. وأخذ الحديث عن سيدي أحمد بن حمدان التلمساني، والقراءات عن سيدي محمد بن أحمد المريني، وأجازه في السبع والعشر.

ألف نفائس الدرر في سيرة سيد البشر في سفرين؛ والروضة الوسطى؛ والروضة الصغرى كلاهما في السير. وله تأليف في القراءات والرسم، وحاشية على الصغرى، وشرح على السلم في المنطق، وشرح على الأجرومية وحواشي على الألفية، وله نألف أخرى لم تكمل. وكان يدرس بسلا بزاوية أحمد حجي صحيح البخاري، والشفاء، والشمائل، فمرض وتوفي بمدرستها في ربيع النبوى عام تسعة عشر ومائة وألف ، ودفن بها أواخر جمادى الأولى (340) .

حوادث السنة

زلزلة عند آذان الصبح

ومن حوادث العام ففي يوم الخميس ثالث عشر ذي القعدة وقعت زلزلة عند آذان الصبح، فمن المؤذنين من قطع الأذان، ومنهم من صاح دهشا، وسقطت دور كثيرة وتعيبت، ومات بهدمها قوم كثيرون، فكانت من أشد الأمور.

هدم قصر البديع بمراكش

وفي عام تسعة عشر ومائة وألف أمر السلطان مولانا إسماعيل بهدم الدار النى بناها أبو العباس أحمد المنصور المدعو الذهبي السعدى بمراكش وسماها البديع. وكانت مدة بنائها

(340) كذا في ك و س، وهو مشكل ناتج عن تصحيف أو تعديم وتأخير. ولعل الأصل: فمرض بمدرستها في ربيع النبوي... وتوفي ودفن بها أواخر جمادى الأولى. وتاريخ الوفاة هذا هو الوارد في ط. وقبر الشيخ جموع معروف في الراوية الحجة بسلا. وقد اختصرت ترجمة جموع في ط كذلك في بضعة سطور.

ست عشرة سنة فهدمت معالمه وبدلت مراسمه وغيرت محاسنه وفرقت جموع حسنه وعاد حصيدا كأن لم يغن بالأمس حتى صار مرعى للمواشى ومقيلا للكلاب ووكورا للبوم والصيد. وحقّ على الله مافع شبتا إلا وضعه من الدنيا. ومن العجائب أنه لم يبق بلد من بلاد المغرب إلا ودخلها شيء من أنقاض البديع. وإذا تأملت لفظ البديع وجدت عدد نقط حروفه بحساب الجمل مائة وسبعة عشر وهذا القدر من السنين هو الذي بقى فيه قائما عامرا. فإنه فرغ منه عام اثنين وألف وشرع فى هدمه عام سبعة عشر ومائة وألف فمدة بقائه بعد تمام بنائه مائة سنة وسبع عشرة سنة على عدد اسمه. وذلك من غريب الاتفاق، والبقاء والدوام للملك الواحد الخلاق. والملك التام لله الملك الديان الذي لا يسأل عما يفعل وهم يسألون. انتهى (341).

العام العاشر من العشرة الثانية

محمد بن سعيد الجماعي المستغامي

فمنهم الولي الجليل، الفقيه المدرس الحفيل، العالم العامل، العارف بالله البالغ الواصل، سيدي محمد بن سعيد بن [عبد الحق الجماعي نسبا البري قبيلة، المستغامي بلدا ومولدا، دفين عَرَاضَة -على وزن جرادة- من حوز طرابلس الغرب.

قال ابن عم جدنا أبو العباس أحمد بن [(342) عبد القادر القادري الحسني في رحلته : لما تكلم معه سيدي أحمد بن عبد الله في مسائل غامضة من الطريق فتفجر الرجل بحرا لا ساحل له بما بههر العفول، وأتني عليه سبدا أحمد بن عبد الله بأنه من الأقوياء الفحول، ثم قال : وأخبرنا سيدي أحمد أنه من الأكابر ويعرف الطريق حرفا حرفا، ثم قال وهو ممن يلقي الخضر-عليه السلام- حسبما أخبرني بذلك عن نفسه. أخذ الطريق عن الشيخ محمد النفائي دفين قابس، وأتني عليه أبو العباس البمني، وقال فيه: المجذوب صاحب الحقائق انتهى. وكتب بعد ذلك رسالة لسدي أحمد بن عبد الله وأجابه برسالة أخرى. وأخبر صاحب الترجمة أنه كان في ابتداء أمره محبا للصالحين ولسلوك طريقهم، قال: وترك الأهل والأوطان في طلبهم، فأول من لقته الشيخ العارف بالله سيدي محمد الشريف، وكان من أهل الكشف الطائرين في الهواء، ثم اجتمع بالشيخ الأستاذ سيدي عبد الرحمان الحمداني فاعتراه حال وقال من أراد شيئا فليطلبه مني فادعو له بحصوله، فقلت له ادع لي بحفظ القرآن فقال لي ضمنه لك فلان، بعني الشيخ المتقدم. فقلت له ادع لي بما أحببت فقال الآخرة في يميني، والدنيا في شمالي وكلها لك، ثم انصرفت عنه، وصحبت الشيخ سيدي محمد الصحراوي المندالي، وكان من أهل الكشف الرياني، يختم القرآن كل ليلة. وكان كثير الأتباع ولا محبة له في الظهور. ثم قصدت الحج فاجتمعت بالشيخ العارف المحقق سيدي محمد بن عيسى الصحراوي فصاحبه زمانا وكان أخلاقه الزهد والورع والصبر وحب المساكين فرجعت في صحبته حتى نزلنا طرابلس فقال لي يابني لقد انتهى سيرك معي ولا خروج لك من هذه البلدة لأنني رأيت الشيخ عبد القادر الجيلاني لقاك وناولك راية كبيرة خضراء وأمرك بالمكث في هذه البلدة، ثم صار عني للحج، فسألت عن شيخ التربية فقبل لي إنه في السودان فخرجت إليه بلا زاد، فزرت الموضع الذي أقام به سيدي عبد السلام الأسمر، فعرض لي ما أوجب الرجوع إلى طرابلس، فوجدت رجلا كاشفني فقال لي : إن كنت تريد شيخ التربية فسر إلى بلاد تاجورا فاسأل عن ولد الشيخ سيدي على النفاتي، فسرت معه أطلب منه الدخول تحت نظره، فقال لي : سر إلى ابن أخي سيدي أحمد فإنه الوارث للسر الرياني، فسرت إليه بمنشا

(342) سقط ما بين معقوفتين من س فاختلف فيها اسم المترجم باسم القادري صاحب الرحلة.

طرابلس، فلقبني الشيخ العارف المكاشف سيدي محمد أبو كطاية فقال لي : لقد طال إنتظارنا لقدومك، وأتاني بشيء من الطعام وكان الناس يرمونه بالجنون وعدم العقل، وكانت على رأسي قلنسوة قديمة أعطاني إياها بعض أهل الله، فطلب مني تبديلها بقلنسوة جديدة على رأسه، فبدلتها معه، ثم وصلت للشخ سدي أحمد النفائي فمكنت تحت رأسه كالمرضع زمانا، ثم أراد الخروج إلى الجريد وكانت لي زوجة فطلقها وأمضيت طلاقها وخرجت معه، ثم اجتمعت في صفاقص برجل من أهل الكنف المحبوبين سيدي أحمد عباس فأخبرني بموت أبي كطاية المتقدم، ثم أمرني الشيخ النفائي بتربية الفقراء فملت لبعض الأصحاب: الله يعظم الأجر في الشيخ سُدَّ عنه باب الزبادة. ثم أردت الرجوع إلى طرابلس فاستأذنته فقال لو صبرت حتى تحضر موني، فقلت له ومتى هي؟ فقال في ذي الحجة ونحن في شعبان، فملت لا أرد عنك شيئا من قدر الله. فقال لي سرُّ الله معك. فلما وصلنا إلى طرابلس ووصل الأجل الذي أخبرني به وصلنا الخبر أنه مات قتلا -رحمة الله عليه- فتألمت أياما وتركت الطعام والشراب والنوم، ثم رأيته مناما فملت له : ضاقت نفسي من السيف الذي ضربت به، فقال لي الذي تشتكي منه هو الذي تشتكي إليه، فاستيقظت ولم أجد ألما. ومرض صاحب الترجمة حتى كان غالب أحواله يتسم للصلاة لفرط البرد، ولم يقع له نوم يحصل له به راحة مدة من أربعين سنين من ألم الحصة، فكان إذا نكلم في أحوال القوم غاب عن الألم حتى كأن لم يكن به شيء مع الرضى والتسليم لقضاء الله تعالى.

ورماه أهل بلده بأمور وطعن في دينه وهو بعبد الساحة مطهر الجانب من ذلك، وقالوا ساحر وشهد أهل القرى الذين يقرب بلده بلسان واحد لوالي البلد يخروجه عن الدين فأرسل بقتله فلم يجدوه فخربوا داره، ثم وجه له الأمر بعض أهل العلم فاجتمع معهم فنصره الله عليهم بالحجة والبرهان وسلم أهل العلم لأمره، فمنعه الأمير منهم، ثم قال عليه طوائف أخرى مرات فنجاه الله منهم. ذكر هذا كله بعض من أَلَّفَ في منافبه. ولهذا مال كثير منهم للعزلة والانقطاع عن الخلق رفقا بهم، فقد نفى أبو يزيد البسطامي من بلده سبع مرات، وساروا بدى النون المصري من مصر إلى بغداد مغلولاً مقيدا، وأخرجوا سهل بن عبد الله من بلده إلى مصر. ولما احتضر والده وهو في النزاع فال لبعض ولده سلم لي على أبي وقل له عبدك محمد يقرئك السلام ويطلب رضاك، فسكن الوالد ثم أفاق فقال : بابني إن ربي يقرئك السلام وبشرك برضاه عنك، فقال لي بأى شيء وصلت إلى هذا؟ فقال ارتفع السقف وكسف الغطا ثم مات.

وكان يواسي الفقير ويكفل السقيم، ويسد الخلّة بالقدر العظيم من ماله على طريق السلف لأنهم كانوا يتصرفون في أموالهم تصرف الخازن ويقول لأصحابه أنا وإياكم سواء في مالي. وكانت طريق شيخه النفائي طريق الامتحان لمن أراد الدخول في دائرته فإنه كان يطلب

منه نصف ماله ويقول ما معناه من لم يبذل إلينا ألفان كيف بلمس منا أن نبذل له الباقي ؟ قال فكنت أقول له : ياسيدي درج الناس شئنا فتشينا ولا تختبرهم في أعز الأشياء عندهم ، فأنى أرى أنه فر منك كثير من الخلق وحرّموا النفع على يديك . وكان لا يواجه أحدا بما بكره ، ولا يدعو بضر على أحد ، إلا ما كان من بعض الأعراب الذين انتهبوا أموال الناس وسفكوا الدماء فدعا عليهم فتتت الله شملهم ، وأمر أصحابه بحسن الظن به بأنه لم يخطئ أصلا ، وتعظيمه ونصرته والذب عنه ، وبتلو عليهم قوله تعالى : «لَا تَحْسِبُوهُ شَرًّا لَّكُمْ بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ» . وكان ادّعى القطبانية انتهى .

وسئل عن هذا القطب ومن هو في هذا الزمان ؟ وأن هو ؟ فقال : ألا أدلّكم عن القطب الأكبر والولي الأعظم والسر الأفخم وهو رأس الأمر كله وإليه المنتهى ، هو العجز في كل شيء حتى في دفع ذباب منزل عليك . ومنله الفقر وهو نفذ اليد من المال ، وبه افتخر قطب الأقطاب (صلى الله عليه وسلم) فقال الفقير فخر وبه أفتخر على سائر الأنبياء . واختارهم العجز لأنه ضد الملك . وكان بعضهم أعطي كلمة التكوين فقال لا حاجة لى بها ، لأن هذا وصف مالكي . وأعطيتها أبو السعود ستّ عشر سنة فقال فتركها . وقال الحاتمي أعطيتها فتركها ، وقال الشعراني أعطيتها ثلاثين سنة فلم اتبها بها حياء من الله .

قلت : والذي يظهر لى أنهم إنما تركوه لأنهم كاشفوا اسم الظاهر في المظاهرات فلم يجدوا إلقاء سمتهم على أحد سوى الله تعالى . انتهى .

قلت : الذي يظهر من كلامه أن القطبانية مقام من مقامات الأولياء ، أحوال من أحوالهم لتفسيره بالعجز والفقر ، وذلك منه تنبيه للسائل عن التشوف لإدراك المراتب ليرشد إلى باب الوصول ، لأن السائل سأل عما هو ممنوع بيانه ولم يمكنه الإعراض عنه ، فأجاب بذلك على طريق العزل فى الكلام وإخفاء صوت السر عن غير أهله . ويمكن أن يكون أعطي كلمة التكوين من مقام القطبانية ، وإلا فالقطبانية خطة من خطط القوم .

قال جدنا عبد السلام الفادري فى مقدمة نزهة النّادي : والقطب ويراد به الغوث ، قال الحاتمي هو عبارة عن الواحد الذى هو موضع نظر الله فى العالم فى كل زمان ، وهو على قلب إسرائيل -عليه السلام- يعنى أنه يتصرف فى أمور الخليقة كلها على يده غيبا ، ويستمد من أهل وقته فهى خلافة غيبية . ومذهب الحاتمي أنها خطة الانفراد بالنصريف العام ، لا الانفراد بقوة المدد فيوجد مع صاحبها فى وقته من بساويه مددا وقوة ، لكن القطب يده على الجميع انتهى .

وسئل صاحب الترجمة هل أن مسكن القطب مكة ؟ فقال مكة تنجيء عنده ، والرسول بجيء عنده ، مكة لها روحانية تحن على الأولياء وتشتاق إليهم وتطوف بهم ، وشهدنا من

ذلك على سليمان -عليه السلام- مع حبشه على بساطه فوق هوائها فبكت فأوحى الله تعالى إليها يا كعبتي ما يبكيك ؟ فقالت يارب كيف لا أبكي وبيت أوليائك بطوفون بي ، وقال ابن عطاء الله أنت مع الأكوان مالم تشاهد الكون، فإذا شاهده كانت الأكوان معك. كن مع الله يكن معك في كل شيء. أحب الله بحبيك كل شيء. العارف كل شيء يحبه ولا يحب شيئاً ولا يخاف شيئاً و يخافه على شيء ولا يخاف هو من شيء، وينصر به كل شيء ولا ينتصر بشيء إلا بالله، فيخاف الله ويحبه وينتصر به، وكفى بالله وكيفاً وكفى بالله شهيداً. الحمد لله رب العالمين انتهى. وأنشد مولانا عبد القادر الجيلاني في معنى القطب :

طُفُّ بَجَنَائِي سَبْعاً وَلَذُّ بَزْمَامِي	وَتَجَرُّدُ لَزْوَرَتِي كُلَّ عَامٍ
أَنَا سِرُّ الْأَسْرَارِ مِنْ سِرِّ سِرِّي	كَعَبَتِي قِبْلَتِي بِسَاطِي مَدَامٍ
أَنَا شَيْخُ الْعُلُومِ وَالدَّرْسُ سَفْلِي	أَنَا شَيْخُ الْقُرَى وَكُلُّ إِمَامٍ
قَالَتِ الْأَوْلِيَا جَمْعاً بَعِزَمٍ	أَنْتَ فُطْبٌ عَلَى جَمْعِ الْأَنَامِ
كُلُّ قُطْبٍ يَطُوفُ بِالْبَيْتِ سَبْعاً	وَأَنَا الْبَيْتُ طَائِفٌ بِخَبَامِ
فَرَسُ الْعِزِّ تَحْتَ سَرَجٍ وَجُودِي	وَرَكَابِي عَلَى عَنَانٍ لَجَامِ
أَنَا إِذَا مَا جَذِبْتَ أَقْوَاسَ رَامٍ	كَانَ نَارُ الْجَحِيمِ مِنْهَا سَهَامِ
سَائِرُ الْأَرْضِ كُلُّهَا نَحْتَ حَكْمِي	وَهِيَ فِي فَبِضْنِي كَفَرِخُ الْحَمَامِ
وَمُرِيدِي إِذَا دَعَانِي بِشَرْقٍ	أَوْ بَغْرِبٍ وَكَانَ فِي بَحْرِ طَامِ
فَأَغْشَاهُ لَوْ كَانَ فَوْقَ هَوَاءٍ	أَنَا سِفْ القِضَا لِكُلِّ خِصَامِ
وَأَنَا عَبْدٌ قَادِرٌ طَابَ وَقْتِي	جَدِي الْمَصْطَفَى حَبِيبِي إِمَامِ

ومن كلام صاحب الترجمة: الشيخ في أصحابه كالنبي في أمته، لأنه يحب العبيد في ربهم ويظهرهم من أخلاق الشيطان به، ويحبهم في الأخلاق الربانية، فسراهم الحق أهلاً لحضرته ويحبهم، فتدخلهم أسرار الربوبية إما تنزيهاً أو تقدبسا، فيملكون المقامات، وتنطوي عنهم الشقاوة، فهم في يمن الزيادة وإن هفوا شيئاً محتة العناية لأنها عامة. «بِمَحْوِ اللَّهِ مَا بَشَاءٌ وَتَثَبَّتْ وَعِنْدَهُ عِلْمُ الْكِتَابِ» فكانوا أخساراً أحراراً، فتمم الله بهم الملة وداوى بهم العلة، فتبعوا ما في القرآن وأخبر القرآن بهم : «أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ». ضرب الله لنا معهم سهماً إنه على ما يشاء قدير.

وكلامه في الطريق جليل، وله في المعرفة القدم الراسخ، والباع الطويل، وكف بصره في آخر عمره، فروي عنه أنه كان يقول ما معناه : غار علي الحق أن أنظر إلى غيره. وحكي أن أبا معاوية الأسود كان مكفوف البصر وكان يحب قراءة القرآن، فكان إذا فتح المصحف رد بصره عليه حتى يفرغ من القراءة فيكف بصره. وقيل في هذا المعنى :

وغيضت طرفي عن سواك فلم أجد	في الكون غيرك من إله يعبد
يامن له عنت الوجوه بأسرها	وله جميع الكائنات توحيد
يامنتهى سؤلى وغاية مطلبى	من لي إذا أنا عن جنابك أطرد
أنت المؤمل في الشدائد كلها	ياسيدي ولك البقاء السرمد
ولك التصرف في العباد كما تشا	فلذاك تشقى من تشاء وتُسعد
فامنن علي بتوبة يا مَنْ له	قلب المحب مقدس و موحد

توفي صاحب الترجمة في آخر محرم عام عشرين ومائة وألف (343) .

أحمد بن عبد الله معن

ومنهم الشيخ الإمام، الولي الهمام، طود الإيقان، ومنيع العرفان، مطلع شمس العيان، ومعدن الفضل والإحسان، ومصباح الزمان، وفريد الأوان، العارف بالله، الدال عليه في سره ونجواه، سيدي أحمد بن محمد بن عبد الله معن الأندلسي -رضي الله عنه وأرضاه-. تقدمت ترجمة والده عام اثنين وستين وألف. كان -رضي الله عنه- من أعلام الطريقة، ومن أكابر أهل الحقيقة.

قال أبو عبد الله محمد المهدي بن أحمد الفاسي في كتابه الإلماع بمن لم يذكر في ممتع الأسماع : فهو، يعني صاحب الترجمة، الفتى الذي ما مثله فتى، والرجل الذي ما فى وقته أتى. ففي الغيبة في الله وعلو الهمة والشغل به عما سواه غاية ، وقد رفع عنه حجاب النهاية (344) ، وكوشف بالحقيقة كشافا، وصارت له لباسا ووصفا. وفي البقاء بعد الفناء والقيام بحالة الجمع والفرق وفي اتباع السنة والبحث عنها قد حصل من ذلك على الحظ الأوفر، وفي الالتحاق بحزب السلف الصالح في ذلك ما ونى ولا قصر، وفي الفتوة والأخلاق الزكية الكريمة والشيم المرضية المستقيمة آية الزمان، والمعجزة التي جلت عن مباراة الأقران. وفي الفرار من الدعاوي غاية الإمكان، وفي الفقر إلى الله والغنى والتعزز به سابح مطلقة له اليدان. انتهى.

(343) اختصرت هذه الترجمة الطويلة لمحمد الجماعى فى ط فى صفحة ورع. والتنام من المخطوطات.

(344) هذه عبارة س، وهو الصواب فيما يبدو. وفي ك: وقد رجع له أصحاب النهاية.

وكان من الأعلام المنفردين في زمنه برسوخ القدم في الطريفة واتباع السنة على قدم السلف الصالح آية في السخاء وبذل المعروف بنفسه وماله. مع توضيح العبارة ولطيف الإشاره، مطاعا في جيله محببا، ملحوظا من مولاة بعين العناية مقربا. قبلت فيه قصائد كثيرة جمعها ديوان من تواليف جدنا -رحمه الله تعالى- وألف فيه سيدنا الجدد كتابه المسمى بالمقصد الأحمد في التعريف بسيدنا ابن عبد الله أحمد اشتمل على مجلد كبير لم ينسج أحد على منواله، جعله اثني عشر بابا، الباب الأول في نسبه وأبوه، وعشبرته الأقربين إليه. الباب الثاني في نشأته وبدابته، وأخذه طريق هدايته. الباب الثالث في مواجده وأحواله، ومقامه المتصف به وكماله. الباب الرابع في سيرته السنية، وجمل عن أخلاقه السنية. الباب الخامس في كرمه وسخائه. الباب السادس في علو همته، وورعه وزهده وذمته. الباب السابع في دلالة على الله وجمعه عليه، الباب الثامن في كلامه وإشارته. الباب التاسع في جمل من كرامته. الباب العاشر في شيخه الهمام. الباب الحادي عشر في أسانيد طريقته. الباب الثاني عشر في بعض ما قبل فيه من القصائد.

وألف فيه سيدي محمد المهدي بن أحمد الفاسي كتابه الإلماع. وإمام الزاوية أبو العباس أحمد بن عبد الوهاب الوزير ألف فيه كتابه المقباس في فضائل سيدنا أبي العباس. وقد كان في المعارف بحرا زاخرا، وفي مدارك الجمال بدرا زاхра. وقد سأل بعض علماء العصر المبرزين في العلم والدين بما نصه : - سيدي رضى الله عنكم- رجل استشكلت عليه أمور فنريد من الله ثم منكم أن تبسنوا لنا مظهر لكم فيها بفضلكم. فمنها ما هذه الأنوار المشرقة على أهل البدايات في الطريق هل هي أنوار أزلية في كل مومن فيكشف له عنها بسبب التوبة ؟ أم لا تشرق إلا عند تمكن القلب من الإيمان ؟ وما يعطل نور البصيرة عن شهود المنة ؟ وما يكدر المشروب عن طعم برد الرضى بما يفعل المحبوب ؟ وبم يحول المرید في الملك عن الأكوان الظلمانية ؟ وبم يجول في الملكوت هل بالعلم أو بالمفهوم ؟ وهل للعقل مجال في ذلك ؟ وهل للعلوم إدراك للتحقيق الذي سلك عغد العلوم ؟ وهل للمفهوم إدراك للعالم الأسنى ؟ وما قمر التوحيد الذي هو ممتد من شمس المعارف ؟ وما رياح الصبا النبي تشغف الأرواح ؟ وهل هي على يد الشيخ أو على يد النبي (صلى الله عليه وسلم) ؟ وهل الشيخ دال على الله بمقاله ؟ أم دال على الله بأفعاله ؟ أم له قوة وأسرار يجلب بها الأرواح إلى الحضرة القدسية ؟ وما يعتمد في الشيخ هل هو مظهر للحقائق التي لا تدركها العقول والفهوم ؟ أم هو حاكم للنفوس لتتقوى الأرواح فقط ؟ أم هو قوة الأرواح لتقبل من الواردات ما تطيق ؟ أم خليفة النبي (صلى الله عليه وسلم) يبلغ من أسرارها الباطنة التي لا يدركها من اشتغل بعلم الظاهر ؟ فإن كان كما دالا بظاهره فقط وغالب علمه الحس فليس للمغلوب أن يربي في مواقع الأرواح ؟ وهل للشيخ تصريف في روح الروح ؟ أم

هو برزخ الأرواح فقط إلى أن يبلغ المرید ويرجع عنه ؟ أم لا ننقسم عنه أبدا ؟ وسأل عن أحوال الشيخ ما السبب في كونه تارة بجمع على نفسه وتارة على النبي (ص) وتارة على الله أكل ذلك مدرج في صفاته وأحواله ؟ انتهى.

اشتمل السؤال على خمسة عشر مسألة، وكلها متناسبة وأيدى فيه من العلم الباهر والأنوار الظاهرة ما يجعل عن الإحصاء، وليس هو في الحقيقة سؤال بل هو تعلم لما اشتمل عليه من الإجمال والتفصيل. قال العلماء أحسن السؤال يسمى تعلما، وحاد بذلك عن الشهوة فسأل عما له به خبرة من سر نعيم العارفين. قال ابن عطاء الله : إما لفضان وجد أو لقصد هداية مرید. وقال في لطائف المنن : من أجل مواهب الله لأوليائه وجود العبارة. قال وسمعت شيخنا أبا العباس يقول : الولي يكون مشحونا بالمعارف والعلوم، والحقائق لديه مشهودة، حتى إذا أعطي العبارة كان ذلك كالإذن من الله في الكلام انتهى. وقد فتح الله علينا بتقيد على هذا السؤال يسع نحو كراستن، لا على أنه جواب له، فمعاذ الله أن يكون مثلي ممن بجيب عنه، وإنما هو اقتباس من معارفه وعلومه ونفائس فهمه. ونورد شيئا من ذلك على اختصار فنقول : قوله ما هذه الأنوار، فإن كان مراده الإدراكات التي هي من صفات الروح فهي أزلّة لأن الروح من عالم الأمر الذي وجد دفعة، لا من عالم الخلق الذي هو على التدرج. قال في المباحث الأصلية:

فلم تزل نفوس تلك الأخباء عَلامَة دراكةٍ للأشياء
وإنما تُعَوِّقُهَا الأبدانُ والنفس والنزغُ والشيطانُ

وإن كان المراد بالأنوار ما يلزمه التوجه من عبادات ومعاملات ومجاهدة فهي من تمرات اليقين الذي هو وصف الإيمان فلا سرف إلا عن تمكنه. وقوله ما يعطل نور البصرة عن شهوة المنّة. قال في الحكم: أصل كل غفلة أو معصية أو شهوة الرضى عن النفس، وأصل كل صالحة وعفة عدم الرضى منك عنها. فالإنسان ولو كان له بصيرة فلا تفارقه رعونات البشرية، بعنى به الغفلة، فيرجع إلى أصله وهو الجهل، والرضى عن النفس أصل جميع الصفات المذمومة، وعدمه أصل جمع الصفات المحمودة. قال ابن عباد: انفق على هذا جميع العارفين وأرباب القلوب.

وقوله وما يكدر المشروب عن طعم برد الرضى بما يفعل المحبوب، في رسالته القشيري. قال أبو تراب النخشي: ليس ينال الرضى من الدنيا في قلبه مقدار. وقوله يحول المرید في الملك عن الأكوان الظلمانية. العوالم أربعة: عالم الملك وهو المدرك بالحواس، وعالم الملكوت وهو ما يدرك بالعقل. وعالم الجبروت وهو ما يدرك بالمواهب، وعالم العزة وهو ما يعزز الله تعالى به فلم يظهر لأحد من خلقه. والأكوان قال ابن عباد: هو كل ما يمكن

لنفس أن يكون فيه حظ من متاع الدنيا وزهرتها. قال في الحكم: الكون كله ظلمة، وإنما أنا أظهر الحق فيه انتهى. وكونها ظلمانية قال الشيخ زروق لثبوت عدميتها في الحال بعدم استقلالها، وكذا في الماضي والمستقبل، لأن المريد في الملك موجود لا مريد للكون، وهو ظلمة وللحق تعالى الذي ظهر فيه وحسث الدلالة والتنزيه به وهو نور، والجولان في هذا بالعقل بشرط أن يؤيد بالإمداد منه تعالى، إذ العقل وحده قاطع عن الله سبحانه. قال في الحكم: وصولك إلى الله وصولك إلى العلم به، وإلا فجل ربنا أن يتصل بشيء أو ينصل به شيء. وقوله وبم يجول في الملكوت هل بالعلوم أو بالمفهوم، عبارة زروق في شرح الحكم وشرح المباحث، وقوله في المنن: وكل قلب له بابان إلى الأبدان، كل دال على أن الجولان في الملكوت بالعلوم، لكن لم يشرح سدى عبد الوارث ولا سيدي أحمد زروق هذا البيت، وشرحه الشطبي بما يرجع إلى تقسيم القلوب إلى تقى وغيره. والصواب في شرحه ما عند الغزالي في شرح عجائب القلوب في الإحياء من أن للقلب بابين أحدهما مفتوح إلى عالم الملكوت وهو اللوح المحفوظ وعالم الملائكة وباب مفتوح إلى الحواس فانظره. وقوله وهل للعقل مجال في ذلك، لا مجال للعقل فيه لأنه مدرك فيعلم ولا يدرك إلا بالخصوصيات الأزلية فلا يعمل إلا أهله. وقال الخضر لموسى - عليهما السلام - إنني على علم من علم الله علمنيه لا تعلمه، وأنت على علم علمك الله لا أعلمه الحديث. وقوله: وهل للعلوم إدراك للتحقيق الذي سلك عقد العلوم، لم يظهر لى شيء في هذا إلا أنني أقول ربما يقال عقد العلوم هو أنفسها، وذلك لا يكون إلا في المعرفة بالله تعالى، وسلوكه هو قطع المقامات السابقة عليها والمنازل المندرجة فيها، ومعنى الكلام هل صاحب العلوم الظاهرة يدرك تحقيق تلك المقامات والمنازل بمجرد العلم وإن لم يسلكها بالفعل أم لا يدرك ذلك إلا إذا سلك بالفعل؟ والجواب على هذا أنه يدرك مطلق الإدراك لا كإدراك الذي سلك ذلك، لأن لصاحب الخصوصية مزيد الكشف بحاسة باطنة بسر موهوب من ربه. ومثله ذلك في الشاهد بحلاوة الشهادة فالذي لم يذوقها قط لا يدرك من وصف حلاوتها إلا ما يدرك الأكمه من كيفية الألوان في الوصف ولو قطعت دهرها في إيصالهما ما استشفا بالتعريف، والتعبير أرجح من ذلك، وفي الحكم ربما عبر عن المقام من استشرف عليه ولم يصل إليه، وذلك ملتبس إلا على صاحب بصيرة. وقوله وهل للفهوم إدراك للعالم الأسنى؟ تقدم أن العوالم أربعة اختلفوا في الملكوت والجبروت أبهما أعلى، فقل الجبروت أعلى، وقال أبو طالب المكي وأبو حامد الغزالي الملكوت أعلى. فالملك يدرك بالمشاهدة، والملكوت بالعقل، والجبروت بالمواهب، وعالم الغيب لا يدرك، وعلى كلا القولين فلا تدركه الفهوم لأن عالم الجبروت حضرة الأسماء ولأن عالم الملكوت، فالملك راجع إلى الأثر، والملكوت راجع إلى الذات، كما نقله سيدي المهدي الفاسي في شرح دلائل الخيرات الكبير عند قوله وأراه سنا الجبروت. وقوله وما قمر

التوحيد الذي هو ممتد من شمس المعارف؟ قال في لطائف المنن: وقد تدور عليهم الكرامات وتختلف لديهم الحالات، ويردون من الذكر والطاعات الأعجيبون عن الصفات مع تراجم المقدورات، فذلك وقت صحوهم واتساع نظرهم ومزيد علمهم، فهم نجوم العلم وقمر التوحيد يهتدون في ليلهم، وشموس المعارف يستضيئون في نهارهم. «أُولَئِكَ حِزْبُ اللَّهِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ». لم يتيسر لي في الحال مراجعة ما في تصنفه من كلامهم، وظهر لي أن فيه اعتبارات: أحدها أن قمر التوحيد، وهو رسول الله صلى الله عليه وسلم ولذلك أوجه: أحدها أنه صلى الله عليه وسلم تُدرك منه المعارف مع شهود ذاته الكريمة، كما أن القمر يهتدى به عند طلوعه مع استطاعة رؤيته بالبصر. ثانيها أنه الواسطة بين الخلائق وربها في الأنوار الربانية والمواهب العرفانية. كما أن القمر واسطة بين الشمس والخلائق في استمداده من نورها وإشراق النور عليهم فيهتدون به في الظلام، ويعرفون منه مفادير اللبالي والأيام. ولولا أنه صلى الله عليه وسلم واسطة ما قدر أحد على تلقي العلوم من حضرة الربوبية المنزهة المقدسة. ثالثها أن أهل الترقى في الأحوال إذا بلغ ترقيمهم لمقام الفناء والمحو لا يستغني واحد منهم عنه صلى الله عليه وسلم ولو بلغ من ذلك ما بلغ. لكن إذا تجلت في أحدهم شمس الأحدية استغرق نورها قمر المحمدية، فغاب نور قمر المحمدية في غلبة نور شمس الأحدية لقرب البعض من البعض على المعنى اللائق المنزه، كما يغيب ضوء القمر الحسي في ضوء الشمس عند تقارب منازلها، ودليل التقارب ما أوما إليه قوله تعالى: «فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَى» فهذه المنزلة ثابتة للنبي صلى الله عليه وسلم مع ما يليق ببساط التوحيد. وقد فرر هذا المعنى سيدي عبد الرزاق العثماني في شرحه لنظمه المسمى *عقد السلوك*. ثاني الاعتبار أن قمر التوحيد هو قلب المومن الموافق لإدراك السعادات لا يزال في الترقى حتى يكمل، ومادته من شمس الإلهام. ثالث الاعتبار أن قمر التوحيد هو التوحيد نفسه، وأضيف إلى القمر لأن المهتدي بالتوحيد في ظلام الجهل كالمهتدي بالقمر في ظلام الليل، ومادته من المعرفة التي هي كالشمس فصبر معها (345)

وقوله ما رياح الصبا التي تشغف الأرواح، أي تصيرها مشغوفة بحب ربها. قال ابن عباد: الوردات تمحو عن العبد جميع رعوناته، ونهدهم عليه مستمر عاداته، ولها سلطنة عظيمة على ذلك، فإذا وردت على قلب مشحون بأنواع الخبائث والردائل أزال ذلك بمرّة وأثبتت عوضاً من ذلك أحوالاً عليّة وأوصافاً رضيّة.

وقوله وهل هي على يد الشيخ أو على يد النبي صلى الله عليه وسلم، الجاري على ما نقرر عندهم أنها على يد النبي صلى الله عليه وسلم. قال الشيخ الخروبي في شرح *التصليّة*

المشيشية: فأرواح العلماء وقلوب العارفين وعباد الله الصالحين والنبیین والمرسلين تنلّی من روحه صلى الله عليه وسلم العلم والحكمة والمعارف الربانية والأسرار الملكوتية، ولذا سمي روحه صلى الله عليه وسلم أبا الأرواح. فعلموا العلماء ومعارف العارفين وحكم الحكماء كلها مستفادة من علومه صلى الله عليه وسلم ومعارفه وحكمه، وكل ما علمه العالمون واستفاده العارفون وفهمه الحكماء من علوم ومعارف وحكم الجميع نقطة من بحره صلى الله عليه وسلم انظر تمامه.

وقوله هل الشيخ دالّ على الله بمسقاله أم على الله بأفعاله أم له قوة وأسرار يجلب بها الأرواح إلى الحضرة القدسية؟ الظاهر أنه دالّ على الله بمقاله وأفعاله وجالب الأرواح يسره إلى الحضرة القدسية. قال في الحكم: لا تصحّب من لا ينهضك حاله ولا بدلك على الله مقالته. قال الشيخ زروق في الشرح الحادي عشر مفهوم كلامه: اصحّب من... الح... وقريب منه عبارته في لطائف المنن. وأما الجلب إلى الحضرة القدسية، فقال الشيخ الشعراي في البحر المورود: أخذ علينا العهد إذا حصل لنا مدد من الله وفاض علينا أن نمدّ بذلك الفاضل الأقرب فالأقرب من حث كثرة الافتداء بنا ولا نعلمهم بذلك ليلاً يكافؤوا على ذلك بالخدمة والهدية وكثرة الشكر لنا في المجالس فينقص ما لنا انتهى.

وقوله يعتقد الخ الحقائق التي لا تدركها العقول هي الأسرار التي هي اللطائف المودعة في الإنسان، ولكنها لا تظهر إلا بعد رياضة وتدريب غالباً، وستل الشيخ على سبيل التنبيه هل هي موجودة في الإنسان أولاً ولكنها أخفتها عيوبه ولم تظهر إلا بالخلوص من العيوب على يد الشيخ بالهمة أو بالنربية فهو مظهر لها بهذا الاعتبار؟ أم الشيخ ليس بمظهر لها ولكنه حاكم للنفس وزاجر لها بهمته، فيضعفها حينئذ وتقوى عليها الروح لأنها منقابلان مهما ضعفت إحداها غلبت الأخرى؟ أم ليس كذلك معد الروح ومقومها بمادة القوت من عنده فتقوى بذلك على النفس فنقبل ما يردّ عليها من الواردات التي تطيقها؟ أم ليس كذلك وإنما الشيخ خليفة النبي صلى الله عليه وسلم في توصيل أحكامه الباطنة، كما أن الفقيه خليفة النبي صلى الله عليه وسلم في توصيل أحكامه الظاهرة، لأن للأحكام الباطنة فوما خصهم الله بفعالها وإدراك أنوارها ودقائق أسرارها، ولا بقدر على ذلك أهل العلم الظاهر، لأن لهم اصطلاحاً آخر، تارة يقودون أهل الباطن إلى ذلك حساً كالحض على الطاعة بالقول والدؤوب عليها بالفعل، وتارة يترقون في ذلك غيباً كجلب الأرواح إلى الحضرة القدسية بالسر المودع فبهم، لأن الغالب على السسر التأديبة بالحس، وما كان معنوياً فهو مغلوب بالأوصاف البشرية، وشأن التريسة أن تكون للغالب الذي هو الحس لا المغلوب الذي هو المعنى، على أن ما كان في مواقع الأرواح لا يقبل التريسة. لأن الأرواح من عالم الأمر الذي لا تدرج فيها ولا تقديم ولا تأخير، بل كل ما فيه وجد دفعة على ما هو به من كمال ونقص، فكيف تكون

التربية في عالم الروح وكيف تكون للحظ المغلوب. وكان هذا هو روح السؤال والله أعلم. ولعله يمكن الجواب عنه بأن التربية وقعت في عالم الملك بعد اتصال الروح بالذات لا في الروح وحدها التي هي من عالم الأمر، لأن المريد وإن كانت أوصافه الكاملة مخلوقة في روحه مع نشأتها لكنها لم تظهر فيه في عالم الملك إلا بعد التربية أو الهمة من شيخه. فمن أدرك الخصوصية من هذه الطريق، و إلا فقد تحصل الخصوصية من غير شيخ أصلاً، بل بالمدد من القرآن أو من رسول الله صلى الله عليه وسلم من غير واسطة، ويتضح هذا بقضية سيدي عبد الله (346) بن ساسي مع شيخه سيدي عبد الله الغزواني وسيدي علي بن إبراهيم البوزيدي. قال في المرأة: قال له أبو الحسن أنا أحق به فقد عينته وهو في بطن أمه، فقال له أبو محمد أنا أحق به فقد عينته وهو في صلب أبيه فاستحقه انتهى. ونقله في الممتع (347)، ونقله عم والدنا محمد العربي القادري في كناشه بزيادة مذكورة. وهذا التعيين بحسب ما سبق، لأن قاعدة التحقيق ليس إلا سابقة التوفيق.

وقوله هل للشيخ الخ) روح الروح هو رسول الله صلى الله عليه وسلم فإنه رحمة للوجود وحياة للأرواح. وبسط هذا المعنى في شرح الجزولي لصلاة ابن مشيش فانظره. والتصرف من ولاية الأبرار. قال العثماني في شرحه لنظمه: والأبرار لهم التصريف، وهو تجلي الحق لعبده بنفوذ مراده. وفي تفسير القشيري لما ذكر أنواعاً من التمكين عند قوله تعالى: «إنا مكننا له في الأرض»: وفوق هذا التمكين في المملكة إيصال قوم إلى منازل وحال، فالله يحق فبهم همته انتهى. والبرزخ هنا هو الحاجز بين الشيء وغيره. وفي حزب الشيخ أبي الحسن واجعلنا سبب الغنا لأليائك، ويرزخا بينهم وبين أعدائك. قال سيدي عبد الرحمان بن محمد القاسي في حاشيته: يعني حاجزاً لهم ومانعاً من تسليط أنفسهم وأهوائهم وشيطانهم وسائر قواطعهم عن كمالهم انتهى. فمعنى التصريف هنا في روح الروح الذي فرنا أنه النبي صلى الله عليه وسلم هو التجلي للشيخ بنفوذ مراده بالإيصال للمريد ما قدر له من الأنوار النبوية.

وحاصل الجواب أن للشيخ ذلك، وهو برزخ للمريدين كما دل عليه كلام الشيخ أبي الحسن ومحشيه. وأما السؤال هل يرجع الشيخ عن المريد بعد كماله ووصوله أم لا؟ فقال الحاتمي: وإذا علم الشيخ أن المريد قد استقل وكملة تربيته ودخل أوان فطامه وجب عليه أن يقطع عنه الإمداد من جهته ويتركه مع ربه إن شاء أقامه بين العباد وإن شاء ستره بينهم، ولا حكم بعد ذلك للشيخ عليه، ولا يجوز أن يسيء معه الأدب أبداً، بل يحترمه وإن لم يكن مقتدياً به انتهى.

وقوله واسأل خاصة قوله صاحب المباحث: والشيخ في منزلة الطبيب، وبينه الشيخ زروق بأنه طبيب القلوب بما شهد وتحقق، لأن الطب صناعة من العلم والتبحر فيه لحفظ

(346) في ك: عيد الحق، وهو تصحيف.

(347) متع الأسماع، ص 82

الصحة في بدن الإنسان، وهذا في حفظ قلبه من الأمراض المعنوية، فالاختلاف فيه على المريدين باختلاف أمراضهم، فالجاهل يدلّه على الاقتداء به، واللاتح لغيره بحضه على قصر النظر عليه، إذ قالوا لا ينتفع المريد بالشيخ مادام فيه التفات لغيره. والمقصر في حق النبي صلى الله عليه وسلم جهلا علمه وتبّه على عظيم قدره وأنه رحمة للعالمين، ولم يحصل لأحد خير إلا منه، ومن قطع هذه المنازل وحقق منزلة الشيخ ومنزلة رسول الله صلى الله عليه وآله وتأهل للخصوصية دلّه شبخه على ربه وزج به في نور الحضرة حتى قال له ها أنت وربك. فهذا كله من جهة اختلاف أحوال المريد. وقد يكون الاختلاف من جهة الأحوال الواردة على الشيخ، فإذا كان في مقام الفناء فلا شعور له بشيء، فلا يدل إلا على نفسه. وإذا كان في مقام الغيبة في النبي صلى الله عليه وسلم فلا يدل إلا عليه، وإذا كان في محل الشهود والغيبة في المعبود لا يدل إلا عليه.

ثم إن الشيخ أورد هذا السؤال للتعليم لسامعه والإفادة له، وله أسوة في سؤال جبريل - عليه السلام - رسول الله صلى الله عليه عن الإسلام والإيمان والإحسان، وبين صلى الله عليه وسلم للحاضرين في آخر الحديث أنه جبريل جاء يعلمهم دينهم. وفي الفتح قال ابن المنبر: يعلمهم دينهم دلالة على أن السؤال الحسن يسمى علما وتعلما، لأن جبريل لم يصدر منه سوى السؤال ومع ذلك سماه معلما. وقد اشتهر قوله حسن السؤال نصف العلم، ويمكن أن يؤخذ من هذا الحديث لأن الفائدة انبنت على السؤال والجواب معا، لكن الواقع هنا هو التعليم. وقد يقصد به الشيخ اختبار بصائر أصحابه وأتباعه ومن هو حريص على نفعه من أهل عصره.

وكان صاحب الترجمة رأسا في علوم القوم وتحرير عباراتهم، وتدقيق إشاراتهم، وله من العبادة والزهد والسخاء وكرم الأخلاق وحسن المعاملة والتعطف على الضعفاء والمساكين ومحبة آل البيت والعلماء والصالحين وسائر الضعفاء والمساكين والحرص على النفع لسائر المسلمين في عصره ما لا يأتي عليه حصر. وكان صاحب فراسة تامة في الطريق ونصريف وكرامات ومكاشفات وإغاثات وإشفاء المرضى والإخبار بالمغيبات وإجابة الدعاء ومكثرات الصدقات والإنفاق وإطعام الطعام، وما أكل جميع من طعامه إلا كفاهم ولو قل، وإذا قصد في مشورة كانت عاقبتها خيرا، وإذا شكاه أحد بشيء كف ضرره، وبمرض شفي صاحبه، وبمسجون سرح، وما آذاه أحد إلا انتقم الله منه. قال في الإلماع: إذا نظر أغنى، وإذا أراد أعطى وأقنى، كلامه شفاء للقلوب، وفتح لباب الغيوب. رفيع الهمة عن الخلق متعفف عما في أيديهم، لا يتوجه إليهم في أمر ولا يعرج عليهم في شأن، دائم العكوف على حضرة الحق، لا يعول إلا عليه، ولا استناده إلا إليه، ولا محبة إلا فيه، ولا لهج إلا به، ولا وقوف إلا ببابه، ولا رجاء في شيء إلا في جنابه، لا يزيد فيه إقبال الخلق ولا تعظيمهم، ولا ينقص

توفي شيخنا الإمام العارف بالله الدال كل عبد على موله الولي الصالح الجاري في مسدان المنافع والمصالح قبله الصلاح وكعبة الفلاح أبو عبد الله سيدي محمد بن الولي الكامل أبي محمد مولانا عبد الله بن إبراهيم بن موسى بن الحسن بن موسى بن إبراهيم بن محمد بن أحمد بن عبد الله الجبار بن محمد بن يملح بن مشيش بن أبي بكر بن علي بن حرمة بن عيسى سلام بن مزاور بن حيدرة بن محمد بن إدريس بن إدريس بن مولانا عبد الله الكامل بن مولانا الحسن المشني بن مولانا الحسن السبط بن مولانا علي ومولانا فاطمة بنت سيدنا محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم.

قال في الأنبس أخذ طريقة القوم عن والده الولي القطب الشهير مولانا عبد الله عن شيخه العارف الرباني النخب سيدي أبي الحسن علي بن أحمد الجرفطي الحسني نزيل صرصر عن شيخه الولي الصالح البركة سيدي أبي الحسن المصباحي دفبن الدعاة عن نسخته الجامع بين السريعة والحقيقة سيدي محمد بن علي بن مهدي الهراوي الزمراني المعروف بالطالب دفبن داخل باب الفتوح أحد أبواب فاس عن شيخه القطب الرباني سيدي عبد الله الغزواني عن شيخه البحر الفياض عبد العزيز بن عبد الحق الحرار المعروف بالتباع عن القطب الأكبر الغوث الأشهر مولانا محمد ابن سليمان الجزولي الحسني عن شيخه سيدي عبد الرحمان الشريف أمغار عن شيخه أبي عثمان الهزاني عن سيدي عبد الرحمان الرجرجي عن سيدي أبي الفضل الهندي عن سيدي أحمد عنوس البدوي عن سيدنا الإمام الغربي عن سيدنا عبد الله المغربي عن سيدنا الإمام علي الشاذلي الحسني عن سيدنا القطب الجامع الأكبر عبد السلام بن مشبش الحسني عن سيدي عبد الرحمان الشريف المدني عن سيدي عبد الرحمان التناثري عن أبي بكر الشبلي عن إمام الطريقة أبي القاسم الجنيد عن أبي البقاء سري السقطي عن أبي المودة حبيب العجمي عن الحسن البصري عن الحسن بن علي وسيدتنا فاطمة بضعة رسول الله عن والده سيدنا علي كرم الله وجهه - رضي الله عنهم أجمعين ..

وكان هذا الشيخ مجاب الدعوة مأمون الادعاء حسن الأخلاق مواسيا لذوي النياب الأخلاق، مقرب أهل الإملاق على الإطلاق، لين الجانب، للغرباء والأجانب، يطرح الغريب، وينزل البعبد منزلة الغريب، بقصد للزيارة، من البداوة والحضارة. وكان بجالس العلماء الأئمة، أعلام هذه الأمة، فباخذون عنه الأحاديث النبوية، ويقتسمون ما نالوا من بركاته على السوية. وكثيرا ما كان بوصي على الإكثار من الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم نفعتنا الله به آمين [(349)].

(349) هذه الفقرة الطويلة المكنونة بين معقوفين لا توجد إلا في س ولو أن في آخرها بعض التكرار لما تقدم

علي الحاج بركة

ومنهم العالم العلامة المتشارك الدراكة الصالح البركة أبو الحسن سيدي علي بن محمد الملقب الحاج بركة الأندلسي التطاوني دفينها، صاحب الحرم والمزاراة الكبيرة الشهير بها. كان - رضي الله عنه - من العلماء العاملين، ومن الصلحاء الكاملين. قرأ العلم بفاس على مشايخها، منهم سيدي عبد القادر الفاسي، وأخذ الطريق عن أبي عبد الله بن ناصر وكانت له مواصلة مع سيدي أحمد بن عبد الله معن. كبر، وذكر شهير. وقال فيه صاحب الأنيس:

يا واحدَ العصرِ يا عليَّ بركةً	[مني السلامُ عليك والبركةُ
وذا مُدارسةٍ وذا ملكةٍ	قد كنتَ ذا ورعٍ وذا أدبٍ
وحُزّتَ حلمًا سواك ما ملكةٍ	علمتَ علمًا وكنتَ مآلكه
فهل رَمِيتَ عليه من شبكةٍ	لم يَبْقَ علمٌ إلا وتعلمُـه
وما رأيتُ سواك من سبكةٍ	سَبَكْتَ صَعْبَ الكلامِ حتَّى بدا
حتَّى أدّرتَ على الوريّ فلكه	وكان نجمُ العلومِ في فلكِ
لولاك ما كانَ واحدٌ سلكه	سلكتَ بالناسِ نهجَ مصلحةٍ
والناسُ كم ناصبٍ له شركه	وكنتَ في النحو غيرَ مُشترِكِ
فما ترى اللحنَ ثم حركه	صيّرتَ تطوانَ كلّها عربًا
وما لهم إذ سكتَ من حركه	والسوم مأتوا إذ متَّ من أسفٍ
بحرِ الدُموعِ كأنّها سَمَكه	لذاك عيني تعومُ بعدك في

انظر ما بقي منها. ورثاه أيضا بقصيدة أخرى فمنها:

كان روحَ العصرِ قد ذاقَ الحِمَامَ	ما ترى عالمَ تطوانَ الذي
فقدِهَ اليَوْمَ كما نَاحَ الحِمَامَ	فلتُنحُ يا كلَّ إنسانٍ على
كان في المغربِ والعصرِ الإمامَ	كيف لا يُبكي على الحَبَرِ الذي
سِرُّ فِقْهه تَفَاسِيرُ كَلَامَ	مَنطِقُ نَحْوِ بَبانٍ لُغَة
منه شَجْوٌ وَهَيَامٌ وَكِلامٌ	جاءه الموتُ ففى أحشائنا
فلنا الأسوّةُ في خيَرِ الأَنامِ	أيها الناسِ اصبروا واحتسبوا

كُلُّ حَيٍّ لَا بَتَ فِي مَوْتِهِ مَبَّتْ لَوْ عَاشَ فِيهِمْ أَلْفَ عَامٍ
غَبِرَ أَنَّ اللَّهَ يُحْيِي عِلْمَ مَنْ مَاتَ لِلنَّاسِ كَمَا يُحْيِي الْعِظَامَ
يَجْعَلُ الْأَبْنَاءَ وَرَأْسًا لَهُ فَيُوَفِّي سَهْمَهُمْ بَيْنَ السَّهَامِ
ثُمَّ بَيِّقِي الْعِلْمَ فِي أَخْلَافِهِمْ يَنْلَقُّاهُ هُمَامٌ عَنْ هُمَامِ
وَكَذَا الْأَخْبَارُ تَبْفِي فَضْلَهُمْ يَسْنُوِي الْمَبْدَأَ فِيهِ وَالْمَمَامِ
وَالَّذِي طَبَّبَ رَيْسِي بَدءَهُ لَا تَشْكُوا أَنَّهُ طَبِّبُ الْخِنَامِ

ولصاحب الترجمة أنظام فى أنواع من المسائل النفسية. ورأيت له رسائل ومخاطبات لجدنا عبد السلام بن الطيب القادري، ورأيت له سؤالاً كتبه لجدنا المذكور عن خمسة مسائل. الأولى عن حديث وَضَعَ نَدَى رُبِّي بَيْنَ كَتَفَيِ الْحَدِيثِ. الثانية عن حديث حُجُّوا هَذَا قَبْلَ أَنْ تَنْبُتَ فِي الْبَادِيَةِ شَجَرَةٌ فَلَا تَأْكُلُ مِنْهَا دَابَّةٌ إِلَّا نَاقَتٌ. الثالثة قول سيدي عبد الكريم المراكشي حُبُّ الْآخِرَةِ رَأْسُ كُلِّ خَطِيئَةٍ. الرابعة قول أبي يزيد البسطامي: كنت من الزاهدين فى الله. الخامسة قول بعض العارفين منذ عرفت الله ما دخل فى قلبى حق ولا باطل. فأجابه عن جميعها جواباً حسناً فى كراستين [350]. ولصاحب الترجمة شرح على الجروسة. ويذكر أنه تشرح تأليف سبدي أحمد ابن ناصر فى الصلاة على النبى صلى الله عليه وسلم.

توفي فى تاسع وعشرين من شوال عام عشرين ومائة وألف، ودفن بتطوان، وبنى عليه روضه هى الآن مزارعة عظيمة وبها الصلوات مرتبة وأحزاب عقبها كذلك [351].

أحمد بن عبد الحي الحلبي

الأديب الشهير، العالم الصوفي الكبير، المولع بالأشواق النبوية، والأمجاد المصطفوية، سراج الدين أحمد بن عبد الحي الحلبي الشافعي نم الفاسى وفاة. كان ممن ذاق الحب النبوى ومساعه، وحمل فيه لأهل زمانه رابة البلاغة، فوال مكتار، لا يستطيعه الحسين ولا مهيار، ممن أعجز كل مديح وحاز فى هذا الباب الفخر الصريح، أنفق عمره فى الأمجاد المحمدية، واغتنم بها طلب السعادات الأبدية، وأكثر من القصائد الرفعة، والأزجال البديعة، فتارة يتغزل على طريفة النسيب وتارة يصرح أولاً بالمديح ويأتى فى كل بالعجب العجيب، فله فى ذلك ديوان كبير.

قال فيه فى الأنيس: إمام مذكور، وهمام مشكور، ومعروف بفصاحته غير منكور، ويحرر لا تكدره الدلاء، وحبرٌ يُفاخر أعلام الدلاء، وحق له ذلك فقد جعل عمدته فى الأمجاد المحمدية، وأكثر من القصائد الوصفية والأزجال البديعة. ومن نظمه:

(350) ناقص من ط

(351) ترجمة على بركة فى ط موحدة فى بضعة أسطر.

أُرِفْتُ وَالِدَمْعُ فِي الْخُدُودِ بَنَسَجِمُ
أَوْ الْقَبَابُ بَدَتْ مِنْ نَحْوِ أَرْضِ فُبَا
فَاخْلَعْ عَذَارَكَ إِنْ رُمْتَ الْعَقِي وَهُمْ
قَفْ بِالْمُصَلَّى وَقُلْ يَا أَهْلَ ذِي سَلَمٍ
مَا زَالَ فِي رِفْكَكُمْ بَرَعَى لَكُمْ حُرْمًا
كَمْ بَاتَ بَقَرَعُ سِنَا بَعْدَكُمْ نَدْمًا
يَا لَأَتَمِّي لَا تَلْمَنِي فِي مَحَبَّتِهِمْ
فَكَيْفَ تُرْشِدُ بِالنَّعْنَفِ ذَا وَصَبٍ
أَمْ كَيْفَ تَسْكُنُ أَضْلَاعُ بِهَذَا أَلَمُ
طَفِيفَتَ تَنْصَحُنِي مِنْ بَعْدِ مَا كَلَفْتُ

ومنها:

على الحقيقة عند كل ذي رشيد لِمَدْحِ خَيْرِ الْوَرَى أَنْ تُصَرِّفَ الْهَمَمُ
مُحَمَّدُ الْمُصْطَفَى الْهَادِي الشَّفِيعُ وَمَنْ عَلَيْهِ أُمَّتُهُ فِي الْحَشْرِ تَزْدَحِمُ
قُطْبُ النَّبِيِّينَ مَنْ لَوْلَا كَرَامَتُهُ مَا كَانَ بَذَرُ الدُّحَا نِصْفَيْنِ بِنَقْصِ
وَلَا مُنْجِنَا بِخُصْمِ مَنْ فَرَأَيْنَا تَوَابَ خُمُسَيْنِ عِنْدَ اللَّهِ نَغْنَمُ

وله أنظام كثيرة، وله تأليف عديدة، منها: الدر النמים في مناقب مولانا إدریس،
يعنى بانى فاس؛ ومنها: ریحانة القلوب فیما للشیخ عبد الله البرناوی من أسرار الغیوب،
وقد طالعت منه كثيراً؛ ومنها کشف اللثام عن عرائس نعم الله ونعم رسوله علیه السلام؛
ومنها: السبب الصقيل فی الانتصار لمدح الرب الجلیل؛ وفتح الفتاح على مراتع الأرواح؛
ومعراج الواصلین فی الصلاة على سبیدی المرسلین (352)، ومناهل الصفا فی جمال ذات
المصطفى؛ ومناهل الشفا فی رؤیا المصطفى؛ والروض البسام فی رؤیا غیره علیه السلام؛
والسف المسلول فی قطع أوداج الفلوس المخدول، وهو رجل أنکر علیه نداء النبی صلی الله
عليه وسلم باسمه مجردا عن السادة فی فصيدة مطلعها:

وحقك يا محمد ما رأينا نَظِيرَكَ فِي جَمِيعِ الْعَالَمِينَ

(352) هكدا اسم الكتاب فی المخطوطتين. واسمه فی ط: معراج الوصول، فی الصلاة على أكرم نبی ورسول

وله مقامات عارض بها مقامات الحريري؛ والكنوز المختومة في الشفاعة المقسومة لهذه الأمة المرحومة في ثلاثة أسفار، وشرح على قصبته العينية المسماة بمراتع الأرواح، في كمالات الفتاح، في مجلد، ودوان جمع فيه شعره، وأثنى به عليه أهل عصره حسبما رأيت به بخطوطهم وعلى تأليفه، منهم سدي عبد القادر الفاسي وولده سيدي عبد الرحمان وسدي محمد وسدي عبد الواحد بن محمد البوعناني، وسدي محمد بن أحمد القسمطيني وسدي سعيد بن أبي القاسم العميري، والقاضي محمد بن الحسن المجاصي، والقاضي أبو مدين المكناسي السوسي، وسدي محمد بن محمد الشاذلي الدلائي، وأحمد بن سعيد المجيلدي، وأحمد بن يعقوب الولايلي. وكان سدي الحسن اليوسي ينني على نظمه ويلاحظه لغريته ونفاسة علمه ويصرف له ما يحتاج إليه من الزرع ويقضى له بعض ضرورياته. وجميع ما أثنوا عليه به كله مستوفى في كتابه كشف اللثام بلفظه. ثم إنه نظم قصيدة تكلم فيها على لسان الحق تعالى بعدما كتب له على تواليفه، فاطلع عليها الشيخ اليوسي فزجره وأمره بتمزيقها فامتنع من ذلك، فهجره الشيخ اليوسي وجرحه بذلك وقطع عنه ما كان يواصله به، وحذر من الاجتماع به، وأبى أن يتوب واستمر على ذلك، ولم يفدر عليه الشيخ اليوسي بشيء لأن صاحب الترجمة كان يسير إلى حضرة السلطان مولانا اسماعيل الحسنلي لمكناسة في موسم ربيع الأول ويقرأ بباب دار السلطان قصائد الأمداح، وكان له صوت حسن، ويحسن تلك الصنائع، وكان السلطان وأولاده وموالي الدار والأتباع يعطونه ويكرمونه بالعطاء المخصوص، ويقبض ما يقبضه الشرفاء والعلماء، ويوقرونه ومعظمونه غاية التعظيم، بسبب ذلك كف عنه التسبيح الوسي حبت علم أنه لم يقدر عليه بشيء. ثم إن السلطان اطلع على بعض ذلك فلما سمعه تنكر لذلك ونأمله فظهر له أنه خرج بذلك عن مذهب السنة وتنحل إلى أهل البدع والزيغ، وأبعده عن حضرته، وكف الله عن المومنين شر بدعته.

ثم توفي في جمادى الثانية عام عشرين ومائة وألف ودفن بمطرح الجنة خارج باب الفتوح من فاس.

وقدم صاحب الترجمة من مدينة حلب، وكان شافعي المذهب في بلده، وبقي على مذهبه بعد قدومه لمعرفته لما يحتاج إليه من مذهبه وتصحيح أصوله، وحسن سيره إلى أن نظم ما ذكر فتغير ظاهر حاله بسوء اعتقاده بدسوره (353) على مولاه إلى أن توفي تاب الله عنه (354).

(353) كلمه عامية كأنها محرفة عن الجساره، وهى بمعناها ومعنى الوقاحة

(354) أتبتنا كذلك فى رحمة الحلبي أوفى ما فى النسخ التي بأيدينا دون إشارة إلى الفروق.

محمد أبو مدين السوسي

ومنهم الفقيه العالم العلامة المعفولي أبو عبد الله محمد أبو مدين السوسي قاضي الحضرة الاسماعلية بمكناسة الزيتون. قرأ على سيدي الحسن بن مسعود اليوسي، وجل قراءته عليه. وكان إماماً في المعقول، وبرع في الفتيا وشهر فيها. وله شرح على سُلّم الأخصري. وكان أخطب أهل وقته، فخطب في يوم عيد النحر وحضر جمع عظم من الأعبان، فلما حلّى الخليفة ورى باسمه فقال لو رآه والده الجليل، في هذا الجمع الحفيل، لقال الحمد لله الذي وهب لي على الكبر إسماعيل. فأعجب الحاضرون به، ولما فرغ من خطبته خلع عليه السلطان. وكان جيد التوثيق في فتاويه ملحوظاً في دينه وعلمه.

نوفى قاضيا بمكناسة الزينون سبع شوال عام عشرين ومائة وألف وبها دفن.

محمد بن قاسم ابن زاكور

ومنهم العالي العلامة الأدب العوال، الصالح الخير الجوال، الناظم البارع المشهور، أبو عبد الله سبدي محمد بن قاسم ابن زاكور، الفاسي داراً ومنشئاً، وقراراً ومتبوءاً، وقال بعضهم فيه، وهو لاشك غبر مستوفيه: العالم الذي شب في زمان الأدب بعد الهرم، وجدد أساس البلاغة بعد العدم، من ركعت في مضمار البلاغة صافنات حباه، وعقد شذور البلاغة على لُبّات هذا العصر وأجاده. الجهبذ الأريب، المصفع الأديب، اللغوى المنفخن، الحافظ المشارك المتقن. كان - رضى الله عنه - من أجل الفقهاء خيراً دينا متقشفاً، ناسكا متعبداً متصوفاً، زواراً للصالحين متواضعاً فاراً من الدعوى إماماً في علم البيان والبدیع واللغة والعربية والعروض والشعر وأوزان الموشحات والأزجال، مشاركاً في الفقه والحديث والأصول والتاريخ. وأخبرني بعض تلامذته أنه كان بحفظ عدة تأليف، منها تلخيص المفتاح، وجمع الجوامع لابن السبكي، ومختصر خليل، وكافية ابن مالك، وتسهيله، ولا مبتته، وابن الحاجب. أخذ بفاس عن سيدي أحمد بن الحاج، وسيدي العربي بن أحمد بردلة، والحافظ سيدي محمد بن أحمد القسمطني، والحدث عن سيدي المهدي بن أحمد الفاسي، وبتطوان عن الحاج علي بركة، وبالجزائر عن مفتبها العلامة سبدي محمد بن سعد فدورة وعن قاضيا عمر المانجلاني، والسريف محمد بن عبد المومن. وله قصائد في مدح شيوخه هؤلاء، وله تأليف وفقت على الجبل منها، منها حاشية على حماسة أبي تمام في ثلاثة أسفار، وله ديوان سماه الروض الأريض في بدیع التوسيع ومنتقى القربض؛ وله شرح عجب على لامية العرب المنسوبة للشنفرى في كراسنن؛ وله شرح على بديعه صفى الدين الحلبي، وهو في ثمانية كراسيس؛ وله شرح على قصيدة ابن مالك في المفصور والممدود في خمسة كراسيس؛ وله أرجوزة في التوقب وحساب أيام السنة مثل المفتح في فنه؛ وله تأليف سماه بنشر أزهار البستان فيمن أهازنى بالجزائر وتطوان؛ وله أنفع الوسائل في أنواع الخطب وأبرع

الرسائل؛ والاستشفاء من الألم بذكر آثار صاحب العلم، بعني مولانا عبد السلام بن مشيش، عرّف به وبإخوته وأعمامه، وبين أسماء مداشرهم وعين جهات مواضع المداشر، وعين من يسكن من الأشراف في كل مدشر. وتأليف آخر في قصر المفعول على الفاعل والفاعل على المفعول. وله الحلة السيرة في حديث البراء. يعني الرسائل إلى الملوك السبعة، والدرة المكنوزة في تذييل الأرجوزة، يعني أرجوزة ابن سبنا في الطب، ونظم ورقات إمام الحرمين سماه معارج الوصول إلى سماوات الأصول وله المعرب المبين عما تضمنه الأنيس المطرب وروضة النسرین انتهى.

ومن أشباهه أيضا سيدي الحسن بن مسعود البوسي. وطلب دواء في سفر وصاحب الترجمة معه، فوجدها عنده مهبة على أحسن ما ينبغي فامتدحه الشيخ البوسي بهذا:

لله دُر ابن زاكورٍ وسببمته وَمَا أَعَدَّ إِلَى الْعُلُومِ مِنْ عُدَدٍ

ومن أشياخ صاحب الترجمة أيضا جدنا عبد السلام بن الطبيب القادري الحسني حسبما رأبته بخطه في غير موضع، وله إجازات من شيوخ عديدة في أنواع من العلوم، ومن نظمه:

اتقِ الله ما استطعت فإنّ الد	ه ربّي مع الذين اتّفـو
واعصِ إبليسَ واتخذْه عدوّاً	إنّما يُفلحُ الذّبن عـصـو
واتركِ النفسَ وأتِ ربك إقبـا	لأعلـه مع الذين أتو
لترى فضلَه الذي مالَ له حـ	دُ علـانا مع الذين رأو
وأدعُ ضارِعـا له إن ربّي	لقـربُ من الذّبن دعو
وأرتدِ الدّينَ سابغـا واشـملهُ	إنّما يهـتدي الذّبن ارتدو
واشتَرِ الرُّشدَ بالفضالة واعلم	أنّما يربحُ الذّبن اشـترو
وارتجِ الله فضله واطلبْه	إنّما يغتني الذّبن ارتجو

انظر تمامها فإنها طويلة.

توفي صاحب الترجمة صبيحة يوم الخميس الموفي عشرين من المحرم الحرام سنة عشرين و مائة وألف. وقال فيه صاحب الأنيس:

قضى أخو النظم والتتر ابنُ زاكور لكن من الله تصرفُ المفادير
وامتدّ شوقي بمقصود الحسا له ما حبلتي بن ممدود ومقصود

وقال في صاحب الترجمة الحاج الشرقي:

ما انصف الموتُ في حق ابن زاكور لكن من الله تصريفُ المقادير
قد كان نوراً لعيني حين تبصره لما قضى بقيت عيني بلا نور (355)
علي الزعتري المصري

ومنهم إمام الموقتين بمصر أبو الحسن علي الزعتري المصري. توفي بمصر عام
الترجمة. لقيه سبدي أحمد بن ناصر الدرعي وذكره في رحلته.

حوادث السنة

إحداث قراءة حديث الإنصات يوم الجمعة

ومن حوادث هذه السنة إحداث قراءة الحديث المتضمن أمر الإنصات بالسماع عند
خروج الإمام يوم الجمعة من المقصورة إلى المنبر ليخطب ويصلي بالناس.

فتح وهران

وورد الخبر إلى فاس بأن الترك فتحوا وهران [ثم أخذت بعد ذلك] (356) أعادها الله
أيضا دار إسلام.

بنت عظيم الروم توصي بدفنها في الحرم النبوي

وورد الخبر بأن بنت عظيم الروم أوصت بدفنها في المدينة المنورة على دفنها أفضل
الصلاة والسلام، فاحتال الروم في ذلك بأن أحرقوها ومزجوا رمادها بعنبر وطيب وصنعوا منه
مثل المنارة من الذهب ورصعت بالباقوت والجواهر وبعثوا بها إلى الحرم الشريف لتعلق به
كالمنارة [فتردد ولأه الحرم في ذلك حتى بحثوا فأخبروا بحقيقة الأمر فرموا ذلك الرماد
والطيب في البحر لثلا بدرى منه شيء بقرب المدينة ودفع الله تعالى تلك النجاسة عن الحرم
الشريف] (357).

مشكل تمليك الحراطين ومحنة الفقهاء

وفيه شرع السلطان مولانا اسماعيل في تمليك حراطين مكناسة الزيتون أمنها الله ثم
عفا عنهم. وفي ثامن ربيع الأول من العام قدم على فاس القائد عبد الله الروسي من مكناسة
الزيتون وحاز الفقهاء في تمليك الحراطين ودون الدواوين وأنزل عليها أكثر الفقهاء وامتنع
البعض من النزول عليها. وبعد صلاة الجمعة الموالية له نادى أهل المسجد وطلبوا منه الشرع
فلم يزل يضيق على من امتنع من النزول فلم ينفعه ذلك فبهم. ثم خرج قاصدا إلى مكناس
وذهب بمن امتنع وبمن وافق بالدواوين فنادوا أيضا بمسجد مكناسة الزيتون طالبين أمر
السرعة وتبعهم أهل مكناسة وغسهم من العبد الذبن هنالك. ثم أظهر السلطان أنه عفا

(355) ترجمة ابن زاكور في طمع في نحو صفحة، والزيادات من المخطوطتين.

(356) زيادة في الحوليات.

(357) ما بين معقوفين ساقط من ط و من الحوليات.

عنهم ورجعوا إلى فاس فبنفس رجوعهم بعث وراءهم وعانِب الفقهاء وغضب عليهم وبعث أحدهم مكبلا لفاس وبعث القائد عبد الله الروسى مع بعض الخيل لياتوا بالحراطين (358).

وفى أواخر رجب العام أرسل السلطان إلى الفقهاء والشهود أن يقدموا على من فاس فخرجوا لمكناسة الزيتون وانزلوا أبديهم على تزكية السيد محمد اعيلش ورجعوا إلى ديارهم من فاس أمنها الله.

استصفاً أموال أولاد جسوس ومحنة فقيهم عبد السلام

وأخذ أموال أولاد جسوس وأجلس فقيهم فى الأسواق يستطلب وفى الثاني والعشرين من جمادى الثانية من العام سرح الفقيه السيد عبد السلام جسوس من السجن.

وفى الثالث من ذى الحجة العام سجن أنضا السيد الحاج عبد السلام جسوس المذكور وابن أخيه ثم أطلق من الغد. وفى السادس والعشرين من الشهر نفسه حبس ابن أخى جسوس فى خمس قناطير من المال والأمر بيد الله (359).

تذكرة المحسنين

محمد بن قاسم ابن زاكور

توفي الفقيه الأديب البارع النحوي اللغوي ذو التآليف العديدة، والأنظام الكثيرة المفيدة، سيدي محمد بن قاسم ابن زاكور لسنة الخميس عشرين محرم من السنة.

أحمد بن عبد الله مَعْن

وفى ضحى يوم الاثنين ثالث جمادى النانية منها توفي الشيخ العارف بالله فخر الحقائق العرفانية، ومنهلس العلوم الريانية، الفدوة الأعمد، أبو العباس سيدي أحمد، ابن الولي الكبير سيدي محمد بن عبد الله مَعْن الأندلسي. توفي بداره القصوى من حومة المخفية ودفن عند رجلى والده داخل قبته بروضة الشيخ أبي المحاسن.

محمد أبو مدين السوسي

والفقيه العلامة القاضي الأعدل بمكناسة الزيتون وخطيب جامعها سيدي محمد بومدين بن الحسين السوسي ودفن بروضة سيدي عبد الله بن حماد خارجها.

(358) انغردت الحوليات بحادث الحراطين.

(359) انغردت الحوليات أنضا بمحنة آل جسوس.

العشرة الثالثة من القرن الحادي عشر من الهجرة العام الأول منها

عبد السلام بن حمدون جسوس

فمنهم العلامة المحدث الصوفى أبو محمد عبد السلام بن أحمد المدعو حمدون جسوس، له معرفة بالنحو واللغة والفقه والأصول والبيان وعلم الكلام والحديث. وكان إماماً بالمسجد الأعلى من العقبة الزرقاء من فاس القرويين وحدد بناءه له والده وجمع عليه الناس فيه صاحب الترجمة وادعى طريقة القوم فكان يقرأ الأحزاب والأوراد وذكر الجلالة على المألوف في زوايا شبوح الطرقة فكان يقرأ بعد صلاة الصبح حزب الفلاح والحزب الكبير لأبي الحسن الشاذلي، وبعد الانتهاء منه يدرس التفسير، وبعد صلاة الظهر يدرس الحديث، وبين العشائين كتب التصوف وانسب لمعرفة علم أهل الحقيقة. قرأ العلم على سيدي عبد القادر الفاسي، ومبارة الشارح، وأبي على اليوسي، وأبي العباس أحمد بن الحاج، وأبي عبد الله بردلة، وأبي سالم العياشي، والقراءات على أبي زيد ابن القاضى. وحج وأخذ في سفره عن الشيخ سلطان بمصر. وغالب تدرسه صحيح البخاري، والسنائل وسيرة اليعمرى، والشفاء وتفسير الجلالين، ورسالة ابن أبي زيد، وابن عاتر ومختصر خليل. ومن كتب التصوف التنوير، والحكم، ولطائف المنن، والعهود الكبرى، وقوت القلوب، ومجلسه حفل، وله تأليف في أدعية نبوية، وله قصائد وانظام.

توفي قتيلاً في سجن فاس خامس عشر ربيع النبوي عام واحد وعشرين ومائة وألف في قضية طويلة، ودفن في روضتهم قرب سيدي علي بن أبي غالب داخل باب الفتوح من فاس الأندلس (360).

محنة عبد السلام جسوس وسبب وفاته

وفي تاسع صفر من سنة إحدى وعشرين ومائة وألف قدم السيد الحاج الفقيه عبد السلام جسوس من مكناسة مسجوناً لفاس، وجاء الأمر بإزعاج الحراطين للخروج وجعل على الاشراف شراء دور الحراطين، وحاء حراطين القصر وفرقت طائفة منهم على أهل فاس بمونونهم. وفي ليلة الخميس الخامس والعشرين من ربيع الثاني العام توفي الفقيه السيد عبد السلام جسوس مخنوقاً في السجن - رحمة الله عليه - ووجد بخطه رحمه الله ما نصه: الحمد لله يشهد الواضع اسمه عقبه على نفسه وشهد الله سبحانه وملائكته وجميع خلقه أنني ما امتنعت من الموافقة على نمليك من ملك من الناس إلا أنني لم أجد في الشرع وجهاً له ولا مسلكاً ولا رخصة.

(360) ترجمه جسوس ساقطة من ط، ووردت ضمن حوادث السنة في الحوليات وفيها أنه توفي في 25 ربيع الثاني، خلافاً لما هنا، وهو الصحيح على ما يأتي عقبه مؤكداً في الرسالة التي كتبها جسوس نفسه قبل وفاته بيومين.

وتحققت من نفسي أني إن وافقت عليه طوعا أو كرها فقد خنت الله ورسوله والشرع الأعز وإنني خفت من الخلود في جهنم بسببه. وأيضا فإنني نظرت في أخبار الأئمة المتقدمين حين أكرهوا على ما لم يظهر لهم وجهه في الشرع ما آثروا أموالهم ولا أبدانهم عن دينهم خوفا منهم على تغبير الشرع واغترار الخلق بهم. ومن ظن بي غير ذلك أو افترى على ما لم أقله وما لم أفعله فالله الموعد بني وبنيه وحسبنا الله ونعم الوكيل. والسلام. وكتب عبد السلام بن حمدون جسوس غفر الله ذنوبه وستر في الدارين عيوبه صبيحة يوم الثلاثاء الثالث والعشرين من ربيع الثاني من عام إحدى وعشرين ومائة وألف... فلم يكن بين كتبه هذه الشهادة وبين موته على الشهادة إلا يومين كاملين (كذا) والأمر لله من قبل ومن بعد (361).

امرأة بتازا ولدت إنسانا برأسين وثلاثة أرجل

وفي هذا الشهر نفسه جاء لفاس من تازا أن امرأة ولدت إنسانا برأسين وثلاثة أرجل وليس بذكر ولا بأنثى والله على كل شيء قدير.

ومما يقرب من هذه الحكاية ما ذكره الفاضي عياض في مداركه لما عرّف بالشافعي - رضي الله عنه - قال: بينما أدور في طلب الحديث باليمن قيل لي هنا امرأة من وسطها إلى أسفل بدن ، وإلى فوق بدن ثانٍ، مفترقان، بأربع أبد، ورأسان. فأحببت رؤيتها ولم أستحل ذلك، فخطبتها ودخلت بها فوحدتها كما وصف.. فلعهدي باليدن بليتطمان ويتقاتلان ويصطلحان ويأكلان ويشربان. ثم نزلت عنها وغبت ورجعت بعد مدة فسألت عنها فقبل لي مات الجسد الواحد وربط أسفله بحبل وثق وترك حتى ذبل ثم قطع ودفن. فرأيت الشخص الواحد بعد ذلك في الطريق يذهب ويجيء.

قال عياض في نكاح مثل هذا نظر، وهما أختان. انتهى. وكونهما أختان في محل المنع لاتحاد محل الوطء كما قرره علماؤنا - رضي الله عنهم - (362).

تذكرة المحسنين

عبد السلام بن أحمد جسوس

توفي الفقيه الأكبر، العلامة الشهيد الصوفي الناسك الأبر، أبو محمد سيدي الحاج عبد السلام بن أحمد جسوس، قتيلا ليلة الخميس منسلخ ربيع النبوي من السنة.

(361) انفردت الحوليات بحادث محنة عبد السلام جسوس وسبب وفاته.

(362) انفردت بحادث تارا مع ما ذكر عن الشافعي. ووردت الإشارة في الحوليات إلى هذا الحدث مختصرا في سطرين.

العام الثاني من العشرة الثالثة

أحمد بن ناجي السجلماسي

فمنهم الفقيه القاضي أبو العباس أحمد بن ناجي السجلماسي، ولي قضاء فاس
[العلبا والسفلى مرارا] وعزل عنه [وكان يتعافيه مع القاضي أبي عبد الله بردلة، وكان من
خواص الحضرة الاسماعلية ومن علماء وجوه الدولة والاتباع] (363) توفي بمكناس عام
الترجمة

حوادث السنة

قدوم احمد بن ناصر من الشرق

وفي أواخر شعبان من عام اثنين وعشرين ومائة وألف قدم الشيخ أبو العباس سبيدي
أحمد بن الشيخ الإمام أبي عبد الله سيدي محمد بن ناصر الدرعي من المشرق وقدم معه
بعض حجاج أهل فاس أمنها الله (364)

(363) ساقط من ك وس.

(364) انفردت الحوليات بحوادث هذه السنة.

العام الثالث من العشرة الثالثة

محمد بن عبد الرحمان التادلي الصومعي

فمنهم الفقيه العلامة الصالح البركة المشارك، الحجة الناسك أبو عبد الله سيدي محمد بن عبد الرحمان التادلي الصومعي الزمراني، أحد الأئمة المهتدين، الذين أقام الله بهم مراسيم الدين. كان عالما عابدا فاضلا صالحا، جوادا ناصحا، ممن يوتر على نفسه، ويده في ماله كسائر أبناء جنسه. وحصل في العلوم على طائل، ومشى في الطريقة على سنن الأوائل، فصحب أولا العارف بالله سيدي محمد بن عبد الله السوسي المتوفى بالمدينة. ووفد على زاوية الدلاء وغرف من أبحر العلم بالقرب والدلاء، ثم اتصل بالعارف بالله سيدي أحمد بن عبد الله معن وأخيه في الله سيدي أحمد اليميني. فصحبهما وتأدب بأديهما كان يأتي إليهما من بلاده تادلا وحج في السنة التي حج فيها سيدي أحمد بن عبد الله معن عام مائة وألف [ورافقه مع جمع من أصحابه، ومنهم عم والدنا أبو عبد الله محمد العربي وولد عمه أبو العباس أحمد والصالح البركة الفقيه أبو عبد الله الدريج بوزن صديق وغيرهم، وكانت رفقة مباركة] (365) ورأيت لصاحب الترجمة شرحا عجيبا على سينية ابن بادس وقد جمع فيه بين الاختصار والتحقيق وهو مما يدل على أن له ملكة في العلم وبيتهم في تادلا مشهور بالصلاح والعلم والمواساة والإطعام. وكان صاحب الترجمة محققا في العلوم عارفا بغوامضها ومشكلاتها مع تغفله في أمور الدنيا لا بكاد يضبط شيئا من أمورها مع شدة ورعه وحزمه في دينه. وتقدم التعريف بقريبه أحمد بن أبي القاسم [التادلي في العشرة الثانية من القرن الحادي. وعن أهل هذا البيت ورث شيوخنا سيدي الكبير بن محمد السرخيني ما ورث من الورع والحزم والجد والاجتهاد في الدين إذ كان له ماسة بهم. رحم الله الجميع بمنه] (366).

محمد (حَم) الراموش

ومنهم البهلول الأبله محمد المدعو حَم الراموش. كان العامة من أهل فاس ينسبون له للصلاح وكان متبركا به يطوف بأسواق المدينة وأزقتها ولا يحسن التصرف في شيء. توفي عام الترجمة ودفن بموضع دار له بأقصى حومة القلليين من فاس القرويين واتخذوا عليه روضة تزار ومقبرة لدفن الأموات.

محمد السالمي

ومنهم الأستاذ الناصح أبو عبد الله محمد السالمي القاطن بالمدرسة المصباحية بفاس، وتوفى بها عام الترجمة.

(365) ما بين معقوفتين زيادة في ط.

(366) زيادة في ط كذلك.

العام الرابع من العشرة الثالثة

الطيب بن عبد الرحمان ابن القاضي

فمنهم الفقيه الأستاذ الصالح البركة الأنور أبو محمد الطيب بن أستاذ الجماعة عبد الرحمان ابن القاضي. أخذ عن سيدي أحمد بن عبد الله. كان مولعا بتقعيد المسائل المهمات ملتقظا أشتات الفضائل، متبعا لآثار والده مقتفيا سبيل الخيرات، وحمل الناس عنه القرآن وانتفعوا به، ودرس العلوم كالشفا وغيرها.

توفي ثامن رمضان بفاس عام أربعة وعشرين ومائه وألف.

أحمد النفراوي المصري

ومنهم الشيخ العلامة أحمد النفراوي (367) المالكي المصري شيخ التدريس بالديار المصرية كان إماما حجة، ورأيت له شرحا على الرسالة لابن أبي زيد يدل على علو مكانته وباعه. توفي بمصر عام الترجمة.

أحمد بلعباس ابن يحيى

ومنهم الفقيه المشارك الأريب، العالم العلامة الأديب، أبو العباس أحمد بن عبد القادر بن يحيى السوسي، يدعى بلعباس بن يحيى، ممن قرأ على جدنا عبد السلام بن الطيب القادري. كان عالما بالوثائق يفهم حل مشكلاتها مقصودا في كتب الأسئلة التي يقصد الجواب عنها، من علماء الوقت وكان بارع الخط سريعا فيه، وغالب تأليف جدنا هو الذي أخرجها من المبيضة لما كان فيه من الإتقان. ورأيت من كان يشني عليه بالتحصيل في العلوم والدين والاشتغال بما يعنيه والمروءة وحسن السم. توفي بفاس عام أربعة وعشرين ومائة.

العام الخامس من العشرة الثالثة

أحمد بن علي الجرندي

فمنهم الفقيه العالم العلامة الورع الزاهد الصالح، المشارك القدوة الناصح، أبو العباس أحمد بن علي بن عبد الرحمان الجرندي الأندلسي الفاسي دارا ومنشئا ووفاء. كان إماما بمسجد الشرفاء بفاس ودرس فيه علوما وصحب في الطريق سيدي أحمد بن عبد الله معن وانتفع به، وكان عين بفاس من قبل السلطان فاستعفاه واحتال لنفسه بأن تحامق وصار يظهر من نفسه البله والأفعال الخسيسة حتى أقبل منه ونجا، وهذا شأن من يكون قويا في دينه لا يخاطر بتقليد حقوق الناس. وحكايات العلماء في الفرار منه معلومة.

توفي بعد العشاء يوم الجمعة حادي عشر المحرم عام الترجمة. ودفن قرب سيدي أبي غالب بحومة سريوة داخل باب الفتوح وبنيت عليه قبة.

حوادث السنة (368)

مشكل الحراطين بفاس

وفي ثاني عشر من جمادى الثانية من عام خمسة وعشرين ومائة وألف ورد على فاس زمام من مكناس بأحد وعشرين رجلا من أهل فاس بأنهم حراطين. وفي عاشر ذي الحجة العام قدم القائد حمدون الروسى من مكناس لبيع دور الحراطين بفاس والأمر لله.

وفاة القائد علي الريفي

وتولية ابنه الباشا أحمد مكانه

وفي ليلة الثلاثاء سادس شعبان العام، توفي القائد علي بن عبد الله الريفي، وتولى مكانه ولده الباشا أحمد بعده أواخر الشهر المذكور.

العام السادس من العشرة الثالثة

محمد الدريج التطواني

فمنهم الفقيه النبيه، المبارك النزيه، الولي الصالح، العارف الواضح، سدي محمد بن الدريج الأندلسي التطواني. وأهله ينسبون إلى الفقيه القاضي الخطيب الولي الصالح المحدث أبي محمد عبد الله الدراج الأنصاري الذي عرف به أبو عبد الله محمد بن أبي بكر الحضرمي في تأليفه الكواكب/الوقادة ووصفه فيه بالأنصاري. ورأيت بخط عم والدنا أنه من ذرية عبادة بن الصامت الأنصاري وهو من أهل سبتة. وكان صاحب الترجمة من حملة القرآن العاملين، ومن الصلحاء الكاملين، ومن العارفين بالله الفاضلين. صحب سبدي أحمد بن عبد الله معن، وسبدي أحمد اليميني، فكان في غاية الاجتهاد في العبادة، وفتح له في الطريقة وارتسم بالحقيقة فذاق عذب عبارتها، واتصف بإشاراتها قال فيه تلميذه أبو عبد الله المدرع في نظمه:

ومنهم المبرور شمس الأئمة	محمد الدريج عالي الهمة
كان محباً صادقاً ذا نية	حالتة زكية مَرْضِيَّة
من الفحول المتمكِّنين	الواصلين المُتَحَقِّقِينَ

والتمكن مقابل التلوين. قال القشيري في الرسالة: لأنه يرتقى من حال إلى حال، وينتقل من وصف إلى وصف، ويخرج من موحل ويحصل في مرتع فإذا وصل تمكن، فصاحب التلوين أبدا في الزيادة، وصاحب التمكن وصل ثم اتصل انتهى. فدل كلام المدرع أن صاحب الترجمة من أكابر الأولياء لأنه من أهل الاصطلاح العارفين بعبارة القوم. وكان صاحب الترجمة يجيد نظم الشعر، فمن نظمه يصف جبلا أخضر بسمى سَرَحْنِي بصيغة فعل الأمر وفاعله ومفعوله وذلك في عشية وتخلص لمدح سبدي أحمد بن عبد الله معن:

ولما رفعت الطرف مني لاحظاً	وفاجأني نور أضاء على الرُّبَا
تحير مني العقل في وصف حسنه	فقلت ابن عبد الله أبدى التفريفا
فلاح لنا منه الجمالُ عشيةً	وحرك أشواقاً وللقب أطربا
وكنا جميعاً لاهجين بذكره	شربنا بها صهباء هيَّجت الصُّبَا

وكان غابة فى الزهد والورع واتباع السنة وتأديب نفسه.
توفى ـ رحمه الله ـ عام ستة وعشرين ومائة وألف ودفن بالمباح متصلا بقبة سيدي
محمد بن عبد الله معن خارج باب فتوح متصلا ببابها الأيمن من البابين الصغيرين وعليه فى
التزليج مقبرة من رخام فقط جعلوها بقصد التمييز.
علي منطوسة التطاوني (369)
ومنهم الأديب سيدي على منطوسة التطاوني.
طاهر الجابري الفصري
ومنهم الفقيه الأديب خطيب الجامع السعيد من القصر السسد أبو البقاء طاهر
الجابري.

(369) هذه الترجمة والتي بعدها ساقطتان من ط.
وفى ك وس: منطوسة، بينما فى م: منصوسة.

العام السابع من العشرة الثالثة

التهامي بن محمد الوزاني اليملحي

فمنهم الشيخ الإمام الولي الصالح الزاهد الكبير، العارف بالله الرياني المنور الشهير، الشريف [أبو عبد الله سدي محمد المدعو] (370) مولاي التهامي بن سيدي محمد بن مولاي عبد الله بن مولاي ابراهيم السلمحي الحسنى العلمى دفين وازان تقدمت ترجمة والده وجده [ورفع عمود نسبه] (371) قال في الأنيس المطرب [لما ذكر والده سبدي محمد بن عبد الله أخذ عنه ولده، بعني مولاي التهامي صاحب الترجمة، الذي نعلق بالله خلده، حتى زها به بلده، أبو عبد الله سدي محمد التهامي - رضي الله عنه - فكان يلقي الكلف، ويريه كيف مدافعة الخلف عن السلف. وكان والده يعجب من حاله، ويخبر أنه وارث سره عند ترحاله، حتى علا قدره، وطلع في سماء الهداية بדרه، فصاح بوالده أجله، يصحبه خستبة من الله ووجله، وذلك ليلة الخميس الثامن والعشرين محرم الحرام فاتح عشرين ومائة وألف، فقام ولده المذكور مقامه، وغدت له بين الأولياء مقامه. ولا بتعجب من التشبيه بأبيه] (372). فهو [الآن] ممن تشد إليه الرحال، وتفك عند سماع ذكره الأحوال. وما رأيت منذ عقلت ولا حفظت ولا نقلت أحدا أشد ذكراً لله تعالى ولرسوله صلى الله عليه وسلم وللقسامات وأهوال الموقف وغير ذلك منه - رضي الله عنه -، والإكثار من الدعاء لخاصة المؤمنين وعامتهم، وخصوصاً أمير المؤمنين، فإنه لا تكاد يغفل بالدعاء له بالنصر والتوفيق والهداية، وبحض الناس على الدعاء له بمثل ذلك. وكذلك كان والده - رضي الله عنه - ولا تراه إلا لاهجاً بالذكر والاستغفار والتسبيح والتقديس والتهليل والتكبير، على ما يقاسيه من حقوق العباد، وإيصال نواله للحاضر منهم والباد، وكنت إذا جلست إليه أحاول أن أسمع منه كلمة في غير الأمور الدينية والآيات القرآنية والأحاديث النبوية فلا أحفظ كلمة سوى ذلك، وهو من التبري من الادعاء (373) والإعجاب بنفسه والفرار من الكرامات على أكمل حال، مع تراكم الناس عليه، وانحياشهم إليه، من كل الأقطار وانعقاد إجماعهم على أنه واحد زمانه وتشد الرحال إليه من أفاصي البلاد وأطراف الأرض، حتى رأيت الناس وفدوا عليه برسم الزيارة من البلاد المشرقية، وقرأت أنا غير ما مرة رسائل وفدت عليه من الديار المصرية والشامية والعراقية مشتملة على طلب الدعاء والتصريح بما لا يسع كتبه من ظهور بركاته الواضحة هنالك. على أن تلك الرسائل مشتملة على عدة رجال من أعيان البلاد والفقهاء وأكابر الثقات العدول.

(370) ساقط من ط

(371) ساقط كذلك من ط.

(372) ما بين معقوفتين زيادة في س وم.

(373) صحف في ط فكتب: والاذعان.

وأما بلاد الصحراء فأمرها في الاعتناء بشأنه أكثر من أن يقال، وهو مع ذلك برى أنه غير أهل لتلك الرتبة، وأكثر ما نجده ينشد:

يَظُنُّونَ بِي خَيْرًا وَمَا بِي مِنْ خَيْرٍ وَلَكِنِّي الْعَبْدُ الظَّلُومُ كَمَا تَدْرِي
سَتَرْتُ عَيْبِي كُلَّهَا عَنْ عِيُونِهِمْ وَأَلْبَسْتَنِي ثَوْبًا جَمِيلًا مِنَ السَّتْرِ
فَلَا تَفْضَحْنَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْيَبِي وَلَا تُخْزِنِي اللَّهُمَّ فِي مَوْفِ الْحَشْرِ

وكنت إذا أشكلت على مسألة أجابني عنها بآية قرآنية أو حديث نبوي كريم من غير أن يتأمل ولا يتردد في ذلك، فأجد لجوابه وكلامه انفعالا في قلبي وقشعررة في جلدي، وكان إذا تكلم في غير القرآن والحديث فأكثر ما تجده يميل إلى حكم ابن عطاء الله - رضي الله عنه - . ذكرت بين بدبه يوما ما يحتاج به المشركون على إشراكهم من قولهم (لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكْنَا) وقلت له بعد خوضي في المسألة إن حاصل ما أجاب به علماؤنا - رضي الله عنهم - أن الدعوة عامة، والهداية خاصة، فقال: (والله يدعو إلى دار السلام ويهدي من يشاء إلى صراط مستقيم) فوالله لكانني ما سمعت هذه الآية قبل ذلك ولا مرت لي على لسان. وكان - رضي الله عنه - إذا تكلم في مسألة عويصة عدل عنها إلى قياس منطبق عليها من الأشياء المحسوسة تقربا على الأفهام. وفي هذه المسألة بعينها قال لي: مثال ذلك - والله أعلم ولله المتل الأعلى - أن رحلا عمدا إلى أرض حراثة وزرع فيها من جمیع أنواع الحبوب ثم أمر مؤذنا يؤذن في تلك الأرض على تلك الحبوب المزروعة ألا إن رب الأرض يأمر جميع ما هنا من الحبوب على اختلاف أجناسها أن تكون عند النبات كلها قمحا، ومن لم يثبت استحق منه أشد العقاب، ورب تلك الأرض سابق في علمه أن كل جنس لا يخرج عند الانبات إلا موافقا لجنسه. فلما كان إبان خروجه خرج كل واحد على حسب ما زرع، فما زرع برأ خرج برأ، وما كان شعبرا خرج شعبرا، وهكذا. فالزراعة الأولى - ولله المتل الأعلى - هي خلود الأرواح في الأزل، ورب الأرض هو الباري سبحانه، والمؤذن هو النبي صلى الله عليه وسلم فإنه جاء أمرا عن ربه لجميع الخلائق أن بومنوا، وتلك هي الدعوة العامة. ولكن عند بروز الخلائق إلى الوجود تبع كل واحد ما سبق له في علم القدر من إيمان وكفر وطاعة ومعصية وغير ذلك، وتلك هي الهداية الخاصة وأنواع الحبوب المختلفة هي فرق بني آدم: مومن وكافر ومجوسي ورافضي وقدري ومعتزلي وغير ذلك مما لا حاجة لذكره في هذا المحل.

وقال في وصفه في موضع آخر: وكان - رضي الله عنه - يعني صاحب الترجمة، إذا أكثر عليه العوام أنت أنت تغير لونه لذلك وتكدر صفوه، ونظر إلى قائله شزرا وقال علي جهة الإنكار والرد والنوبيخ: (أَلَيْلَهُ مَعَ اللَّهِ)، ثم يقول: (عبداً مملوكاً لا يَقْدِرُ عَلَى شَيْءٍ). وذكر عنه حكاية في الرجاء ثم أطل في وصفه فما يرجع إلى التبري مع الدعوى، ودلالة الخلق على

اللّه وترغيبهم في حقه وجمعهم عليه. وهذه من أوصاف أكابر الصالحين رضي الله عنهم. [قال في الأنيس، وكان يقول لمن أكثر الدعاء واستبطأ الإجابة قول ابن عطاء الله: لا يكون تأخير مد العطاء مع الإلحاح الخ ثم قال: وأبغض الحديث الاطراء عليه فإنه كان إذا سمع شيئاً من ذلك قام من مجلسه وظهر أثر الكراهة في وجهه وألزم قائل ذلك عدم العودة إليه. وكنت قبل ذلك مدحت أباه بشعر أنكره وأخذ على ألا أعود. ثم بعد وفاته عذمت على إخلاف وعده ومدح والده من بعده، فلا وربك ما وجدت في ذلك الغرض نصف بيت. ولا نقل الحي يغلب ألف مت فلذلك لا تجد لهم فيهم قافية إلا بعد من مات منهم (خرم بقدر أربع كلمات) المذكور] (374).

ورئى صاحب الترجمة الأديب العالم اللغوي أبو الحسن على بن أحمد مصباح من قصيدة:

رَوَوْا نَبَأَ أَبَكَى عَيُونَ الْوَرَى طَرَا	وَأَصْبَحَ مِنْهُ جَانِبُ الدَّهْرِ مَغْبِرَا
أَتَى وَقُلُوبُ الْمُسْلِمِينَ سَوَاكِنُ	فَلَمْ يَمْشِ إِلَّا وَهَى مِنْ هَوَاهِ سَكْرَا
جَسَبْنَا بِهَا الشُّمَّ الرُّوَاسِي زُلْزِلَتْ	وَخَلْنَا بِهِ سَقْفَ السَّمَاوَاتِ فِدْ خِرَا
فَقَالُوا قَضَى الْحَبْرُ التَّهَامِي نَحْبَهُ	وَأَرْكَبْنَا فِي بَعْدِهِ مَرْكَبَا وَعَرَا
وَأَعْقَبَ ذَاكَ الذُّكْرُ وَالْجَهْرُ سَكْتَهُ	كَسِرُ قُنُوتِ الصَّبْحِ قَدْ عَاقَبَ الْجَهْرَا
خَلِيلِي حُطَّ الرَّحْلُ لَا تَذْكُرِ السُّرَى	وَلَوْ مَا عَلَى التَّرْحَالِ وَالسَّفَرِ السُّفْرَا
فَوَاللَّهِ مَا بَعْدَ التَّهَامِي رَحْلَةً	يَوْمُ بِهَا الرُّكْبَانُ بَرَا وَلَا بَحْرَا
وَمَنْ يَعْتَمِدُ بَعْدَ التَّهَامِي رَحْلَةً	يُؤْمَلُ رِيحًا يَلْفُ نَامِلُهُ خُسْرَا
قَضَى فَقَضَى الرَّحْمَانُ أَنْ لَا يُرَى لَهُ	نَظِيرُ وَلَا أَنْ الْجِرَاحُ بِهِ تَبْرَا
وَسَارَ وَخَلَّى النَّاسَ تَهْتَفُ بِاسْمِهِ	تَوَدُّ حَشَاهَا أَنْ يَكُونَ لَهُ قَبْرَا
عَلَى مِثْلِهِ تَبْكِي الْبَوَاكِي حَوَاسِرَا	وَجَوْهَا غَدَتْ مِنْ طَوْلٍ مَا خُبَّتْ غُرَا

ومنها:

لَقَدْ كَانَ صَوَامًا لِمَوْلَاهُ قَائِمًا	وَقَدْ كَانَ أَعْلَى آلِ فَاطِمَةَ الزُّهْرَا
أَبْرَهُمْ قَسْوًا وَأَوْلَاهُمْ تَقَى	وَأَحْفَظَهُمْ عَهْدًا وَأَكْثَرَهُمْ ذِكْرَا
وَأَوْسَعَهُمْ حِلْمًا وَأَرْجَحَهُمْ حِجَى	وَأَخْشَعَهُمْ قَلْبًا وَأَشْمَلَهُمْ بَرَا

وكان إذا ما غاب ساعة خلوة
تراقبه الأبصار حتى كأنما
وكان إذا حل العفافة فناءه
وكان إذا أرخى ملبس هببة
فتى عاش في معروفة كل فاضل
يباري الرياح المرسلات بكفه

ومنها:

فلا نحسبوا موت التهامي واحداً
ستبكي عليه اليوم ملء جفونها
وتبكيه أبتام وشعث أرامل
فكانوا أعدوه لكل خصاصة
وتبكيه أدواح الرياض فلا يرى
وبكيه نادي العلم والوعظ كلما
كأني بوزان أقشعرت رياضها
تضيق بها الزوار درعاً إذا ترى
وكانت محل الشهر فسها لأنسها
فها طيرها ضجت عليه فلم تكذ
وأملت على الأغصان في كل روضة
وها أرضها أنت عليه كوامن
فيا لبني وزان من فبة غدت
عشا فيهم الدهر الخؤون فأصبحوا
لفد كنت حسان المديح له وها
فراهم بها سحب معارف (كذا)

بلى (375) ماتت الدنيا به والورى طراً
مساكين كانت لا تجوع ولا تعراً
بمنعاه أضحت في فيود الطوى سرا
أبا مشفقاً لا بختشون به فمرا
لها بعده ثغر الأزهر مفتراً
تمر به الزوار من وعظه صفرا
وأصبح منظوم الجمال بها نثراً
منازل من تهوى معطلة فقراً
كسوم فصار اليوم من وحشها شهراً
من الكرب تدري في معاهدها الوكراً
مراثي أعدتها لأمثاله ذخراً
يرد بالألحان يوم النوى شعراً
تلاحظها الأنام من بعدها شزراً
نجوماً أزال الدهر من بينها البدر
أنا اليوم خنساء المراثي ولا فخراً
إذا كانت الخنساء تبكي بها ضمراً

(375) فى لك: بلى، وفى س: بأن، ولعل الأصل ما أبتنناه.

انظر تمامها فهي طويلة نحو ستين بينا وقد أجاد فيها ما شاء، وكيف لا والممدوح بها جواد الزمان، وطود العلوم والعرفان. وقد نظم رفع عمود نسب آبائه الكرام من صاحب الترجمة إلى مولانا رسول الله صلى الله عليه وسلم على سبيل الاختصار ليسهل على الطالب معرفة حفظهم، وهو، أي الناظم لذلك، ابن عم جدنا الفقيه الأديب أبو العباس أحمد بن العدل عبد القادر الحسيني في أرجوزة فقال:

يقول عبد الله وهو أحمد	اللَّهُ رَبِّيَ الْعَظِيمُ أَحْمَدُ
مُصَلِّياً عَلَى النَّبِيِّ وَالْآلِ	وَصَحْبِهِ وَمَنْ إِلَيْهِمْ تَالِ
ويعدُّ فالقصد بيانُ النسب	الشَّريفِ الكاملِ من نَسْلِ النَّبِيِّ
ذِي الْفَضْلِ وَالْمَجْدِ الْأَصْلِ، وَالْإِمَامِ	مُحَمَّدِ الطَّبِ [لسن] لَهُ ثَانِ
ابن أبي عبيد الإله الناسك	الْقُطْبِ الْكَامِلِ الْوَلِيِّ السَّالِكِ
سَلْبِ عَبْدِ اللَّهِ شَبِخِ الطَّرِيقَةِ	وَالْعِلْمِ وَالْعِرْفَانِ وَالْحَقِيقَةِ
نَجْلِ أَبِي سَلَامِ إِبْرَاهِيمَ	مَنْ فَدَى حَوَى فَضْلاً بِهِ جَسِيمَا
ابن أبي عمران موسى بن الحسن	وَلَدَ مُوسَى صَاحِبِ الذِّكْرِ الْحَسَنِ
وهو ابن إبراهيم نجل ابن عمر	وَلَدَ أَحْمَدَ اسْتَمَعَ لِلْخَبَرِ
والده يدعى بعبد الجبار	ابن محمد الرَفِيعِ الْمَقْدَارِ
ابن الولي صاحب الصلاح	نَجْلِ مَشْبُوشِ سَيِّدِي بِمِلَاحِ
صنو الولي الأكبر المشتهر	عَبْدِ السَّلَامِ النَّاسِكِ الْبَاهِرِ
ابن مشيش بن أبي بكر الرضى	بْنِ عَلِيٍّ ذِي الْحَسَامِ الْمُرْتَضَى
والده حرملة نجل عيسى	ابن سلام اقْتَسَفَى الرَّئِيسَا
والده المزوار المسدد	الْمُفْضِلِ الْمَعْظَمِ الْمَمْجِدِ
نجل لحيدرة ذي المجد الرفيع	وَالْقَدْرِ وَالنَّجْدَةِ وَالْعِزِّ الْمُنِيعِ
ابن محمد العلي المفسد	مَنْ فَضَّلَهُ بَيْنَ الْأَنْامِ سَارِ
ابن الإمام الطاهر السمريرة	ابن الإمام اَدْرِيسَ عَدْلِ السَّبْرَةِ
ابن الإمام الأكبر الأواه	مَوْلَانَا اِدْرِيسَ بْنَ عَبْدِ اللَّهِ
الكامل الواصل والموصول	ذِي الْعِلْمِ وَالْعِرْفَانِ وَالتَّنَسُّلِ
ابن الإمام الأكبر الخليفة	ذِي الرِّتْبَةِ الْعَلِيَّةِ الشَّرِيفَةِ
هذا تمام نظم ما أردت	وَجَمَعَ شَمْلَ مَا لَهُ قَصْدُ
ثم بجاء المصطفى المختار	وَالَهُ وَصَحْبِهِ الْأَخْبَارِ

صَلَّى عَلَيْهِ رَبُّنَا وَسَلَّمَا مَا دَامَ قَدْرُهُ السَّامَى مَعْظَمَا (376)

توفي صاحب الترجمة يوم الاثنين في مهل المحرم عام سبعة وعشرين ومائة وألف، ودفن بوازان من بلاد مسمودة المغرب، وبُنِيَ عليه أخوه أبو عبد الله محمد المدعو مولاي الطيب قبة ثم انفجرت جدرانها، ثم أعاد بناءها ثم انفجرت جدرانها، ثم أعاد بناءها فانفجرت جدرانها قبل أن يتم بناؤها، فتركوها كذلك كما هي عليه الآن، لأن صاحب الترجمة كان زاهداً لم يرد من المباهاة شيئاً في الدنيا فضلاً عن البناء عليه بعد الوفاة الذي هو من المباهاة. وسمعنا من أصحابه الذبن استمرت صحبتهم له واتباعهم طريقته وانتفعوا منه أنهم لا يعرفون له لبس ثياب الكتان مما يلي بدنه، وإنما كان يلبس ثياب الصوف إلى توفي رحمه الله تعالى ونفعنا ببركاته آمين (377).

أحمد بن علي التملي

ومنهم الشيخ أبو العباس أحمد بن علي التملي من أشياخ الشيخ الحسن بن مسعود اليوسي (378).

أحمد بن عبد القادر التاستاوتي

ومنهم الشيخ الأدب الولي الصالح العارف أبو العباس سيدي أحمد بن عبد القادر التاستاوتي، المتوفي عام سبعة وعشرين ومائة وألف، له سند المصافحة عن عبد الكريم الجريري، عن سعيد قدورة، عن سعيد المقرئ، عن أحمد حجي عن محمد الوهراني، عن إبراهيم التازي، عن صالح الزولوي، عن محمد الشريف الحسني الفاسي نزيل الجزائر، عن والده عبد الرحمان وعاش مائة سنة وأربعين سنة، عن أحمد بن عبد القادر القوسي، عن أبي العباس الملتئم وهو صافح المُعَمَّر، وهو صافح رسول الله صلى الله عليه وسلم. وله سند المصافحة عن سيدي عبد القادر الفاسي وأجازه وقال له: صافحتك بما صافحتني به الأشياخ إلى أنس بن مالك قال: صافحتني رسول الله صلى الله عليه وسلم فلكم أرْ خَرْاً ولاَ خَرْيراً أَلَنْ من كَفَّ رسولُ الله، الحديث فيه روايات (379). قال صاحب الترجمة في كتابه نزهة الناظر

(376) يبقى معظم أبيات هذا الرجز مكسوراً لعدم وجود نسخ أخرى نقابل بها للتصحيح.

(377) ترجمة الهامي مختصرة في ط في أقل من صفحتين.

(378) هذه الترجمة ساقطة من ط

(379) رواية محمد بن سليمان الروداني في صلة الخلف من طرق مغربية ومشرفية عن أنس بن مالك قال: «صافحتُ بكفى هذه رسول الله صلى الله عليه وسلم فما مَسَسْتُ خَرْاً ولاَ حَريراً أَلَيْنَ من كَفَّ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم». انظر مجلة معهد المخطوطات العربية، المجلد 29، الجزء 2، ص 551-552.

وصافحني أيضا سيدي محمد بن ناصر الدرعي وأجازني عن أشياخه الذين صافحوه إلى النبي صلى الله عليه وسلم. وأخذ عنه أحمد أبي بن عسرية بن أحمد بن أحمد بن يوسف الفاسي. وذكر عن صاحب الترجمة أنه قال: في هذا الوقت رجل أُعطي شفاعة مائة ألف رجل، ثم قال بعد ذلك أُعطي شفاعة أهل عصره، وكتب ذلك ابن أبي عسرية في كُناشه ثم كتب صاحب الترجمة بخط يده: المسطر أعلاه صحيح وكتب أحمد بن عبد القادر كان الله له، ومن خطه نفلت، وله مراسلات إلى أحمد بن أبي عسرية المذكور، قال في إحداهن وكل مَنْ أوى إليكم وبلغ إلينا وسمع منا وأقبل علينا فهو - إن شاء الله - من المقبولين إلى آخره، وهذا النصريح مُخالف لأقوال العارفين تنفر منه النفوس ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم (380).

(380) أخرت ترجمتها لتستأني في ط إلى السنة الموالية أي عام 1128، وهذا الاختلاف بالتقديم والتأخير في نسخ نشر المثاني هو سبب حيرة عباس بن إبراهيم في كتابه الإعلام (2. 357 من طبعة الرناط) حيث وحده في الاستقصا ما يخالف ما في الشر.

العام الثامن من العشرة الثالثة

أحمد بن محمد الولائي

فمنهم الشيخ الفقه العالم العلامة المشارك الدراكة الفهامة أبو العباس أحمد بن محمد بن يعقوب الولائي، دفين مكناسة الزينون، ومدرس فصبه الحضرة السلطانية الإسماعيلية (أدام الله شرفها) (381). ذكر نسبه في كتابه مباحث الأنوار فقال «إن قبيلة بنى ولال، وهم قومنا الذين نشأ أجدادنا منهم، وأصلهم من بنى عطاء قبيلة كبيرد معروفة بأقصى جبال ملوية، وفيهم إخوة قبيلتنا بسمون لديهم بنى ولال أيضا. وبنو عطاء مسندا بوزن فعّال، أصلهم من العرب كما تقدم ذلك في شجرة أنساب القبائل الموجودة بأيدي الفقراء أهل الصومعة. بل أخبرني بعضهم أن بن عطاء أصلهم من أخص العرب وهم فريش، وكل ذلك لا بعد فيه لنبدل أحوال القبائل العربية وتنفلها من أرض إلى أرض، ومن رفع إلى خفض، فتتبدل الألسن بتبدل البلد». انتهى بنصه.

(بدأ صاحب الترجمة القراءة في الزاوية الدلائية حين عمارنها، وقرأ على السبخ اليوسى، صرح بذلك في كتابه مباحث الأنوار، فأخذ عنه علوم الآلات البيان، والمنطق، وأصول الفقه، والفقه (382)، وأصول الدين) (383) وكان صاحب الترجمة دراكة فهامة محمود العشرة، ومؤلفاته شاهدة على تحقيقه في العلم وهي جملة (وافرة) (384) فمنها شرح على مختصر السنوسي في المنطق، وشرح على السلم للأخضري، (وشرح على منظومة الأخضري في البيان، وله قصيدة لامية وشرحها في المنطق) (385). وشرح على حمل الخونجي، وشرح رسالة السبد الجرجاني، وشرح خطبة مختصر السعد، وشرح على مشروحه، وشرح مفاصده، وشرح على لامبة الأفعال. (لابن مالك في التصريف) (386) وحاشية على المحلي، وشرح على روضة الأزهار للجادري. واتصل بالعارف بالله سبدي محمد بن عبد الله السوسى، وتقدمت ترجمته عام تسعة وسبعين وألف، وألف فيه وفيمن لقاه وفي بلامذته كتابه مباحث الأنوار، (في أخبار بعض الأخيار) (387) وذكر فيه ما يدل على أنه أدرك ما أدركه (388) الأولياء. (ومما يدل على تهيبته لذلك ما حكاه عن نفسه في مباحث الأنوار حيث قال لما

(381) زيادة في ط

(382) في س. والأصول، والفقه..

(383) ما ببس معوفيس ساقط من ط.

(384) زيادة في ط. وعبارتها هنا محالفة قليلا لما أئتمناه عن المخطوطتين

(385) في ط بدل هدين الأخيرين. وشرح تلخيص المفتاح للقزويني، وشرح المقاصد للسعد

(386) زيادة في ط.

(387) زيادة في ط كذلك.

(388) في ط: ما يدركه

حكى نسبة أهله وقبيلته ما نصه (389): «ووقعت فيهم، أي قومه، مقتلة عظيمة في حرب وقع بن ملوك الوقت وهم مع قبائل آخرين، ولم يقع في تلك القبائل ما وقع في تلك القبيلة، بل خصوا بكثرة القتل من غير أن يقصدتهم بالخصوص مقاتلتهم (390) بل قصدتهم في الغالب إنما هو في إفناء غيرهم، فاتفق أن قتل منهم أربعمائة وخمسون قتيلاً. ولما وقعت فيهم تلك المقتلة تفكرت يوماً في ذنبهم الذي خصوا به بتلك المصيبة، إذ علمت أنها ليست إلا عن ذنب، فقليل لي في عالم النوم: إن سبب إراقة تلك الدماء منهم أنهم أراقوا دم واحد من أهل البيت، فذهبت الشكاية منه إلى السيدة فاطمة - رضوان الله عليها - ثم إلى رب العزة، فحكم الله تعالى عليهم بأنه سسلط عليهم من يقتل منهم ذلك العدد.

ثم ذهبت الشفاعة من شسختنا ابن عبد الله السوسي المذكور إلى السيدة فاطمة - رضوان الله عليها - ثم إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم إلى جبريل - عليه السلام - ثم إلى رب العزة، فلطف الله تعالى بهم. وكان من اللطف الذي وقع لهم أنه لم يقتل رجل منهم إلا وبقي من يخلفه وعمر بيته (391). ومن اللطف أيضاً أن زاد عندهم في عام المقتلة أربعمائة وخمسون صبياً ذكراً، وقد عاش الصغار حتى كبروا. والشيخ لس بنيه وبين تلك القبيلة صحبة ظاهرة إلا ما كان لنا معه. ولما قيل لي ذلك في المنام جعلت أتعجب كيف أراقوا دم واحد من أهل البيت ولم أسمع. ثم بعد ذلك بزمان لقبت واحداً من شرفاء سجلماسة يقال له مولاي حفيد، فكنت أتحدث معه حتى قال لي إن بني ولال في العام الذي أغاروا علينا بالموضع الفلاني وأخذوا لنا ما كنت رددت من المتاع جرحني واحد منهم وأخذ ثيابي حتى النعال، فتوجهت إلى السيدة فاطمة وقلت ياسيدتي إن كنت أنا منك، ويارسول الله كنت من جهتك، فالله ينتقم من هؤلاء. قلت: أو جرحوك؟ قال لي: نعم. وكنت أنا لما أغاروا على تلك القافلة التي بها مولاي حفيد المذكور خرجت لأرد للمساكين أمتعتهم، فوجدت أمتعة الشرفاء عندهم، فرددت منها ما أمكن، وبعنت بها لأهلها، وأنكروا لي أن يكونوا جرحوا واحداً من أهل البيت. فلما أخبرني بما ذكر عرفت مصداق الرؤيا وجاه الشيخ في شفاعة الأمور العظام من غير مناداته في ذلك. انتهى.

(ومن دعاء هذا الشيخ لصاحب الترجمة ما حكى به عنه أنه قال له: اقرأ قوله تعالى: «قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ»، ففرأت إلى «الَّذِينَ يَرِثُونَ الْفِرْدَوْسَ» قال: فقال لي: جعل الله فيك هذه الأوصاف. ثم قال لي: كل ما أحببت يفضي لك. قال فقلت له إنني أريد علوماً مثل الفقه والأصول والبيان والمنطق، فقال لي يحسن بك أن تتعلم من كل علم. فمن بركنه فُتح لي في

(389) ما بين معقوفتين، ثابت في ط ساقط من المخطوطتين

(390) في ط: ان يقصدتهم بالخصوص بالنعال

(391) هذه هي عبارة المخطوطتين ك و س، وهي الواضحة وعارة ط مشوشة.

تلك العلوم التي سميت وفي غيرها، فبقضي الله تعالى من له خبرة في فن من الفنون بلقائي فأخذه عنه، أعني ذلك العلم، كالتوقيت، والأسطرلاب، والعروض، والجدول، والحساب (392) ثم أوصاني بكتب السير ورجحانها على كتب التصوف قال: لأن فيها سرية الصحابة، وفي كتب التصوف سيرة الأولياء، فكم بينهما! ثم قال بعد كلام، قال لي: أتعرف أدب المتعلم وأدب المعلم؟ أما أدب المتعلم فهو الذي إذا فهم مسألة لم يتخط لأخرى حتى يعرض تلك على نفسه، فإن وجد نفسه قد تخلقت بتلك المسألة حمد الله على علمها وعلى التخلق بها، وإن لم يتخلق بها ناب إلى الله تعالى وألزم نفسه التخلق بها، ثم حمد الله تعالى على العلم بها وعلى التخلق بها أيضا. وكذا المعلم إذا قرر مسألة وفهم حتى يعرضها على نفسه، فإن تحلق بها حمد الله تعالى على العلم والتخلق، وإلا تاب ونخلق بها فحمد الله على الأمرين، حتى يصبر الإنسان حامداً لله تعالى على كل مسألة. قال فهذا يكون العلم علماً نافعا، وإلا كان حرفة لصاحبه والعاذ بالله تعالى،

(قال صاحب الترجمة: وكلام الشيخ هذا فصل الخطاب فيما يلزم طالب العلم، والله بوفقنا لمرضاته. ثم استأذنه في الوصية التي كتب بها لأصحابه فأذن له فأخذها عن أبي عبد الله محمد بن عبد الرحمان الصومعي ونص ما أورده منها:

بسم الله الرحمان الرحيم وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم. ينبغي لمن وفق للخير وألهم للرشد وأعين على مراعاة أحواله أن يميز بين الحق والباطل، وبين مراده و مراد نفسه. ومراد ربه منه. ومراد كل إنسان لقيه وخاض معه. فإذا عرف ذلك قرب الخبر إليه كفره من نفسه حتى كأنه يراه بعينيه، بمنزلة من راقب الفجر ووجهه للجهة التي بطلع منها، وليس بعد الفجر إلا الشمس، فإذا طلعت الشمس زال الشك واللبس. ولا يستعان (على ذلك بالوالد إلا إذا كان صالحا، ومما يستعان) (393) به على ذلك مواصلة الأبرار، وملازمة الاستغفار، والصلاة على النبي المختار صلى الله عليه وسلم وكذلك كل ذكر يجمع على الله وينفى عن القلب سواه، كلاً إله إلا الله، ولا حول ولا قوة إلا بالله. وكذلك التمييز بين حب الله تعالى وحب غيره. وكذلك تلاوة القرآن مع التدبر، وربما يكون سماعه من الغير أقوى تأثيراً في القلب. والأصل العظيم لذلك كله أكل الحلال، ولكن وإياك والتوغل في طلبه لأنه يدخل عليه وسواسا عظيما. والحزن لا تفارقه ولا تصاحبه، فإن البقاء مع أحدهما يفسد القلب. فإذا كنت محزوناً فاستعمل الفرح والسرور، وإذا كنت فرحاً فاستعمل الحزن، وعليك بمطالعة كتب المحبين، ثم إذا نظرت مراتبهم في محبوبهم فقل في نفسك هذا الذي بلغ حب

(392) هذه الفقرة المكوبة بين معفوتين ساقطة من ط. وفيها بدلا منها:

«صاحب الرحمة ممن انتفع بالشيخ سيدي محمد بن عبد الله السوسي المذكور نفعاً ظاهراً كما أخبر بذلك عن نفسه. قال ما معاه. وفتح الله علي بركته فتحا عظيما في العلوم. قال وأوصاني..»

(393) هذه الجملة ساقطة من ك.

المخلوق للخالق، وعليك بملازمة الدعاء والنضرع إلى الله تعالى فإنه لا يصفو القلب إلا بالدعاء. انتهى) (394).

توفى صاحب الترجمة ثاني رجب عام ثمانية وعشرين ومائة وألف بمكناسة الزينون.

من حوادث السنة

محاصرة محلة السلطان العثماني للبندقية

وورد الخبر بأن محلة للسلطان العثماني محاصرة للبندقية.

ظهور جسم عظيم غريب في الهواء

وأخبروا أيضا أنهم رأوا في الجو مخلوقا عظيما محمولا في الهواء رأسه رأس ثعبان وذنبيه ذنب سمك، وفي ظهره شيء كالصومعة، ويده يد الإنسان، وفي إحدى يديه سيف، وعرضه نحو ستين مسلا، وأما طوله فلا يعلم لأنه بقي يجوز نحو ثلاثة أيام. والله على كل شيء قدير (395).

(394) هذه الفقرة الطويلة المكنوية بين هلالين سافطة من ط.
(395) انفردت الحوليات بحوادث هذه السنة. وفي أولها سطران عن وفاة أحمد الولاى حذفناهما لأن ترجمته تدمت مستقاة.

العام التاسع من العشرة الثالثة

أحمد بن محمد ابن ناصر الدرعي

فمنهم الإمام الكبير، الصالح الشهير، الولي الخطير، سيدي أحمد بن الإمام أبي عبد الله محمد بن ناصر الدرعي. تقدمت ترجمة والده وجده وأقاربه. كان صاحب الترجمة جليل القدر كبير الشأن عظيم الذكر له صيت في المغرب (وكذلك في المشرق) (396) وكان عالماً نحوياً لغوياً مؤرخاً يقصد الشوارد، وبحفظ الفوائد، من أهل العناية والشهرة بالولاية. ألف كتاب الأجوبة، (وكتاباً آخر في الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم يقرب من دلائل الخبرات) (397) وكتاباً في رحلته للمشرق جمع فيه كثيراً من فوائد الرحلة العياشنة. وله كلام في الطريق وحض على اتباع السنة، وتأکید في اتباع العلم وتحكيمه. وله أبياع وتلامذة كثيرون بوترون (398) عنه كرامات وخوارق. وكان أراد أن يحج نانياً في سنة عشرين ومائة وألف، (فصرفه السلطان مولانا إسماعيل عنه (399) ثم من العام المقبل أذن له في الحج، فسافر للحج ولقي مشايخ بالبلاد المشرقية (ممن أخذوا عن والده، فأخذوا عنه فينسبون إليه في الطريقة.

ومن فراسته ما حكى لنا بعض أهل الخبر والصلاح من أهل مدينة شفشاون أنهم كانوا يجدون بمحارب بعض مساجدها بولاً وغانطاً زماناً فرصدوا فاعل ذلك فوجدوا مجذوباً بالبلاد كان قاطناً بشفشاون يقصد المحراب ويبول فيه ويتغوط. فلما تحققوا أنه فعله شددوا عليه في النهي، فلم يفد فيه نهى حتى هموا بقتله واجتمعوا على ذلك، وأشار عليهم إمام المسجد أن يرصدوا وقت مجيء صاحب الترجمة لزاوينهم التي بشفشاون يجتمع بها الفقراء الذين من أتباعهم كان تأتيهم كل سنة.

فقدم صاحب الترجمة فأعملوه بالأمر واستشاروا معه في شأن المجذوب، فأمعن النظر في ذلك و خلا بإمام المسجد وقال له: لا بد أن تصدقني هل تشرب شيئاً من الخمر الذي يقال له عندكم رُبّ الفقيه أعمّر / قال له نعم، فأمره أن يتوب من شربه فتأب. وكان إمام المسجد يسربه ويأتي إلى الصلاة بالناس. فلذلك كان المجذوب يقصد المحراب ويبول وينغوط فيه، فلما تاب إمام المسجد عن شربه على يد صاحب الترجمة، فمن يوم تاب لم يبل ولم يتغوط المجذوب في المحراب أبداً، وأصلح الله حال الجميع ببركاته. وكان هذا المجذوب يدعى بسيدي أبي خنشة.

(396) زيادة في ط.

(397) ساقط من ط.

(398) في ط. يذكرون.

(399) زياده في ط.

وحكي أن صاحب الترجمة لما سار إلى الحج مع الركب فلقيه رجل بالخلاء وأطرق إلى الأرض ورفع رأسه إلى السماء، فلما رآه صاحب الترجمة فعل ذلك مرَّ بيده على وجهه ثم ذهب الرجل. وسأل بعض أهل الركب صاحب الترجمة عن فعل الرجل، قال لهم إنه قال لي في فعله ذلك من نظر إلى الأرضين السبع وما احتوت عليه والسموات السبع وما احتوت عليه تحقق بدخوله الجنة أم لا؟ قال فأجبتُه إن قطع الصراط دخل الجنة (400).

[أخذ عن والده، وأخذ عنه سادة فضلاء. منهم الولي الصالح الشهير سيدي أبو العباس الشراذي صاحب الزاوية الشهيرة بقرب مراكش، والسيد الجليل سبدي حسين المدعو شرجبل، والولي الصالح سيدي المعطى بن الصالح الشرقي. وقد سمعت عنه أن الورد الذي أخذ عنه هو الذي يخص بعض العامة ممن برد عليه. وكل هؤلاء تأني تراجمهم إن شاء الله. وأخذ عنه من لا يحصى كثرة. وتنسب إليه الآن الطوائف من الفقراء بالصحراء وغيرها. نفعنا الله بجمعهم آمين، وكان لنا بما كان لأوليائه المتفين] (401).

توفي صاحب الترجمة بدرعة (402) عام الترجمة.

محمد بن العربي ابن مقلب الفاسي

ومنهم الأستاذ المحقق المجود المقرئ الفقيه أبو عبد الله محمد بن العربي ابن مقلب الفاسي، أحد الكبراء ديناً وخشبة. كان سريع البكاء عند تلاوة القرآن، من أصحاب سيدي عبد القادر الفاسي، وأخذ عنه طلبة فاس القراءات السبع وحدثني بعض العارفين أن صاحب الترجمة كان من الأولياء، وإنما ستر ولايته العلم والقراءة.

توفي صاحب الترجمة بفاس عام الترجمة (403).

من حوادث السنة

قتل نحو المائة من الحباينة

وفي موفى عشرين من جمادى النانية من العام قتل السلطان مولانا اسماعيل نحو المائة من الحباينة لأمر افتضة، والأمر لله.

سجن مائة رجل من بني يزناسن بمكناس

وفي النامن والعشرين من رمضان العام جيء بمائة رجل من بني يزناسن وسجنوا بمكناسة الزبتون - أمنها الله - إلى حين (404).

400 هذه الفقرة الطويلة المكتوبة بـى معقوفتين ساقطة كذلك من ط

401 هذه الفقرة المكتوبة بين معقوفتين اختصت بها ط.

402 فى س: بفاس، وهو خطأ من الناسخ. وسقطت حملة الوفاة من ط.

403 سقطت هذه الترجمة كلها من ط

404 انفردت الحوليات كذلك بحوادث السنة، وكرر فى أولها جزء صغير من ترجمة أحمد ابن ناصر فحذفناه.

العام العاشر الموفي العشرة الثالثة

حمزة بن عبد الله أعياش

فمنهم المرابط الشهير، ذو القدر الكبير، أبو عمارة سيدي حمزة بن العلامة سيدي عبد الله أعياش. من أهل الوجاهة والثروة، وله اعتناء بزاوية أبيه في بلادهم أيت عباش، واعتنى بجمع الكتب، إذ فيها ما لا يوجد في غيرها (اليوم في سائر المغرب) (405) وتقدمت ترجمة والده سيدي عبد الله المذكور (عام واحد ونسعين من المائة الحادية) (406). توفي صاحب الترجمة بزاويتهم عام ثلاثين ومائة وألف.

(405) سافط من ط

(406) سافط من المخطوطتين لد و س.

العشرة الرابعة من المائة الثانية بعد ألف العام الأول منها

سعيد بن أبي القاسم العمري

فمنهم الفقيه القاضي العلامة المشارك المحقق الفهامة المعقولي الأشهر، البياني الأبهري (407)، أبو عثمان سعيد بن أبي القاسم العمري، التادلي الأصل المكناسي الوفاة والقرار. كان - رضى الله عنه - آبة في النحو والبيان. مَجْبُولاً على محبة أهل (البت) (408) والولاية والعرفان، يكثر من مخالطتهم والاعتناء بهم، ويؤثر حديثهم ومجالستهم، وله قوة على الصدع بالحق في مظان الملوك لا يبالي بما يترتب من ذلك. قد ألجأه الحال إلى مولانا الخليفة السلطان أمير المؤمنين مولانا إسماعيل ابن السلطان مولانا الشريف الحسن لقسمة وقعت له مع بعض أهل الولايات من عصره. فلما رآه السلطان في نباهه وفصاحته وتحصيله، وحسن إدراكه وتفصيله، أعجب به كل الإعجاب، وألزمه ملازمة مسجده والتدريس به، وولاه قضاء حضرته. وكان لا يستطيع أن يغيب عنه، وجعل السلطان يشاروه في مهمات ما يعرض في ضرورات دينه. وكان كل ذلك لا بلهيه عن دينه وقراءته واعتنائه ومخالطته أهل الطريقة ومراسلتهم والورود عليهم. فخالط قبل مخالطته السلطان سيدي أحمد اليمني، وسيدي أحمد بن عبد الله مَعْن، وتربى بهما وتأذب وتهذب، ولم تزده خلطة السلطان إلا محبةً فيهما. وكان قبل ذلك يقرئ مولانا محمد ابن الخلفه السلطان مولانا إسماعيل، وكانوا يترددون إليه ويجتمعون عنده كبار علماء الوقت، فيوردون مشكلات عويصات جداً فيصдرون فيها عن رأي صاحب الترجمة. وطلبوا منه أن يقرئهم شرح السعد المطول على التلخيص للقزويني وهو لم يتهياً ولا استعداد، وقصدوا بذلك إفحامه ببني بدي مولانا محمد، وكان له خبرة بالفن ذا فطنة قوية، فابتدأه فوراً وتفجر بأنواع التحقيقات، وأحسن التقريرات، بما لم يخطر لهم ببال، فتأبوا لله واعترفوا بفصله وكمال علمه، وحددوا نية القراءة عليه على أصلها وحضر درس ذلك جمع من الشيوخ المجتمعين هنالك.

قرأ على شيوخ الزاوية البكرية، وعمدته منهم سيدي الحسن بن مسعود اليوسي، وعلى طبقته. وأخذ عنه جماعات من ففهاء مكناسة وغيرها، منهم الفقيه العلامة حافظ المذهب في زمانه سيدي الحسن بن رجال المعداني، والفقيه القاضي سيدي أحمد الشدادى، وأولاد صاحب الترجمة، منهم أعلامهم قدرا الفقيه العالم المفتي النوازي عدل قضاء الزمان سبدي أبو القاسم، والفقيه أحمد، والفقيه النحوي الأدب عبد الرحمان وغيرهم (409).

(407) في ط: الأكبر

(408) ساقط من ط.

(409) اختصرت ترجمه العمري في بضعة أسطر في ط.

توفي صاحب الترجمة - رحمه الله - بمكناسة ودفن بها عام الترجمة.

عبد الله بن محمد الفاسي

ومنهم الفقيه سيدي عبد الله بن الفقيه المؤرخ الصوفي سيدي محمد بن عبد الرحمان بن عبد القادر الفاسي. توفي عام الترجمة (410).

عبد الكريم الترغي

ومنهم سيدي عبد الكريم الترغي أصلاً، الدرعي داراً. ممن أخذ عن الشيخ الحسن اليوسي، ورحل للشرق فحج ولقى أئمة أعلاماً، ودخل الشام، ثم رجع واسنقر في الزاوية الناصرية يدرس بها ويفتي، وزوجه الشيخ أبو العباس سيدي أحمد بن ناصر بأخته.

توفي - رحمه الله - في يوم الخميس التاسع عشر من جمادى عام انين وتلاثين ومائة وألف، ودفن هناك. وممن أخذ عنه الفقيه العالم قاضي شفتاوان سيدي محمد ابن عبد الله الحوات الشريف الموسوي الحسني ورناه بقصيدة مطلعها:

إذا ما بدا برقٌ من الجانِبِ المكي أرى شوق سكان المعاهد يحكي (411)
[يقول فيها:

سَلِ الطالِعَ الغربيُّ من نحو درعة	سؤال الشَّجِي المَشْتاق عن جيرة الأيك
فهل هاج تذكّار الحبيب لهم أسي	بكل حشا نار الغضا أبدأ تُذكي
كما هاج منا ذاك فقد حُلاحل	جليل سني كسان واسطة السلك
لسان العلوم المرتضى شيخنا الرضى	بضاهي الإمام الفخر والسعد والسبكي
ربّي النقي عبد الكريم الذي سرى	إلى الله تلقاه السنائر بالضحك

وهي أكثر من هذا تركنا ما بقي منها اختصاراً [(412).

من حوادث السنة

تجديد بناء ضريح مولاي ادريس بفاس

(410) ترجمة عبد الله الفاسي سادته من ط.

(411) ترجمه الترغى أحرى في ط إلى عام 1142 . وليس في ك سوى الجملة الأولى منها. والبيت مكسور الآخر، يستقيم وزناً بإضافة نحو كلمة « أن » أو « إذ » قبل يحكي .

(412) هذه الأبيات الستة ساقطة من المخطوطتين.

ومن حوادث السنة (413) أمر الخليفة أمير المؤمنين، وظل الله على المسلمين، السلطان أبو النصر المنصور بالله مولانا إسماعيل بن السلطان مولانا الشريف السجلماسي الحسني بتجديد المسجد المعروف في القديم بمسجد الشرفاء، وهو المدفون فيه الإمام مولانا إدريس بن مولانا إدريس دفين زرهون ابن عبد الله الكامل بن الحسن المثنى بن أمير المؤمنين الحسن السبط ابن أمير المؤمنين، وأحد الخلفاء الأربعة الراشدين، علي ابن أبي طالب - رضى الله عنهم - وفاطمة بنت مولانا رسول الله وبضعته صلى الله عليه وسلم في فاس القرويين، فبنى المسجد والقبة والصومعة (414) على الهيئة التي استمر عليها إلى الآن، وبقيت القبة وتم تسقيفها في آخر ذى الحجة من عام الترجمة، وأمر السلطان بإقامة الجمعة فيه فاستمرت إقامتها إلى الآن. وقد كانت تقام بمسجد الأشياخ من عدوة فاس الأندلس، وبمسجد الشرفاء هذا من فاس القرويين قديماً.

وبناء مسجد الأشياخ قبل مسجد الشرفاء بعام، فهو العتق، ثم نقلت من مسجد الأشياخ إلى مسجد الأندلس، ومن مسجد الشرفاء إلى مسجد القرويين، فأعطى كل من المنقول حكم المنقول منه، فكان على هذا مسجد الأندلس هو العتق، وإذا لم يعتبر المنقول منه إلى المنقول إليه فعنق ما تقام فيه الجمعة اليوم هو مسجد مولانا إدريس، وجعل عرضها كطولها ستين ذراعاً في كل وجه.

انحراف قبلة مساجد فاس

وبعد الفراغ من بنائها بحث في قبالتها الموقت سيدي العربي بن أحمد الفاسي، واستدل بما هو مذكور في تأليف له في ذلك. ولما بلغ خبره للسلطان أمر بتجديدها ثانياً إن صح كلام سيدي العربي المذكور، فاجتمع لذلك أئمة الوقف، منهم شيخ الجماعة أبو عبد الله المسناوي، وأبو علي الحسن بن رجال المعداني، وأبو عبد الله محمد ميارة الحفيد، وأبو عبد الله محمد بن حمدون بناني، وأبو عبد الله محمد بن عبد السلام بناني، وأبو الحسن علي الشراطي، ومن الموقتين رئيسهم العاشي الخلطي، وأحمد بن سنون (415)، والعربي قصارة موقت القرويين، واجتمعوا بمجلس الأحكام الشرعية لدى القاضي ابن أبي عنان، ومعهم من له الأحكام المخزنية الرئيس أبو علي الروسي، واتفق رأيهم على أن البحث المذكور لا يوجب هدمها وبناءها وإن كان البحث صحيحاً، لكن يمكن التقصى عنه بانحراف المصلي، وقد جرى العمل في القرويين بالتنبيه على ذلك، فمقول المؤذن بأرفع صوته بعد

(413) أثبتنا حوادث هذه السنة 1131 حسب المخطوطتين ك. و. وقد أخرجت إلى السنة التالية في كل من ط والحواليات. واختصرت فيها في نحو صفحة ونصف.

(414) هنا في هامس س طرة: «بني المسجد والقبة والصومعة عام 1110.

(415) في الحواليات: ابن شرف.

فراغه من الإقامة حرفوا بتحريف الإمام يرحمكم الله. فقبله الفرويين تقرب من قبله جامع الشرفاء المذكور، وكنبر من حوامع فاس كذلك، واتفق رأبهم على ذلك لمصلحة، ووافقهم عليه شيخ الجماعة المسناوى، إذ إليه كان المشار في ذلك الوقت في المهمات من المسائل العلمية، وكنبوا للسلطان أنه لا موجب لهدمها. فلما رأى الباحث ذلك رجع وكتب بخط يده أنه أخطأ في البحث المذكور، وخطؤه لا لعدم صحة بحثه بل لعدم اعتبار ما ذكروا، وإلا فالبحت في قبله القرويين وما على سمتها كقبله مسجد الشرفاء المذكور قدم. وممن صرح بذلك الشيخ القباب، ونصه: وتقليد المحارب التي بالامصار التي نصبها الأئمة إذا لم تكن مختلفة ولا مطعوناً عليها من أهل العلم فإنها إذا كانت مختلفة فلاشك أن بعضها خطأ، لأن مكة لا تكون في جهتين ولا تعلم خطؤها من صوابها إلا بالنظر في الأدلة مثل مساجد بلد فاس فإن قبله القرويين مختلفة لقبله الأندلس، وقبله الأندلس أقرب إلى الصواب بالنظر إلى الأدلة انتهت. وحكى الإمام سيدي أحمد ابن علي السوسي عن سيدي علي بن أبي القاسم البطيوي أن سيدي أحمد زروق كان يجلس بالقرويين والناس يصلون ورأى أن ذلك قد لا يسلم له فيها، لأن ذلك لا يجوز من أجل الإمام. قال سيدي أحمد: والذي يظهر لي أن ذلك بالقصد منه لأجل التعليم، وأنه لا نصح الصلاة فيه لكن أشياخه لم يوافقوه عليها كبيرهم الإمام القوري، فهو يشدد على من خالف محارب المسلمين، وأوجب عليهم تجديد التوبة، والشيخ زروق لم يقلدهم في ذلك أي في هذه النازلة لكونه جال البلاد المشرقية متكرراً وعلم بالجهة، وكلام الأئمة في هذه المسألة عريض طويل معروف.

ثم وسع المسجد الخارج عن القبة وأدخل العامل فيه حوانيت (ودوراً) (416) جبراً على أربابها. ثم أقيمت فيه الجمعة، وكان إمامها به شيخ الجماعة أبو عبد الله المسناوى، ثم بنيت صومعته.

ظهور قبر مولاي ادريس بعد تلفه

وقد كان قبر الإمام إدريس غير ظاهر ولا معروف أبناً هو في أي جهة من مسجد الشرفاء. وسبب إخفائه عدم اعتناء البربر به لما غلب على ولاية فاس من بنيهم وعقبه كبنى أبي العافية المكناسيين ومغراوة وبني يفران. فلما ضبقوا على الأدارسة وأجلوهم عما قرب من فاس من البلد، وشددوا على شيعتهم وأتباعهم بالأذى والإهانة حتى لم يبق منهم أحد بقرب فاس، وأهملوا القبر الكريم، ولم يجيروا من استجار به، وإذا ظهروا على أحد قام ببعض احرامه بالغوا في إذايته، واستمر فعلهم لذلك حتى تلف القبر ولم يبق من يعرف أين هو من المسجد المذكور. وألقى الله العداوة والبغضاء بين رؤسائهم، واسنمر القتال بينهم،

(416) زباده في س.

وكنز النهب والخوف والجوع، وخلت البلاد إلى أن طهر الله تعالى البلاد منهم بالملثمة المرابطين، ولله عاقبة الأمور، «وتلك الأيام نداولها بين الناس، إِنَّ الْأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ».

ولما أراد الله تعالى إظهار قبر هذه البضعة النبوة الذي صاحبه أمان لهذه المدينة التي هي حسنة من حسناته، كالنجوم أمان لأهل السماء، فكان السبق لإظهاره كما هو مكتوب في المرمرة التي موالية له في الحائط، ونص المراد منها، ولما قضى نحبه، أي الإمام إدريس بناني فاس، دفن بإزاء بلدهم الكبسة الحرمه الشهيرة بمسجد الشرفاء، ولم يعينوا موضع قبره إلى أن أراد الله تعالى إظهاره رحمة ولطفاً خص به هذه الأمة، فاتفق أن اختبر أساس حائط القبلة من الجانب الأيسر، لما عسى أن يصلح فيه أو يجبر، فعثر على القبر الكريم الأطهر، ووجد للحد قد أنشئت السالبي رسمه فلم يبق منه إلا قبل، والعظم المرحوم باق بحاله لم يكن للأرض عليه سبيل فحضر إذ ذاك سليله الأكرم، ووليه الذي لا يخفر فيه عهد ولا بغرم، السيد الشريف الرفع القدر والشان، أبو الحسن علي بن محمد ابن عمران، والوزير الحافظ لودهم، القائم بإظهار عزهم وإثبات مجدهم، الراغب في إحياء سنة جددهم، الماجد المجاهد أبو زكرياء يحيى بن زيان، وحضر معهما إمام الفتيا، الفقيه ذو الرتبة العليا، أبو محمد عبد الله العبدوسي، واستشاره فيما ينبغي أن يقام فيه بحق ذلك الضريح الكريم، فأشار أن يعلم بتسنيم، وأن يعتمد في اجتنب وضع النعال عليه واحب التكريم، ووقع الوفق على كتب هذه الأسطر في الحائط المذكور مواربا للضريح المبرور، وأن يكون علامة عليه وبرهانا، وليعود الخبر عيانا، وكان هذا فضلا من الله وإحسانا، وطولا على أهل هذا العصر وامتنانا، حيث ألقى ببقاء الأثر من البيت الكريم أمانا، حسبما جاء عن سبدي المرسلين: (أَهْلُ بَيْتِي أَمَانٌ لِأَهْلِ الْأَرْضِ) الحديث لا يجهله من اعتنى بالرواية حفظاً وإتقاناً. وكان وجد القبر المذكور، وقت كتب هذه السطور، في شهر رجب المبارك عام واحد وأربعين وثمانمائة. هذا لفظه. انتهى.

العام الثاني من العشرة الرابعة

عبد العزيز بن مسعود الدباغ

فمنهم الشريف المتبرك به. أبو فارس مولاي عبد العزيز بن مسعود الدباغ الادريسي الحسني، وليس وصفه بالدباغ للحرفة المعلومة، بل ذلك لقب لأهله بفاس وبه يدعون إلى اليوم، جرى ذلك اللقب عليهم بسبب كما نذكره إن شاء الله. قال في الدر السني: لم يعهد لهم الاحتراف بها قط، بل سبب ذلك - والله أعلم - ما وقفت عليه في ظهير لهم بأيديهم الآن تاريخه تسعون - بتقديم الفوقية - وسبعائة - بتقديم السين -. وفيه الأمر بإعطاء المرتب لهم من مجبى دار الدبغ بسلا حين كانوا بها، فجرى عليهم النسب بلفظ المبالغة من الدبغ لأجل ذلك والله أعلم. وكان قدومهم على فاس من البلد المذكورة أول المائة التاسعة على ما يؤخذ من ظواهرهم السلاوية. وقوله بلفظ المبالغة لعل المراد بالدباغ هنا النسبة المبالغة.

فصاحب الترجمة من هذا القبيل المبارك، وببتهم بفاس بيت شهير. وقد وصف صاحب الترجمة من شيخنا العلامة الحافظ سيدي أحمد بن مبارك اللمطي السجلماسي بأوصاف العرفان، وحدث عنه بعجائب في أنواع من الكشف وأسرار النبوة في كتاب سماه الإبريز، في مناقب الشيخ عبد العزيز يسعه مجلد، وجله لا يعرف في سيرة القوم ولا من أوصافهم ولم يذكر ذلك في كتبهم، بل ينبغي ترك المطالعة فيه إلا على التحذير من ذلك المخالفة ما فيه طريقتهم. نسأل الله السلامة والعافية من مثل ذلك. وقد تكلم من تكلم فيما هو أقرب من ذلك مما رواه الإمام أبو الحسن اللخمي الشطنوفى (417) الشافعي المصري الذي عرف به الأسويطي في حسن محاضراته، في كتابه بهجة الأسرار فيما رواه عن الشيخ عبد القادر بن موسى الجيلاني الحسني، وأجاب عن كثير مما تكلم فيه الشيخ زروق، والعز ابن عبد السلام، وابن حجر الكناني العسقلاني وغيرهم، وكان لصاحب الترجمة في حياته أتباع، ونسب صاحب الترجمة في الأخذ عن أشياخ لا يعرف أحد منهم نحن ولا غيرنا ممن أدر كنا. وذكر أنه لقيهم في هذه الجهات وذكر من جملتهم سيدي عبد الله (418) البرنوي، إن كان المراد به شيخ سيد أحمد اليمنى فقد توفي قبل ولادة صاحب الترجمة، وقدمنا بيان ذلك في ترجمته عام ثمانية وألف، فالتاريخ يبطل الاجتماع به حيا. وإن أولته بأن ذلك كان غيبا فبيطله أيضا بأنه صرح بذلك ظاهراً. وإن كان غيره فلا نعرفه.

توفي صاحب الترجمة عام اثنين وأربعين ومائة وألف، ودفن خارج باب الفتوح قرب روضة الأنوار بين سيدي الدركاس بن إسماعيل وعلى صالح، وبنيت عليه قبة باقية على حالها إلى اليوم (419).

(417) كذا في س وهو الصواب، وصحف في ك فكتب الشطنوفى.

(418) صفح أيضا في ك فكتب: عبد القادر البرنوي.

(419) اختصرت ترجمة الدباغ في نحو نصف صفحة من ط

العام الثالث من العشرة الرابعة

العربي بن أحمد بُردَّة

فمنهم الفقيه العلامة النوازلي المفتي القاضي الخطيب أبو عبد الله محمد العربي بن أحمد بُردَّة الأندلسي ثم الفاسي مولدا ووفاة. ولي قضاء فاس والفتوى بها مرراً وعزل عن كل ذلك، ثم ولي النظر في أحباس فاس. وكان آخره مرة عزل عن القضاء. ولم يرجع إليه سابع صفر عام تسعة عشر ومائة وألف، أخذ - رحمة الله - عن شيخ الجماعة سيدي عبد القادر الفاسي، وأبي العباس المزوار وأضرابهما. وأخذ عنه جماعة من أهل فاس. وكان له معرفة بالعربية والفقه والنوازل [و له أجوبة دالة على ما له من اليد في العلم وكان شيخاً] (420) الجماعة بفاس وأكثر مخاطبة السلطان بالكتابة، وكان إذا شافهه لا يتكلم بل يقتصر على ما يكتب له بالقلم في الأجوبة والرسائل وغيرها. وله صيت عند أهل وقته وينسبون له أموراً منها ما تناسب حاله من العلم ومنها ما لا تناسبه، والظن به أنه بريء مما لا يناسبه، ولولا الإطالة لأوردنا من ذلك أشياء كثيرة.

ولد يوم الأربعاء ثاني جمادى الآخرة عام اثنين وأربعين وألف، يوم مات الولي الشهير سيدي موسى دفين جرنيز، وتوفي في رجب عام ثلاثة وثلاثين ومائة وألف، ودفن خارج باب عجيسة من فاس بطرف فدكان الغرباء، وعليه بناء يزار رحمه الله (421).

أحمد بن عبد القادر القادري

ومنهم الفقيه الوجيه الأغر، الخير الدين الحاج الأبر، الأديب الناظم الناثير، ذو الأخلاق والمآثر، أبو الفضل (422) وأبو العباس أحمد بن العدل الفقيه عبد القادر بن علي بن محمد القادري الحسني، وكذا حفيد عم جدِّي (423) لأن جدنا عبد السلام بن الطيب بن محمد بن محمد بن محمد، وصاحب الترجمة أحمد بن عبد القادر بن علي بن أحمد بن محمد المذكور ثالثاً. وتقدم تمام رفع نسبه في ترجمة جدنا عبد السلام المذكور في عام عشرة بعد مائة وألف. وأشهر كنية صاحب الترجمة أبو العباس، وكناه بأبي الفضائل سيدي وفاً لما قدم مصر سنة ثلاث وثمانين وألف. وحج أيضاً صاحب الترجمة سنة مائة وألف، وهي الحجة التي أُلِّف فيها رحلته.

(420) ساقط من س.

(421) ترجمة بردلة ساقطة من ك، متأخرة عن ترجمة أحمد القادري في س، كتبت مختصرة في هامش ك وهي أول ترجمة في العام 1133 في ط.

(422) في ط: أبو الفضال.

(423) كذا في ك. وفي س: «ولد حفيد ولد عم جدِّي». وفي ط: «ولد عم جدِّي». وفي هذه الأخيرة اختصار وحذف عبارات كثيرة في هذه الترجمة.

رحل صاحب الترجمة في طلب العلم إلى الزاوية الدلائبية لما اكتمل بدرها، وبلغ النهاية أمرها، حيث كانت مرتعا للوفود، ومحل الكرم والجود، ومقصداً للطالب والمطلوب، فحصل لهم بها العلم الظاهر والموهوب. فلقني صاحب الترجمة جماعة من مشايخها فحصل له حظ ونصيب، وأخذ من العلم والعرفان أوفر نصيب.

[أخذ صاحب الترجمة من النساء نحو ثمانية، ولم يطلق واحدة منهن إلا إذا ماتت إحداهن نزوج أخرى مكانها. وتزايد عنده من الذكور ثمانية عشر. وكلهن دفن (كذا) بروضة أسلافهم التي قرب ابن عباد داخل باب الفتوح إلا ولدبن منهم فدفنوا معه بالجنان، وهما اللتان (كذا) ماتتا بعده، الأول منهم الفقيه العدل مولاي عبد الله. كان يقرأ الحزب بباب محراب مولانا إدريس، وسكن بدار محبسة على قبر مدفون مع سدي الحبيب يقرأ عليه يوم الجمعة ويوم الخميس سورة طه. وهي الدار بزقة ابن ولال براس الشراطين. وكان يؤم بجامع طلوق بسقو العدة من باب السلسلة. وخلف عبد الله هذا ولداً اسمه محمد ماب بعده ودفن مع والده وجده. ويموته انقرض عقبه. والولد التالي هو العدل سدي محمد توفي عام 1170 ودفن مع والده في الجنان، ولم يترك سوى بنت ماتت معه في عام واحد ودفنت معه وانقرض عقبها. وكان محمد يقرأ الحزب بباب محراب جامع الأندلس، ويقرأ حزبه ويورثق بزواية المخيفة. وأما الإناث فكان عند صاحب الترجمة نحو العشر من بناته دفن مع بالجنان. منهن ابنته أم كلثوم أمها سيونية، فهي المدفونة خلف ظهره بينه وبينها قبر آخر، وهي التي حبست الدار الثانية عن بسار الداخل للزقة التي فوق حمام راس الجنان من فاس المرويس على أبناء عمها ليقرؤوا على قبرها كما في وصيتها. ودفن من بناته معه في الجنان ابنه طيبة أمها عائشة بنت مولاي عبد القادر الشريف الطاهري الجوطي الذي كان يحومة العيون من فاس القرويس. وهذه البنت نزوجها سيدي محمد بن حم طاهر الجوطي فولدت له سيدي عبد الهادي، ومن الإناث عائسة التي تزوجها الشيخ سيدي المعطى دفين بجعد من تادلا، والبنت الثانية اسمها () تزوجها بحبي بن محمد بن الطيب (424)

ولما دخلها (425) الخليفة مولانا أمير المؤمنين الرشيد بن السلطان مولانا الشريف الحسنى خرج صاحب الترجمة مسرعاً في رفقة فيها سيدي الحسن بن مسعود البوسى اقاصدن لفاس فمروا على قرية أزرو فاستضاف أهلها الشيخ البوسى (426) ممن كان بقد عليهم للدلاء بقصد التجارات، فاجتمعوا إليه ولم ياتوه بطعام، فعمد الشيخ البوسى إلى عوسن كان معه وأحضره للناس، وكان في الرفقة أكابر الدلاء ووجههم وفقهاء وقضاة،

(424) هذه الفقرة المكتوبة بن معوفيس كتب شطرها الأول فقط في هامس ك، وأدمحت بكاملها في صلب س. ولا توجد في ط.

(425) معنى زاوية الدلاء.

(426) ساقط من ك.

فأكلوا، وشاركهم في الأكل أهل قرية أزرو. فلما رأى ذلك منهم الشيخ اليوسي أنشد هذه الأبيات، وهي من نظم الأديب الشيخ عبد الكريم الدغوي (من بحر البسط):

ومرية لا قرى لا بن السبيل بها نبأ لها ولأرجاس بها اجتمعوا
لولا أفاردها يُفرون وأردّها من سؤر باردها في ضمنه وجع
لقلت من زار أزرو زار مقبرة ورب مقبرة زوارها انتقعوا

فأنشد صاحب الترجمة فوراً بمحضر رفائه مثلها، وهي:

وإن حلت بها فانزل بروضتها ولا تقم ساعة فالخسر ممتنع
لقد رأينهم يوم الخميس ضحى فلم نل منهم قوت ولا شبع
قالوا القضاء أتوا قلت لإكرامنا إذا هم في سويق الشيخ قد طمعوا

ثم ارتحلوا ورجع صاحب الترجمة إلى فاس. ولما فصد سيدي الحسن اليوسي زيارة الشيخ أبي يعزى فمتر بفاس طلب من صاحب الترجمة أن يرافقه لزيارة أبي يعزى وأعطاه بغلة ركبها، فسار إلى زيارة سيدي أبي يعزى، فزارا ورجعا إلى فاس، فأراد صاحب الترجمة أن ينزل عن الدابة التي أعطاه الشيخ اليوسي يركبها، فقال له سيدي الحسن فهي لك وما قلت لك خذ هذه واركبها حتى خرجت عنها لله، فأخذها صاحب الترجمة، وهي التي حج عليها وكانت من سرعان البغال بحيث لا يسبقها إلا القليل. ولما رجع عليها من الحج إلى فاس باعها واشترى بها فرسا، فكان يغزو عليه في سائر بلاد ثغور المغرب منطوعا، وكان يبلى بلاء حسنا في الجهاد، وكان في الشجاعة والفروسية والرمي الغاية، أخذ ذلك عن رؤساء أهل الدلاء في أيام إقامته عندهم.

ولما حج سنة ثلاث وثمانين سمع في أيام إقامته بمصر من الأجهورين الشيخ علي نفسه، وعبد الباقي الزرقاني، ومحمد الخرشى، وغبرهم، وبفاس من سيدي عبد القادر الفاسي، وسيدي الحسن اليوسي. ولما رجع من هذه الحجة إلى فاس أخذ في الاجتهاد في العبادة وأعاد فوائد عشرين سنة، فكان صواما قواما. لزم مسجد زاوية سيدي محمد بن عبد الله معن الكائنة بالمخفية من عدوة الأندلس، فأكثر من تلاوة القرآن وأنواع الأذكار، وتجرد للعبادة وترك تعاطي الدنيا والأسباب والتجارة، وأكثر من مطالعة كتب الفوم وتباعد سيرتهم وسلوك طريقهم: فقال منهم قدما راسخاً. وممن لقيه منهم وزاره وبرك به سيدي فاسم الخصاصى، وصاحب سيدي أحمد بن عبد الله معن وترى به ونهذب ونأدب به حتى صار من العارفين، وأولياء الله الصالحين.

ولصاحب الترجمة سحابة في نظم الشعر، اقتبس ذلك من شيوخ الدلاء في أيام

أقامته بها. ولا شك أن الأدب شأن أهل الدلاء. وله أنظام بديعة، مشتملة على معاني ربيعة، فمنها: نظم رجز فيمن هاجر إلى الحبشة من الصحابة، ونظم في المساجد التي صلى فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم وغبر ذلك. وقد أوردت جملة من أنظامه في كتابي الزهر الباسم. ووجه إليه سؤال من شرفاء العلم عن السبطين الحسن والحسين - رضي الله عنهما - وعن عقبهما، فأجاب صاحب الترجمة عن جميع مسائل السؤال كما ينبغي.

ومما يستدل به على امتثال أمر شبخه سيدي أحمد بن عب ٠ د الله معن أن سيدي أحمد رأى صاحب الترجمة خارجا من الزاوية فقال له: ادع لي فلانا لرجل من أصحابه داره في طريفه، فلما وصل لداره دعاه فقبل له لبس هو هنا بل سافر لمكناسة، فسار فوراً لمكناسة وقال له إن سيدي أحمد يدعوك. فلما بلغ وقت الصلاة ولم يظهر صاحب الترجمة في الزاوية، وكانت عادته لا يغيب عنها، سأل عنه سيدي أحمد أين ذهب؟ فتشوش عليه أهل داره، فجعل سيدي أحمد يهدنهم ويصبرهم ويقول لهم: هل تعرفونه ذا فضول حتى تشنوشوا عليه؟ فإذا من الغد قدم من مكناسة هو والرجل المدعو، فجعل يقول له سيدي أحمد كيف تفعل هذا؟ وصاحب الترجمة يعتذر له. وله فوائد وآداب.

توفي صاحب الترجمة يوم الاثنين تاسع عشر جمادى الأولى عام ثلاثة وثلاثين ومائة وألف، ودفن بالجنان الموقوف لدفن أصحاب سيدي أحمد اليميني وسيدي أحمد بن عبد الله معن خارج باب الفنوح قرب مصلى العبد لعدوة الأندلس.

أحمد بن محمد ابن الحاج

ومنهم الفقيه أبو العباس أحمد بن محمد بن العلامة أحمد بن العربي ابن الحاج. تقدمت ترجمة والده وجده. كان عالما مجيدا، ومدرسا وحيدا. أخذ عن أبيه وجده، وأخذ عنه جماعة، وكان والده يحضر درسه، وكان بحسن العربية ويتقنها.

توفي عام ثلاثة وثلاثين ومائة وألف.

من حوادث السنة

ملحمة كبرى مع النصارى المحتلين لسبتة

وفي غرة المحرم فاتح عام ثلاثة وتلاثين ومائة وألف خرج النصارى من البحر إلى البر من ناحية سبتة ووقعت غزوة عظيمة، وورد الخبر بأن الملحمة العظمى كانت مع النصارى - دمرهم الله - ومات من المسلمين نحو الألف وتزحزت المسلمون إلى وراء ونهبت محلة المسلمين ودخل الرعب والخوف إلى تطاون. ثم إن المسلمين من جيش السلطان مولانا إسماعيل ومن القبائل المغربية رجعوا على النصارى كرة واحدة وأعانهم المولى جل وعلا وأتخنوا فبهم القتل والأسر حتى بقي بأيدي المسلمين من النصارى نحو الثلاثة آلاف على ما أخبر بذلك من حضرها والحمد لله على ذلك.

سقوط طرف من سور فاس الجديد أهلك خلقاً كثيراً

وفي أوائل رمضان سقط طرف من سور فاس الجديد على جماعة وأقوام من أهل فاس الجديد وأهل فاس القديم ومن اليهود وغيرهم من أهل البوادي والحوال والقوة بالله.

إيقاع الصلح مع نصارى الأنجليز

وفي شوال العام أوقع السلطان مولانا إسماعيل الصلح بين المسلمين وبين نصارى الأنجليز، إذ قدم عليه كبيرهم بهدبة كبيرة وتحف وطرف كثيرة وأعطاه نحو مائة من النصارى (427).

غلاء وقحط ووباء

وفي هذا العام كان الغلاء بالمغرب - نعوذ بالله منه - وفيما بعده من السنين اشتد الغلاء وارتفعت الأسعار ووقع مرض في الناس وموت كثير بمرض وغيره من عدم الأقوات، حتى لقد رأيت بالمارسنان بفاس - أمنها الله - الذين كانوا يجمعون فيه الأموات يجهزونهم فتراكم بعضهم على بعض حتى صعدوا من الأرض نحو القامتين كله معمرور بالأموات. شاهدت ذلك وأنا صبي في حد التمسبز نعوذ بالله وأدام علينا نعمة لا تزول بمنه وفضله (428).

تذكرة المحسنين

محمد العربي بن أحمد بُردَّة

الفقيه العلامة البركة الأمتل، الضابط الشقة المتبحر الأكمل، شيخ الجماعة وإمام العصر شهير الديانة والدراية قاضي الجماعة بفاس ومفتيها وخطيب جامعها الأعظم، بل آخر قصاة العدل بها، سبدي محمد العربي بن أحمد بُردَّة المُدَجَّن الأندلسي يوم الاثنين خامس عشر رجب من السنة، ودفن مع جده برضته قرب ولي الله محمد بن الحسن خارج باب عجيسة.

(427) حوادث هذه السنة تابتة في جميع النسخ باختلاف يسير وقد اعتمدنا نص الحوليات لأنه أوفى

(428) هنا في هامش له طره مفيدة نصها

«يدعى هذا العام بعام خيزور لكثرة زرع في هذه السنة. ويدعى أيضاً (عام الصندوق) لأن الناس كانوا إذا رأوا أحداً يحمل الخبز في الطريق نهوه له، فكانوا يجعلون الخبز في الصندوق حيث يمر به إلى القرن خوفاً من النهب. وبلغ الزرع فيه لمد الوقت إذا رخص ثمانية موزونات، وإذا اشتد الغلاء أربعة عشر موزونة».

العام الرابع من العشرة الرابعة

محمد بن عبد الرحمان الفاسي

فمنهم الفقيه العام الصوفي المؤرخ الإخباري الحيسوبي المشارك المنور أبو عبد الله محمد بن عبد الرحمان بن عبد القادر بن علي بن يوسف الفاسي. تقدمت تراجم جميع من ذكر من آبائه. وكان صاحب الترجمة كثير التقييد والتصنيف في أهل الطريقة، وله فهرسة سماها المنح البادية، ذكر فيها أشياخه وإسنادهم في أنواع من العلوم، وعدتهم خمسة عشر: والده وعمه، وجده، وولد عم جده محمد بن أحمد، وأحمد بن محمد بن عيسى بن آدم الشريف نزيل رباط الفتوح، ومحمد بن محمد بن عبد الجبار العياشي، ومحمد بن يوسف العياشي، ومحمد المرباط الدلائي، وأبو سالم العياشي، ومحمد بن عبد الكريم الجزائري، وبالإجازة عن الحكيم محمد بن سليمان الرداني، وعبد الباقي الزرقاني، ومحمد الخرشبي، وإبراهيم ابن حسن الكردي، وحسن بن علي العجيمي.

مثال النعال الشريفة

ووجدت بخط صاحب الترجمة نسب لوالده هذه الأبيات الخمس كتبها في مثال نعل مقاس على النعل الذي بيد مولاي أحمد طاهر الشريف الحسيني الصقلي نزيل درب الدرج من عدوة فاس الأندلس الذي عندهم الشهادة بخطوط أئمة أنه نعل المصطفى مولانا محمد - صلى الله عليه وسلم، وهذ الأبيات هي:

نعالٌ بها إذ مَسَّتْ الأرض شرفت	بها الأرض عن أفق السماوات في الفضل
فما مثَلُها ذخرٌ وهذا مثالها	طباقُ الَّذِي للمصطفى كان في الرجل
وعند الصُّقَلِيِّين من شرفائنا	بفاس وجدنا قَيْسَتَ هذا المثل
وفي السبع والستين والألف صنعه	بمُحكَمِ إِتْقَانٍ بِشَاهِدِي العَدل
وشاهده العمراني وهو محمدٌ	وأحمدُ المزوارُ قاساه بالأصل (429)

والذي غلب على ظني أن نعاله صلى الله عليه وسلم أهلكها طول العهد، لأن من وفاته صلى الله عليه وسلم إلى اليوم أكثر من ألف ومائة سنة، فكيف مع هذه المدة يستمر بقاء النعال إلى اليوم ولم يتعد عليهم شيء لأن الأشباح إذا خرجت منها الأرواح تفتي بلا شك. «كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ» تَعَالَى. والموجودات التي لا تفني سبعة، وليس فيها من النعال شيء، وعلى تقدس إن كان هذا النعال مأخوذاً من جلد الإبل فإنه يدخله نوع من السوس

(429) هذه الأبيات كذلك في المخطوطتين ك و س معا.

يقال له بلغه بلدنا العتة، ولو كان مأخوذاً من الحديد لأصابه الدراء ويأكله حتى يفنى. [وأما مكث الحديد ولم يفن منه إلا ما لم يفارق معدنه، فإننا فارق المعدن ودخلته الصنعة فيفنى مع طول السنين، والله تعالى أعلم] (430).

وقد ألف أحمد المقري تأليفا سماه: فتح المتعال، في مدح النعال، وذكر فيه روايات (431) مما عند السخاوي والزين العراقي وغيرهما، ولم يعرج على منال ما عند الشريف الطاهري الحسيني المذكور، مع أنه معاصر له بالزمان والمكان، وليس هو مما يخفى عليه. ومنتهى الأمثلة التي ذكرها سبعة، والمثال الذي عند الشرفاء الطاهريين أصغر من الأمثلة التي أوردتها المقري كلها. ولعل الشريف كان يخفيه خشية انتزاع الملك إياه من يده. وحدثنى من له بها خبرة أنه رآها واحتذى الناس عليه كم من مثال. فمن خط بعض أنبياءنا - رحمه الله -: رأيت نعل المصطفى التي بدار الشرفاء الطاهرين الحسينيين الصقليين الفاطنيين بعدوة فاس الأندلس، فتبركت بها ومسحت بها على أعلى البدن والحمد لله، وتوسلت إلى الله بها في حوائج فما رأيت أسرع إلى الإجابة منها في بعضها، وأنا أرجو الله في الباقي، أوائل سنة أربع وأربعين ومائة وألف.

فلت: وحوز هؤلاء السادات النعل الكريم من غير إرث منه صلى الله عليه وسلم لفوله صلى الله عليه وسلم: (لَا تُورَثُ مَا تَرَكَتَاهُ صَدَقَةً). وقد سألت فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم والعباس عمه - رضي الله عنهما - أبا بكر - رضي الله عنه - ميراثهما من رسول الله صلى الله عليه وسلم فأجابهما بهذا اللفظ المروي في الحديث، فدل ذلك على عدم اختصاص أحد من نسوته وبنته وعمه بشيء من متروكه صلى الله عليه وسلم على وجه الميراث، لأن ما من ألفاظ العموم، وعمل على ذلك الخلفاء، واتفق على ذلك الصحابة، وقد وجهوا طلب علي والعباس ما طلب من أبي بكر وعمر بأن المراد أن يقسم المتروك نصفين ينتفعان به على حسب ما ينتفع به الإمام لو ولي قسمه بنفسه، فكره عمر أن يوقع عليه اسم الفسح وبطول الزمان فيظن أنه قسم ميراثه. ومعنى ما في بعض الطرق أن فاطمة هجرت أبا بكر، قال عياض: انقبضت عن لقاءه. فال وليس هذا الهجران المحرم كترك السلام، ومعنى لم تكلمه لم تسأله حاجة ولم تضطره إلى كلامه. ولم يأت في خبر أنها لقيته فلم تكلمه ولم تسلم عليه. قال: وهذا الحديث مجمع على صحته وقبوله من أهل السنة.

فتحصل أن النعل الكريم لم يصير لواحد بالميراث منه صلى الله عليه وسلم فهو عند من هو بيده على وجه الحفاظ لجميع المسلمين، وهو فيه سواء لا على وجه الميراث. وعلى تقدير لو كان على وجه الميراث لا يختص من هو بيده عن غيره من ورثته صلى الله عليه

(430) ما بين معقوفتين ساقط من ك وبقي مكانه بياض.

(431) بياض في المحوطتين.

وسلم إلا بوجه ينجي منهم به، إلا أن يكون حائزه اشتراه أو وهب له من المتصدق به عليه أولاً أو بعد انتقال ملك ماله عنه بالصدقة، أو تعدد واغتنم حائزه التبرك به. ولا يقال إن مثل النعل من التفاهة الذي يغتفر لحائزه التبرك، لأنه ليس بتافه، بل هو أعظم الذخائر، وما زال الناس يغتبطون بمثل النعل والقلنسوة للتبرك بالأهل ومن ترجى بركته، فأحرى ما كان من سيد الأولين والآخرين. وما زال عند الصحابة - رضى الله عنهم - حوائجه وآثاره صلى الله عليه وسلم محفوظة للتبرك بها. فقد كان قدحه صلى الله عليه وسلم عند أنس بن مالك وهو من عود له حلقة من حديد، فأراد أنس أن يجعل مكانها حلقة من ذهب أبو فضة، فقال أبو طلحة لا تغير نسبنا صنعه رسول الله صلى الله عليه وسلم فتركه. واشترى هذا القدر من مبرات النضر بن أنس بشمانمائة ألف. وعن البخاري أنه رآه بالبصرة وشرب معه، نقله ابن حجر في حاشية الشمائل. وإذا أشرنا إلى المثلث المكتوب فيه الأبيات المتقدمة فلنرسم خطاً محيطاً به خارجاً عن المثلث، فيبقى داخل الخط هو قد المثلث، لأنني رأيت مثلاً آخر مقيساً على النعل المتقدم ذكره عند ولد عم أجدادنا أبي العباس الذي تقدمت ترجمته في السنة قبل هذه. ولنرسمها معاً كما ذكرنا ليتبين التفاوت بينهما. وانظر ما سبب التفاوت مع أن كلا من القائسين يظن به التحقيق، والله أعلم وهذه صورتها (432)

فهذا المثلث الذي عند صاحب الترجمة الموجود عليه كنب الأبيات بخطه، والسواد كله خارج عن المثلث. وهذا في الخط الأول. وأما في الخط الثاني الداخل هو المثلث الموجود لعننا أحمد القادري، وكلاهما مقيس على نعل الشريف الطاهري الحسيني، ورسمتهما بموضع واحد ليتبين الخلاف الذي بينهما، وكل منهما بظن به التحقيق، فالله أعلم ما سبب الخلاف، إلا أن يكون المقيس عليه أحدهما أصلاً والآخر مثال عليه عند الشرفاء الطاهرين فأحضر لأحدهما الأصل، ولبسوا على الآخر فأحضروا له المثلث وقالوا له هذا الأصل.

وفي عام أربعة عشر ومائة وألف شدد في المغرب على أهل فاس السلطان المنصور بالله مولانا إسماعيل بن الشريف الحسيني، فطلب أهل فاس من الشرفاء الطاهرين الحسينيين أن يعطوهم النعل النبوي يستشفعون به للسلطان، فحمله بعض الشرفاء المذكورين وساروا معهم إلى السلطان فأحضروه بين يديه ودفعوه له بمكناسة، فعفا على أهل فاس في تلك التمية (كذا) وأخذ السلطان النعل وأدخله لداره بقصد التبرك، وبني قبة بداره معلومة إلى الآن سمي قبة النعل ووضع فيها النعل في كرم، وبقي النعل عند السلطان مدة حسابه، ولا أدري حقيقته ما وقع به بعد وفاته. وكان رجع بعض الشرفاء الطاهرين الحسينيين يطلبون من السلطان رد النعل إليهم، فدفعه بإطاف وميسور من العول ولم يرده إليهم، ورجع الشريف إلى فاس بغير نعل. وكان بعض الشرفاء المذكورين يحكى أنهم لم يحملوا للسلطان المذكور أصل النعل وإنما حملوا له مثلاً عليه. وتقدم ما نقلته عن شيخنا أنه تبرك به عام

(432) لس في المخطوطين ك و س سوى صورته واحدة، اتبناها صورة ك لوصوحها وإن كانت كالأخرى غير محققة العباس

ثلاثة وأربعين بعد موت السلطان المذكور، والله أعلم بحقيقة ذلك.

وتوفي صاحب الترجمة خامس جمادى النانية عام أربعة وثلاثين ومائة وألف، ودفن مع والده وجده بزاويتهم بالقلقلين من فاس القرويين (433).

[حدثني والدي قال: لما مات السلطان مولانا إسماعيل بن مولانا الشريف السجلماسى الحسنى ثار عامة أهل فاس على قائدها أبى على الروسى وقتلوه وبعد خمود الفتنة بايعوا مولانا أحمد المدعو بالذهبي ابن مولانا إسماعيل المذكور، وصرنا بالبيعة العوام والفقهاء والشرفاء، ودفعناها له بمكناسة. فلما أراد أن يرسلنا إلى بلادنا قال للشرفاء هل فيكم أحد من الشرفاء الطاهرين؟ فكان منهم فينا كاتب البيعة بيده وهو مولانا حمدون بن محمد طاهر وابن عمه مولاي عبد الرحمن، ففلنا معنا منهم اثنان فخرج من الصف أمامنا، فقال لهما وجدت بدار والدي النعل الذي أتيت به مستشفعين به وخشيت عليه أن يتلف، والآن خذاه واحضره إليهم (كذا) فقالا: لس نحن أربابه ونحن الشرفاء الطاهريون الحسنيون الجوطيون أصل الحسنيين، وأربابه الطاهرين الصقليين الحسنيين (كذا) قال والدي: فانصرفنا عنه ولم يعطهم شيئا. وحدثني بهذا المحضر مولاي حمدون ومولاي عبد الرحمن. ثم ثار العبد على مولاي أحمد الذهبي وبايعوا أخاه مولاي عبد الملك ثم خلعوه وردوا البيعة لمولاي أحمد الذهبي المذكور، ونهبوا دار مولاي إسماعيل، وفقد النعل ولم يعرف أن ذهب. وزعم الشرفاء الطاهريون الصقليون أن من نهبه أتى به لهم وافتدوه منهم وهو عندهم إلى الآن والله أعلم بالصدق في ذلك بعد قول الكذب في خبره (434)

علي أعزوز

ومنهم السيد المبارك الولي الصالح سيدي علي أعزوز، نسب إلى قبيلته لجدين () (435) على لغات البربر وعادتهم في ذلك في الجاري على ألسنتهم. وصاحب الترجمة أصله من أولاد ابن عزوز، وهم رهط بفاس (436)، رحل عن فاس بإخراج عاملها واستقر بجبل زغوان من أعمال تونس، فاتخذ هنالك زاوية ودفن بها بعد وفاته. وله هنا صبت وأصحاب وأتباع وظهرت له كرامات ومكاشفات وخوارق.

محمد بن أحمد بن عبد الله معن

ومنهم السيد الزكي، الفاضل الذكي، ذو الهممة العالية، والنفس المرضية، والأوصاف السرية، والمناقب العديدة، والمكارم المفيدة، أبو عبد الله سيدي محمد بن [المعارف بالله]

(433) كل هذه الصفحات المتعلقة بالنعال الشريفة ساقطة من ط. وترجمه محمد بن عبد الرحمان العاسي فيها لا نعدى بضعه أسطر.

(434) هذه الفقرة المكتوبة بين معوفين كبت كطره في هامش ك، وأدمجها ناسخ س في صلب الكتاب على عادته.

(435) بياض في المخطوطتين بقدر كلمة، والعبارة ساقطة من ط.

(436) هنا في هامش س طرة نصها: «هذا يشهد لما قاله العالم العلامة نائب القاضي في وقته سيدي المفصل بن عروز في تقييد له في نسبه، ولعله أخذ من هنا. رحم الله الجميع».

(437) سدي أحمد [بن سيدي محمد] (438) بن عبد اله مَعْن. تقدمت ترجمة والده وحده، كان صاحب الترجمة من السادة الكاملين، ومن أهل الطريقة الواصلين. قال في المقصد: نشأ على أحسن نشأة، ورُبِّي علي أكمل تربية، مقتصرًا على الدار والزاوية لا يعرف سواهما، يؤديه والده أحسن تأديب، ويعتني بشأنه أتم اعتناء، ويعاهده لا يغفل عنه على ما هو عليه من المروءة والأدب وعلو الهمة، نقرأ القرآن لا حرفه له سواه. وقد أخبرني عن شأنه ما يؤول إليه من الصلاح ببصيرته الربانية، وفراسته النورانية، سيدي أحمد بن محمد اليمني فقال فيه: أول ما رآه وهو ابن نحو سبع سنين: إنه سيكون رجلاً صالحاً، بعنى من أهل الخصوصية. وقال فيه والده: إن فيه الخير [وربما يقول فيه] (439) مسكين، والمسكنة عندهم كناية عن الصلاح. [وقد صرح فيه هو وسبدي أحمد اليمني بما هو أعظم من هذا وأخص، طوبنا ذكره لغرض انتهى بنصه.

قلت: وظهر على صاحب الترجمة ما أخبر به عنه والده وسيدنا أحمد اليمني (440) فكان صاحب الترجمة آبة في السخاء والنجدة والعبادة والزهد والورع واتباع السنة والمعارف والآداب. وقام بأمور زاوية أبيه وجده أحسن قيام، وكان يتصدق بجميع ما يحصل له من غلة أصوله. وتعلقت به دبون أنفقها في سبيل الخير، فلما مات صيرت أصوله كلها في ديونه. توفي ثالث عشر ذي الحجة عام أربعة وثلاثين ومائة وألف، ودفن بباب قبة جده الجوفي، فبقي بينه وبين جده موضع قبر.

غضب السلطان على أهل فاس ونزول حجر من السماء

وفى أوائل رجب عام أربعة وثلاثين ومائة وألف غضب السلطان مولانا إسماعيل على أهل فاس غضباً شديداً أسخطه عليهم، كلّفهم بإعطاء أربعين قنطاراً من المال الناض، وبعث حمدون الروسي إليهم لقبضها منهم. وفى تاسع شعبان العام نزل حجر من السماء لم يعهد مثله وبقي بنزل من الزوال إلى الظهر، والله قادر على كل شيء (441).

تذكرة المحسنين

محمد عبد الرحمان الفاسي

الشيخ الإمام، الحافظ الهمام، خاتمة الحفاظ المحققين المشارك الفرد مؤلف المنح في الأسانيد أبو عبد الله سيدي محمد بن الشيخ الأكبر سيدي عبد الرحمان الفاسي بن شيخ الجماعة سبدي عبد القادر. نوفي خامس جمادى النانية من السنة. ودفن من يومه بداخل محراب زاوية جده المذكور.

(437) رباذه فى ط.

(438) ساقط من ط.

(439) ساقط من المخطوطتين.

(440) ساقط أيضا من المخطوطتين.

(441) انوردت الحوليات حوادث هذه السنة

العام الخامس من العشرة الرابعة

علي ابن حمدوش

فمنهم السيد الشهير، المتبرك به لدى جم غفير، أبو الحسن سبدي علي ابن حمدوش دفين جبل زرهون، له أصحاب وأتباع يذكرون له خوارق وكرامات، ويوثرون عنه أحوال (كذا) ومقاومات [وله طائفة الآن ينتسبون له] (442)، ولا يدعون زيارته كل سنة، توفي عام الترجمة.

محمد بن الطيب العلمي

ومنهم الأديب النجيب أبو عبد الله سيدي محمد بن الطيب بن أحمد بن يوسف الشريف [الشلوشي] (443) العلمي. وهو فاسي الدار والمنشأ والقرار. [وكانت له ملكة في نظم الشعر، فنظم كثيراً منه. فمن جملة ما رأيت له القصائد العشرة في التشوف للبقاع المطهرة، رتب ربوها على حروف المعجم، كل قصيدة بعشرة أبيات إلى تمام الأحرف التي تصلح أن تكون روياء. وله مخاطبات ومؤلفات وضمن غالب شعره في كتابه الذي ألفه وسماه] (444): الأنس المطرب، فيمن لقبه من أدباء المغرب، فترجم لاثني عشر منهم. وكثير من الناس يتعجب من نظمه. وله منظومة على حروف المعجم يتشوق بها للمدينة، وله (445) مع الحاج الشرقي والشيخ عمرو وغيرهما. رحل من فاس للمشرق بقصد الحج، فمات بقاهرة مصر عام خمسة [أو أربعة] وثلاثين ومائة وألف بعد أن طال تشوقه للحرمين فلم يقدر له الوصول إليهما، بل قضي عليه.

(442) زيادة من ط.

(443) ساقط من ط.

(444) ما بين معنوتين ساقط من ك و س.

(445) بياض بالمخطوطتين بقدر كلمتين. والعبارة كلها ساقطة من ط.

العام السادس من العشرة الرابعة

محمد المسناوي الدلائي

فمنهم الإمام الكبير، العلامة الشهير، الحافظ المتقن، الدراكة المشارك المتقن، كوكب السحر الوقاد، العالم [الحجة] (446) النفاذ، فارس التعبير، وممارس التحبى، وتاج الكراسى والمنابر، وعين أعيان المشايخ الأكابر، شيخ الجماعة وخاتمة المحققين، ورئيس الهداة والقادة الموفقين، سبدي أبو عبد الله محمد الشهير بالمسناوي بن سبدي محمد بن سيدي أبي بكر الدلائي. تقدمت تراجم آياذه المذكورين. كان صاحب الترجمة - رضى الله عنه - آية في العلوم، وحجة في صحة الإدراك والفهوم. أخذ بأوفر نصب في غالب فنونها، لا ينقر المسائل إلا في سواد عبونها. وفد أعطى ملكة التدريس والفتيا، وسلم له [أعيان عصره] في مراتبها العليا. [ولم يزل منذ بلغ ذلك] (447) مقصوداً للمشكلات، ومعتمداً في النوازل والمعضلات. تلمذ له جميع أهل عصره (448)، وانفرد برئاسة التدريس والعلم في وقته ومصره.

أخذ - رضى الله عنه - عن جماعة من المشايخ، منهم أبو محمد عبد القادر الفاسي سمع عليه شمائل الترمذي قراءة دارية. وأبو عبد الله محمد بن عبد القادر الفقاسي حضر لديه في التفسير والحديث والأصول والنحو والبيان، وقرأ عليه بلفظه مبادئ الكتب الستة، والموطأ والشفاء، وأحاز له إجازة عامة في جميع ما يجوز له وعنه روايته، قال فيها ما نصه: وفد أجزته الآن إجازة عامة شاملة بشروطها في جميع ما يجوز لي وعني روايته من مقرو ومجاز ومسموع، وينصل إسناده شيوخنا بالشيخ ابن غازي، وزكرياء وابن حجر، وفهارسهم شهيرة. وأجزته فيما اشتملت عليه فهرسة ابن الزبير والمنتوري (أوغيرهما من الفهارس والمشسخت) (449). وأشهر أسانيدنا عن الوالد عن عم أبيه أبي محمد عبد الرحمان عن شيخ الإسلام القصار، عن شخه الإمام رضوان، عن سقّين، عن ابن غازي وزكرياء، عن ابن حجر. ثم قال: قال الشيخ القصار كان شيخنا رضوان كثيراً ما ينشد:

قد رشّحوك لأمر لو فطنت له فأربأ بنفسك أن ترعى مع الهمل

[ومعنى رشّحوك أى ربّوك وهيؤوك. قال فى الصحاح: الترشيح أن ترشح الزم ولدها باللبن القليل تجعله فى فيه شبثاً بعد شيء إلى أن يقوى على المص.]

(446) زيادة فى ط.

(447) سافط من ك و س.

(448) فى ط: تلمذ له من يعتمد من أهل عصره. وهو أوفق

(449) زيادة فى ط.

قال: وتقول فلان يرشح للوزارة أي يرّبي ويؤهل لها. وبرشح الفصيل إذا قوي ومشّى مع أمّه فهو راشح وأمّه مرشح. انتهى.

وهذا ما حمل عليه على بن قاسم الطبري في شرحه للامية العجم للطغرائي التي هذا آخر بيت منها. وقال الصلاح الصفدي: معناه قُربوك وأهلكوك لأمر إن كنت تعلم باطن الأمر في مرادهم منك فاهرب منهم ولا تطاوعهم على ما يرومونه منك إن أردت أن لا ترعى هاملا. والمعنى الأول أفصح، والفطنة بالكسر هي الفهم. ومعنى أربأ بنفسك أي ارفعها عن هذا الشغل، وترعى من رعى البعير بنفسه الكلاً، ويقال رعبت البعير أراعاه، والهمل الإبل بلا راع (450)

[وأخذ عن الشيخ أبي العباس أحمد بن الحاج التفسير والحديث والأصول والفقه والبيان والمنطق (451) وعن عم والده الشيخ أبي عبد الله محمد المدعو المرباط شارح التسهيل وألفية ابن مالك، وسمع نحو النصف من البخاري عن سيدي الحسن بن مسعود اليوسي. وعن القاضي محمد بن إبراهيم الهشتوكي الأصل المراكشي الشفا وبعض حواشي السعد والمحلّي. وعن المحدث عبد المالك بن محمد التاجموني السجلماسي مبادئ الكتب الستة، والموطأ، والشفا، وأجازه إجازة عامة. وعن الشيخ محمد بن أحمد القسطيني مثل ما قرأ على ابن الحاج، وعن أبي عبد الله محمد البوعناني التلمساني، قرأ عليه شرح السنوسي على مقدمته وصغراه. وعن جدنا عبد السلام بن الطيب القادري الحسني، وعن جماعة من الشيوخ آخرين نحو العشرين إيرادهم يقتضي التطويل، ذكر ذلك كله صاحب الترجمة في إجازة منه لبعض تلامذته.

وأخذ عن صاحب الترجمة عامة أهل عصره، من أهل عصره ومصره، منهم أبو عبد الله ميارة الحفيد، والبنّانيان، وأبو العباس الوجّاري، وشيخنا أبو عبد الله الجندوز، وشيخنا أبو العباس أحمد بن مبارك السجلماسي، وشيخنا أبو عبد الله محمد الكبير السرخيني وشيخنا أبو عبد الله محمد جسوس، وغيرهم. وتصدر للتدريس بفاس الحديث ومختصر خليل وغيره من كتب الفقه والمفسر وعلم الكلام والسير وعلم المعقول. ولما كمل بالبناء مسجد مولانا ادريس بفاس وأمر السلطان باعادة الخطبة إليه وإقامة الجمعة فيه، ولّى صاحب الترجمة الإمامة والخطبة والتدريس به، فكان يأتي في خطبته بالعجب العجائب، وبما سحر الألباب، إتقاناً ولفظاً، وبياناً وحفظاً (452). وكان مرجوعاً إليه في كل أمور العامة والخاصة، وأذعن له متبايخ عامة عصره، فأمره عندهم هو المطاع، ولا يسعهم فيما أفتى به إلا الانباع، لا ينقل من المسائل إلا عنوانها، ولا يصيب من الجواهر إلا مكنونها.

(450) ما بين معقوفتين ساقط من لدن وس .

(451) ساقط من ط.

(452) ها في هامش ك طرة نصها: «أول خطبة خطبها دعا فيها للسلطان ولمس سعى في بناء المسجد من العلماء والصناع، ومن أنفق الأموال ابتغاء أحر الله».

وجه إلى علماء فاس سؤال من الحضرة العالمة بالله حضرة مولانا المنصور بالله إسماعيل بن مولانا الشريف الحسن في أمر خلافة ابن الزبير. فأجاب بما يبهر العقول، من التحقيق بالمعقول والمنقول. ورأيت له جوابا عن سؤال في قضية القاضي أبي عبد الله المقرئ مؤلف *القواعد* مع مزوار الشرفاء يومئذ بفاس الشريف العمراني، وإيراد السؤال والجواب يستدعي طولا، ونورد منه هنا القضية. قال أبو العباس المقرئ في كتابه *نفع الطيب* ما نصه: ومن أخبار مولانا الجد الدالة على حرمة ما حكاه ابن الأزرقي أنه كان بحضرة مجلس السلطان أبي عنان لبث العلم، وكان نقيب الشرفاء بفاس إذا دخل مجلس السلطان يقوم له السلطان وجميع من في المجلس اجلالا له الا الشيخ المقرئ فإنه لا يقوم في جملتهم، فأحس النقيب من ذلك وشكاه الى السلطان، فقال له السلطان هذا رجل وارد علينا نتركه على حاله الى أن ينصرف. فدخل النقيب في بعض الأيام على عادته، فقام له السلطان على العادة وأهل المجلس، فنظر إلى المقرئ وقال له: أبها الفقيه مالك لا تقوم كما يفعل السلطان -نصره الله- وأهل مجلسه إكراما لجدي ولشرفي؟ ومن أنت حتى لا تقوم لي؟ فنظر إليه المقرئ وقال له: أما شرفي فمحقق بالعلم الذي أنا أبته، وأما شرفك فمظنون، ومن لنا بصحته منذ أزيد من سبعمئة سنة؟ ولو علمنا شرفك قطعاً لأقمنا هذا من هنا، وأنار الى السلطان أبي عنان، وأجلسناك مجلسه. قال ابن الأزرقي: وعلى اعتذاره ذلك أن الشرف الآن مظنون، فمن معنى ذلك أيضا ما يحكى عنه أنه كان يقرئ بين يدي السلطان أبي عنان المذكور صحيح مسلم بحضرة أكابر فقهاء فاس وخاصتهم، فلما وصل إلى أحاديث الأئمة من قريش قال الناس إن قال الشيخ الأئمة من قريش وأقصح بذلك استوغر قلب السلطان، وإن وري وقع في محذور، فجعلوا يتوقعون له ذلك. فلما وصل الى الأحاديث قال بحضرة السلطان: والجمهور أن الأئمة من قريش ثلاثا، ويقول بعد كل كلمة: وغيرهم منغلب، ثم نظر الى السلطان وقال له: لا عليك فإن الفرسي الآن مظنون، أنت أهل للخلافة، إذ بعض الشروط توفرت فيك والحمد لله. فلما انصرف إلى منزله بعث إليه السلطان بألف دينار انتهى.

وسئل صاحب الترجمة عما في نوازل البرزلي عن ابن عرفة عن ابن عبد السلام من قوله نسب له سبعمئة سنة يثبت في هذا الزمان ضعيف. فأجاب عن ذلك بجواب حسن وإيراده هنا يستدعي طولا.

وسئل صاحب الترجمة عن رجل يدعى المعرفة والفقه قال في حق الشرفاء إن الزمان فد طال وليس على الفروج أقبال والنساء غير مؤتمنات. فأجاب بأن ما ذكره الرجل لا يختص بالشرف كما في وسيلة *الزلفى*، بل هو عام فيمن يبرد إنبانه لهم. وينبغي أن يعتقد فيهم أن نسبهم محقة، والمتشكك يلزمه ذلك في نفسه. وفي علمك أن الولد للفراس ويظن بأمهاتهم أنهم من أهل النزاهات والصدق والدين لا تتطرق اليهم التهمة، ومن يريد الطعن قيل له هذا مشترك الالتزام بينك وبين من تطعن فيه، فإن صححته فهو جواب لك ولا يوصف به غيرك.

[ثم إن القول المذكور] (453) وإن كان محتملا في نفسه وجائزا في حد ذاته لا يقدح في حق من ينتسب للجناب النبوي، فإن نسبهم ثبت شرعا، واستفاض نقلا وسمعا، لأن غاية ذلك التجويز العقلي، إلا أن تكون النسبة المذكورة غير ثابتة لمدعيها وحائزها شرعا باعتبار الواقع ونفس الأمر وأنها ظنية أو شكبة لعدم ما يفيد اليقين والقطع، ويصبر التجويز المذكور في محل المنع، لاعتبار ما جاء به الشرع، من إجراء الأحكام على مقتضى الظاهر، وترك البواطن موكولة إلى عالم السرائر، فإن النسبة باعتبارها محكوم قطعاً بها عند ثبوت موجبها وسببها، فيعامل صاحبها بما يفترضه ظاهر حاله الرفيع، كما يعامل منتقصه بالأدب الوحيح، لا سيما إن انضاف إلى ذلك الثبوت القرائن العاضدة، والدلائل الشاهدة، التي تثلج لها الألباب، وترتفع معها تخالجات الظنون وخطرات الارتياب، كما يوجد في مشاهير الأشراف، السالمين من معتبر الاختلاف، وبذلك تتفاوت الأنساب من حيث هي في القوة مع اتحاد المنسوب إليه، وكان الشرف مراتب كما هو منصوب عليه، فمنه الجلي والأجلى، والخفي والأخفى. وبحسب ذلك تتفاوت فيه الاعتقاد، ويختلف اطمئنان النفس إليه وتلوح الفؤاد. وهذا التجويز العقلي هو محل كلام ابن عبد السلام وكلام القاضي المقري. قال: ولا ينبغي أن يظن بهما خلافة من التشكيك في الأنساب الثابتة شرعا والقدح في ذوبها. وما صدر من القاضي المقري مع الشريف العمراني هفوة لا تناسب مقام أهل البيت ومنصبهم، حيث وجهه بما يغضب الشريف بمحضر الخاص والعام من أهل الدولة ووجوه المملكة بما يذيب وجوه الكبراء من الخجل، وتسوى دونه طعن السيوف وضرب الأسل، مع ما فيه من تزكية النفس المنهية عنها، على أنه يتوجه عليه من البحث أن يقال له إن شرف العلم إنما هو من حيث هو ثمرته وقبوله عند الله وإثباته عليه، وحصول علو الدرجة به لديه. وذلك أمر مغيب عنا، فليس هو بمظنون فضلا عن كونه مقطوعا به، لاحتمال شقاوة صاحبه والعياذ بالله. قال في لطائف المنن: ولا بغررك في العالم أن يكون أنفع للبادي والحاضر، فإن الله يؤيد هذا الدين بالرجل الفاجر.

والحاصل أنها زلة من عالم كبير، بضل بها عالم كثير، فالله يغفر له. والعجب ممن يذكرها له على أنها من المناقب، وهي من أشنع المثالب. انتهى المراد منه. ونقل تمامه يطول، وهو منوال كثير وفيه خاصة فاس، فانظر تمامه. ويتعين العمل بمقتضاه على الخاص والعام. وفيه شرف العلم باحتمال شقاوة صاحبه وإن كان قائما بالنظر إلى ذاته فهو من التجويز العقلي وليس هو حكما شرعا، وإن كان كذلك فلا يقدح في مرتبة العلم، لأنه يجب تعظيمه شرعا، وله ثمرة موجودة محسوسة ومشاهدة، وهو بشه في الناس وإقامة الدين به بين الأحكام والفتا التي لا يخلو الزمان ممن يحتاج إليها، ولا مانع من أن يكون مقبولا عند الله

تعالى لما في الحديث القدسي (أَنَا عِنْدَ ظَنِّ عَبْدِي بِي). والغالب على العلماء حسن الظن بالله تعالى. فنجويز شقاوة صاحب العلم ممنوع، وإن ما سيقع على وفق قدر الله تعالى في الأزل ليس لنا أن نبني عليه حكما في الظاهر بحيث نترك ما برز في الوجود لاحتمال مخالفته ما سبق في علم الله، وإلا لَتَعَطَّلَتِ الشريعة، إذ كل فرد وجد من أهل العلم بصح فيه هذا التجويز، فيلزم عليه سقوط العلم مطلقا إلا باعتبار ما عند الله. نعم واجب على كل عالم أن يركن إلى علمه، ويخاف من عدم قبوله وشقاوته وأن يكون من أهل الوعيد، ويكون ذلك شأنه في نفسه، وفي غره من أبناء جنسه، مع ما تقدم من حسن الظن بالله تعالى، فجمع بين الرجا والخوف اللذين قال فيهما العلماء إنهما ما اجتماعا في قلب شمي. وهذا في نفسه، وأما إذا نظر إلى غيره فلا يجب عليه إلا النظر بعين الكمال، والتعظيم والإجلال، لحصول النفع به في الحال، إذ لا ضرر في تعظيمه ولو مع الاحتمال. فالحق أنه لا محل للتشنيع على القاضى المقري وإن صدر منه من الغلظة على الشريف العمراني يغتفر له في مثل هذه القضية، وإن لزمه محذور لا ينبغي أن يصدر من مثله، لأن الشريف أغضبه بشكواه للسلطان بعدم قيامه له كما تقدم في حكاية القضية، ثم بعد ذلك شافهه بأمره للقيام له، ووهن قدره بقوله ومن أنت حتى لا تقوم؟ وما كان ينبغي لهذا الشريف أن يصدر منه مثل هذا في حق هذا العالم الذي هو كبير علماء المغرب وولي منصب القضاء الذي هو نائب عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ومنزل في منازل الأحكام منزلته، والشريف ممن تجب عليه طاعته وتلزمه مبرته وتعظيمه. وأولى من يرعى هذه الحرمة سادتنا الشرفاء الذين هم أحق بمورثهم من المصطفى صلى الله عليه وسلم وهو العلم والصلاح، فينبغي لهم طلبه وتعظيم من بطلبه. وحرص الشريف على القيام له تعرض لما هو منهى عنه لقوله صلى الله عليه وسلم: (مَنْ أَحَبَّ أَنْ يُقَامَ لَهُ فَلْيَتَّبِعْهُ مَقْعَدَهُ مِنَ النَّارِ). والعلماء حماة الشريعة، فكانه رأى زجره على ذلك واجبا عليه.

وأما ما وجهه به من قوله وأما شرفك فمظنون به إلى آخره، الشرف على حمسة أقسام. الأول المتواتر تواترا عاما وهو عمود النسب النبوي في الجملة. الثاني المتواتر تواترا خاصا. وهو في قبائل معروفون بأسمائهم في حواضر وقرى وجهات مخصوصة، كل معروف في بلاده، وتواترهم خاص بها، لأن غير بلادهم لا شعور لهم بهم فضلا عن معرفتهم. الثالث: المظنون وهو الثابت بالشهادة المستوفاة لشروط العمل بها، وما في معناها من الأخبار المفيدة للظن، وقد تعضدها قرائن فلتتحقق المرتبة التي قبلها. الرابع: المشكوك المستوى الطرفين. الخامس: المرجح الشك فيه. فالقسم الأول لا يتعين فيه وإنما يتعين في الأربعة بعده. وأعلى الأربعة القسم الثاني ثم ما بعده مرتبة بعد مرتبة إلى آخر المراتب. فإذا فهمت هذا فإنما كان خطاب المقري لأهل المرتبة المظنون بهم، ولعله ظن أنه من أهلها. وأما التغليظ في قوله: ومن لنا بصحته منذ سبعمائة سنة؟ لا يحتمل لأن المتبادر منه نفي صحة النسب مطلقا قطعا أو ظنا. وقوله لأبي عنان إن القرشية في وقتنا مظنونة لم يصرح بما يدل

على أن ذلك في جميع الأقطار أو عند جمع من الناس، بل في موضع دون موضع أو في أشخاص دون أشخاص، فيكون كلامه من باب الكل لا من باب الكلمة، بمعنى أن الظن فيها محكوم به على مجموع الأفراد لا على جميعها، ولا شك أنها مظنونة في كبر من المتسبين لقريش، ومحققة في البعض منهم، على أنك إذا حققت علمت أن تعيين الفرد المنسوب ليس فيها إلا الظن، ولا سبيل للقطع فيه. وقد صرح بذلك سيدي عبد الرحمان بن محمد الفاسي لما قال ابن العربي الحانمي يعتقد في أهل البيت أن الله تعالى قد غفر لهم. قال شيخنا شيخ الإسلام القصار: إن أراد نغلب الرجاء في حق من علم تعالى أنه منهم على الخوف فحق، وإن أراد بالاعتقاد الجزم المطلق بأنهم لا يعاقبون فقد ابتدع وخالف أهل السنة. فإن قيل ورد به، قيل ورد به أكثر منها وإن صح في حق فاعلي الطاعات، حتى قال المبتدعة المرجئة لا يعاقب مومن من أهل السنة. وأعدى عدو لأهل البيت من يوهمهم ذلك، بل بذكرهم نحو «نُضَاعِفُ لَهَا الْعَذَابُ ضِعْفَيْنِ»، وإن كان كثير من أهل الظواهر لا تشملهم كما قال كثير منهم، فإن من اعتقد ذلك منهم أو من غيرهم مبتدع، بل مذهب أهل السنة أنهم في المشبهة. انتهى كلام القصار.

وكتب على كلامه سيدي عبد الرحمان بن محمد الفاسي المذكور ما نصه: قف على قوله فمن علم تعالى منهم فإنه تنبيه على أنه لا يقطع به في معين ولا يقطع به أحد لنفسه ولو إلا من كون شرط الوفاة على الإيمان، وهو غيب، لا يقطع به لأحد إلا لمن ميزه النص. وهكذا ينبغي أن كل أحد في كل فضيله وعد عليها في العقبي، فإن شرط ذلك الإيمان عند الله تعالى وهو غيب لا يقطع به لأحد إلا لمن مزه النص. على أن من تحقق قبضة الحق لا يسكن لوعده، وبه تفهم قول سيدي عبد السلام بن مشيش: وألحقني بنسبه، فإن الظني (454) مشروط بالديني وهو غيب. وكذا ما ورد في قبول طاعات ودعاء وإدخاره فإنما هو فبمن علم منه خاتمة الإيمان وبعدت بذلك إرادته ومشيتته. وأما واحد في خاصته فلا يصح له الجزم والقطع بذلك لنفسه ولا لغيره. وقد قال شيخنا أبو الحسن: وقد أبهت الأمر علينا لنرجو ونخاف، وذلك سر العبودية، وبذلك تنقطع الآمال إلا من الله تعالى، ويتحقق الرجا والاعتماد عليه لا على الأسباب. نقله عم والدنا في كفايته.

وأما قول ابن عبد السلام المتقدم: نسب له سبعمائة سنة يثبت في هذا الزمان ضعف، مراده -والله أعلم- فيمن لم يكن يعرف به وبعد مرور هذا الزمان من زمن الهجرة قام فادعى به. أما من كان معروفاً به أولاً واستمر الدعاء له به فلا ضعف فيه. وقد ثبتت أنساب العرب بأدعائهم بعد ذلك المدة بكثير. وكذلك إذا ظهر من يدعى أنه من قعب مولانا عبد السلام ابن مشيش أو نحو ويده ما يثبت نسبه إلى مولانا عبد السلام فإن نسبه صحيح

(454) كذا في المخطوطتين ك و س، بالطاء المعجمة، ولعل الصواب: الطيبي - بالطاء المهملة ..

لقرب زمنه من مولانا عبد السلام بن مشيش. والقرينة الدالة على ثبوت النسب فيما بين الهجرة والشيخ الذي ثبت نسبه له حيث استفاد صحة نسبه. وأيضا فقد وقع بين الناس من كلام المقرئ المتقدم بحوث وسوء ظنون وتوهم في آل البيت، فمضت من ذلك القلوب والعياذ بالله.

وكان صاحب الترجمة في زمنه أكثر الناس تحسينا ظنون الناس في ذلك، وجال في الأنساب، وعلم بالأحساب، وانفرد بالتحري في هذا الطريق، وممن له القدم الراسخ بهذا العلم والتحقيق. فكان المرجع فيها زمنه إليه، ومعول كل الناس فيما أشكل منها عليه. وحقق أنواعا كثيرة من العلوم، وطالت ممارسته لها فانجلت له عرائس الفهوم، وتلمذت له شيوخ الزمان، واشتهر فيه بالنقد والإتقان، وألف تأليف عديدة منها: جهد المقل القاصر، في نصرة غوث الورى الأكابر، بين فيه أن الشيخ عبد الفادر بن موسى الحسني الجبلاني بزنه كان من المجتهدين، ونزبه عن ما بتوجه عن بعض الحنابلة. ومنها: نتيجة التحقيق في بعض أهل النسب الوثيق، اشتمل على مقصودين: التعريف بالشيخ عبد القادر الجيلاني وبعض عقبه، والقول الكاشف، في صحة الاستنباط في الوظائف. ومنها تأليف في القبض والرد على من زعم عدم مشروعيته في النفل والفرض، وله أجوبة كثيرة وتقاييد جيدة موقفة عليها منها لو جمعت كانت مجلدا في مسائل من أبواب من العلم يرحل إلى سماعها من أقصى المغرب إلى المدينة. وبلغنا أن صاحب الترجمة إذا بحث في تقرير جدنا عبد السلام بن الطيب القادري الحسني فيقول: اللهم إنه آية من آياتك. وله خطب بليغة جيدة المناسبة. ولم يكن لصاحب الترجمة اعتناء بالتصنيف لوجود قيام تلامذته في زمنه بذلك، فتركه لهم واعتنى بالتدريس، فانتهت الرئاسة له فيه، وقام به أحسن قيام إلى أن صار إلى رحمة الله ورضوانه.

وكان رضي الله عنه نظيف الثياب، جميل المعارشة، حسن الأخلاق، عالي الهمم، لا يستطيع الكلام في مجلسه الأكابر لهيبته وعظيم سمته. وكان في تدريسه إذا أخذ في تقرير مسألة يأتي على وجه احتمالاتها، ولاي دع شيئا مما تشتهي بيانه نفوس الحاضرين من أبحاثها، مع جودة التحقيق والتحرير بما يغطي به العقل من النقل، مع اختصار في العبارة، وسرعة في بان الإشارة، وبفهمه الحاضر والبادي ومن هو مغبون، وجميع من بالمغرب من اللسون. مجلسه مجلس سكون ووقار، وخشية وتذكار، لا بحسب جالسه أن أحدا أكرم عليه منه، ووسع الحاضرين في مجلسه بسطه. وله باع طويل في الرسائل والمخاطبات بمقتضى الحال، وأنظام عجيبة، بمعانى غريبة.

وسئل صاحب الترجمة بما نصه: بعد تقبيل اليد وتكميل السلام، على سيدنا الإمام، العلامة الهمام، فليعلم -أبقاه الله وأعلاه- أن الغلام مقبل (455) الأقدام نظم قبل أبياتا لم تحل من الفصيح، بمكان ضيق ولا فسبح، قال فيها بعد كلام:

بالتطوان لم تلد له شـبـهـا إنها عن ولادة لعفـيـمة

فزعم بعضهم أن لفظ الولادة في هذا المحل ليس بسائع، وذكر أنه ما بلغه أنها لغة. واحتاج العبد الى الجواب، بما يظهر الصواب، فإن أجاب سيدنا فله الثواب، من الملك الوهاب. والسلام فأجاب -رحمه الله-:

وعليكم من المحـب سـلام فائح كأريج مسك وندي
ما حدا عبرتي زفير غرام فسقى بالدماء خابور خدي

أما بعد، فالجواب أنه لا مزيد في بطلان الزاعم المذكور، وأن منشأه الجهل والقصور، فإن اللفظ المذكور سائع في لغة العرب، وإن جهله ذلك الزاعم المدعي للطلب. ولا يسنغرب جهل منل ذلك في هذه الأعصار، التي عطلت (456) سحائب الجهل فبها على البوادي والأمصار، حتى خفي عن أهلها ما هو في غاية الوضوح ونهاية الاشتهار. ودليل بطلان ما قال، وأن اللفظة شائعة الاستعمال، قول صاحب القاموس، الذي هو مقدم في هذا الفن على كل رئيس ومرؤوس: «وولد يلد ولادا وولادة وإلادة ومولدا». وقد ارنكبه غير واحد من الشعراء، منهم القائل:

وفي قبض كف المرء عند ولادة دلل على الحرص المركب في الحى

وقول غيره (457):

فقل لمن يدعي في العلم منزلة علمت شيئا وغابت عنك أشياء

(455) هذا ما يقتضيه السياق، وفي ك و س: مقبول وهو تصحيف ظاهر.

(456) هكذا في المخطوطتين، ولعل الصواب: عطلت.

(457) يظهر أن هنا بترأ في المخطوطتين معاً

وهذه مسألة قريبة سهلة، وإنما كتبت هذا الجواب لما دل عليه من سعة أخلاق صاحب الترجمة، وللنحاة في حذفها ثلاثة أقوال: قيل مفصور على السماع، وقيل بجوازه مطلقا، وقيل لا يجوز إلا في الإطالة نحو أقام الصلاة. وأشار للثاني في الألفظة في موضعين من كلامه.

وكان صاحب الترجمة له اعتناء بالتدريس بحيث إذا بدأ كتابا يعتني به حتى يختمه لا يلتبس عذرا إلا إذا نزل به ضروري سماوي، فكان كثير الختم، وكان شعراء الوقت يرصدون ذلك فيمدحونه بالقصائد ويتنافسون بينهم في أي المدح أحسن. ومضمن المدح الثناء على أهل العلم والكتاب المختوم ومؤلفه وفنه، والثناء عليه بضخامة علمه ودقة فهمه، فبمتنع من قراءة تلك القصائد بمجلس الختم استحباء من الله تعالى أن بسمع المدح في نفسه. وكان إذا دخل شهر رمضان بدأ في أول يوم تدريس صحيح البخاري، يقتصر في تدريسه على بيان المعاني من الأحاديث التي توافق أحكام مذهب الإمام مالك، ويترك ما سوى ذلك فلا يتكلم عليه. فكان الناس يقصدون حضور ذلك المجلس من البوادي والحوضر لحصول الفوائد منه وسرعة ختمه، ويختمه في اليوم التاسع من شهر رمضان، ولما ختم المرشد في قراءته بين العشاءين في ليالي شتاء سنة مدحه الشريف الأديب أبو عبد الله بن الطيب، فمنعه من قراءتها في مجلس الختم على عادته في المنع من ذلك، فأخذ في نفسه عليه حيث سوى بينه وبين غيره، فكتب إليه الشيخ يعنذر له لكرامة النسبة النبوية عليه بما نصه: حيا الله بنسيم رضوانه الطيب، وسقى بغيث رحمته الصب، الشرف الأَرْضِي سِيدي محمد بن الطيب. أما بعد السلام عليك أيها الفاضل، فقد أتحتني من عرائس فكرك بما أنا دونه بمراحل، لحسن طويتك، وكمال سجتك:

والفضل عندك في الضمير وإنما جود الفتى أبدا بما في الكبس

فاستصغرت نفسي أن يقال فيها ذلك المقال، أو تتحلى بتلك الحل. ولا سيما في المجامع والحفول، المشتملة على مخلف الآراء ومباينة العقول، مع شبعتي والله شاهد بأني على التقبض، من جميع ما تضمنه من الأوصاف المدحية ذلك القريض. وأجهل الناس، من ترك بقين ما عنده لظن ما عند الناس:

لعمر أبيك ما نسب المعالي إلى كرم وفي الدنبا كـ
ولكن البلاد إذا اقشعرت وصوح نبتها رعي الهشيم

فهذا موجب المنع من قراءة قصائدكم الرائقة، وإمتناع (458) الأسماع ببدائعها الفائقة. لا غير ذلك مما عسى أن يختلج في البال. أو بوسوس بعض من لا علم له بحقيقة الحال. فإنه محض إفك وزور، بعلم ذلك من يعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور. والله المسؤول أن يعاملك بحسن نيتك، ويجازيك خيرا على بليغ مدحك، بمنه. ولولا الشعر بالشعر ربا، وأنه لا يناسب من ولت عنه مثلي أيام الصبا، لجلوت عليك (459) من عرائسه ما يكون كفاءً ودُّك، وأتبتك من نفائسه ما يليق طرازا بحلة مجدك، ولكن الأمر كما قال قائله:

صحا القلب عن سلمى وأقصر باطله وعرى أفراد الصبا ورواحله
والسلام عليكم من كاتبه محب آل البيت النبوي وغبار نعالهم محمد بن أحمد
المسناوي كان الله له. والقصد من أريعين بيتا ومطلعها:

بشائر ليلي آذنت بوفودها	وطالعها أنبسا بقرب ورودها
بها الأفق زاه والنجوم زواهر	تلوح ونجري في بروج سعودها
وهاذي جيوش الليل تعثر خبفة	من الصبح في أدالها وبرودها
وها الفجر يبدو في عساكر أبدت	بنصر عزيز أرعبت ببودها
وها الشمس من بين الغمام تطلعت	علينا وهاذي الورق تزهر بعودها
وأنهار هذا الروض ها هي قبلت	من الغصن الأقدام مثل عبودها

ومنها:

فلذ بحمي المسناوي والزمه إنه إمام الورى علما ولين أسودها
ولما جدد شباك مولانا ادريس المحيز به على قبره للاحتفاظ من طرح النعال وليميز
به القبر، وذلك في حدود سنة اثنتين وثلاثين ومائة وألف، أنشد صاحب الترجمة في ذلك
أبياتا فقال:

جُعلت لقبر شرف الله قدره	صيانا بقي عن كثرة اللمس باليد
وما نسبته في ضت (كذا)	إلى مجد شباك الضريح المجدد
كنسبة مولى قد أحاط بغيره	إلى بدر تلك الحجرة المتوقد
في الدولة الإسماعلية قد نشا	في أداة تاريخ يصح بمشهد

(458) صحف في المخطوطتين مكنب: وإمتناع.
(459) في ك: الجاد عليك، وما أتبهناه عن س أنسب.

وكتب صاحب الترجمة على البيت الذي ختم به نظمه وحذفت الياء بعد العن من اسماعيل اللوزن، وهو جائر عندهم. والذي حسب التاريخ ورمزه هو الناظم اللبيب سيدي عبد القادر بن العربي القادري الحسني. ولما مرض مرضه الذي ينوفي فيه أنشد قصيدة يحكي فيها حاله بعد موته، وأولها:

يارب عطفاً على مُسيٍّ قد ساقه القوم للمقابر
فجاء فَرْدًا بِغَيْرِ زادٍ وخلف الأهل والعشائر

الخ. وقد جرى عمل الناس بفاس حين اخراج الميت من داره وإنزاله في النعش يتلون هذه القصيدة وهم مشاة أمام الميت، من بعد موت صاحب الترجمة الذي أنشدها إلى الآن.

والحاصل أن صاحب الترجمة عالم الأقطار المغربية في وقته حجة شهير، محقق كبير، فقيه محدث أصولي بيان مفسر أديب مؤرخ عالم بالأنساب صوفي، آخر النظار بفاس، وممن كان إليهم المرجع في العلوم، واتفق أهل زمانه في قصره ومصره على الاحتجاج به والتلمذ له.

توفي - رحمه الله - يوم السبت سادس عشر شوال عام ستة وثلاثين ومائة وألف، ودفن بعد صلاة العصر من يومه بروضة سيدي العايدي بمطرح الجنة خارج باب الفتوح من مدينة فاس. وكان حفر قبره هناك في حياته قبل موته بنحو ثلاث سنين بعد زن كسب لأولياء السيد ستأذنتهم في الدفن فأذنتوا له. وبعد الفراغ من الحفر اضطلع فسه وقرأ ما تبسر من القرآن، وبقي يعاهد هذا القبر بالقراءة إلى أن توفي ودفن به. ومن بركة صاحب الترجمة أنه لما عزم على السفر للحج عمنّا الفقيه أبو الجمال طاهر بن عبد السلام القادري الحسني قال له صاحب الترجمة: إذا كانت ليلة السفر اثنتي بالبضاعة التي تصحبها معك للشرق أبيتها عندي، فلم بفضل له على اتفاق المؤونة الا سبعة دنانير إسماعيلية، فأتاه بها ليلة الخروج، فأبانها عنده، ومن الصباح ردها إليه على حالها، فأنفق منها فوجد فيها من البركة ما لم يعهده، وذهب وحج ورجع إلى داره في أرغد عيش وأحسن مركوب وملبوس (460).

عزوز ابن مسعود

ومنهم الولي الشهير المجذوب سيدي عزوز بن مسعود دفين الطالعة من عدوة فاس القرويين باب السراجين، فاتخذوها عليه روضة ومزاراة. وكان مجذوبا يحكوم عنه كرامات،

(460) هذه الترجمة المطولة لمحمد المسناوي احتضرت في أقل من ثلاث صفحات في ط

وإخبارا بمغيبات. وحكى لى بعض الطلبة أن الشريف المجذوب سيدي الحفيد العمراني كان مهما يرى صاحب الترجمة في فاس أخذ في طرده منها ويقول له اخرج لى من مدينتى، فيفر منه ولا يرجع عنه إلا إذا أخرجه من المدينة.

قال المخبر: فلقت صاحب الترجمة ذات يوم راكبا على فرس ومعه الطبالون بضربون النوبة في أطلالهم على العادة (461) المعروفة وهم من أصحابه، فرآه سيدي الحفيد العمراني فلم يزد عليه إلا أن بكى وقال: نعم، الله ربّح، وانعطف عليه وذهب، فلم يبق بعد ذلك إلا نحو ثلاثة أيام ومات سيدي الحفيد العمراني، رحمه الله.

محمد الكبير بن الطالب ابن سودة

ومنهم الفقيه الخطيب الواعظ سدي محمد المدعو الكبير بن سيدي الطالب ابن القاضي [العدل] (462) سيدي محمد ابن سودة المري. تقدمت ترجمة القاضي المذكور وأبيه وجده في المائة الحادية عشرة. كان صاحب الترجمة خيرا دنبا فاضلا خطب بمسجد الأندلس من فاس، وأجاز له الشبّخ حسين العجمي (463) المكي [الذي] تقدمت ترجمته عام ثلاثة عشر ومائة وألف، وأجاز له فيها جمع مروياته، وبن له فيها أسانيده، منها الحديث المسلسل بالأولية، كل ذلك بخطه، رحم الله الجميع بمنه وكرمه (464).

(461) في ط بدل الجملة الأخيرة: كعاده من يك مهنتاً للفرح.

(462) زيادة في ط.

(463) في ط: حسن العجمي.

(464) ما بين معقوفتين نص ما في ط. وقد اختصر في المخطوطتين. وهنا في هامش س طره طويلة نصها: «ورأيت برسم كبير على الدار (وهي الآن بيد الأشراف الإدريسيين سيدي الطابع وأولاده) للعياشي المجاورة لدار القبطون بضريح وبحرم مولانا إدريس ما نصه. حضر الفقيه الأجل العلامة الخطيب البليغ الأكمل أبو عبد الله سيدي محمد المدعو سيدي الكبير ابن الفقيه الأجل الناظر الأفضل سيدي الطالب ابن سودة المري وضمن لمولاي الخ وذلك الرسم تاريخه مهل رجب عام اثنين وثلاثين ومائة وألف، وعدولها أحمد بن عبد الرحمن الشديّد (كذا) والآخر مبيّض محله ليس مكسوبا ونص الرسم: الحمد لله كان مشتركا شركة المعاضلة والضياع بين الإخوان الأربعة الأشراف الأربعة سيدي محمد وسيدي عبد الله وسيدي يحيى وسيدي أحمد أولاد الشريف الجليل الخ أبي العباس سيدي أحمد بن إدريس الحسنى الجوطى، وأهمهم السيدة عائسة المدعوة عشوة بنت الفقيه الأجل العلامة أنى عبد الله سيدي محمد ابن سودة المري جميع الدار الكائنة بحومة روضة مولاي إدريس - نفعنا الله به - تجاور دار ابن يوسف ودار الكبيط ودار العياشى، ويعرف في القدم بدار ابن زاكور، تختص الأم المذكورة بنصفها الواحد ويختص السادات المذكورون بالنصف الآخر على السوية، وفى كذلك إلى أن نوفيت الأم المذكورة فوريتها أولادها المذكورون. تم نوفي سيدي محمد المذكور فورته زوجه المصونة السيدة زيروا بب الفقيه الأجل الحاج الأبر، أبى عبد الله سيدي محمد المدعو الطالب ابن سودة المري، وولده منها الشريف الخ إلى أن حال حضر الفقيه الأجل، العلامة الخطيب البليغ الأكمل، أبو عبد الله سيدي محمد المدعو سيدي الكبير بن الفقيه الأجل الناظر الأفضل سيدي الطالب ابن سودة المري وضمن إلى آخر ما قدّمناه. وأسفل ما كتبنا: الحمد له يشهد الواضع اسمه بمعرفة الدار الكائنة بحومة الزاوية ضريح مولاي إدريس - نفعنا الله به - المعروفة لورثة العياشى وتجاور دار القسطن ودار ابن زاكور ودار ابن عبد الحليم المعرفة التامة ومعها، يشهد بأنها صارت بالشراء لأمر المؤمنين مولاي رشيد على يد خديمة الأنصح كان ناظر المورايث فى حينه إذ ذاك وهو أبو عبد الله سيدي محمد بن على ابن سودة المري الخ. تاريخه صفر عام ثمان عشرة ومائة وألف، محمد بن أحمد الجابري لطف الله به، وعلى بن محمد العونى».

عبد الله بن عبد السلام جسوس

ومنهم الأديب البليغ أبو محمد عبد الله بن العلامة عبد السلام جسوس.

تقدمت ترجمة والده المذكور. كان صاحب الترجمة - رحمه الله - له اليد الطولى في الأدب ونظم الشعر، مع السلاسة وحسن التعبير مشهوراً في ذلك (465).

تذكرة المحسنين

محمد المسناوي الدلائي

الإمام العلامة المحقق الهمام الحافظ الضابط المتقن المشارك المتقن أبو عبد الله سبدي محمد المسناوي بن الأستاذ سيدي أحمد بن العلامة سيدي محمد المسناوي نجل الشيخ الشهير العارف الكبير سيدي محمد بن الولي الكبير سيدي أبي بكر الدلائي دفين زاويته بالدلاء. وكان وُلد بالزاوية في عام اثنى وسبعين وألف وانتقل لفاس قبل بلوغه مع أهله، وبها قرأ وأقرأ وتعلم وعلم وأمّ وخطب بضريح تاج الأولياء مولانا إدريس نفعنا الله به، ودُفن داخل قبة سيدي العايدي خارج باب الفتوح ملاصقاً لجدار القبة وراء ظهر صاحبها.

عبد الله بن عبد السلام جسوس

وبها توفي الفقيه الأديب، النبيه الأريب، سيدي عبد الله بن العلامة الشهيد المحتسب الفريد، أبي محمد سبدي عبد السلام بن الحاج حمدون جسوس.

(465) ترجمة عبد الله جسوس ساقطة من ط.

العام السابع من العشرة الرابعة

محمد بن أحمد بن الشاذلي الدلائي

فمنهم العالم الأديب، العلامة الأريب، أبو عبد الله سيدي محمد بن أحمد بن سبدي الشاذلي [بن محمد بن الشيخ أبي بكر] (466) الدلائي. تقدمت تراحم من عدا والده. كان صاحب الترجمة عالما بفنون الأدب من نحو وبيان ومعان وتصريف وعروض وقواف وأيام العرب، حافظا لكلامهم، له التقديم في ذلك على جمع أهل عصره، شهد له بذلك أسياخه فضلا عن أقرانه، مع مروءة وحباء وكرم نفس وعلو همة ومكارم أخلاق. ومع ما كان عليه من الافتقار [والصبر على الفقر] (467) يؤثر العلم على كل شيء، عالما بالتوقست، كثر الاعتناء بالتقيد. وله أنظام بمعان مطربة، وألفاظ مسنعة. [ومن كلامه في علو الهمة، وقد بين فيها حال نفسه:

ما أن يعيبك فقد الحلى والحلل	إن أنت بالهمم السماء كنت مل
قد ضل من ظن أن المال يرفع ما	أوهى السؤال بعرض فبه مبتذل
لإبارك الله بعد العرض في عرض	الدنيا ولا نلت ما بالعز لم أنل
ورب جاهلة هبت تعاتبني	إن كنت عن غمر عيش مؤثر الوشل
قالت رأيتك ذا قول محبره	أبهى من الروض غب الواكف الهطل
وفي الملوك له كفاء فأمهم	حتى بعبدوك ذا خيل وذا خول
ولست أصغى وإن لجت لتعدل بي	عن منهج الصوب بالتعتاب والعدل
وإن من كرمي بخلي بشعري في	نقريظ ذي كرم أو ذم ذي بخل
فلن تراني مديلا ما حسبت له	في غير ذكر الوغا والاعين النجل
يابى إبانى وآبائى ويأنف بي	محد أناف ولم بقنع على زحل
نفس الكريم تعاف الورد يصحبه	ذل على ظمأ في الجو مستعمل
لو كنت سائل غير الله لم أسل	غير المذاكى وغير البيض والأسل
ما شمت بارق غضب كنت شائمه	إلا انتجعت به أحياء من السبل

(466) ساقط من ط.

(467) زيادة في ط.

لا ترض بالعيش في ظل الهوان وخُضْ لنيل عز غمار الموت والشكل
فليس بدرك بالجبن البقاء ولا الاقدام يقضي بما لم يقض في الأزل
حلبت شطري صروف الدهر () ومن يسار ومن صاب ومن عسل
فما بطرت لإثراء ولا حسبي أبدت به خلة تنتساب من خلل
وكنت إن ما بدا لي من غنى عطل الفيت من حلى فضل غير ذي عطل
وشي المهنّد يبدو فوق صفحته بغننه عن شبه الأعمال والحلل [(468)

أخذ عن أبي عبد الله المسناوي وأقاربه وغيرهم. وأخذ عنه طبقة أشتاينا وحكى لى
أحدهم أن علم العروض انقطع مدة تدريسه بفاس ولم يجدوا من يقرئهم إياه حتى دلوا على
صاحب الترجمة، فكانوا يقرؤون عليه الخزرجية بباب داره. فأخذوه عنه وحققوه.
توفي - رحمه الله - عام سبعة وثلاثين ومائة وألف. [ودفن قرب سيدي العايد قرب
شيخه المسناوي - رحمه الله -] (469).

(468) هذه القصيدة ساقطة من ك وس.

(469) زيادة في ط.

العام الثامن من العشرة الرابعة

أبو جيدة محلى

فمنهم الولي الشهير، المجذوب الكبير، سيدي أبو جيدة (470) محلى. كان جوالا سفارا لا يستقر بموضع، ونعتره أحوال كثيرة فينطق بالمغيبات، وتجري على لسانه حكم وتظهر عليه كرامات، وخوارق عادات. بتأثر بالسماع فتعتره منه غيبة، شهير الولاية في مدن المغرب: فاس وتازا وتطوان ومكناسة وغيرها. يكون مقيما فإذا أحس بقافلة خارجة اعتراه داعي السفر وينادي في الناس: من يعطى كذا حتى يحضر من يكتلف له بكراء الدابة التي يسافر عليها أو بعضه ويخرج، وهكذا حاله وله كرامات كثيرة.

توفى بتطوان ودفن بها عام ثمانية وثلاثين ومائة وألف، ودفن بداخلها وبني عليه ضريح كبير تقام فيه الصلوات الخمس، وتبرك الناس بالدفن في جواره مقصودا للزيارة والتبرك به.

[ومن كراماته ما حكى لنا أن جماعة من أولاد اليهود بتطوان قصدوه بالإذابة كما هو شأنهم في إخفاء المكائد، فأخذ كل منهم إبرة، ومهما قرب منهم نخسه منهم واحد بالإبرة. فلما ناله منهم ذلك قال لأبائهم أنتم وجهتم أولادكم بكيدكم لإذائتي، ولابد من أولادكم الذين آذوني من أن سسلموا، فما بقي منهم واحد إلا ودخل الإسلام، والحمد لله] (471).

(470) في ط أبو جيدة.

(471) هذه الفقرة الأخيرة ساقطة من ط

العام التاسع من العشرة الرابعة

إسماعيل بن الشريف العلوي

فمنهم الخليفة السلطان المنصور، أمر المومنين الملك المشهور، أو النصر مولانا إسماعيل ابن السلطان مولانا الشريف الذي شرفت سجل ماساة بأماكنه ودياره، بل وجميع المغرب وجهات أقطاره. وهو ابن محمد بن علي بن يوسف بن مولانا علي الشريف، بن حسن بن محمد بن مولانا الحسن القادم، بن بلقاسم بن محمد بن الحسن بن عبد الله بن أبي محمد بن عرفة بن أبي بكر بن علي بن حسن بن أحمد ابن إسماعيل بن القاسم بن الإمام محمد النفس الزكية الملقب المهدي، ابن سيدنا عبد الله الكامل، ابن سيدنا الحسن المثنى، ابن سيدنا الحسن السبط، ابن سيدنا علي بن أبي طالب وسيدتنا فاطمة الزهراء - البتول بنت مولانا رسول الله صلى الله عليه وسلم. وقد نظمت هذا النسب الكريم في رجز متوسلا بجاههم العظيم، وهو مبتدأ من مولانا رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى إمام وقتنا أدام الله نصره:

يا ربنا بالمصطفى الكريم	وقـربـه من ربه العظيم
وينتـهـ الزهرا وزوجها علي	وبابنها الحسن ذى الفضل الجلي
وبالمـثنـي نجله الأواه	وبابنه الكريم عـبـد الله
وبالرضى محمد المهدي	والقاسم المعظم الزكي
ثم باسماعيل درة الشرف	وأحمد ابنه بتيمة الصدف
بحـسن ثم علي ابنه	ثم أبي بكر العلي في شأنه
عرفه الأرضي الكريم السؤدد	ونجله الفضل أبي محمد
ونجله يا رب عـبـد الله	بالحسن الأسمى الرضى الأواه
محمد فنجله بلقاسم	بالحسن الاعظم وهو القادم
محمد فحسن الأزكى المنيف	فابنه مولاي علي الشريف
بيـسـوسف تم بنجله علي	وبابنه محمد الأرضي العلي
وبأبي ملوكنا الشريف	من لم نزل في ظله الوريث
مولاي اسماعيل تاج الدنيا	رتبته واحدة في العليا
يا ربنا وبالعظيم الجاه	سيدنا مولاي عـبـد الله

رب ونجله أمير المومنين من أيد الله بفتححه المبين
 سبدا محمد شمس الزمان وروح عـالم الأنام في الأوان
 ظل إلهنا على العباد وعينه لحاضر وباد
 ورحمة الله على المسكين وفضله لذى الفوي والدين
 رب بهذا النسب المطهر المقدس المعظم المنور
 آدم لنا وجوده وحفظه وهب لنا رضاك كل لحظه
 واجعل علينا حرمة النبي بجـاهه المعظم العلي
 صلى عليه الله مادام الدوام في كل ما له ابتداء واحتتام⁽⁴⁷²⁾

[كان -رضى الله عنه- إكليل ملوك زمانه، وفريد عقده وأوانه، أقام الله به الجهاد، وأحيا به الدين بالمغرب بعدما باد، وأضمر به كل ظالم معتد، وقطع به دابر كل باغ ومعاند]⁽⁴⁷³⁾ وأعز الله به رسوم الدين بعد دروسه، وأضحك به وجه الزمان بعد طول عبوسه. وأخمد به الشرور بعد تاجيج نارها. وأحيا به المعالي بعد الأخذ بشارها. ويسط الله له اليد على المغرب فعلت أقداره، ولاحت في الآفاق شموسه وأقماره، وتكاملت في الحسن أنجاده وأغواره. وشمخ فيه ملكه، فدار بالنصر والتمكين فلكه. وانعش به كل الأرامل والأيتام، ورسمت للدين فيه أئمة وأعلام. وولاه الدهر زمامه، وأكمل السعد واليمن مرامه، فشدا بذكره صادحا، وما أحسن قول من قال فيه مخاطبا له ومادحا:

وأطلت أيام السرور فلم تعب من قال أيام السرور قصار
 وجبرت من جرح الزمان فكُذِّبَتْ أقوالهم جُرحُ الزمان جبار

ومن مفاخره، وكريم مآثره، أن هدَّ حصونا في المغرب للكفرة، وخرّب دبارا لأهل الشرك والفجرة.

[فمنها فتح المهديّة بالمعمورة فأخذها عنوة يوم الجمعة ثالث عشر ربيع الثاني عام اثنين وتسعين وألف، قيل بقتال وقيل بغير قتال وإنما أخذها بقطع الماء عنها. ومن لطف الله أن لم يمت أحد من المسلمين وغنم من كان بها من النصارى وجعل الله ذلك له من العمل المقبول الذي ينال به رضى الله. ومنها فتح طنجة، ففي رابع وعشرين من المحرم عام

(472) هذه الفقرة الطويلة المشتملة على نثر ونظم، المكنونه بين معقوفتين ساقطة من لـ و سـ.

(473) ساقط من طـ.

تسعين وألف وقعت غزوته بها فمات من المسلمين نحو خمسين ومن الكفار نحو ثلاثمائة، وأخذ لهم قصبة منها بأربعة أبراج. ثم في ربيع الأول من عام خمسة وتسعين وألف أخذها من غير قتال فتركها الكفار وهربوا بما قذف الله في قلوبهم من الرعب منه بعد أن خربوا دورها جعل الله له ثوابها من الذخائر التي يجدها يوم لقاءه. ومنها فتح العرائش، ففي آخر شوال عام مائة وألف أنزل عليها الجيوش وحاصرها ثم أمر بإرسال البارود تحت أسوارها بحفر العملة، ثم أرسلوا فيها النيران حتى تصدعت أسوارها ففتحها عنوة وغنم ما فيها من النصارى. وكان عددهم ألفا وسبعمائه، ومن على أمرهم بالعتق. وفرح المسلمون بهذا الفتح المبارك وصحبهم منه سرور عظيم. ومما قال في ذلك سيدنا الجد -رحمه الله- هذه القصيدة التي هو مطلعها وذكر فيها الفتوحات المتقدمة ويمدح مولانا صاحب الترجمة:

علا عرش دين الله كل عرائش وهد بنصر الله حصن العرائش

إلى أن قال فيها:

هنيئاً بعز المسلمين وجمعهم وإذلال أهل الكفر أهل الفواش
هنيئاً ينصر الله أمة أحمد وإمدادهم منه بجند مباطش
بهذا لهن عبش كل موفى بهذا ليفرح دائما كل عايش
لنا النصر والبشرى لنا بإمامنا هزير الوغا غيظ العدو المناش
أبى النصر إسماعيل ناصر ديننا وحامى الحمى بالمرهفات البواش
زعيم سلاطين الثرى وهمامهم وسيد أقال الورى دون خادش
ملك له بمن به صرار كلنا يروح ويغدو في أجل معابش
مبارك ميمون النقيبة في الثرى له الفتح في أواسطها والهوامش
أباد حصون الكفر بالسيف والقنا وما أذعنت من قبله لمباشش
فسل عامري معمورة عن فتوحه وسل طنجة من قبل هذا العرائش
لقد كان دينا فتحها فانقضى به كذلك ما في الأرض من كل هامش
به سعدت أهل المعارف كلها فاشرق من جذواه لهفة عايش
نعم إنه من نبعة نبوية وفرع زكي طيب النشر عارish
لذاك ملوك الأرض طرا تهاباه فكلهم ما بين مدهى ودايش

وما التترك إلا في دواه دعتهم صدورهم جاشت بأعظم جاش
له سطوة في أرضنا هاشمية يذوب لها قلب الحسود المخادش
لك الفتح ممدود فجاهد عدونا وحشهم وما أوفى لهم كل حاش
فلا تخش حبا ما حست فإنه لك النصر عند الملتقى والنهاوش
عليكم من الرحمان عس كلاءه نصاحبكم عند اشتداد المدهاش
ودام لكل المسلمين ظلالكم ودمنا به في طببات المعاش

وهي أطول من هذا، ونقدمت بهامها عام واحد ومائه لما ذكرنا فتح العرائش في محله [474].

بويج صاحب الترجمة بعد وفاة أخيه الخليفة مولانا الرشيد في يوم الأربعاء خامس عشر ذي الحجة عام اثنين وثمانين وألف من الهجرة النبوية بهاس. وكانت تورذ أهل فاس القديم عليه بن عشاء يوم الخميس [أول يوم من جمادى الأولى] (475) عام ثلاثة وثمانين وألف. وفي آخر يوم من جمادى الثانية لجؤوا إليه ورجعوا لديه فوجدوا فيه كل خير لم يظنوه وهو معدنه وأصله، فعفا عنهم وصفح ولم يمنن عليهم في ذلك. فاستكثر الله له الخبر ووقع الصلح بينهم، ورحل عنهم في ضحوة الثلاثاء التاسع عشر من رجب عام أربعة وثمانين وألف. وتمهد له ملك المغرب من أقصى الظهراء، إلى أقصى وادي نون والساقية الحمراء، ومن البحر إلى أقصى الصحراء قبله. فكترت عماره جدا، وجدد الناس لأنام العلوم عهدا، فكانت أسواق العلم في خلافته عامرة، ونجوم أفلاكه نيرة زاهرة.

توفي -رضوان الله عليه ورحمته- يوم السبت ثاني وعشرين من رجب عام تسعة وثلاثين ومائة وألف. وكان ابتداء مرضه في ناني يوم من شهر جمادى الأولى من عام الترجمة. فحجبه (476) صاحبه وصيفه الخصي مرجان، فلم يره أحد منذ مرض إلى أن مات. فغسله الفقيه العلامة سيدي أحمد بن سيدي سعيد العميري، وصلى عليه العلامة سيدي الحسن بن رجال المعداني، وأدخله قبره ليلا. وكان الناس في حياته يغبطون به غاية ويتخوفون مونه لما يرتقبون بعده من الفتن. وكثر منهم بطلب الله تعالى أن لا يدرك موته وأن يموت في حياته لما شهدوا في أبامه من عبش الضعفاء والأيتام، وإقامة الناس لآحياء الضائعين أتم قيام، وإذا تتبعا أخباره ومآثره فلا يسعها مجلد. وتقدم ذكر بعض حوادث الأعوام في أبامه.

(474) هذه الفقرة الطويلة المتصلة على نسر ونظم أيضا المكتوبة بين معفوتين مأخوذة عن ط. وقد سقط النظم حملة من ك و س. وكتبت تفاسل فتح طحه والمعمورة والعرائش طرأ في هامش ك. وأدمع ناسخ من هذه الطرر في نص الكتاب كعادته.

(475) ساقط من ك

(476) في المخطوطتين: فأجابه، وهو بصحيف ظاهر. والعبارة كلها ساقطة من ط.

من حوادث السنة

ثورة أهل فاس وقتلهم العامل الروسي

ومن حوادث هذه السنة في صبححة اليوم الذي ورد فيه الخبر على فاس بموت السلطان صاحب الترجمة قتل أهل فاس قائده بها الرئيس أبا علي بن عبد الخالق بن عبد الله الروسي عامل السلطان على فاس، بما أضرموا له من الحقد لتصرفه فيهم بالمغارم، وأخذ الحق من الظالم للمظلوم، وزجر السفهاء عن أهل المروءة، ولعدم اتخاذهم منهم العمال والوتادين والمفردين وأهل الضرب والتجريد، بعد أن حاول مدافعتهم وقتالهم، ونحصنه بالدار المقابلة لباب حفاة مسجد الأندلس، وجمع الوتادين أصحابه بالعدة فلم يغنه شيء من ذلك، ودخلوا عليه في داره وقتلوه، ومثل به بين الأزقة، وقتلوا من أصحابه من ظفروا به، ولم يفلت منهم إلا من تحصن بالحرمت والاختفاء في الدور ونحوها، وعددهم نحو أربعة وعشرين. ثم اجتمع أهل فاس على أن يوجهوا اثنين من كل قبيلة من مشاهير الأشراف للسلطان الذي بويع بمكناسة، وهو مولاي أحمد بن إسماعيل بقصد الاعتذار، فتغيظ أولا، ثم لما أعلم بأن الموجهين له من كبار الأشراف فرح بهم وقبل اعتذارهم وشفاعتهم، وبالف في تعظيمهم واحترامهم، ورجعوا لفاس فرحين. ووقعت هدنة بين الناس عن الحرب إلا أنهم رفضوا جميع ما كان يجري عليهم من الوظائف السلطانية، وحملوا الأسلحة وركبوا الخيل، وضع الناس بالفرح والسرور، واشتغلوا بالملاهي والاجتماع في النزعات والتنقي في اللباس والجلوس أفواجا مقبلين على اللهو واللعب والهذيان في كل متسع من أزقة فاس. ولم يكن للأحكام السلطانية نفوذ فيها في سائر المغرب، ولبس للسلطان سوى الدعاء على المنابر والاسم، وكمل العام كله على هذه الحالة، وكثر في المغرب الفتن والأهوال، فكان هذا هو الأصل للفتن التي أتت بعده. (477)

وفاة مولاي اسماعيل

وفي ثاني يوم من شهر جمادى الأولى من عام تسعة وثلاثين ومائة وألف ابتدأ السلطان مولانا اسماعيل مرضه الذي توفي منه، وكانت وفاته -رحمه الله- منه في يوم السبت الثامن والعشرين من رجب العام. فكانت مدة مرضه شهرين وسبعة أيام. (وجعل الله له هذا المرض آخر عمره ليرفعه به أعلى الدرجات. لأنه آخر ما بشاب عليه الإنسان من سسده الملك الدمان) وكانت مدة خلافته ستة وخمسون (كذا) سنة وسبعة أشهر وثلاثة عشر يوما، البقاء والدوام لله. وتولى غسله الفقهاء، ومنهم أبو العباس السيد أحمد بن السيد سعيد العمبري. وكان الذي تقدم إماما للصلاة عليه الفقيه العلامة أبو علي السبد الحسن بن رحال المعداني. وكل ما قيدته هنا في هذه الترجمة وغيرها من الحوادث والتواريخ كله وجدته مقيدا بخط من بظن به الثقة، والعلم عند الله تعالى بكل شيء وإليه ترجع الأمور. ومن وفاته

(477) حوادث هذه السنة من الحوادث. أتبتها سحها ولو أن فيها نسأ من التكرار مع ما سبق، للفوائد الرائدة فيها ماعدا مرحمة محمد بن حدود بنأي المذكورة في آخر حوادث هذه السنة بالحوالبا خطأ، حذماها، وسترد في صلب الكتاب في السنة التالية.

-رحمه الله- إلى تمام لعام وهي خمسة أشهر وجميع العام الذي بعده كان في ذلك قتال عظيم وحروب، وتراكمت فتن في جميع أقطار المغرب وسفك في الدماء مما لا يحصى، أفضت إلى فناء خلائق لا تحصى، ووقع نهب كثير في الأموال لا يحاط به، وكاد أن يهلك جميع من في المغرب لولا لطف الله ورحمته بالمؤمنين. ولكن لا أعقل تفصيل ذلك لصغر سني حينئذ وقلة مبالاتي بتعيبه بقرب ذلك. وكذلك في العام الذي بعده أبضا، والحول والقوة بالله، والأمر لله من قبل ومن بعد. اهـ.

الاسعار وقت وفاة مولاي إسماعيل

وكانت سوم الفمخ في حين وفاته ثلاثون موزونة وهي سبع أواقى ونصف للوسق وأفل وأزيد بقليل، وسوم الشعير ثمان موزونات وعشر موزونات للوسق، وسوم الزيت خمسة عشر موزونة للقله. والقوت كله على هذا القياس فسبحان المدبر الحكيم الخبير الفعال لما يريد، لا بسأل عما يفعل، لا إله إلا الله هو العلي العظيم، التقدير العليم الحكيم.

بيعة أحمد الذهبي وقيام الفتن في عصره

وفى غد يوم موته ببيع ولده أبو العباس أحمد الملقب بالذهبي على لقب أبي العباس أحمد المنصور الذهبي السعدي. بايعه كافة الجيش من العبيد وغيرهم من الأحرار والوداية وغيرهم من القبائل الجيشية وتابعهم على ذلك الكافة من العامة والخاصة سوى أهل فاس. فإنهم قد تأخرت بيعتهم بعض الأيام حتى قتلوا القائد بو علي الروسي وجماعة من أصحابه بنفس ما وصلهم خبر موت السلطان وسعة ولده مولاي أحمد. ثم بعد ذلك بعثوا بيعتهم مع جماعتهم فقبل منهم وقال لهم «خيرا» ولم يذكر لهم شيئا آخر. وقتل السلطان بعض أهل الفواحش لأمر اقتضاه، وهدأت الفن وأربابها، ورجع أهل فاس إلى ديارهم فرحين مسرورين، وبقي في ملكه نحو من سنة وأيام، وقع فيها قتال ومشاهد عظام.

*** ————— *** ————— **تذكرة المحسنين** ————— *** ————— ***

السلطان إسماعيل بن الشريف

الملك المظفر المنصور، والجامع لأمر خلافة المغرب المنظوم منها والمنثور، السريف الهمام مولانا إسماعيل بن مولانا الشريف أخ مولانا الرشيد المتقدم. وكانت مدته السعيدة خمسا وخمسين سنة ولقد قام على ساق الجد ومهد المغرب غاية المهاد، ووطن المواطن وأمن السيل في سائر البلاد، وجمع شمل المملكة بعد اندثارها، وتلافى بالإحياء جميع أطلالها وآثارها، وشد معالم الدين، وقطع دابر أهل الزيغ المتعدين، وفتح ثغور المغرب كلها، وحرد سيف عدله حتى وصل حبلها، ورد مباه الدين لمجاريها، وقاسى الشدائد مع أجلاف المغرب لتجارها. توفى رحمه الله بعد صلاة الظهر من يوم السبت ثامن وعشري رجب من السنة، ودفن بعد صلاة العشاء داخل حرم الشيخ الشهير، والولي الكبير، مولانا عبد الرحمان المجذوب نفعنا الله به.

العام العاشر من العشرة الرابعة

الحسن بن رحال المعدني

فمنهم الفقيه الكبير، العالم العلامة الحافظ الشهير، صاعقة الفقه المالكي في وقته وصاحب التدريس بمكناسة الزيتون، ونادرة الزمان في كشف الأوهام والتلبيس (478) أبو على الحسن بن رحال المعداني، أحل أعلام الزمان، وكبراء الأوان، له عارضة كبيرة في الفقه واتساع في النوازل وتدبر في الفتوى وتدبر في مجلس الأقران، فكان يستدئ التدريس في المدرسة المتوكلية من طالعة فاس عند طلوع الشمس ويتمادى فيه إلى الزوال ولا يضجر ولا يمل ولا يكل مما بلقى عليه من المباحث ولا يعجز عن جواب، وكل ذلك بنقول تحيط بالمرام، وكان حافظا للمذهب المالكي مرجوعا إليه في فتاويه مستحضرا لفروعه. سمعت ممن كان يحضر تدريسه أنه كان يقول أقدر من حفظه مثل ما للحطاب على المختصر مرتين. وكان كثير المطالعة والتدريس والتفريد لا يمل من النظر، دؤوبا على تدريس مختصر خليل، له عليه حاشية كبرى مشتملة على عدة أسفار متسعة النقل. وله حاشية على شرح ميارة على ابن عاصم. وله نألبف سماه الإرفاق في مسائل الاستحقاق. وكان كثير الإنصاف والتواضع سليم الصدر كريم الأخلاق، بعيدا من التصنع مصعبا في الكلام مفضالا جوادا، ولي فضا. فاس العليا، ثم تأخر عنه وأكب على التدريس، وفي آخر عمره ولي قضاء مكناسة فتولى بها قاضيا. وكان ذا عيال يلزمه قدر كثير من الزرع كل يوم، لأنه كان كثير التزوج مطلقا، فولد عدة أولاد ولم يبق من عقبه إلا رجل واحد. وكان كثير التردد إلى سيدي أحمد بن عبد الله معن، فكان يبالي في إكرامه وبذاكره وكرمه بأنواع الأطعمة المنتخبة، لأنه كان يعجبه التنعم بأنواع الأطعمة في الأكل، فداوم مدة إقامته بفاس على الإتيان إليه لزائريته بالخفية في آخر يوم كل أربعاء ويبيت بها ليلة الخميس ويومه لفراغه من التدريس. وكان أكلوا. وقد أخبرني بعض الفقهاء أنه بات عنده ضيفا فأتى بطعام كثر في إناء كبير بشيع جماعة من الناس فأكل الضيف مثل عاداته وأكل صاحب الترجمة جميع الطعام الذي بقي وشرب ما بناسبه من اللبن العقيد، فبقي الضيف متعجبا، وبات يطالع إلى أن طلع الفجر، فصلى الفجر والصبح، ثم رجع للمطالعة إلى أن خرج للتدريس، فجلس يدرس إلى الزوال على عادته، وكان مع ذلك قليل النوم لا بنام إلا القليل. وقد انفق الأطباء على أن كثرة الأكل تورث كثرة النوم، وقتله نورث كثرة السهر.

(478) كُتِبَ العبارة الأولى في ط: صاعقة العلوم السديس. وصحفت العبارة الأخيرة في المخطوطتين فكبت فمهما: قال في كشف الأوهام والتلبيس.

أخذ عن جماعة، منهم الشيخ اليوسي، وجدنا عبد السلام بن الطيب الفادري الحسني، وسبدي سعيد العمبري، وأبو عبد الله المسناوي، وغيرهم من أهل الفقه. وأخذ عنه من أهل الفقه من لا يحصى، منهم من شوخنا سيدي محمد المدعو الكبير السريغيني، وأبو العباس بن مبارك الفلالي اللمطي، ومن غيرهم سيدي يوسف المجلدي، وسبدي محمد البكري بن محمد الشادلي الدلائي، وسيدي محمد بن عبد الصادق الفرجي الدكالي، وغيرهم.

مرض بمكناسة الزيتون وابتدأ قراءة الشفا وهومريض، والطلبة يدخلون عليه للراءة بداره، فتوفي ثالث رجب عام أربعين ومائة وألف (479).

محمد بن حمدون بناني المحوِّج

ومنهم الفقيه العلامة المدرس المفتي النوازي أبو عبد الله محمد بن حمدون بناني [وكان يعرف بالمحوِّج لكونه كان أقرن الحاجين] (480)، ممن سلم له قلم الفتيا بفاس، وحقق الوثائق وفصولها، وما يتعلق به وتتوفر عليه كالفرائض والحساب وإتقان ألفاظ الرسوم. وله شرح على خطبة الألفية، وتقييد سماه الفوائد المشتعلة في جملة الحمدلة والبسملة. وكان المرجع إليه بفاس في الفصل بين الخصوم، لكنه ما دخلت بديه قضية إلا ووقع الفصل فيها في الحين، وكان ولي الأحكام الشرعية بفاس حينئذ كثيرا ما بصرف له مفاصلة النوازل، وكان يقبض منهم الأجرة على ذلك، وزعموا أنه كان يقسم الأجرة مع من له الأحكام المشار إليه.

توفي أول ليلة السبت السادس عشر من ذي الحجة من أربعين ومائة وألف، فبكون من أهل العام قبله، أو في آخر يوم من السهر أو أول يوم من المحرم فاتح عام واحد وأربعين، والأول أصح، ودفن بروضة الشيخ سدي محمد مباركة بأقصى الدرب الطويل من عدوة فاس القرويين.

من حوادث السنة

وقعة الخميس بين عدوتي فاس

ومن حوادث هذه السنة (481) وقعة الخميس بين المدينتين فاس الإدريسة وفاس العليا المرينية. وسبب ذلك اللعب بضرب الحجريين الأحداث من كلتا المدينتين بموضع يعرف بسوق السمن عند باب السبع يباع فيه يوم الخميس، فنشب الحرب بين المدينتين. وكان كثير ممن بفاس الإدريسة خرج لسوق الخميس على العادة بأحسن لباسه، وكان ثالث

(479) أثبتنا في هذه الترجمة نص المخطوطتين ك و س لأنه أوفى، ولم نسه على الفقر والجمل الساقطة من ط.

(480) ريادة في ط.

(481) النص الطويل جدا لحوادث هذه السنة مأخوذ عن ك و س، وقد اختصر في صفحة ورع في الحوليات، وفي ثلاثة أسطر في ط.

يوم المولد الخامس عشر من ربيع النبوي، فكسر السوق الأوداية ونهبوه، وسلبوا الناس من الثياب وضربوا الرقاب، وقبضوا جميع من خرج للسوق من فاس الإدريسية وسجن بفاس الجديد، إلا من وجد مخرجاً للفرار فنجاً. ومن الغد جاء إخوان الأوداية الذي مسنقرهم الرياض من مكناسة الزيتون عونا لهم. ثم يوم الأحد وقع الصلح بين المدينتين وسرحوا من سجن من أهل الادريسية بفاس الجديد، فرجعوا لفاس الإدريسية، ورجع أعوانهم الذين أتوا من مكناسة وغيرها لمحلبهم. ثم بعد ذلك بيوم كلف السلطان أهل فاس الادريسية بدفع ما كانوا يدفعونه لأبيه من الهدايا والوظائف في كل شهر، وهو الشريف مولاي أحمد الذهبي بن مولاي إسماعيل الحسنى السجلماسى، فامتنع أهل فاس الإدريسية من دفع شيء من ذلك قل أو جل. وكان ذلك حيلة من الأوداية لعدواتهم لأهل فاس، فدسوا له من داخله (كذا) بذلك، فشعلت نار الفتنة، وتعاهد أهل فاس الإدريسية مع بني حسن الساكنين بسايس (482)، وقد كانوا بفاس الجديدة قبل الأوداية. فحققت الأوداية على أهل فاس فى الصلح المذكور، ونشب الحرب بين المدينتين، ووجه السلطان إلى الأوداية الأنفاض والمهارس، وأمرهم أن يرموا فاس بالكور والبُنب، فرموا فاساً بذلك، ثم حذب من رغب السلطان فسمح، وبعث إلى فاس الإدريسية أخاه مولانا المستضى بالله، فقدم لفاس ولم يقل إلا خيراً، ثم وجهوا معه للسلطان جماعة من الأشراف وغبرهم بقصد طلب الصلح فسمح وصالح بينهم وبين الأوداية على شرط أن يرسل معهم ولده مولاي أبا فارس بقصد السولية عليهم والسكنى بالقصبة الجديد وقبض البساتين من أبديهم. فلما رجع الأمر بهذا من السلطان صار الأمر إلى عامة فاس فتخوفوا على أنفسهم، فقالوا لا نفعل هذا إلا إذا رحلت المحلة عنا بجميع جيوشها، فأرسل السلطان إليها فرحلت فلم يفعلوا. فخرج مولاي أبو فارس من عندهم في يوم شديد المطر مغضباً عليهم، فوقع في ذلك اليوم حرب مع الأوداية فمات من ناحية الأوداية نحو أربعين ورجلاً. ثم بعد ذلك رام زهل فاس الإدريسية الهجوم على فاس المرينية وأخذها من بد الأوداية، واجتمع رأى رؤسائها على الخروج لذلك. فخرج الأندلس بجمع عظيم على باب فتوح وقصدوا فاس العليا من جهة الملاح وباب الجياف (483)، لأن سورها مهتوك، واللمطيون يخرجون من باب الجيسة إليها من الجهة الأخرى، فلم يخرجوا وترىصوا. فهتت الأوداية لذلك وأخلوا فصبة شراقة خوفاً من الاستسلاء على من بها وعدم مقاومتهم للحرب عنها، لأن كثيراً منهم غائب فى الضساع لجمع أموالهم خوفاً من النهب، ودخلهم من ذلك الدهش والرعب، وعانوا من ذلك شدة عظيمة ما أوهن به أهل فاس الإدريسية وتركوا الحزم والضبط وظنوا أن لا محالة فى أخذها. فنأخر أهل النجدة والحزم والحرم المسنمرون على الحرب فى الحروك، وكان أكثر من حمل السلاح من أهل فاس الإدريسية ونصدر للحرب وخرج اله الأحداث الذين لا معرفه

(482) كتب فى المخطوطتين هكذا: باساس، ولعله مرأ سديد السى ولبزم جينند إضافة لام قبلها.

(483) هكذا تكتب فى س أما فى ك فكتب: باب الجيف - بدون ألف - هنا وفيما يلى.

لهم به، وإذا أخرج المكحلة يفرغ لخروجها، أكرههم على ذلك رؤساؤهم وتأخروا عن الخروج معهم، وتركوا بعضهم يموج في بعض. فساروا إلى باب الجياف فلما رأوا الأوداية أكثر من عددهم، وقلة نجدتهم ولا رئيس لهم على الحرب بل أمره باد بينهم، اختاروا من صناديدهم نحو العشرين وخرجوا على باب الجياف. فلما أبصرهم أهل فاس هربوا من غير قتال لمعرفة بهم بأنهم من أهل النجدة، وظنوا أنهم يتبعهم عدد عديد، فتبعوهم قللا ورجعوا إلى فاس الجديد خوف الكرة عليهم من أهل فاس. فكان عدد من مات من أهل فاس الإدريسة نحو العشرين، ورجعوا إلى فاس منهزمين. وبقي بأيدي الأوداية أقوام من أهل فاس، ففطعوا رؤوسهم ووجوههم لمكناسة الزيتون للسلطان. فاغتاز السلطان على أهل فاس الإدريسة، فوجه إليهم قائده موسى الجراري -بفتح أوله وتسديد ثابته- بعد أن أمر بتعليق الرؤوس على باب الملاح. وبعت إليه أنفاضا ومهارس، ووقع القتال بين موسى الجراري وأهل فاس الإدريسة بوطاء ابن مسفر خارج باب الجيسة، فهزموه حتى كاد أن يبقى بأيديهم، ثم جمع موسى الجراري جيش السلطان والأوداية وأحاط باليستيون الخارج عن باب الجيسة من كل جهة، فهزمهم أهل فاس عنه، ثم إن موسى الجراري ناول صلحا بين السلطان وأهل فاس، فأنف من ذلك الأوداية فوشوا به إلى السلطان، فلما قدم عليه سجنه، فرجع أهل فاس من مكناسة وعزموا على الحصار. ثم إن السلطان سرح موسى من السجن ووجهه بمحلته إلى فاس، فنزل بظهر الزاوية خارج باب المحروق، فانقبض الأوداية عنه، فرحل بمحلته ونزل بين سبو وفاس ولم يناول حربا مع أهل فاس. ومع هذا كله السلطان مقبل على الملذات من الأكل والمشروب والملبوس والمنكوح والمسموم، وكثرت الغزوات بين قبائل المغرب، والنهب والقطع في الطرق، وكثر الخوف، وأكل القوي الضعيف، وانقطع السبيل وكثرت إراقة دماء المسلمين.

خلع العبيد أحمد الذهبي ومبايعة أخيه عبد المالك

فلما رأى ذلك الجيش وأحسوا منه عدم النهوض والقيام بأمر المسلمين، وهم عبيد مَشْرَع الرملة الذي جمعهم الخليفة مولانا إسماعيل والد السلطان مولاي أحمد الذهبي، وتركهم بعدد عديد يزعمون أن أقل عددهم ستون ألفا من المقاتلة المرتب لهم الخراج المستقرين بمشعر الرملة، سوى غبرهم الذبن في سائر بلاد المغرب. فاتفق رأيهم على خلع السلطان مولاي أحمد الذهبي المذكور، فخلعوه وأخرجوه من دار الملك وسجنوه بداره إلى كان بها قبل ولايته الإمارة، وخطبوا بمكناسة بالصحابة فقط من غير ذكر أمر، وجعلوا أمر الخلافة للعلماء. فلما بلغ الخبر بذلك لفاس، رحل موسى الجراري بمحلته من سبو ورجع لمكناسة، وأهل محلته إلى منازلهم، ثم إن من كان من العلماء حاضرا بمكناسة أجمع على مبايعة أخيه أمير المؤمنين الخليفة مولاي عبد المالك ابن الخليفة مولانا إسماعيل الشريف الحسني السجلماسي، لنهوضه بأمر الخلافة وحزمه وضبطه وحسن سيرته وسياسته، وكثرة

عدله في الأحكام، ومحبته للمهادنة بين الناس وتأمين الطرق وشجاعته، حسبما شاهدوا ذلك منه قبل في حياة أبيه. وكان يبيع له قبل موت أبيه بتارودانت وسائل بلاد السوس وانقبضوا عن بيعة أخيه، ووقع بينه وبين العبد حروب ووقائع ومواقف كان يوجه بهم أخوه إليه على نهر أبي الاعوان وفي غيره، مرة يكون الظفر له وأخرى لغيره، إلى أن مزقهم وفل جمعهم وقتل صناديدهم ولم يقدروا عليه، فتركوا له السوس فانعقدت له البيعة بمكناسة وتبعهم سائر قبائل المغرب، ويعثوا له بذلك وطلبوا منه القدوم عليهم، وذهب أهل الغرب في جم غفير للقاءه، وزال عن أهل فاس الحصار وما كان بينهم من الضيق وتحكيم من لا خلاق له فيهم، وفرح الناس ببيعة مولاي عبد المالك، وأكثرهم فرحا أهل فاس الإدريسية، لأنهم حركوا معه فكان يحسن لهم ويواسي ضعفاءهم ويصبرهم على ما ينالونه من الأذى من عمال أبيه، فكانوا يثنون عليه ويتسببون له في حياة أبيه، وطمعوا بولايته تهدينا للبلاد، وتأمينا للعباد، وترك ما كان يضرب على الناس من الوظائف، لأنه كان لا يريد ذلك ولا يجريها على من كان يكون عليه عاملا لأبيه، لأن الغالب على أحكامه العدل، وتيقنوا بعزل من كان من العمال وغيرهم من الجيوش عبيد وأوداية يسعى في ضرر الناس.

وكان عقد بيعته في أوائل شعبان عام الترجمة، ويعثوا بها إلى سوس مع الشرفاء والأعيان، فقدم إلى مكناسة في أواخر رمضان، فحمد جميع الناس، وخمدت جميع الفتن لهيبة مولانا عبد المالك، لما يعلمون من سرعة رأيه وحركته وبطشه بالبغيظة، ونجدته وشجاعته في الحرب، ومحبته للهدنة والرفق بالرعية والإنصاف من الظالم للمظلوم. فعند قدومه شرع بقراءة العلم صحيح البخاري وغيره، وأرسل لسائر القبائل للاجتماع به فحضروا معه العبيد، فأنف جيش عبيد الرملة من ذلك. وكان أكثر الناس حرما لذلك سفيان وبني مالك. وكانوا لما مرض مولاي إسماعيل أعلمتهم زوجته أختهم حليلة السفيانية أم ولده مولاي زيدان الصغير بخير مرضه، فتفقدوا خيلهم وعدتهم وصلحوا شأن أمرهم، كما فعل سائر قبائل المغرب، فجردوا لهم العبيد وساروا إليهم وأخذوهم على غفلة، فنبهوا جميع أموالهم من الماشية وغيرها، وأثخنوهم بالقتل رجالا وصبياناً ونساء ووثبوا على النساء والأبكار بالوطء. وذلك كله في مرض السلطان وهم لا يمنعون ولا يدفعون لظنهم أن ذلك عن أمر من السلطان. فلما مات السلطان وتحققوا بأن ذلك ليس عن أمره حقد سفيان وبني مالك علي العبيد، فكانت بينهم وبين العبيد حروب أيام مولانا أحمد، تارة لهم وتارة عليهم، فلما أحضروا في عيد الفطر مع مولانا عبد المالك مع القبائل ورأت ذلك العبيد مع ما كان لهم عليه من الحقد والعداوة بسبب من قتل من كبرائهم في حربه وأرادوا الاستيلاء عليه فنجاه الله منهم، ثم أمر القبائل بأن تعين كل قبيلة منها عددا يركب الخيل ويكون معه جيشا يجري عليهم المرنب كل سنة من بيت المال، وأخرج من الأوداية والمخازنية المتغلبين على الديوان والمشور جماعة منهم أولاد بورويس، وأولاد دليم، والدرابكة، وأولاد خليفة، والشباطمة، والمواريد، وضمهم للشبانات الذين هم باطنته، فانحرفوا عنه، وكان هو منحرفا

عنهم لما بلغه من سوء فعلهم مع الناس وما وقع بينهم وبين أهل فاس، فراسلوا العبيد في الخروج عليه، ثم إن مولانا عبد المالك استفتى العلماء في أمور شنيعة جدا شنعوها على أخيه توجب القتل لمن ارتكبتها وفعلها، وكثر الكلام بها على الألسنة، لكن لم يشهد عليهم بذلك، منها طلبوا منه الإنصاف من أخيه مولاي أحمد المذكور بعض أهل فاس من لا سبب لهم في الخروج عليه ولا قدرة لهم على ذلك ولا على حرب من يريد ذلك ولا على مدافعته بقول ولا فعل، فنهب أموالهم وحطبت أشجارهم، وهدمت دورهم بالبنب، وماتت نساؤهم وأولادهم وآباؤهم وأهلهم بالهدم، مع أن من نسب له الخروج عليه لم يتحقق منه ذلك ولم يثبت عليه، وإنما يدفع عن نفسه الأوداية وغيرهم من الجيش الذين كانوا ينهبون أموالهم ويريدون الوثوب على نسايتهم كما فعلوا بالقبائل والبوادي والحواضر، فنسبوا الخروج لهم ليحصلوا ما أرادوا به فيهم، ووشوا بأهل فاس إلى مولاي أحمد ونسبوا لهم الخروج عليه، فقبل منهم ذلك من غير ثبوت لهم بذلك على أهل فاس، فأطلق يدهم عليهم، فخاض العلماء في ذلك ولم تتفق أقوالهم ولا آراؤهم في شيء، فلم يجيبوا عن شيء، واتفقوا على أن التفويض في ذلك للسلطان يجتهد ويحكم باجتهاده. فاستشار في ذلك كاتبه العلامة سيدي محمد بن محمد بن أحمد الفاسي، فأجابه بأنه لم يتم موجب قتله بما طلبه به بعض الضعفاء من المومنين من أهل فاس، فرجع عما استفتى فيه العلماء من قتله، وأرسل به إلى سجن فاس المرينية، وذلك في شهر شوال المذكور. ثم رضي عنه وسرحه من السجن بعد أن أبقيه فيه نحو الجمعة، وأرسله إلى بلدهم سجلماصة، وكان مولاي عبد المالك لما بوع بتارودانت والسوس استعمل ولده على سجلماصة ونواحيها، فلما صرف مولاي أحمد إلى سجلماصة فر من الطريق وانحاز لزواية سيدي سعيد أنصال من أيت عطاء. وكان قيم الزاوية المذكورة ممن يشتغل بعلم الحدان، فأخبر مولاي أحمد برجوعه للملك. فلما سمع العبيد بما أخبره به قيم الزاوية المذكور عزموا على الخروج على مولاي عبد المالك وبايعوا مولاي أحمد المخلوع ثانيا، وأعلنوا بذلك في صبيحة عيد الأضحى من العام، ومنعوا خطيب الرملة من ذكر مولاي عبد المالك، فخطب بمولاي أحمد، فوصل الخبر لمولاي عبد المالك ثاني يوم العيد، فجمع العلماء وشاورهم في أمر العبيد، فكتب العلماء كتابا للعبيد ينهونهم عن الخروج عليه، وأعلموهم بما في ذلك من المضرة بالمسلمين ومخالفة الشريعة وبالغوا في تحذيرهم من ذلك، وأرسلوا لهم مع الشيخ الكبير المتبرك به شرقا وغربا حيا وميتا مولانا الطيب بن الإمام سيدي محمد الشريف اليملاحي الحسني العلمي دفين وازان، لأن العلماء لم يأتمنوا على أحد غيره من إذائتهم ووثوبهم بالقتل على من يوصل لهم ذلك الكتاب إلا بالشيخ المذكور لتلمذة (484) أكثرهم له وانتساب رؤسائهم بخدمته، فساعف العلماء فيما طلبوه منه من إيصال الكتاب إلى العبيد، فسار بالكتاب إلى العبيد ودفعه إليهم، فأجابوه

(484) كذا في س، وفي ك: لتلامذة.

بميسور من القول بما لم يتبين له منهم الرجوع عما نهاهم عنه ولا التماذي عليه، فلما شهد ذلك منهم رجوع إلى وازان وأرسل من غير كتاب مع بعض الفقهاء الذين ساروا معه صحبة الكتاب إلى العلماء بالخير. ثم أخذ مولاي عبد المالك يرسل إلى القبائل ويجمعهم، فجمع منهم عددا كثيرا، وأرسل إلى مولاي الطيب صاحب وازان المذكور ثانيا وأرسله إليهم، فكلهم عن الرجوع عما أرادوا من خلع مولاي عبد المالك المذكور وبيعة مولاي أحمد ثانيا، وأخبرهم عما يقع بين ذلك من الفتن وقتل المسلمين ونهب أموالهم، وعن النهي الوارد في ذلك. فسار مولاي الطيب إليهم إلى مشرع الرملة وأخبرهم بذلك كله وكلهم في شأن ذلك فلم يقبلوا طلبه منهم، ورجع مولاي الطيب المبعوث إليهم ثانيا إلى مولاي عبد المالك وأخبره بامتناعهم عما نهاهم عنه وتصممهم على خلعه. ووصل الخبر إلى مولاي أحمد فأسرع إليهم ووصل في خلال ذلك مع بوسف احنصال، فلف معهم بني حسن على ذلك وارتحلوا معه إلى مكناسة فعزم مولاي عبد المالك على الخروج للقائهم مع القبائل التي كانت معه واجتمعت عليه، فتهمت (كذا) له الأوداية الساكنون بمكناسة، فرجع عن الخروج إليهم وعزم على قتالهم بها، فجاهر الأوداية بالخروج عليه وبيعة أخيه، وشرعوا فورا في قتال جشسه، ولحق بهم العبيد إلى مكناسة يوم الاثنين رابع وعشرين من ذي الحجة عام الترجمة تم نادى بعض رؤساء العبيد على بعض أبواب قصبة السلطان الموالي للقصبة الخضراء بنصر أخيه مولانا عبد الله. وكانت خاتنة بنت بكار المغفري زوجة مولانا اسماعيل هي الساكنة بذلك الدار الموالية لتلك الباب، فلما سمعت النداء بنصر ولدها فتحت الباب من ناحيتها، فبينما الناس يقاتلون بنواحي مدينة مكناسة إذ سمعوا بدخول العبيد القصبة، فسقط في أيديهم وخرج السلطان فارا بنفسه فيمن خف من أصحابه بنحو ثلاثمائة، فجنب طريق فاس المشهورة وقدم فاس الأدرسية. ووقع في القصبة نهب عظيم وافتتاح كثير، ونهبوا أموالا كثيرة لا يحصيها الواصف، وأعادوا الغارة على مكناسة بمثل ذلك نهبها وسبوا ووثبوا على النساء والأبكار، فالله تعالى يتولى حفهم والحكم فيه، ولا حول ولا قوة الا بالله. وكان ذلك ثاني اليوم المذكور.

ثم إن مولاي عبد المالك ترك رماة أهل فاس بقصبة مكناسة، وكانوا نحو ألفي رجل وفر بنفسه لفاس. فلما أراد الدخول إليها اضطرب رأى أهلها، فمنهم من قال لا بدخل إليها إذ لا مقاومة لنا بحرب العبيد [ونحن عاجزون عن المدافعة عنه، وأهلنا بأيدي العبيد، منهم من فر بنفسه، ومنهم من سجن، ومنهم من قال يدخل ونستعين به على حرب العبيد] (485) فإنهم لا يشكون في دخولهم إياها كما لا نشك نحن فيما يقولون وبواعدون به بأنهم ينزلون علينا وبحاصرون بها حتى يدخلوها علينا ويفعلون بنا ما فعلوا بمكناسة وقصبتها وقبائل

(485) ما بين معوميين ساقط من ك

المغرب، اللهم أن نكون قتالنا على الخليفة الذي هو ببعنه في أعناقنا وطاعته واجبة علينا وهو بين أظهرنا، نقاتل نحن وهو من خرج عليه. فصار من أراد دخوله للمدينة هم الأكثر فأدخلوه، واستوطن دار القيطون من مدينة فاس القرويين. وكما اضطرب رأي العوام في أمر دخوله مدينة فاس، اضطرب رأي علمائها، فالأكثر قالوا بدخوله فاس. ولحق به من لم يخرج عليه من القبائل وهم جيش سوس نحو العشرة آلاف، ومن أتباعه خدام المشور نحو ثلاثة آلاف بين راجل وفارس منتصبين، فاطلق جيش سوس على قتال الأوداية، فأكلوا ضياعهم وعزائبهم والمتغلبين على بلاد ساسي ونواحيه، وحاصر الأوداية بفاس المرينية وحاول أخذها، فأكثر إخوانهم المستقرون بمكناسة من الاستصراخ بمولاي أحمد وبالعبيد في إغاثة إخوانهم الذين بفاس قبل أن يدركهم فوات الاستيلاء على المدينة، فزغائهم فورا مولاي أحمد ومعه جيش، ونزل بوادي فاس بعد أن قبض بمكناسة على الحسن بن عد فائد مكناسة الزيتون، والقائد علي بن بش الزموري، وعلى مرجان الخصي صاحب أبيه، ومحمد بن علي قاضي العبيد، ووالى جمعهم وأخرجهم من الحرمات وقتلهم صبرا وصلبوا. وسيأتي خبر حصار فاس إن شاء الله في العام بعد هذا.

*** ————— *** ————— **تذكرة المحسنين** ————— *** ————— ***

مُحمد بن حمدون بناني المُحَوِّج

توفي العلامة سيدي مُحمد بن حمدون بناني الكبير المعروف بالمُحَوِّج أول ليلة السبت سادس عشر حجة الحرام من السنة، ودفن بداخل روضة الشيخ مسارة من الدرب الطويل من عدوة فاس القرويين.

العشرة الخامسة من المائة الثانية بعد ألف سنة من الهجرة العام الأول منها أحمد بن علي الوجاري

فمنهم العالم الشهير، النحوي الإمامي الكبير، الأديب اللغوي الخطير، الحاذق النبيه، الذكي النزيه، الخير الدين البركة، أبو العباس سيدي أحمد بن علي الوجاري الأندلسي القضاعي أصلاً الفاسي داراً ومولداً. نادرة الزمان علماً وعملاً ومروءة وتؤدة. طلب منه توليه القضاء أهل فاس والسلطان مولاي أحمد في ولايته عليهم الولاية الأولى لما أخر أهل فاس سيدي علي أبا عنان عن القضاء ودخل الحرمات، فامتنع الوجاري المذكور من ولاية ذلك واختفى حتى قدم لذلك غيره فخرج. وأخذ علم النحو والتصريف واللغة وأيام العرب وغير ذلك عن جماعة من الشيوخ، وعمدته هو جدنا عبد السلام بن الطيب القادري الحسني. وأخذ عن أخيه محمد العربي بن الطيب القادري. وأخذ عنه العربية من لا يحصون. كان دؤوباً على تدريس الألفية لابن مالك، يختمها مرتين في كل سنة أو ما يقرب منها. وكان له مجلس غاص في تدريس العربية بقصده الناس م كل نواحي المغرب لأخذها عنه، فلم يكون يشار لغيره في العربية بعد موت الشيخ المسناوي. وانتفع به جم غفير، وتخرج به غالب علماء فاس وغيرها من الواردين عليها بقصد القراءة. يقتصر في تدريسه على مهمات المسائل وتحرير المشكلات، ويستحضر اللطائف والنوادر والغرائب بنقلها في مجلس درسه مع أنظام وأشعار لا ثقة بالمقام بروحاً لأهل المجلس. وقد رأيت كثيراً من الناس ممن كانوا يحضرون مجلسه يذكرون ذلك عنه ويستحسنونه. وكان أولاً مجلسه بسطح المدرسة الرشيدية، فلما كثر ازدحام القراء عليه وضاق عليهم، وكان يؤذيهم حر الشمس في المصيف والبرد في الشتاء، رغب أهل المجلس الشيخ في التدريس بالقرويين لأجل الوسع، فامتنع من ذلك هضمًا لنفسه وتوقير المجلس القرويين، إذ كانت عادة فاس قديماً لا ينتصب للتدريس بالقرويين إلا من انتهت إليه المهارة في العلم والدين في وقته، فكانوا سنازعون أنفسهم في هذه المرتبة. وقد أفضى الأمر اليوم إلى نساها كبر، فصاروا يستبقون للتدريس فيها من غير أهلية لمطلق التدريس فضلاً عن المهارة فيه، كما قبل.

نلك المكارم لا قعبان من لبن شبيب بماء فعادت بعد أبوالا

تم إن طلبه مجلس صاحب الترجمة تشفعوا له ببعض الشرفاء أن ينقل لهم التدريس إلى مكان منسج سجعهم، فتسبب الشرفاء في تنفوذ الخراج لصاحب الترجمة من وافر القرويين على أن يدرس بمسجد الأندلس، وتلك عادة مساجد فاس أن تنفذ مصالحها من وافر الفرويين مع ما في ذلك من كف الإذابة من بعض ولاة السوء. ثم إن الشرفاء المذكورين تشفعوا لصاحب الترجمة في الأمرين معاً: التدريس بمسجد الأندلس، وقبول الخراج، فقبل ذلك وبقي يدرس العربية بمسجد الأندلس إلى أن توفي. ولم يتزوج إلا في آخر عمره، فولد له

ولد ومات بعده من نحو سبع سنين، فلم يستمر له عقب. وكانت له ألفة مع سيدي محمد مولانا الرشيد بن مولانا الشريف الحسنى من باب رأس الشراطين. وكان صاحب الترجمة يلزم مجلس المسناوى في تدريس خليل مع ما له من كلفة التدريس، وكان المسناوي لا يقطع أمرا دون مشورة صاحب الترجمة لترجيح عقله وضبط أحواله، يجزئ النهار كل وقت لما أصرفه (كذا) فيه، لا يتحرك في وقت إلا فسمما عن له. وفي قصر الليل يخص الضحى للنوم.

توفي - رحمه الله - ليلة الأربعاء الحادى عشر من جمادى الثانية عام أحد وأربعين ومائة وألف، دفن ظهره بموضع عليه أثر بناء سقابة عن يسار الداخل لفضة سيدي محمد بن عباد خارجها، موافقة أول يوم من يناير في مطر شديد وثلج وريح، ورثاه جماعة من تلامذته، منهم شيخنا العالم الصالح الصوفي البركة، سيدي عبد المجيد بن على المدعو بالزبادي - رحمه الله تعالى -:

مات شيخنا الإمام، وسيدنا الهمام، الدراكة الفهام، الذي من الله به على الأنام (486) لما أراد نفعهم بعلوم الآلة التي هي وسيلة إلى شرائع الإسلام، وجعله مصباحا يزيل عن قلوب الطلبة الظلام، وينتفعون به على الدوام، فليست (487) ترى من فيهم، إلا وعنه عقل الشوارد اليهم، ولا من لبيب أرب، إلا وعنه اقتنى الغرب، ولا من ذي ذوق سليم، وطبع مستقيم، إلا وعنه أخذ طريق الأدب القويم، وكف يعدل مزاته وقيم (488)، ولا من ثابت الجنان، بميز بين الإساءة والإحسان، إلا ومنه تعلم إصلاح اللسان والبيان، فى مسدان الطروس بالأقلام والبنان، ولا من لامس قط ما الام، إلا ومنه عرف ما يتألف منه الكلام، ولا من حسن العبارة، إلا ومنه فهم الإشارة، ولا من دائم الاهتداء، إلا وبه كان الابتداء، ولا حسن الأشغال، إلا وبه كان له الاشتغال، ولا من كنير التواضع، إلا ومن تأدب به في التنازع، ولا من زائد اللطافة والظرافة، إلا وشرفه بالإضافة، ولا من يريد القطف، إلا وبمجالسه تعلم العطف، ولا من مجيد نجيب، إلا وكان لندائه مجيب، ولا من حسن الإلهام، جيد الأفهام، إلا بما حصل منه بالاستنفهام، ولا من ناظر فى نفسه بعين التحقير، إلا ومنه تعلم التصغير، ولا من حكم غطريف، إلا ومنه تعلم المواد والتصريف، وكلا من التكسير والسلامة، والعلة بالصحة والعمامة، ولا من سالك أوضاع المسالك، إلا ومنه تعلم ذلك، ولا من واف بالمواعد، إلا ومنه أخذ القواعد، ولا من تمسك بالقناعة، إلا وبه اقتدى في الصناعة، ولا من اكتفى بالوقابة، إلا من أخذ منه النفاة، ولا ميز بين النفاة والتفاية، والا حصلت له به الكفاة، ذلك قدوتنا وسيدنا وعمدتنا أبو العباس سيدي أحمد بن علال الوجاري نسبة، اليمنى ثم الأندلسي الغرناطي ثم الفاسي. توفي رحمه الله إلى آخر ما قدمناه. ثم قال: فقلت أرثيه على سبيل الاستطاعة:

(486) كذا فى س، وفى ك: الذي آثره الله على الأنام.

(487) فى المخطوطتين: فليت. وهو تصحيف.

(488) كلمة «يقيم» غير واضحة فى س وساقطة من ك. وهي التى يقتضيها السياق،

العين جادت بدمع جار
أسفاً وحق لي التأسف كيف لا
ما شد ما ألفت من فقد الألى
لهفى على ما فاتني من قريهم
لو كان لي بعض الحجا للزمتهم
إذ كل حال غبر تين مناهج
لو حل وحش الفبر ففر وجاره
فالآن لم يبق البعاد بمهجتي
لله صب غصه الأشياخ قد
لله قلب فرقه الأشياخ قد
هذا وإن ختامهم مسك الهدى
الماجد الأرضى المجد المرتضى
(كذا) أريحى لم يزل
ما إن رأيت بمثله فى فضله
بكت السماء وطال فسه بكاؤها
وبكت أرض وهي أجدر بالبكا
قد طال ما زان المدارس درسه
ولطالما أدنى العويس إلى الحجا
ما أنس لا أنسى مجالسه وما
ما ذرت الشمس المنسرة دائماً
بالبشر بل بالبشر بل بالخلق بل
فى مجلس التدريس كنا أنجماً
لا غرو إن هبت رياح أزعجت
يا هل ترى الغيم المغطى بدرها
أم هل تراني صابراً بعد النوى
ما لي على حمل النوى من طاقة

والقلب ذاب أسى لخطب جار
وأنا المصاب بحري البحار
كنا بهم من أريح التجرار
وتساعلى باللهو والميسار
وإذا انفصلت لزمتم قبر وجار
لمهالك ومراتع الفجار
بطلت لشاد حبله الأوجار
ولمقتلى من ساكن أو جار
أسقته كاساً سأل من زنجار
صارت له فى الفعل كالمنجار
بحر النداء غوث النداء الوجار
المنتفى من لب خبر نجار
بوصي كما يوفى بحق الجار
غرباً وشرقاً أو لدى زنجار
حتى رمت بالودق والأحجار
وبكته أطيأ على الأشجار
من قبة سفلى ومن أجار
فبصر سهلاً وهو الأوعار
يجرى بها من غامض أو عار
إلا له نفع بلا إضرار
بالصفح عما كان من أوزار
هو بدرها المستلأى الأنوار
غيماً أكن البدر فى الأسنار
يبقى بأفق الجسو من دينار
كلاً جزعت وليس زندي بوار
عظم المصاب وما قدرت أوكاري

مَنْ ذَا الَّذِي بِخُلَاصَةٍ يَشْفِي الظُّمَأَ
 مَنْ ذَا لِأَفْعَالٍ وَأَسْمَاءٍ وَمَنْ
 مَنْ ذَا لِقَامُوسٍ يَغُوصُ لِيَقْتَنِي
 مَنْ ذَا لِأَدَابٍ وَكُتُبٍ نَوَادِرِ
 مَنْ ذَا لِتَدْرِيسِ الْمَقَامَاتِ الَّتِي
 سِيَمَا وَكَانَ يَخُصُّهَا بِقِرَاءَةٍ
 حَازَ الْحِلَاوَةَ وَالطَّلَاوَةَ كُلَّهَا
 مَنْ كَانَ ذَا عَوْنٍ عَلَى آمَالِهِ
 لَا تَعْتَقِدُ أَنَّ الْجَزِيرَةَ وَحْدَهَا
 هَذَا الثُّوَى قَدْ هَاجَ قَلْبِي فَاَنْكُوْ
 يَاعَاذِلِي كُنْ عَاذِرِي لَا تَلْحَنِي
 مَاذَا تَرَى فِيمَنْ مَضَتْ أَشْيَاخُهُ
 بِوُجُودِهِمْ قَدْ كُنْتُ فِي رَغَدِ الْمُنَى
 قَلِمَنْ أَبُوحُ الْيَوْمُ بِالشَّكْوَى إِذَا
 إِنَّ الَّذِينَ كَرَعْتُ مِنْ حِيَاضِهِمْ
 وَفَهَمْتُ مِنْ أَوْصَافِهِمْ وَلَزِمْتُ مِنْ
 وَطَرِيتُ فِي أَنْوَارِهِمْ وَرَكِبْتُ فِي
 وَغَرَقْتُ فِي إِجْلَالِهِمْ وَشَرِيتُ مِنْ
 وَوَعَيْتُ عَنْهُمْ مَا تَحْمِلُ خَاطِرِي
 ذَهَبُوا وَخَلَّوْنِي لَوَجْهِهِ هَائِمًا
 شَوْفِي إِلَيْهِمْ دُوْ زِيَادٍ مِنْلَمَّا
 لَوْ كَانَ شَيْخٌ يُفْتَدَى مِنْ مَوْتِهِ
 لَا يُبْعَدُ الرَّحْمَانُ أَشْبَاخًا لَنَا
 كَمْ قَدْ مَدَدْتَاهُمْ عَلَى لِحْدِ الثَّرَى
 فِي قَلْبِي صَبْرٌ لِلَّذِي تَلْقَاهُ مِنْ
 مَا هَذِهِ الدُّنْيَا الدُّنْبَةُ غَسْرُ مَا

وَيَأُوضَحُ يُطْفِئُ لِهَيْسَبِ أَوَارِ
 لِلنَّحْوِ حَقَّقَهُ بِذِي الْأَعْصَارِ
 مِنْهُ الصُّحَّاحُ وَبَاتِي بِالْأَذْخَارِ
 وَلَمَّا بِكُلِّ الشَّعْرِ مِنْ أَسْرَارِ
 أَرُبْتُ عَلَى النُّوَارِ وَالْأَزْهَارِ
 فِي فَصْلِ نَيْسَانَ وَفِي إِيشَارِ
 وَمِنْ الظَّرَافَةِ فَازَ بِالْإِكْثَارِ
 فَأَنَا أَبُو الْعَبَّاسِ مِنْ أَنْصَارِ
 مِنْهُ خَلَّتْ بِلْ سَائِرِ الْأُمُصَّارِ
 هَلْ مِنْ دَوَاٍ لِلْقَلْبِ وَالْأَبْصَارِ
 فِيمَا تَرَى مِنْ دَمْعِي الْمِدْرَارِ
 وَغَدَاً فَرِيداً كَاسَفَ الْأَقْمَارِ
 أَجْنَى الْجَنَّا مِنْ مَطْعَمٍ أَوْ قَارِ
 مَا هَالْ خَطْبٌ مُثْقِلُ الْأَوْقَارِ
 وَرَفَعْتُ فِي رِيَاضِهِمْ أَبْصَارِي
 آدَابِهِمْ مَا لَاقَ بِالْحَدْفَارِ
 آثَارِهِمْ مُتَنَافِيًا حُدَّ بَارِ
 سَلْسَالِهِمْ وَشُفِفْتُ بِالْمَصْطَارِ
 وَرَوَيْتُ عَنْهُمْ مُسْنَدَ الْأَخْبَارِ
 ذَا حَسْرَةٍ وَالْدمْعُ كَالْخَرْخَارِ
 يَشْتَاقُ خَيْرًا صَاحِبُ الْأَخْيَارِ
 لَقَدْ بَتُّهُمْ بِالرُّوحِ وَالْأَعْمَارِ
 أَفْنَاهُمْ حُدْنَانُ دَهْرٍ سَارِ
 مَا أَبَ مِنْهُمْ آثِبٌ لِلدَّارِ
 صَبْرٌ تَجَرَّعَهُ مِنَ الْأَقْدَارِ
 قَدْ شَيَّبَ بِالْأَقْدَاءِ وَالْأَقْدَارِ

ثَاوِيهَا ذُو الْجَهْلِ فِي رَعْدِ الْمُنَى وَبِهَا اللَّيْبُ مَلَاظِمُ الْاُكْدَارِ
كَمْ أَذْكَرْتَنِي حَالَهَا طَبَعَتْ عَلَى بِأَخَاطِبِ الدُّنْيَا أَفْهَمَنْ تَذْكَارِ
غَرَارَةُ غُدَارُهُ خُدَاعَةٌ لِدَاغِيَّةٍ لِدَاعِيَّةٍ كَالنَّارِ
مَا إِنْ تَدُومُ لِحَالَةٍ بَلْ لَا يُرَى إِلَّا تَفَلُّبُهَا عَلَى أَطْوَارِ
آلَتْ بِمِنَا أَنْهَا طُولَ الْمَدَا لَا تَسْبَقِيْمُ لِنَالِدِ أَوْطَارِ
فَإِذَا يَمُوتُ الْمَرْءُ يَوْمًا زَهُونًا بَلَّغَ الْمُنَا مِنْ سَائِرِ الْأَوْطَارِ
عَلَّلْتُ قَلْبِي بِابْنِ عِلَالٍ بِكُمْ لَمَّا اعْتَرَّتَنِي فُرْقَةُ الْأَخْيَارِ
الْمُتَّفِقِينَ الصَّادِقِينَ الْمُفْتَقِي بِفِعَالِهِمْ وَالْقَادَةَ الْأَخْيَارِ
الْحَائِزِينَ الْفَضْلَ أَجْمَعَ وَالتُّقَى مَا مَثَلُهُمْ فِي سَائِرِ الْأَقْطَارِ
فَلَحِفْتَهُمْ وَتَرَكْتَنِي حِلْفَ الْأَسَى وَالدَّمْعُ فِي الْوَجَنَاتِ كَالْأَسْطَارِ
فَسَقَى الْإِلَاهُ ضَرِيحَهُمْ بِسَحَابٍ مِنْ رَحْمَةٍ تَنْهَلُ بِالْأَمْطَارِ
وَسَقَى ضَرِيحَ الشَّيْخِ أَحْمَدَ مُزَنَةً قُدْسِيَّةً مَخْتُومَةَ الْأَعْطَارِ
وَعَلَى الْجَمِيعِ تَحِيَّةً مَا غَرَّدَتْ قُمْرِيَّةُ الْبَيْدَاءِ فِي الْأُبْكَارِ
وَأَتَمُّ رَبِحَانٍ وَرَرِّحَ دَائِمٍ مَا احْتَبَا جَتِ الْأَنْظَامُ لِلْأَفْكَارِ
وَأَعْمُ رَضْوَانٍ وَأَهْنَى رَاحَةٍ مَا حَنَّ وَحَشَّ الْقَفِيرُ لِلْأَوْكَارِ (489)

ارتكب ناظمها أموراً لا يعتد بها إلا من له يد في ذلك، فمنها قوله في البيت الثامن عشر (490) منها: وهو م الأوعار، أراد وهو من الأوعار محذوف منه نون من، وهي لغة بني خثعم من قبائل اليمن على حد قول الشاعر:

لَقَدْ ظَفِرَ الزَّوَارُ أَقْفِيسَةَ الْعِدَا بِمَا جَاوَزَ الْأَمَالَ مِ الْأَسْرِ وَالْقَتْلِ

ومنها التزام ما لا يلزم في قافية سبعة عشر بيتاً من أولها، وفيها أنواع كثيرة من البلاغة ينحققها من مارس شيئاً من علوم اللسان، فلذلك استوعبنا نقل أبياتها مع طولها. ولصاحب الترجمة منزلة في قلوب الخاصة والعامة من أهل فاس (491).

(489) بقيت بعض أبيات هذه القصيدة مكسورة وكلمات منها غير واضحة بسبب تحريف النساخ أو محو أو تمزق في مواضع من س.

(490) في المخطوطتين: الثاني عشر. وهو تصحيف.

(491) اختصرت ترجمة أحمد الوحاري في صفحة واحدة في ط وسقط منها فيما سقط هذه المرساة الطويلة.

محمد بن عبد الرحمان الدلائي

ومنهم الفقيه العالم العلامة الشهير، الخطيب البليغ الواعظ المحقق الكبير، الفصيح البليغ الحافظ المؤرخ النسابة الأثير، أبو عبد الله سيدي محمد بن محمد بن محمد بن عبد الرحمان بن سيدي أبي بكر الدلائي. تقدمت ترجمة أبيه وجده. وكان صاحب الترجمة أحد أعلام الزمان، علماً وديانة، وعلو شأن، ومنزلة في اللغة ومكانة. مِمَّنْ بحرر العلم وفسده، ويحسن النظم والنثر ويجده، وممن إليه المرجع وعليه في وقته التعويل، في علوم الإنشاء والبلاغة والنرسيل. يبهز بفصاحته الألباب، ويأتي في خطبه بالعجب العجائب. وله في ذلك الفلم الأعلى، والفضل الأجل، والقدر الأعلى [تحققت ذلك بما وقفت عليه من أنظامة، وتلميته ممن مارس حضور خطبه وكلامه] (492)

ألف تأليف، منها تأليف في السيرة النبوية مشتمل على جزء يسع مجلداً، ومنها منظومة سماها درة التيجان، ولقطة اللؤلؤ والمرجان جمع فيها مشاهير شرفاء المغرب. وقد أبدى فيها من حسن العبارة، ولطيف الإشارة، والقيام بالأدب مع الشرفا، ومحبة الرسول المصطفى، وأوردها من مناهل التحقيق، ومن التصريف العتيق، ما لا يشك عاقل أنه من السحر الحلال، بل لا يخفى إلا على جهول أو مضمر شر تائه في مهاوي الضلال، ممن استولى عليه الجمود، وبلغ إدراكه الغاية في الاضمحلال [والجود]. ولي أولاً الخطابة في المدرسة المتوكلية بطالعة فاس، ثم وليها بعد ذلك في مسجد الشرفاء بعد موت خطيبها ولد عمه وشيخه سيدي محمد المسناوي، وبقي خطيباً به إلى أن أزعجه الشوق فرحل من المغرب بقصد الحج، وباع داره بسرعة وهباً نفسه وخرج مع الركب، فأدركته الوفاة بعد أن حج بفور طوافه طواف الوداع. ولما قرب أمره انتقع لونه وجعل يدعو ويقول: اللهم كما أبلغتني بيتك فلا تطردني عنه، اللهم احبسني عنده أو اقبط روحى معه. فلم يملك نفسه للركوب [ولم يمسك نفسه على الدابة، فحملة عليها من كان معه من أهل عشرته لإزعاج الركب بالخروج] (493) فقبض الله روحه بقرب انفصاله عن البيت، فدفن بوادي فاطمة، وأجاب الله دعاءه، وحقق رجاءه.

أخذ عن جماعة، منهم جدنا عبد السلام بن الطيب القادري الحسنى، وأبو عبد الله محمد المسناوي، [والشيخ الحسن بن رحال] (494) وغيرهم. فبرع في الفقه واللغة والسير وعلم الأنساب والأدب وغير ذلك. وكان يتنقل بالليل ويطول في القراءة والسجود، وفي أيام المصنف يفعل ذلك بعرضه داره، فخرجت زوجته تنظر إليه يوماً فرأت ضوءاً مشرقاً عليه من

(492) ساقط من ك و س.

(493) ساقط أيضاً من ك و س.

(494) ساقط منهما كذلك.

السماء وبقي نحو ما نقرأ. وتخرج به شيخ من فاس وغيرها. وقد رأيته مرة واحدة في صغري وهو يخطب على منبر جامع الشرفاء وأنا بالباب الموالي لسوق العطارين داخل المسجد، وصوته يبلغ نواحي المسجد كله إذ كان صنباً جداً - رحمه الله تعالى - (495)

أحمد بن العربي ابن سليمان

ومنهم الإمام الحافظ المحدث الفقيه العلامة المدرس المحقق النفاع، الذي حصل له من كل فن باع، أبو العباس سيدي أحمد ابن التاجر الخير الدين البركة سيدي العربي ابن الوجيه النزيه الحاذق الإخباري الحاج سليمان الأندلسي الفاسي، اشتهروا بفاس بابن سليمان، و [عقبه] هم الفاطنون اليوم بجزء ابن عامر من عدوة فاس القرويين، مشتهر بيتهم بطلب العلم والدين والمروءة والحسب. كان صاحب الترجمة أحد علماء فاس، واشتهر بتدريس علم الحديث والسير والتفسير وغير ذلك. حفظ اصطلاح ذلك ومارس كتبه. قرأ على سيدي محمد بن عبد القادر الفاسي، وولده سيدي الطيب، وسيدي محمد بن أحمد القسطيني، وجدنا عبد السلام بن الطيب القادري الحسني. ومحل تدريسه بمسجده الذي كان يؤم به، وهو الجامع المعروف بجامع الزلج بين قنطرة الرصيف ورجبة التبن من فاس القرويين، فانتفع به كثير من عامة تلك الناحية وخاصتهم وكان مولعا بنسخ الكتب، فإذا أفضى من التدريس والمطالعة بنسخ الكتب، فنسخ كتباً عديدة، فلا تراه إلا مدرسا أو مطالعا أو ناسخا أو مصلبا أو تالبا لكتاب الله عز وجل مقبلا على شأنه فيما يعنيه. ومن براعته في ذلك أنه نسخ نسخة من ابن حجر على البخاري في سفر واحد، وهو عند حفدته الآن. وممن قرأ عليه ولده الفقيه العلامة المدرس العدل الأرضي أبو عبد الله سيدي محمد، وغيره.

توفي صاحب الترجمة عام واحد وأربعين ومائة وألف، ودفن بداره بجزء ابن عامر عدوة فاس القرويين - رحمه الله تعالى - .

محمد الكبير الصفلي الرُداني

ومنهم الشريف الصالح البركة مولاي محمد بن علي الصفلي الحسني، دعي بالكبير لكبر سنه، وبالرُداني لإقامته بمدينة تارداونت. كان في أول أمره من أهل التجارة حتى حصل له منها مال كثير جدا، فنهب له في وفعة مراكش ونارداونت لشورة مولاي محمد بن مولاي إسماعيل الحسني بتلك النواحي، ثم اتبع ذلك بحرق الرسوم التي في مضمنها ما له على الناس من الديون اتسملت على مال عريض وقد أفلس الذين هم بدمتهم في نهب الوقعة المذكورة مع من مات منهم في تلك الحروب. فلما صدر منه ذلك توهموا أنه اختل عقله وليس كذلك. ثم تجرد وحدت الناس عنه بكرامات وخوارق، فكان من الناس من يقبل بديه ويطلب منه الدعاء ويعظمه.

(495) انبأنا في هذه الرحمة - كالعادة - عن المخطوطين لأنه أوفى، والحقنا به جملا معبده من ط.

توفي في رجب أو شعبان من عام الترجمة، ودفن بالمزارعة التي على رأس الشيخ ابن عباد خارج الروضة داخل باب الفتوح من فاس الأندلس (496)

العربي ابن عيشون

ومنهم المجذوب البهلول المتبرك به الشائع الكرامات، اللاتح عليه طرق الملامبة (497)، سدي العربي ابن عيشون الفاسي. حدث عامة أهل فاس وخاصتهم عنه بكرامات، وخوارق وتصرفات، ولهم فيه اعتقاد. وكان يشبر لما يقع في آتى الأوقات، ويخبر بالمغيبات. أخذ عن الشيخ مولاي التهامي بن محمد الشريف اليملحي العلمي الحسنى دفين وزان.

توفي قتيلا يوم عاشوراء. وكان قد وقع على مدينة فاس حرب عظيم، أهدت بها الجيوش من كل جهة، وقصدوا دخولها دفعة، فحاربهم أهل المدينة من أسوارها ولم يخرج عن السور منهم إلا القليل، فهزم الله تعالى الجيوش كلها واستنفذها وجميع أهلها فردهم خائنين. ومن صنع الله ولطفه أن لم يمت سوى صاحب الترجمة، لأنه خرج عن باب المسافرين فأصابته رصاصة فقتلته. وحكوا أنهم منعوه الخروج أولاً خوفاً عليه، فقال إن لم تتركوني أخرج لتدخلن على أولادكم العبيد، يشير إلى أنه المتصرف من الله في ردهم عن المدينة، وأنه افتداهم برقبته، هكذا زعم غير واحد والله أعلم بحقيقة ذلك. وتقدم سبب نزول هذا الجيش على فاس، وسيذكر ما آل إليه الأمر بعد ذلك إن شاء الله.

من حوادث السنة

دخول عبد المالك إلى فاس ومحاصرة أخيه أحمد لها

ومن حوادث السنة أنه لما دخل المحرم فاتح السنة، وكان السلطان مولانا عبد المالك ابن مولانا إسماعيل الشريف الحسنى دخل مدينة فاس بقصد أن ينصروه ويقاتلوا من خرج عليه مع من بمكت على بيعته من القبائل، وطمع أن يجتمع عليه قبائل المغرب وسوس، فحاول أخذ المدينة البضاء فاس الجديد المرينية ويستوطنها لأنها دار الخلافة، ويخرج منها الأودابة الخارجين عليه لأنها ليست لهم، وإنما هم فيها إذابة على أهل فاس الإدرسيه. فقاتل الأوداية المنحصرين بها بعد نهب ما هو عندهم خارج عنها من مواش ونحوها في عزائبهم. وأرسلوا صارختهم للعبيد، فجاءوا مسرعين ومعهم السلطان مولانا أحمد الذهبي ابن مولانا إسماعيل الشريف الحسنى، وهم لا يشكون في دخولهم فاس وعبثهم بأهلها كما فعلوا بمكناسة. ففر أهل سوس الذين جاءوا مع مولاي عبد الملك من سوس إذ علموا أن لا

(496) ترجمة الصفلي ساقطة من ط.

(497) في ك. الملاحات. وما أثبتناه عن س أنسب.

طاقة لهم بالعبيد الذين جاؤوا بمولاي أحمد فأدرك العبيد البعض من أهل سوس على وادي سبو، فنهبوا لهم كثيراً من أموالهم وبعض العيال وسلم جلهم.

في تاسع المحرم قدم على السلطان مولاي أحمد من بقي من جيشه من قبائل المغرب، فأحاطت الجيوش بمدينة فاس كالخاتم. فلما أصبح يوم عاشوراء مبرز جيش العبيد على فاس وأحاطوا بها إحاطة السوار بالمعصم، وقصدها دفعة واحدة، ولم يخرج لهم واحد من أهل فاس، وإنما حاربوهم من أسوارها فقط. فلم يحصلوا على شيء، فسرى عن أهل فاس بعد أن كان داخلهم دهش عظيم. ثم كتب لهم مولاي أحمد رسائل يدعوهم إلى خلع مولاي عبد الملك والدخول في طاعته، فامتنعوا، وهو في ذلك مساعف للعبيد، وإلا فقد كان حاله إنما يريد الراحة، لكن كان الأمر والنهي للعبيد، ولبس له من الملك إلا الاسم بلا مسمى، وهو تابع لأمرهم ورأيهم، لا يقطع أمراً إلا بما يأمرونه به. وبهذا استعذر أهل فاس وامتنعوا من الدخول تحت حكم العبيد. ثم حمي وطبس الفتنة وبقي الحرب سجلاً.

قتال بين العبيد والقبائل المناصرة لعبد الملك

تم ورد الخبر بأن سفيان وبني مالك وشراكة وأولاد جامع والحبانية بأنهم يريدون أن يجتمعوا ويأتوا لنصر مولاي عبد الملك لأنهم بافون على عهدهم ولم يخلعوا بيعته. فوجه لهم العبيد جبشاً سار إليهم فاقتنلوا معهم قرب وادي إبنول، فانهزمت القبائل وبقي منهم قتلى كنيرون حجزهم الوادي عنهم، ومن جملة من قتل مع القبائل الوزير المتولى جمعهم وزير مولاي عبد الملك مولاي المنتصر بن مولاي إسماعيل الحسني، وحمل إلى فاس ودفن بروضة سدي الخياط بالدوح من فاس الفروبن، قتله الأوداية وأرسلوه مع بعض المسجونين من أهل فاس، قصدهم بذلك ليتحقق مولاي عبد الملك هزيمة جيشه. فحينئذ شس وانقطع رجاؤه من المدد، وتدد العبيد الحصار على فاس وقطعوا الماء عن عدوة القرويين وأدنوا محلثهم لسورها، ونصبوا عليها الأنفاط والمهارس، ورموها بالكور والبُنْب من كل جهاتها، وأحاطوا بها بالاشبارات، فكان بينهم وبينها أفل من رمبة مكحلة. وربما كان رصاصهم يبلغ سطح الدور من بعض جهاتها فيصيب من يكون بالأسطحة.

ووقع ضيق عظيم بالمدينة وهدم بالبُنْب كنير، وموت من النساء والأطفال ومن لا يستطيع منعها ولا دفعها من الرجال العاجزين عن القتال. واللفظ والحمد لله مع ذلك حاصل في جميع الأمور. ونهب أهل المحلة المرس الكبير الذي بين سبدي على ابن حرازم وسبدي الحسن الدراوي إلى سور المدينة، وحطبوا الأشجار وتجلدوا وتوقفوا على دخول فاس. وتجلد أهل فاس وأخلوا من المدينة الدور التي يصل إليها الرمي بالكور والبُنْب. واقتصروا على سكنى ما لا يصل إليها، ورنسوا الحرس على الأسوار بحيث لا تخلو ممن يعمرها، وحفروا واديا خارج السور محطاً به، وآخر أبعد منه من جهة باب الجيسة، وتجلدوا للمدافعة عن أنفسهم وعن أهل المسكنة من المومنين الذين لا يستطيعون دفعاً ولا منعاً

العاجزين عن القتال وعن المنع أو القبول بالقول باللسان، متوجهين إلى الله تعالى في اللطف والنجاة وإخماد الفتن، متضرعين إلى الله لاتذنين بحمائه وحمى رسوله وأوليائه. وظهر من ذلك لطف عظيم في أمور عظيمة، وأهل المدينة في ذلك كله يسايرون الجيش ويخرجون له خارج السور ولا يرضون بالاعتصار عليه، وكان جيش عظيم مجموع ما بين العبيد والقبائل حزره أزيد من مائة ألف. ثم إن القبائل التي انهزمت باينول أعادوا الجمع ثانيا لنصر سلطانهم والمدافعة عنه ما أمكنوا، وجعلوا يترقبون الفرصة كيف يصلون إليه إلى فاس من الجيش المحيط بها، واستقروا بموضع يقال له نبسة من بلاد الحسانة. وكان العبيد بنهبون زرع الحسانة الذي في أمراسهم وياتون به للمحلة. فخرج العبيد لنهب زرع الحسانة على العادة فرصدهم القبائل المجتمعة بتسعة وافتتلوا وهزموا العبيد وقتلوا رئيسهم ونهبوا لهم من الدواب ما يزيد على ستمائة. فلما وصل ذلك للعبيد أرسلوا جيشاً منهم ومن الأوداية وتقابلوا للقتال بتيسة أيضا، فغلبهم جيش العبيد وهزمهم، وتفرق القبائل في الجهات ولم يتبع العبيد إلا سفنان لكثرة حقدهم عليهم، حتى أدركوا حلتهم بالزيتون المطروح، فأوقعوا بهم وفعة عظيمة من القتل والسبي والوثوب على النساء والأبكار بالوطء والفضيحة، ولم يكف السلاح لا عن الأطفال ولا عن الكلاب.

هتك العبيد حرمان شرفاء وزان

فلجؤوا لحرم وزان ظنا منهم أن يتركوهم حت اسحرموا به ويمتنعون، فلم يستحرموه ولم ينفعهم شئاً، واستأصلوا بفبتهم، ونهبوا ديارهم وديار الشرفاء أهل الحرم، ولم يجيروا من استجار بالروضات وغيرها. وكانت هذه الواقعة بوزان على الناس من أعظم المصائب، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم. قال تعالى: «الذين يؤذون الله ورسوله لعنهم الله» الآية. قال القاضي عياض: ومن توقيره وبره صلى الله عليه وسلم توقيراً أهل بيته وبرهم، من إذايته صلى الله عليه وسلم إذايته أهل بيته. وفي الصحيح: (فاطمة بضعة مني) الحديث. قال الشيخ زروق: وللجزء من الحرمة ما للكل، وللعبيد من الحرمة ما لسبده الذي نسب إليه. انتهى. وفي الخبر: (سلمان من أهل البيت)، لأن سلمان كان ليهودي واشتراه صلى الله عليه وسلم وأعتقه، فسلمان من مواليه. وكانت هذه الواقعة بوزان في الخامس والعشرين من صفر.

نشد العبيد الحصار على فاس

ورجع حينئذ العبيد من وزان إلى فاس وقد داخلهم من العجب ما أطمعهم بالاستيلاء على فاس والبطش بها فأجمعوا على دخولها. ففي رابع عشر ربيع النبوي سردوا جيشهم على أن يدفعوا عليها دفعة واحدة من كل جهة، وعلامة ذلك خروج نفص من كل محلة عند الفجر

على حين غفلة من أهلها. فكان من لطف الله أن أخبر بذلك بعض أهل المخزن (498) بعض من له الصيت بفاس بالصلاح والولادة، فدفع الرسالة التي أتته من المحلة إلى أهل فاس، فباتوا على طهر يرتقبون ذلك. فلما خرجت الأنفاض كان أهل المدينة على حذر، فإذا هم من كل حذب ينسلون إلى أسوار المدينة، وجاء العبيد بالسلام كل سلوم بسع العشرة في الدرجة الواحدة منهم. وكانوا حفروا تحت بعض الأسوار قرب سيدي الحاج بودرهم منة وجعلوا فيها البارود وأرسلوا عليها النار. فمن لطف الله صعد السور بالبارود ورجع لمحلته وتعد (كذا) شيئا والحمد لله. فرجع العبيد لفسطاطهم خائبين ولم ينالوا منها شيئا. ولما طلع النهار ووضعت الحرب أوزارها أصبح قتلى العبيد صرعى على كل ناحية، وأكثرهم بباب الفتوح، وهم عدد كبير. فمن هذه الواقعة ينسب العبيد من دخول فاس عنوة واستبشر أهل فاس وزال عنهم الفزع. ثم توجه العبيد إلى الخدع والمكيدة واجتهدوا في إرسال البُنب والكور، وطال الأمر وانقطع من يقوم بدعوة مولاي عبد الملك من كل موضع، فلم يبق لذلك بقية سوى فاس، وانقطع منها الصابون واللحم وجميع ما يوتى به من خارجها، إلا أن الزرع والإدام كان بها كثيراً في هذا الحصار.

إبرام الصلح بين العبيد وأهل فاس

وبقى كل من الفريقين مصابراً للآخر حتى كان النصف من جمادى الأولى ترأسوا في الصلح (499) على أن تكون القصبستان والبستونان بأبدي مولاي أحمد، وبجعل فبها من يقوم بدعوته فيهم خاصة، ويكون سلطان فاس مولاي عبد الملك، ويرجع مولاي أحمد إلى مكناسة وجبته إلى محله، ويخرج مولاي عبد الملك للمحلة يصطحب مع أخيه مولاي أحمد ويرجع إلى فاس، وحينئذ يمكن مولاي أحمد من القصبتين والبستينيين. فخرج مولاي عبد الملك للصلح مع أخيه من ضريح مولانا إدريس صحبة العبيد متجلدا مظهرا عدم الإكراه عليه على الخروج للصلح والملاقة بأخيه مولاي أحمد، وذلك يوم الخميس الحادي والعشرين من

(498) هنا في هامش طرة نفسها: «هو صالح بن صالح الأودي، وكان من أصحاب السخ مولاي السهامي، والمراد ببعض من له الصيت سيدي محمد بن التهامي المذكور كان نارلا بحومة الشرشور.

(499) ها في الحوليات زيادة تفصيل: وفي يوم الخميس الحادي والعشرين من جمادى الأولى من العام دخل المدينة الباشا سالم الدكالي ومعه بعض رؤساء الحد من العبد نحو الخمسين بعهد إبرام الصلح معهم، ودخلوا لعينه مولانا إدريس - نفع الله به - وبكلموا مع أهل المدينة في الصلح سنهم وبس السلطان مولاي أحمد، وأعطوهم الأمان عن إدنه وأمره وتم الصلح بينهم وأبرموه على ذلك معهم ودخلوا بذلك في طاعة مولاي أحمد ونصروه. وخرج مولاي عبد الملك من الحرم الإدريسي مع الوصفان (بعدهما) أمته الباشا سالم الدكالي وغيره ممن معه من رؤساء العبيد وأعطوه من العهود والمواثيق... منهم ومن أخيه ما لا مزيد عليه. وركبوا حيولهم وخرجوا على باب فسوح، وانقطع القفال وهدأت العنتة وأطمأن الناس وطلعوا إلى مولاي أحمد لفاس الجديد وتلاوا به وقال لهم خيرا ورجعوا في أمان الله. وتلاى معه أخوه مولاي عبد الملك وحاطه بخير، ورحل المحلة من الغد وذهبوا إلى مكناسة الزيتون على نلك الحال من الذلة والهوان وسجوه بدار الباشا امسائل من رؤساء العبيد مده إلى أن قتل محنوقا ليلة الثلاثاء الموافق من رجب العام - رحمه الله - وتوفي أخوه السلطان مولاي أحمد بعده نحو ثلاثة أيام أو أربعة في الرابع من شعبان العام. قيل إنه كان مريضا، وقيل إنه مات مسموماً، والله أعلم».

جمادى الأولى. فلقبه أخوه وأظهر له البشور والبرور، ثم قبض عليه وأرسله إلى مكناسة صحبه الباشا مساهل. واشتد المرض بمولاي أحمد.

قتل العبيد عبد المالك وأحمد ابني مولاي إسماعيل

وفي آخر يوم من رجب فشا في الناس أن مولاي عبد المالك قتل بمكناسة، فسقط بأيدي أهل فاس وتحققوا أنها مكيدة من العبيد خدعوهم بها. فناصروا حنئذ مولاي أحمد وأعلنوا بنصره. ولما رأى العبيد ما نزل بمولاي أحمد من المرض حملوه في محفة إلى مكناس وارتحلوا صحبته ولم يطلبوا أهل فاس ما اصطلحوا معهم عليه من إعطاء الفصبتين والبستيونين، وبوصله إلى مكناس مات مولاي أحمد في رابع شعبان من عام الترجمة، وبقي كثير من الناس من يكذب بموت مولاي عبد المالك. وقوم يعتقدون حياته وأنه سيجتمع عليه جيش ويظهر. وربما باع بعضهم متاعه إلى أجل ظهوره ويخلصه المشتري فيه أجلا منصرما. فلما تحقق موته بعد موت أخيه مولاي أحمد علم الناس حق من بزعم أنه حي لم يمت. وفي مدة هذا الحصار واشتغال السلطان بمكائد القتال كثر النهب والفتن بين سائر قبائل المغرب، وكثر القتل وسفك الدماء، فماتت خلائق لا يحصون، وكان أن يهلك جمع من في المغرب من خاص وعام لولا لطف الله المرجو في الشدة.

البيعة الأولى لمولاي عبد الله بن مولاي اسماعيل

تدارك (الله سبحانه) عباده المومنين بجوده ورحمته، وجمع كلمتهم على بيعة الخليفة الإمام، أمير المؤمنين مولانا السلطان المظفر الهمام، أبي محمد مولانا عبد الله ابن الخليفة المنصور بالله أمير المؤمنين اسماعيل ابن السلطان مولانا الشريف ابن المجاهد المناغر مولانا على الشريف الحسني السجلماسي. فكان طالعه سعيد (كذا) ورحمه الله عم بها القريب والبعيد. اختاره الله من صميم أهل البيت الطاهرين أبناء مولانا رابع الخلفاء الراشدين. أدام الله بهم حماية الإسلام، ومتع المسلمين في ظلهم على الدوام. فبوع الخليفة أمير المؤمنين مولانا عبد الله المذكور بحضرة مكناسة دار الخلافة، فبايعه كافة الجيش وجميع الناس، ولم يتخلف عنه أحد بعد وفاة أخيه مولاي أحمد في رابع شعبان عام أحد وأربعين ومائة وألف من الهجرة النبوية. وكان حينئذ بتايفاليت فبعثوا إليه البيعة واستدعوه للقدوم إلى المغرب، فوصل إلى فاس مهل رمضان، فدخل فاس بفصد زيارة مولانا إدريس. وكان حمدون الروسي خلفه، وكان عدواً لأهل فاس، إذ كان ولد أخيه قائدهم أبو علي بن عبد الخالق ووثبوا عليه وقتلوه بعد وفاة مولانا إسماعيل. فسبوه خلف السلطان مولانا عبد الله، فأنف السلطان من فعل ذلك به وهو خلفه، وغضب ورجع مسرعاً ولم يزر مولانا إدريس. وكان دخوله من باب الفتوح. فلما وقع ما وقع وغضب ترك الدخول لمولانا إدريس والمرور به ومر على القنطرة بين المدينتين على باب النقبة على البليدة وخرج على باب الجيسة وسار إلى

فاس الجديد، فنزل بقبة النصر، فصعد إليه أهل فاس الإدريسية وبابعوه في فاس الجديد. ففرق بين أشرف فاس وطلبته ألف دينار ذهباً إسماعيلية، ثم رحل إلى مكناسة وأرسل لسائر قبائل المغرب ومداشره بإعطاء الخيل والعدة، فدخلهم دهش وأسرعوا في إعطاء ذلك.

امتناع أهل فاس على مولاي عبد الله ومحاصرته المدينة

وفي مهل شوال أرسل لأهل فاس بتسليم القصبتين والبستيونين لأنهما لجانب السلطنة وليست للربعة وتوعدهم إن لم يفعلوا. وتعددت الرسل بينهم وبينه فامتنعوا على ذلك خوفاً من أن يواخذوا بما أهدنوا بعد موت أبيه، فتجلدوا على الامتناع بعد أن رضوا بإعطاء الوظائف المخزنية التي كانت تلزمهم حياة السلطان مولانا إسماعيل، ويعطون المراهن منهم في ذلك، فأبى وأبوا. فأرسل لحصارهم الجيوش في النصف من شوال، ثم قدم بنفسه وحاصرهم من كل ناحية، واجتهد في رمي البُنب والكُور كأول مرة (500)، وضيق عليهم وصار بغادهم بالقتال ويرواحهم، فصابروا وأرسلوا الإمام الولي الصالح سيدي أحمد الحبيب بتأفيلالت يستغيثون به ويطلبون الشفاعة فيهم، فأرسل إلى السلطان ولده سيدي حمزة وأخاه الصالح، فوصلوا إليه وكلموه فأبى إلا أن يعطوا القصبتين والبستيونين. فدخلوا لفاس ورغبوا من أهلها بذل ماطلب السلطان، لأنه أسهل من زيادة معاداته، فأبوا، فخرجوا عنهم وجدوا في الحصار، فتعددت الوقائع معه، ثم إن الزرع غلا بفاس إذ كان أول الحصار على حين فراغ المخازن من الزرع أول دخول فصل الصيف، والزرع كله باق بفدادنه لم يحملوا منه ولا غيره شيئاً. فلما اشتد عليهم الغلاء ألقوا بأنفسهم في المهالك وخرجوا في عشية [إلى المحلة] التي قائدها موسى الجراري بوادي المالح فوثبوا عليه ففر أو هلك واحتوى أهل فاس على جميع ما فيها ومنفضين عظيمين كانا فيها فجروهما إلى باب الجيسة. ومثل ذلك فعل آخرون من أهل فاس بالمحلة التي كانت بسبدي أبي جسة، واستبشر ضعفاء العقول بذلك وفرحوا. ثم بعد ذلك بأيام قامت غوغاء من بعضهم فخرجوا إلى السلطان يطلبون منه الصلح، فأبى أن يترك شيئاً من شروطه، وعدد عليهم فعالته، فعادوا لما كانوا عليه فبقوا مدة. ثم إن السلطان عزم على أخذ القلعتين اللتين خارج باب الجيسة فصباحهم قبل طلوع الشمس في غفلة، فاستولى جيشه عليهما، فخرج إليه أهل فاس

(500) ها زباده بيان في الحوليات: «حتى كان يرميها في كل يوم سحر السعمن من الكور وما سف على العشره من السب، ومثل ذلك كله فلم تتضرر بذلك أحد من أهل فاس المقانيل ولا من غرهم... سوى ذات مره سقطت نبيه منها يوم جمعه بمسجد إدريس - بفع الله به - والإمام بخطب على المنبر، والمسجد غاص بالساء على المعارف، فلم يعمر بها سوى رجل واحد مات بالأقدام من أهل شدة الزحام عند فرار الناس من المسجد، وخرج الناس منه من غير صلاة... وكان الصبان الصغار يحكون ذلك ويضحكون منه».

ففي الحين وجدوا في قتالهم حتّى أخرجوهم منهم بعد أن أحاطوا بهم، فما أنجاهم إلا أن ألقوا بأنفسهم من الشواهق، واستولوا على من بقي بأيديهم قتلا وأسرا. فتحقق السلطان أن لا سبيل لاقتحام المدينة. ثم بعد أيام وقع الصلح معه على أن يعطوه ما طلب بشرط أن يؤخر ذلك نحو الشهرين، ويعطوه المراهن على ذلك. فخرجوا بهديتهم وفرح بهم وخلع على كبارهم، وأعطى الشرفاء والطلبة ألف مثقال فضلة دراهم، فوفوه بالشرط وفتحوا المدينة، وأسكن عبيده بالقصبتين والبستيونين، ورحل عنهم لمكناسة دار ملكه، تاسع عشر ربيع النبوي من العام الذي بعد هذا، وهو عام اثنين وأربعين (501).

تذكرة المحسنين

أحمد بن علي الوجاري

اللقبه العلامة التحرير، الهمام المشارك الشهير، أبو العباس سبدي أحمد بن علي الوجاري، ودفن بالقوس المبني داخل روضة العارف بالله سيدي محمد بن عباد رضي الله عنه.

محمد بن محمد الدلائي

والشيخ الإمام العلامة الهمام الجامع لمحاسن الأوصاف أبو عبد الله سيدي محمد بن محمد بن محمد بن عبد الرحمان الدلائي، حصل له شوق مزعج فباع داره ومالا بدمنه وتوجه لبيت الله الحرام صحبه الركب السعيد، فلما وصل إلى مكة المشرفة وحصل منها مرغوبه وتم حجه وطاف طواف الوداع تغير حاله وجعل يقول في دعائه: اللهم كما أبلغتني بيتك فلا تطردني عنه. اللهم أجلسني عنده أو اقبط روعي معه، فخرج وهو كذلك لم يملك نفسه للركوب فحمل، وبنفس انفصاله عنه توفي ودفن بوادي فاطمة.

(501) حوادث هذه السنة الطويلة من ك و س وقد اختصرت في نحو صفحين في الحوليات. وفي بضعة أسطر في ط.

العام الثاني من العشرة الخامسة

إدريس المشاط

فمنهم الفقيه العالم الأستاذ القاضي سيدي إدريس [بن المهدي] (502) المشاط (503) به دعي، [المنافي، هكذا هذه النسبة عند قبلته، وقد رأيتها في رسوم قديمة مؤرخة بسنة خمس وستين وتسعمائة مجردة من غير زيادة وصف عليها في رسوم متعددة بعد ذلك التاريخ، وهي ليست محصورة في القرشي عبد مناف ابن قصي بن كلاب، لأن النسب له لم تصل إليه إلا من أحد أولاده الأربعة: هاشم، وشقيقه المطلب، وعبد شمس، ونوفل، فيقال هاشمي، ومطلب، وعبد شمسي، ونوفلي. هذا هو المتعارف. وإذا قيل في أحد هؤلاء منافي فلا بد من البيان من أي أولاد عبد مناف هو. هذا هو المعروف المذكور عند النسابين. وعبد مناف أيضا في بني عبد الدار، ولكن نسبة هذا عبدري لا منافي، لشهرة عبد الدار. وعبد مناف أيضا في بني مخزوم، وهو والد السيد الأرقم الصحابي من السابقين الأولين. ونسبة هذا مخزومي لا منافي أيضا. وعبد مناف في بني تميم الأردم، وهو عبد مناف بن سعد بن جابر بن كثير بن تميم الأردم. ومناف معروف في بني دارم من بني تميم. وعبد مناف في بني سلول، وهو عبد مناف بن قيس بن حبشية بن سلول. كل هذا من جمهرة ابن حزم وغيرها. وقال الرشاطي: وفي عامر بن صعصعة عبد مناف بن هلال بن عامر بن صعصعة. انتهى. فنسبة صاحب الترجمة محتملة لكل من ذلك على حد السواء، إلا أن بتبين ترجيح إلى أحد ممن ذكر... [504]

ولي صاحب الترجمة قضاء تادلا وخطبة مسجد الأندلس ثم سافر للحج، فتوفي عام الترجمة، ودفن بعجود [من طريق الحجاز قرب مصر] (505).

محمد بن إدريس العراقي

ومنهم [الشريف الكبير] العالم النحوي [الشهر، المدرس الإمام، المحقق الهمام، أبو عبد الله] (506) مولاي محمد بن إدريس العراقي الحسيني [أحد أئمة النحو والعروض

(502) زيادة من ك و س

(503) في هامش ك طرة نصها: «كاتب مولاي أحمد الذهبي ابن مولانا إسماعيل الحسي».

(504) ما بين معوفتين - وهو معظم الترجمة - ساقط من ط، مثبت في ك و س.

(505) ساقط أيضا من ط، ثابت في مخطوطي ك و س.

(506) ساقط كذلك من ط.

بقاس. كثر فيها تدريسه فأفاد كما استفاد، وانتفع به الحاضر والباد. ألف تأليف عديدة موجودة في مبيضتها بخط بده، وقفت منها على شرح على أرجوزه شبخه عبد السلام الفادري أخرجته من مبيضته وهو على ملكي الآن في علم السر، وشرح على الجروسة أبضا، وحاسبة عليها أبضا، وشرح على لامية الأفعال، وشرح على الجمل، وشرح على ألفيه العراقي في اصطلاح الحديث، فكتب منه بسيراً ولم يكمله، وتقييد على شمائل الترمذي، وكتر من المقدمات، وقد وقفت على الجميع عند ولده شيخنا مولاي إدريس (507) فأخذ عن جماعة من شوخنا كالإمام سبدي محمد بن سيدي عبد القادر الفاسي، وجدنا عبد السلام بن الطيب القادري الحسني وغسهما. وأخذ عنه عامة من أدركنا، وتولى درس النحو بمسجد القرويين بالكرسي الذي عن يمين الداخل لها من باب الكتبيين. وتوفي في العشرين من ربيع الثاني عام اثنين وأربعين ومائة وألف، ودفن في روضة ابن عبد الرزاق قرب سيدي أبي غالب من حومة سريوة داخل باب الفتوح عدوة فاس الأندلس. وله أولاد وأحفاد كلهم علماء نبلاء بارك الله فيهم، ولهم مصنفات لم يؤلف فيها مثلهم. ورثاه الأدب اللغوي النجب سيدي عبد المجيد بن علي المدعو بالزبادي فقال:

ألا في سبيل الله ماذا بلاقى فؤاد مسح مؤلم بفراق

(507) ما بين معقوتين سافط من ط، مسبت كله في صلب س، وبعضه في طره لك.

مثل النجم هل ذاق ما في سامية
 دهنتي دواهي الدهر بغتنا وفجاء
 فقلبي كنيب مستهان متيم
 وكيف وشمس الأفق قد حال لونها
 وأما السما فاشعر وأريد لونها
 ولمما رأتنى ساهرا هاج ما بينا
 وما داك إلا من أساه وخزنها
 من اختصار ضم العلم للعلم والند
 قد احتصة الرحمان بالبحر كله
 وعلم عروس والقوافي وشيها
 إني علم دين عاملا محدود
 هو العالم العلامة العلم الذي
 وحاز النهي والفصل والعدل والتقى
 ومن لست أنسى دائما حسن درسه
 محمد الأسمي ابن ادريس نجل من
 أولئك قوه ينتبون لسيد
 رسول أتى بالدين والحق والهدى
 عليه صلاة الله مع آله الأئمة
 وإني لمؤثفوف على باب ربهم
 وإني لمؤثفوف بخدمه بيتهم
 آل رسول الله دمسعي عليكم
 ونظمي رثاكم في بديع نظاميه
 وإني لحسان المديح وإني
 ولكنني في ذا المقام مقصّر
 لقد فقتم آل الرسول سواكم
 فماذا عسى المخلوق يبلغ جهده

وهل لي من عهد العراق راق
 بحسنة بن ما نينا من قراي
 وعيني كان الدمع مهب سوي
 ويذر الداحي احد في محاي
 ومن بعد ذلك حات عجب دفاق
 فساها وعيهاها دمع قراق
 على المرتضى الأوصى الشريف العرفي
 إني سيرة مكي يعبر شعوي
 وما قد حوى من عامض ورفاق
 وأشساه فذني من معاني دفاق
 إلى غير هذا من عنود رفاق
 حوى المكرّمات مع رفيع المراق
 وحاز الشها في رفعة وتراق
 ولو بلغفت ووحى لأدنى تراق
 لهم سسس أريت على كل راق
 سري نبيلة للقدس فوق راق
 فكان لداء الجليل أنفق راق
 على حبهم اكذبا خريت رواق
 على ودهم أفني وشييري باق
 وإني لهم رق بغسيري إباق
 تنانير من طرفي لفرط اتنيباق
 لنالي سيمط نظمت في سياق
 لخنسا رتا ووخها في سياق
 ويعذر صب في غناء وساق
 وسدثم بإحراز خصال سياق
 ولو جا بتوجيه وحسن طباق

فتربوه طولَ المَدَى بفراقكم
أمولائيَ عبدَ القادرِ بنَ مُحَمَّدٍ
افترنى صبي إخواننا رضى (كذا)
فما الدهرُ والأنامُ إلا كَمَا نَرَى
وإن الإمامَ الحبرَ إنْ غَابَ شَخْصُهُ
سَقَى اللهَ أرضاً حَلَّهَا بهوَاطِلُ
عليه تَحِيَّاتُ شَذَاهَا مُمَسِّكُ
وجاهله مَا إنْ لَدَى خَلَاقِ
ابن إدريسَ إن الصَّبْرَ للأمنِ راقِ
فلو يقبلُ الإفْدَا فُدى بيوانِ
مِمَاتُ حَبِيبٍ أَوْ فِرَاقُ رِفَاقِ
فإنَّ الثَّنَا باقٍ لِيَوْمِ المَسَاقِ
مِنَ الرَّحْمَاتِ صَوَّبَهَا باندِفَاقِ
بِعَفْوٍ وَغَفْرِ مَا لَهُ مِنْ نَفَاقِ (508)

عبد القادر بن محمد بن إدريس العراقي

قوله أمولاي عبد القادر هو وكذا صاحب الترجمة توفي أواسط جمادى الأولى عام
اثنين وأربعين ومائة وألف.

[إدريس العراقي - الحفيد -]

والموجود الآن من أولاد صاحب الترجمة العالم المحدث أبو العلاء مولاي إدريس
المولّى روايات السير بالكرسي الذي بباب محراب القرويين صباحاً ومساءً، والمنذري بعد
صلاة العصر، والحلية قبله بكرسيين بالقرويين أيضاً، والإمامة بمسجد السمارن بالرصيف
من فاس القرويين.

محمد بن محمد الفاسي

ومنهم العالم العلامة المشارك الفهامة المدرس التحرير الخطيب القاضي أبو عبد الله
سيدي محمد بن سيدي محمد بن العلامة سيدي محمد بن المحدث سيدي أحمد ابن الصوفى
سيدي يوسف الفاسي. تقدمت تراجم من عدا والده. كان صاحب الترجمة من الحفاظ المتقين،
عذب العبارة، حسن الإشارة، ممن له عارضة اللسان في التدريس والخطبة والفتوى، ولي
قضاء فاس الجديد المرينية، ثم أخر عنه، ثم ولي الإمامة والخطبة بمسجد مولانا إدريس
بزرهون، ثم [ولاه] (509) أمير المؤمنين الخليفة مولانا عبد الله بن المنصور بالله السلطان
مولانا إسماعيل الحسنى (510) الخطبة والإمامة والتدريس بمسجد قصبه دار الخلافة
بمكناسة. أخذ عن سيدي محمد بن أحمد القسمطيني، وجدنا عبد السلام بن الطيب القادري،

(508) هذه القصيدة - كمعظم الترجمة - ساقطة من ط.

(509) ساقط من س.

(510) في ط: أن خطب بالسلطان مولانا إسماعيل، تم خطب بولده مولانا عبد الله

وعن شريكه بالأخذ عنهما سيدي محمد المسناوي. [وأخذ عنه كثر من طلبة فاس وغيرهم] (511). وتوفي ثاني جمادى الأولى عام اثنين وأربعين ومائة وألف، ورثاه سيدي عبد المجيد الزبادي فقال:

نارُ الفراقِ أخي أبَت أنْ تَنْطَفِي
عطفاً على رَمَقِي وَلِنَ وتَلَطَّفِ
فالجِسمُ لم تَبْرَحْ بذوبٍ تأسفاً
والسَّقَمُ يَجْرى في الجوانحِ والحَشَا
أفهل يُساعِدُنِي امرؤُ في ذا الجَوَى
كلاً يُساعِدُنِي لَبِيبٌ مُنْصَفِ
فأعوذُ بالرحمانِ من جِزَعِ النَّوَى
شاهدتُ يومَ البَينِ هَولاً هائلاً
بمحمد بن محمد بن محمد بن
مَنْ حاز كُلَّ فَضِيلَةٍ وَجَلالَةٍ
العالمِ العلامَةِ الحَبْرَ الَّذِي
مَنْ قَوْلُهُ في الحَقِّ سِيفٌ صَارُمُ
طودُ الفِهومِ يَحُلُّ كُلَّ عَوِصَةٍ
بحرِ العُلومِ طَوِيلُهَا وَمَدِيدُهَا
ما شئتُ مِنْهَا سَلُّ يُجِيبُكَ بِدِيهَةٍ
ضَمَّ الفُرُوعَ إلى الأُصولِ وخاضَ في
ناهيكَ مِنْ شَهْمٍ سَرِيٍّ مَاجِدِ
كَلَفِ النُّدا والِحَلَمِ والإِعْراضِ عَن
أَلَفِ الفِصاحَةِ والبلاغَةِ والبَرا
وإذا تَراهُ وَعِندَهُ في دَرَسِهِ

والموتُ لِلأُخْيَارِ حَقّاً يَصْطَفِي
فَعَلَيَّ هَذَا البَينُ لَمْ يَتَعَطَّفِ
والعينُ تَهْمِي بالدموعِ الذَرَفِ
والقلبُ مُتَبَوِّلٌ بِوَجْدِ مُتَلَفِ
والوجدِ والأشواقِ أَمْ لَمْ يُسْعِفِ
وَيَلُومُ في ذا الوجدِ مَنْ لَمْ يُنْصَفِ
وأعوذُ مِنْ شَرِّ الفِراقِ المُرْجَفِ
يُنْسيكَ مِنْ أهْوالِ هَولِ المَوْقِفِ
مِنْ أَحْمَدِ بْنِ أَبِي المَحاسِنِ يوسُفِ
حَقّاً كَمَا نالَ الجِمالِ اليوسُفِي
واقى على أَعلى السَّنامِ الأشْرَفِ
يُغْنِيكَ عَن حَمَلِ الطُّبَا والمِشْرِفِ
في كُلِّ عِلْمٍ رائقٍ مُسْتَظَرَفِ
وعَرِيضُهَا وبَسِيطُهَا المُسْتَظَرَفِ
بالحقِّ والتَّحْقِيقِ لَمْ يَتَوَقَّفِ
بحرِ المَعانِي سابِحاً لَمْ يَتَلَفِ
كَلَفَ الجَمِيلِ وَغَيرَهُ لَمْ يَكْلَفِ
مَنْ قَد جَنَى كَلِفاً بِغَيرِ تَكْلَفِ
عَة في العُلومِ وَغَيرَها لَمْ يَأْلَفِ
طُلَّابُ عِلْمٍ قَلَّتْ يابَدُرُ اخْتِصَفِ

لو أَنَّهُ أَهْدَى إِلَى بَدْرِ السَّيْمَا لَتَمَامِهِ فَضْلَ السَّنَا لَمْ يَخْسِفِ
 نَادَاهُ دَاعِي الْمَوْتِ هَلْ مِنْ مُشْفِقٍ لِلْقَائِهِ لَبَّى وَلَمْ يَسْتَنْكِفِ
 وَهَوَاهُ لَوْ يُفْسِدِي لَكُنْتُ فِدَاءَهُ مَنْ تَفِدِهِ بِالرَّوْحِ لَيْسَ بِمُسْرِفِ
 صَبْرًا أَبَا حَفْصٍ عَلَى مَا قَدْ عَدَا فِينَا مِنَ الْأَحْزَانِ مَا لَمْ يُوصَفِ
 لَكِنْ رَأَيْنَا الصَّبَرَ أَحْسَنَ جُنَّةٍ عِنْدَ الْكُرُوبِ بِهَا اكْتَفَى مَنْ بَكَتَفِي
 فَتَخِذْتَهُ حِصْنًا لِكُلِّ مَلْمَأَةٍ فَمَنْ اسْتَجَارَ بِهِ مِنَ الْبَلَوِ شَفِي
 اللَّهُ يُعْظِمُ أَجْرَنَا وَيُمِدُّنَا بِالْعَفْوِ وَالْغُفْرَانِ وَاللَّطْفِ الْخَفِي
 وَعَلَى أَبِي عَبْدِ الْإِلَهِ مُحَمَّدٍ أَزْكَى سَلَامٍ مُتَحَفٍ وَمُشْرِفٍ
 مَا ارْتَحَ لِلْأَلْحَانِ صَبٌّ مُنْشَدًا نَارُ الْفِرَاقِ أَخِي أَبَتْ أَنْ تَنْطَفِي (512)

الحسين بن محمد بن علي ابن شرحبيل الدرعي

ومنهم السيد الأبر، العالم الصالح الأنور، أبو محمد الحسن بن محمد بن علي ابن شرحبيل الدرعي [اشتهر تلقيبه بجده] (513) أحد أصحاب الشيخ سيدي أحمد ابن ناصر ومرافقه في رحلتيه الحجازيتين (514). ولد سنة تسع - بمشاة - وسيعين - بموحدة - وألف. كان صاحب الترجمة متفنا في علوم عقلية ونقلية، وشارك شيخه أبا العباس [ابن ناصر] (515) في شيوخه، [وقرأ على أبي العباس الهشتوكي واستفاد منه] (516) له على صغرى السنوسي شرحان اتنان، وثلاثة شروح على سيف النصر لشيخه أبي العباس ابن ناصر، [وجمع مناقب شيخه أبي العباس ابن ناصر] (517). توفي بزاويته بسوس الأقصى سنة اثنتين وأربعين ومائة وألف.

حوادث هذه السنة

الصلح بين مولاي عبد الله وأهل فاس ورخص الأسعار

وفي مهل ربيع الأول النبوي من عام اثنين وأربعين ومائة وألف (518) ابتدئت الكلمة

(512) هذه المراثية ساقطة من ط، وقد لفقنا أبياتها بحسب ما استطعنا، أذ بعض أسطارها ناقصة من ك، وبعض الفاظها مقلوبة أو محرفة في كل من ك و س.

(513) ساقط من ط.

(514) في ط، في رحلته الحجازية - بالإنفراد ..

(515) ساقط من ك و س.

(516) ساقط من ط.

(517) ساقط كذلك من ط. وفي بعض ألفاظها مخالفة لمخطوطتي ك و س.

(518) حوادث هذه السنة ساقطة من ط ومن ك و س. وأتبتها نغلا عن الحوليات (ص 35 - 36)

بين الخاصة من فريق من أهل المدينة وبين السلطان مولانا عبد الله بإيقاع الصلح فتوسلوا به. وبعده بنحو أربعة أيام خرجوا إليه مع العلماء والأشراف وبكساوي الصالحين والصبيان (من) المحاضر بالوواح القرآن وكتب الحديث ومصاحف القرآن والرغبات والرهبات، فتلاقوا به بوادي فاس، فأقبل عليهم وقال لهم «خيراً» ووعدهم به وسامحهم وعفا عنهم في كل ما كان بينه وبينهم، وقضى لهم جميع ما طلبوه منه، ومكنوه من مفاتيح القصبيتين والحصنين المسميين بالبستيونين، ورجعوا من عنده فرحين مسرورين مستبشرين. وكان سوم القمح قد انتهى في مدة الحصار إلى ست أواقي للمد، وبعدهما وقع الصلح بين أهل فاس وبين السلطان ونصروه رجع إلى تسع موزونات للمد. ثم زاد إلى ست أواقي كما كان في أيام الحصار لقلته لا لغير ذلك. وذكر عنه أنه صير في أمد الحصار على قتال مدينة فاس ثلاثة آلاف قنطار من المال، ونحو ألف قنطار من البارود، ومثل ذلك من البُنْب والكور (519).

*** ———— *** ———— **تذكرة المحسنين** ———— *** ———— ***

مُحمد بن محمد الفاسي

العلامة الحافظ الأفضل، الدراكة الخطيب الأمثل، الماهر النحرير، بديع الحفظ والتحرير، سيدي مُحمد بن الفقيه سيدي محمد بن الإمام القاضي سيدي محمد بن إمام المحدثين سيدي أحمد الفاسي بمكناسة الزيتون عن غير عقب في ثاني جمادى الأولى من السنة، ودفن بروضه الولي سيدي أحمد ابن خضراء.

مُحمد بن إدريس العراقي

وفي العشرين من ربيع الثاني الإمام النحوي الهمام العلامة المحقق المدقق أبو عبد الله مولاي مُحمد بن الشريف البركة مولاي إدريس العراقي الحسني.

(519) في الحوليات بعد هذا ما يوجد في حوادث سنة 1143 في ط و ك و س. وهو خطأ من ناسخ الحوليات.

العام الثالث من العشرة الخامسة

تمهيد البلاد للسلطان مولاي عبد الله

استهلت هذه السنة والخليفة أمير المؤمنين السلطان مولانا عبد الله ابن أمير المؤمنين السلطان مولانا إسماعيل الحسنی مبسوطه يده في المغرب على جميع مدنه وقراه وقبائله ومدائره [بسطاً مؤيداً بنصر الله وتأيداً] (520)، وهو في دار الخلافة بمكناسة يخرج لملاقاة جميع من يرد عليه ويتهيأ لكل ذي شكية صباحاً ومساءً، ولا يستطيع أحد أن يحول بينه وبين كل ذي شكية قبل الوصول إليه، وأموره مضبوطة وأحكامه نافذة، وأجرى الناس على ما هم عليه في المنازل على ما قرره والده. وكذلك أبقي الناس في تولي الخطط، فلا يستطيع أحد أن ينازع أحداً في خطة وليها هو أو أبوه أو جده في عهد أمير المؤمنين السلطان الخليفة مولانا إسماعيل ابن السلطان مولانا الشريف الحسنی، ولا في مرتب من حبس أو صدقات الصالحين أو غير ذلك، وهو في ذلك كله يحافظ على إحياء ولايات والده. ويسبب ذلك كان أهل الجانب العظيم كالأشراف والمرابطين والعلماء في أقوى منعة وأعز رفعة، ومن يخرق على أحد عادة في ذلك أصلاً.

توجه خناتة بنت بكار إلى الحج

مع حفيدها سيدي محمد بن عبد الله

ثم إن أمه السيدة الجليلة الفقيهة الفضيلة خناتة بنت السيد الوحيه الفاضل النبيه الحاذق في الأخبار، ومن لاذ به يُجار، ولا يصل إليه عار، حتى في الفياضي والففار، سيد قومه وعميدهم وفارسهم ومانعهم الشيخ بكار، المغفري، التمس من ولدها أمير المؤمنين مولانا عبد الله الحسنی التوجه للشرق بقصد الحج، فأجابها لذلك، وهيأ لها جميع ما تحتاجه، ووجه معها ولده خليفتنا الآن بالمغرب أمير المؤمنين السلطان المنصور بالله، المؤيد فيما أولاه، مولانا أبا عبد الله سيدي محمد بن عبد الله بن إسماعيل الحسنی فحج معها، فكانت في هذه السنة المباركة حجته، وأحمدت بتوفيق الله في كل حركة وجهته، وزار جده المصطفى الرسول، واتصلت الفروع مشاهدة بالأصول. ولله در من قال في مثل ذلك:

إن قيل زُرتُم بما رجعتُم يا أكرم الخلق ما أقولُ
قولوا رجعنا بكل خيرٍ واجتمع الفرع والأصولُ

ولهذين البيتين حكاية، وهي أن بعض الأشراف زاروا قبر المصطفى صلى الله عليه وسلم فأنشد البيت الأول منهما، فسمع البيت الثاني من الروضة المشرفة جواباً له. وهما

بالقاف المعقودة في السؤال والجواب. وتقدمت هذه الحكاية عام اثنين ومائة وألف. وقد أنعم الله على المغرب بمولانا سيدي محمد الذي هو سلطانه، وأشرق في جميع أقطاره بحمد الله يمينه وأمانه⁽⁵²¹⁾ أدام الله للمسلمين وجوده، وأصبح النصر عساكره وجنوده، ومتع المسلمين بحياته، وكان الله له في حركاته وسكناته. [ولم نقف على وفاة أحد من العلماء ولا الصالحين في هذا العام]⁽⁵²²⁾.

رخص أسعار القمح وسوء العلاقات

بين السلطان مولاي عبد الله وأهل فاس

وفي سنة ثلاث وأربعين ومائة وألف⁽⁵²³⁾ نزل المطر الغزير ورجع سوم القمح إلى أربعين أوقية للوسق. وسبب رجوعه إلى هذا السوم أن السلطان مولانا عبد الله بعث خديمه القائد علي بن عبو الشاوي المدعو ولد المجاطية لنهب زروع أهل فاس وغيرهم الكائنة داخل المدينة. فكان يدخل على الديار ويأخذ كل ما يجد فيها من القمح، فكف الناس عن شرائه بسبب ذلك فوصل سومه بعد ذلك إلى مثقالين للسوق وأقل وأكثر بشيء قليل. وكان قصده بذلك - والله أعلم - إتلاف الزروع في المدينة ليرتفع سومها ويهلك أهلها أو غير ذلك، فعامله الله بنقيض مقصوده، ويفعل الله في عباده من ذلك ما يشاء. وجعل يقتل أهل الديوان من عظماء العبيد ورؤساء الجيش وأكابر القبائل من الأحرار. وقتل نحو سبعة عشر رجلا من رؤساء رماة أهل فاس الذين كانوا معه في الحركة، وأمر بمحمد بن يوسف منهم فجر بالمحلة في أرجل البغال. وولى على مدينة فاس حمدون الروسي فهدم أسوارها ونقل أبوابها لفاس الجديد.

(521) ما بين معقوفتين ساقط من ك وس

(522) زيادة من ط

(523) الفقرة التالية منقولة عن الحوليات لانفرادها بها.

العام الرابع من العشرة الخامسة

محمد بن عبد الرحمان ابن زكري

فمنهم الشيخ العلامة النحوي أبو عبد الله سيدي محمد بن عبد الرحمان ابن زكري الفاسي المولد والمنشأ والوفاة. [أخذ عن سيدي محمد بن عبد الله دفين وزان، ثم عن ولده مولاي التهامي، ثم عن ولده سيدي محمد الطيب] (524) ومما وصفه به شيخنا سيدي عبد المجيد بن علي الزبادي ما نصه: الشيخ الإمام، الحبر الهمام، الثقة الحجة، السالك من مناهج الدين أوضح محجة، الحافظ الضابط الثبت، الحسن النعت والسمت، العلامة الفهامة الدراكة المشارك، الذي لم يَعْقه عن الانفراد بدائرة وقته متدارك انتهَى المراد منه. وللناس فيه آراء، والذي عندنا أنه قوي محقق حسبما عرفناه من تقييده التي سمعناها من أسيادنا الذين أخذوها عنه. وشرحه لألفية الجلال السيوطي المسماة بالفريدة شاهد بذلك، وكذا حاشيته على أوضح ابن هشام الذي أوصلها إلى المفعول المطلق ولم يكلمها، وشرح النصبحة الكافية للشيخ زروق، وشرح الصلاة المشيشية، وشرح الهمزية وشرح الحكم لابن عطاء الله، وشرح القواعد الزروقية، وتعليق على صحيح البخاري، وتفسير لمواضع من القرآن، والفوائد المتبعة، في العوائد المبتدعة. وله في النحو والبيان والمنطق والأصول والفقه والتصوف تقييد، وله أنظام كثيرة (525). هذا الذي نسب له شيخنا تلميذه سيدي عبد المجيد الزبادي، ونسبوا له تأليف أخرى مضمنها تفضيل العجم على العرب، ولم أقف على شيء منها، وقد في الرد على ما وصفوا لي تقييد، فانظره إن شئت.

وسمعا (526) سمعا مستفيضا أنه ألف تأليفا في أفضلية العجم على العرب، ولم نر من شيوخ وقتنا من أهل الدين إلا من يعيب عليه ويُشنع عليه غاية التشنيع، وهو جدير بذلك، لأن العرب لهم مزية على غيرهم من الخلق برسول الله صلى الله عليه وسلم. قال الإمام التنسي: وخالفت في ذلك طائفة من أهل الأهواء يقال لهم الشعوبية، وهم فرقتان: فرقة تدعي التسوية، وفرقة تدعي تفضيل العجم على العرب، فبادر علماء الإسلام بالرد عليهم برسائل حسان انتهت كلام التنسي بحذف منه.

قلت: وأدلة أفضلية العرب على العجم معلومة مشهورة في الكتاب والسنة. ولم يبق فيمن خرج عنها إلا الحكم بما يحكم على أهل الأهواء، ولنورد هنا ما تيسر لنا من أدلة أفضلية العرب بعد تعريف الشعوبية من هو. قال عبد الحق الإشبيلي الأزدي المالكي في

(524) ما بين معقوفتين ساقط من ط، ثابت في صلب س، وفي هامش ك كطرة.

(525) جل هذه المؤلفات غير مذكورة في ط. وفيها إضافة: « قصيدة في المدح النبوي عارض بها همزية البوصيري وشرحها ونكت فيها على البوصيري مسائل يروم نقدها عليه، ويأبى الله ذلك. وسيتبين أمره في ذلك إن شاء الله هنا ».

(526) من هنا يبتدئ رد المؤلف القادري على شعوبية ابن زكري في نحو 13 صفحة لا توجد إلا في ط وحدها.

مختصر اقتباس الأنوار للرشاطي، قال في مختصر العين: الشعوبي هو الذي يُصَغَّر أمر العرب. وحكى الهروي عن الليث قال: الشعوبي الذي يصغر أمر العرب ولا يرى لهم فضلاً على غيرهم، ثم قال إن الشعوب من العجم كالقبائل من العرب. انتهى كلام عبد الحق، أنظر بقيته. وفي القاموس: والشعوبي محتقر أمر العرب وهم الشعوبية. وقد ألف زين الدين العراقي تأليفا سماه: محجة القرب بمحبة العرب. قال شهاب الدين الخفاجي في شرح الشفا: وفيه رد على الشعوبية انتهى.

قلت: وأدلة الرد على الشعوبية في السماعيات كثيرة، أخرجها أهل الصحة وغيرهم. فمن ذلك ما أخرجه البخاري في صحيحه في صفته صلى الله عليه وسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه أنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (بُعِثْتُ مِنْ خَيْرِ قُرُونِ بَنِي آدَمَ قَرْنًا فَقَرْنًا حَتَّى بُعِثْتُ مِنَ الْقَرْنِ الَّذِي كُنْتُ فِيهِ). قال الشهاب القسطلاني: والمراد بالبعث نقله في أصلاب الآباء أبا فأبا قرناً فقرناً حتى ظهر في القرن الذي وجد فيه، أي انتقلت أولاً من صلب ولد إسماعيل، ثم من كنانة، ثم من قريش، ثم من بني هاشم. فالفاء في قوله قرناً فقرناً للترتيب في الفضل على سبيل الترقى من الأب الأبعد إلى الأقرب فالأقرب، كما في قولهم خذ الأفضل فالأفضل، واعمل الأحسن فالأجمل انتهى كلام القسطلاني. وأخرج الترمذي وحسنه ورجاله سنده على شرط الصحيح إلا يزيد بن أبي زياد أخرج له مقروناً عن العباس بن عبد المطلب:

... قُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّ قُرَيْشًا جَلَسُوا يَتَذَكَّرُونَ أَحْسَابَهُمْ بَيْنَهُمْ فَجَعَلُوا مَثَلَكَ كَمَثَلِ نَحْلَةٍ فِي كِبْوَةٍ مِنَ الْأَرْضِ، فَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (إِنَّ اللَّهَ خَلَقَ الْخَلْقَ فَجَعَلَنِي مِنْ خَيْرِ قَبِيلَةٍ تَمْ تَخِيرُ الْبُيُوتَ فَجَعَلَنِي مِنْ خَيْرِ بُيُوتِهِمْ فَأَنَا خَيْرُهُمْ بَيْتًا وَخَيْرُهُمْ نَفْسًا).

قال المنوي في شرحه الكبير للجامع الصغير: فالحديث صريح في تفضيل العرب على العجم. وأخرج الترمذي وحسنه أيضاً عن سلمان قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (بِاسْلَمَانٍ لَا تُبْغِضُنِي فُنْفَارِقَ دِينِكَ، قُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ كَيْفَ أَبْغِضُكَ وَبِكَ هَذَا اللَّهُ. قَالَ تُبْغِضُ الْعَرَبَ فَتُبْغِضُنِي). قال الترمذي إثر الحديث المذكور: هذا حديث حسن غريب لا نعرفه إلا من حديث شجاع بن الوليد، ويين محل الغرابة فيه بقوله لا نعرفه إلا من حديث شجاع. وشجاع هذا هو ابن الوليد الشكوني.

قال الذهبي في التهذيب: المحدث الصالح، ثم نقل توثيفه عن ابن أبي خيثمة وعبد الخالق بن منشور، ولا يضر نفرد الثقة لأن التعدد ليس بشرط في الصحيح على المعتمد عند علماء اصطلاح الحديث كما في محله. وأخرج الطبراني والبيهقي عن أبي نعيم ابن عمر قال، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (إِنَّ اللَّهَ خَلَقَ الْخَلْقَ فَاخْتَارَ مِنَ الْخَلْقِ بَنِي آدَمَ، وَاخْتَارَ مِنْ بَنِي آدَمَ الْعَرَبَ وَاخْتَارَ مِنَ الْعَرَبِ مُضَرَ وَاخْتَارَ مِنْ مُضَرَ قُرَيْشًا وَاخْتَارَ مِنْ قُرَيْشِ بَنِي هَاشِمٍ وَاخْتَارَنِي مِنْ بَنِي هَاشِمٍ، فَأَنَا مِنْ خَيْرِ إِبْنِ خَيْرٍ). فما حسنه الترمذي في الحديثين

المتقدمين قد ارتقى عن مرتبة الحسن إلى الصحة بكثرة طرقه المشار إليها هنا وفيما نذكره بعد. وقد صرح ابن حجر في النخبة وشرحها بهذا فقال: ويشكره طرقه يصحح، وإنما يحكم له بالصحة عند تعدد الطرق لأن للصورة المجموعة قوة تجبر القدر الذي قصر به ضبط راوي الحسن عن رواي الصحيح. انتهى. فشواهد رواها عدة من الصحابة بروايات كثيرة، فرواية العباس بن عبد المطلب عند البيهقي وأبي نعيم، ورواية عبد الله بن عباس أخرجه أبو نعيم في الدلائل والطبراني والبيهقي وابن حبان والحاكم في المستدرک، والطبراني في الكبير، وابن مردويه والمرهبي والصابوني وابن عمر العدني في مسنده، ورواية أنس بن مالك أخرجه البيهقي وابن عساكر من طريق مالك بن أنس والحاكم في المستدرک، والطبراني في الأوسط، ورواية ربيعة بن الحارث أخرجه الحاكم، ورواية المطلب بن أبي وداعة أخرجه الترمذي وابن مردويه والبيهقي، ورواية واثلة بن الأسقع عن الترمذي ونذكرها قريباً، وكلها تدل على أفضلية العرب على من عداهم إما نصاً أو ظاهراً، وقد نقلها العلماء في كتبهم كالحافظ زين الدين العراقي في محجة القرب، والحافظ السيوطي في خصائصه الكبرى وجامعيه الكبير والصغير، فمن أراد الوقوف على ذلك فليراجعهم، ولولا فرط الطول لجلبنا ألفاظها، وهذا كله في مطلق العرب الجامع للقحطانية والعدنانية وغيرهم، وأما الخصوص منهم فالنصوص في أفضليتهم مخرجة في الكتب الصحاح ولا يسع أحداً إنكارها. فأخرج مسلم في صحيحه عن واثلة بن الأسقع قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى كَنَانَةَ مِنْ وَلَدِ إِسْمَاعِيلَ، وَاصْطَفَى قُرَيْشًا مِنْ كَنَانَةَ، وَاصْطَفَى مِنْ قُرَيْشٍ بَنِي هَاشِمٍ، وَاصْطَفَانِي مِنْ بَنِي هَاشِمٍ). وأخرجه الترمذي أيضاً في كتاب المناقب من جامع وصححه أيضاً عن واثلة بن الأسقع مرفوعاً بزيادة: (إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى مِنْ وَلَدِ إِبْرَاهِيمَ إِسْمَاعِيلَ، وَاصْطَفَى مِنْ وَلَدِ إِسْمَاعِيلَ بَنِي كَنَانَةَ) الحديث بتمامه المتقدم. ومما هو صريح في فضل العرب الإسماعيلية ماورد في كثير من الأحاديث في فضائل الأعمال، فمنه ما رواه الإمام أحمد بإسناد حسن عن أبي أمامة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (لَأَنْ أَقْعُدَ أَذْكَرُ اللَّهِ وَأَكْبَرَهُ وَأَحْمَدَهُ وَأُسَبِّحَهُ وَأُهَلِّلَهُ حَتَّى تَطْلُعَ الشَّمْسُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ أُعْتِقَ رَقِيبَتَيْنِ مِنْ وَلَدِ إِسْمَاعِيلَ). وما رواه الطبراني في كبيره عن أبي الدرداء: (مَنْ قَالَ بَعْدَ صَلَاةِ الصُّبْحِ وَهُوَ ثَانِ رَجُلَيْهِ قَبْلَ أَنْ يَنْكَلِمَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ يُحْيِي وَيُمِيتُ بِيَدِهِ الْخَيْرُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ عَشْرَ مَرَّاتٍ كَتَبَ اللَّهُ لَهُ لِكُلِّ مَرَّةٍ عَشْرَ حَسَنَاتٍ وَمَحَا عَنْهُ عَشْرَ سَيِّئَاتٍ وَرَفَعَ لَهُ عَشْرَ دَرَجَاتٍ وَكَفَّرَ لَهُ فِي يَوْمِهِ حَرْزًا مِنْ كُلِّ مَكْرُوهٍ وَحَرَسًا مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ وَكَانَ لَهُ بِكُلِّ مَرَّةٍ عَتَقَ رَقِيبَةً مِنْ وَلَدِ إِسْمَاعِيلَ ثَمَنٌ كُلِّ رَقِيبَةٍ اثْنَا عَشَرَ أَلْفًا، وَلَمْ يَلْحَقْهُ يَوْمٌ مِنْ ذَنْبٍ إِلَّا شَرِكَ بِاللَّهِ. ومن قال ذلك بعد صلاة المغرب كان له مثل ذلك). وهذا النوع كثير، راجع ترغيب المنذر وغيره تقف عليه. وفي صحيح مسلم عن أبي هريرة أن نسيبة من بني تميم كانت عند عائشة فقال لها النبي صلى الله عليه وسلم (اعْتَقِيهَا فَإِنَّهَا مِنْ وَلَدِ إِسْمَاعِيلَ). وأما ما ورد في الانتصار فقولته صلى الله عليه وسلم: (لَا يُحِبُّهُمْ إِلَّا مُؤْمِنٌ وَلَا

يُبْغِضُهُمْ إِلَّا مُنَافِقُ فَمَنْ أَحَبَّهُمْ أَحَبَّهُ اللَّهُ وَمَنْ أَبْغَضَهُمْ أَبْغَضَهُ اللَّهُ) وقوله صلى الله عليه: (آيَةُ الْإِيمَانِ حُبُّ الْأَنْصَارِ وَآبَةُ النِّفَاقِ بُغْضُ الْأَنْصَارِ). وقال لهم: أَنْتُمْ أَحَبُّ النَّاسِ إِلَيَّ) قالها مرارا. وقالوا للنبي صلى الله عليه وسلم ادْعُ اللَّهَ أَنْ يجعل أَتْبَاعَنَا منا فقال: (اللَّهُمَّ اجْعَلْ أَتْبَاعَهُمْ مِنْهُمْ). وقال صلى الله عليه وسلم: (وفي كُلِّ دَوْرٍ الْأَنْصَارُ خَيْرٌ)، وقد افنخروا بمبايعتهم عنده، فقال قاتلهم وذلك في غزوة الخندق:

نحن الذين بايعوا محمداً على الجهاد ما حَبَبْنَا أبداً

فأجابهم صلى الله عليه وسلم: (اللَّهُمَّ لَا عَيْشَ إِلَّا عَيْشُ الْآخِرَةِ، فَأَكْرِمِ الْأَنْصَارَ وَالْمُهَاجِرَةَ). وقال صلى الله عليه وسلم: (أَوْصِبَكُمْ بِالْأَنْصَارِ فَإِنَّهُمْ كَرِّتِي وَعَيْبَتِي (527) وَقَدْ قَضَوْا الَّذِي عَلَيْهِمْ وَيَقِي الَّذِي لَهُمْ فَأَقْبَلُوا مِنْ مُحْسِنِهِمْ وَتَجَاوَزُوا عَنْ مُسِيئَتِهِمْ). وقال: (فَإِنَّ النَّاسَ يَكْثُرُونَ وَيَقِلُّ الْأَنْصَارُ حَتَّى يَكُونُوا كَالْمَلِيعِ فِي الطَّعَامِ فَمَنْ وَلِيَ مِنْكُمْ أَمْرًا يُضِرُّ فِيهِ أَحَدًا أَوْ يَنْفَعُهُ فَلْيَقْبَلْ مِنْ مُحْسِنِهِمْ وَلْيَتَجَاوَزْ عَنْ مُسِيئَتِهِمْ). و أما غير الأنصار فقال صلى الله عليه وسلم: (إِنَّ هَذَا الْأَمْرَ فِي قُرَيْشٍ لَا بُعَادِيَهُمْ أَحَدٌ إِلَّا أَكْبَهُ اللَّهُ عَلَى وَجْهِهِ فِي النَّارِ مَا أَقَامُوا الدِّينَ). وقال صلى الله عليه وسلم: (قُرَيْشٌ وَالْأَنْصَارُ وَجْهَيْنِئِ وَمُزَيْنَةُ وَأَسْلَمُ وَأَشْجَعُ وَغِفَارُ مَوَالِي لَيْسَ لَهُمْ مَوْلَى دُونَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ). وقال صلى الله عليه وسلم: (لَا يَزَالُ هَذَا الْأَمْرُ فِي قُرَيْشٍ مَا بَقِيَ مِنْهُمْ اثْنَانِ وَنَزَلَ الْقُرْآنُ بِلِسَانِ قُرَيْشٍ).

والروايات في هذا المعنى كثيرة، ولكن اقتصرنا هنا على ما في الصحيحين أو أحدهما. وأيضاً فإن أعظم جيشه صلى الله عليه وسلم والمقاتلين معه في الحروب والوفائع العظيمة هم العرب وإن كان معهم غيرهم فقليل، وحاربوا آباءهم وأبناءهم وقتلوه في مرضاة الله ورسوله، وبانعوه صلى الله عليه وسلم على الموت دونه، واختصوا بهذه المزية دون غيرهم من جميع من كان حينئذ على وجه الأرض، وأثنى الله عليهم بذلك فقال تعالى: «لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا» الآية. وقال صلى الله عليه وسلم في أهل بدر: (وَمَا يَدْرِيكَ لَعَلَّ اللَّهَ أَطْلَعَ عَلَى أَهْلِ بَدْرٍ فَقَالَ: اْعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ) راجع لفظ تمامه في البخاري وأيضاً فإن سادة هذه الأمة الذين هم العشرة سادات الأمة بالإطلاق كلهم من العرب. وكون المقاتلين والمقتولين عرب أيضاً لم يخرج من قاتلهم عن المزية، ووقائعهم في أهل الشام والعراق ومصر وغيرها معلومة معروفة. وأين بنو إسرائيل وسائر العجم من هذه المزاج. وأيضاً فإن من الفقهاء من يفرق في أخذ الجزية والاسترقاق بين العرب والعجم، ويفرق بين حكم نصارى بنى تغلب وبين حكم سائر أهل الكتاب في الجزية.

(527) أراد أنهم بطنائته وموضع سره وأمانته، والذين يعتمد عليهم في أمور. انظر النهاية، لامن الأثير (مادة كرش).

قال ابن راشد: الجزية تؤخذ من أهل الكتاب والمجوس من العجم باتفاق، ولا تؤخذ من قريش ولا من المرتدين باتفاق. فأما المرتدون فإنهم ليسوا على دين يُقرون عليه، لقوله عليه الصلاة والسلام: (مَنْ بَدَّلَ دِينَهُ فَاضْرِبُوا عُنُقَهُ) وأما قريش فقليل لمكانتهم من النبي صلى الله عليه وسلم انتهى. نقله المواق، ونقل اللخمي وغبيرة عن ابن وهب أن الجزية لا تؤخذ من مجوس العرب، ونقل عنه الباجي والمازري عدم أخذها من العرب مطلقا لا بقيد المجوس. وأما الاسترقاق فيجوز على مذهبننا استرقاق جميع العرب، ومنع ابن وهب استرقاق قبائل قريش والأنصار ومزينة وجهينة وأشجع وأسلم وغفار، نقله السنهوري وغيره. ودليل قول ابن وهب ما سبق للبخاري، وليس هذا هو دليل المسألة، بل الدلائل تقدمت.

ومع ما قررنا فلا يجوز تنقيص من ليس من العرب أو من كان قريبا عهد بكفر هو وسلفه وحقره بمجرد ذلك، ولا سيما إن ظهر عليه وصف معظم شرعا كالدين والعلم، فإن هذا من الباطل والظلم. وقد قال صلى الله عليه وسلم: (أُمِرْتُ أَنْ أَقَاتِلَ النَّاسَ حَتَّى يَقُولُوا لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ) الحديث. وقال عليه السلام في خطبة الوداع: (إِنَّ اللَّهَ حَرَّمَ عَلَيْكُمْ دِمَاءَكُمْ) الحديث. وقال عليه السلام في خطبة الوداع: (إِنَّ اللَّهَ حَرَّمَ عَلَيْكُمْ دِمَاءَكُمْ) الحديث. وقال عليه السلام: (الْمُسْلِمُ أَخُو الْمُسْلِمِ لَا يَظْلِمُهُ وَلَا يَخْذُلُهُ وَلَا يَحْقِرُهُ، التَّقْوَى هَاهُنَا وَيُسِيرُ إِلَى صَدْرِهِ صلى الله عليه وسلم. بِحَسَبِ أَمْرٍ مِنَ الشَّرِّ أَنْ يَحْقِرَ أَخَاهُ الْمُسْلِمَ. كُلُّ الْمُسْلِمِ عَلَى الْمُسْلِمِ حَرَامٌ دُمُهُ وَعَرَضُهُ وَمَالُهُ)، رواه () (528) ونصوص ذلك كثيرة.

استنكار تعبير حديثي العهد بالإسلام

وأعظم من ذلك يعبير قريبا العهد بالإسلام فيقولون لِمَنْ عَلِمَ قُرْبُ عَهْدِهِ بِالْإِسْلَامِ: يا إسلامي، وقصدهم به للتعبير بالكفر الذي هو قريبا عهد به، وأحدثوا له ألقابا أخرى، وذلك لا يحل، بل الواجب التسوية بين المسلمين في كل الحقوق، بل يتأكد على أهل الهمم العالية زيادة اعتناء بهم والحرص في جبر خواطرهم حتى يرضيهم أبلغ الإرضاء، ولا يلزم من هذا أن يخالطهم في الأمور المتعلقة بنفسه، فإن له الخيار في التحري عن ملاقاتهم هم وغيرهم وجميع من يتخيل فيه عدم السلامة من خلطته، فلا يلزمه الإنكاح منهم وإليهم، كما لا يلزم لغيرهم ذلك كأعيان الحواضر لأهل البوادي لأسباب، ومن أوضحها عدم الموافقة في المألوفات، فإن لكل فريق أعرافا مخصوصة به. ونص ابن الحاج على أن ذا الصناعات الدنية ليس كُفُوًا لمن هو من أهل المروءات والصناعات الجليلة، نقله عنه ابن عرفة. والنظر في الكفاءة في أمور، منها الجاه كما في كلام ابن الحاجب. قال ابن رشد: والمراد به المنصب انتهى وقد تقرر أن للعرب جاهًا على غيرهم، فلا يلزم من اعتبار هذا كله النفرقة بين المسلمين، مع أن كل صنف من الناس له مألوفات وعوائد تُباين عوائد غيره، فإذا خالفها

(528) في هامش المطبوعة الحجرية: بباض بالأصول هاهنا.

تفاهم ضرره، فلكل واحد أن يعتبر ما يناسبه و ما تطيب به عشرته مع زوجته أو زوجه، فلا يكون من اعتبر هذا وإن التزمه أبداً مُفرقا بين المسلمين. ولئن فرضنا السلامة من كل هذه الآفات في الذي هو حديث عهد بالإسلام فلا يلزم أهل الشرف مناكحته للمعرة اللاحقة لهم في ذلك، وقد صرح جماعة من الفقهاء منهم القاضي عبد الوهاب بأن للناس مناكح قد عرفت لهم وعرفوا بها. وما وقع في المدونة بأن المولى كُفَّ للعربية لقوله تعالى: «إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاهُمْ». رَدُّهُ اللَّخْمِيُّ بِأَنَّ الْآيَةَ لَا مَدْخَلَ لَهَا هَاهُنَا، لِأَنَّ مَضْمَنَهَا الْحَالُ عِنْدَ اللَّهِ فِي الْآخِرَةِ، وَمَنْزِلَةُ الدُّنْيَا وَمَا يَلْحَقُ بِهِ الْمَعْرَةُ غَيْرُ ذَلِكَ، نَقْلُهُ بِهَرَامٍ وَغَيْرِهِ، وَكَمَا يَجِبُ عَلَى الْعَرَبِيِّ التَّحَرُّزُ مِنْ اسْتِحْقَارِ الْعَجْمِيِّ وَتَنْقِصِهِ بِسَبَبِ حَدُوثِ إِسْلَامِهِ، فَكَذَلِكَ يَجِبُ عَلَى الْعَجْمِيِّ عَدَمُ مُوَاخَذَتِهِ بِمَا التَّزَمَ فِي نَفْسِهِ مِنَ الْأَشْيَاءِ الَّتِي شَرَعَهَا لَهُ الشَّرْعُ. وَيَجِبُ عَلَيْهِ كَذَلِكَ أَنْ يَحْتَرِزَ مِنَ الْغَضِّ مِنَ الْعَرَبِيِّ وَكَرَاهِيَتِهِ بِسَبَبِ خُرُوجِهِ مِنْ جَنْسِهِ، فَإِنْ كَلَا مِنَ الْفَرِيقَيْنِ فِيهِ أَنْفَةٌ مِنْ غَيْرِهِ، لَكِنْ هِيَ فِي الْعَجْمِ أَتَدُّ شَيْئًا فِي الْمَدِينِ الَّتِي فِي بِلَادِ الْعَجْمِ، وَتَعْصِيهِمْ لِأَبْنَاءِ جَنْسِهِمْ أَشَدَّ التَّعَصُّبِ أَمْرٌ مَشَاهِدٌ، وَلَهُمْ تَفْرِيقٌ بَيْنَ فِي ذَلِكَ بَيْنَ الْمُسْلِمِينَ، فَلَا تَجِدُ مِنْهُ مَنْ هُوَ مَنْسُوبٌ لِعِلْمٍ أَوْ صِلَاحٍ مِنْ جَنْسِهِمْ يَقَاوِمُ أَحَدًا غَيْرَهُمْ مِنْ غَيْرِ الَّذِي هُوَ مِنْ أَبْنَاءِ جَنْسِهِمْ. وَزَادَهُمْ فِي ذَلِكَ إِغْرَاءٌ مَا سَمِعُوهُ عَنْ صَاحِبِ التَّرْجُمَةِ حَتَّى أَدْخَلَ عَلَيْهِمْ دَاءَ عَضَالٍ فِي دِينِهِمْ زِيَادَةً عَلَى أَنْفَةِ نَفْسِهِمْ، وَتَفَاهَمُ ذَلِكَ إِلَى هَوَسٍ وَتَخْلِيطٍ يَنْبَغِي الْإِعْرَاضُ عَنْهُ، وَلَكِنْ لَمْ يَنْقُلْ لَنَا عَنْهُ ذَلِكَ بِطَرِيقٍ مُتَّصِلَةٍ، وَإِنَّمَا عِنْدَنَا مَجْرَدُ السَّمَاعِ، فَإِنْ كَانَ مُبَرِّءًا مِنْهُ فَهُوَ مُرَادُنَا وَهُوَ الظَّنُّ بِهِ، وَإِنْ كَانَ صَاحِبًا عَنْهُ فَاللَّهُ يَغْفِرُ لَهُ وَيَكْرُمُنَا وَإِيَّاهُ بِرَحْمَتِهِ.

وأما ما ذكره الشيخ أبو عبد الله مباركة الأكبر في كتابه المسمى بنصبحة المغترين في التفرقة بين المسلمين فأمره قريب، وكثير مما اشتمل عليه حق وصدق، ولكن له فيه تحامل. وقد يتوجه له من العذر من أن جهلة أهل زمنه أغضبوه، إذ كانوا أشداء على هؤلاء القوم الذين هم حديثو عهد بالإسلام، وما كان يسوغ لهم إذاينهم بما أجروا عليهم من العوائد التي لا تلزمهم شرعا، بل يجب زجر من ظلمهم بذلك ونهيهم عنه، والحق أحق ما قيل، وما كان الواجب إلا معاملتهم بمقتضى أخوة الإيمان والإسلام ومراعاة حرمة النبي فيهم عليه السلام. وهذا الحكم متقرر في جميع من خرج عن العرب، سواء كان من بني إسرائيل أو من غيرهم. وقوله تعالى في خطاب بني إسرائيل: «وَأَنْتَ فَضَّلْنَاهُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ» وقوله تعالى: «وَلَقَدْ اخْتَرْنَاهُمْ عَلَى عِلْمٍ عَلَى الْعَالَمِينَ». لا يقتضي تفضيلهم على العرب حتى يعارض ما تقدم، لأن هذا التفضيل كما قال المفسرون إما أن يكون على عالم زمانهم فقط دون من بعدهم من أمة محمد صلى الله عليه وسلم ومن قبلهم من الأنبياء، وإما أن يكون بأشياء مخصوصة من المن والسلوى وما ذكر معهما وهو عشرة بينها المفسرون. ولا يلزم من التفضيل بأشياء مخصوصة التفضيل مطلقا. قال ابن عطية: في آية البقرة وفي الكلام انساع. قال قتادة وابن زيد وابن جريج وغيرهم: المعني على عالم زمانهم الذي كانت فيه النبوة المتكررة والملك، لأن الله تعالى يقول في أمة محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم:

«كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ» وقال في الآلة التي بعدها: «تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ» إن قدرنا فضيلة بني إسرائيل بخصوصية كثرة الأنبياء وغير ذلك، فالعالمون عموم مطلق، وإن قدرنا تفضيلهم على الإطلاق فالعالمون عالمو زمانهم، لأن أمة محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم أفضل منهم بالنص. انتهى. وقد أطبق عليه من رأينا من المفسرين، ولا بصح تعميمه على إطلاقه، وإلا لزم تفضيلهم على رسول الله صلى الله عليه وسلم وعلى الملائكة لأنهم من العالمين، وهو باطل قطعاً، أما تفضيل عمومهم على رسول الله صلى الله عليه وسلم فكفر، وأما تفضيل خصوصهم عليه وهم الأنبياء الذين كانوا منهم فبدعة.

ولانزاع بين أهل السنة في أن نبينا محمداً صلى الله عليه وسلم أفضل المخلوقين الأنبياء وغيرهم ولهم على ذلك أدلة كثيرة جداً، منها قوله صلى الله عليه وسلم: (وَيَبْدِي لِرِوَاءِ الْحَمْدِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ) وقوله: (أَدَمَ فَمَنْ دُونَهُ نَحْتُ لَوَاتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ) ومنها حدث الشفاعة المخرج في الصحيحين في أهل الموقف إذ ياتون الأنبياء فكلهم يقول نفسي نفسي حتى يأتوا محمداً فيقول أنا لها، قف على لفظه بتمامه، ومنها أنه أول شافع وأول مشفع، ومنها أن الله تعالى أقسم بحياته في قوله سبحانه: «لَعَمْرُكَ إِنَّهُمْ لَفِي سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ»، ومنها أن الله تعالى ناداه بأحب أسمائه وأسنى أوصافه فقال تعالى: «يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ، يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ» وهذه الخصيصة لم تثبت لغيره صلى الله عليه وسلم، بل ثبت أن كلاً منهم نودي في القرآن باسمه، كقوله يا آدم، ياموسى، يا هارون، يانوح، ياداوود الخ. وفيها أن كل معجزة لنبي انقضت بزمانه، ومعجزة سيدنا محمد وهي القرآن باقية إلى يوم الدين. وهذه الأدلة موجودة كثيرة، ولولا الإطالة لجلبنا منها جملة وافرة. وقد ألف في هذه المسألة عز الدين ابن عبد السلام تأليفاً حسناً سماه كتاب السؤل في تفضيل الرسول، وقد أقنع فيه من نقول الأدلة وتوجيهها على أنواع مختلفة، وعليه جرى أقوال العلماء خلفا وسلفا. قال ابن زكري في محصل المقاصد:

رَسُولُنَا أَفْضَلُ بِالْإِطْبَاقِ مِنْ كُلِّ مَخْلُوقٍ عَلَى الْإِطْلَاقِ

ثم إن صاحب الترجمة خالف هذا كله وتمذهب بمذهب الشعوبية فيما حكى لنا عنه، ومما يدل ما حكى عنه قوله في مطلع همزته التي ساجل بها همزة الشيخ البوصيري:

رَبَّنَا لِلْحَبِيبِ مِنْكَ الْجِزَاءُ تَقْتَضِيهِ الْأَرْوَاحُ وَالْأَجْزَاءُ

وقد نكث به على قول البوصيري في أول همزته:

كَيْفَ تَرْقَى رُقِيَّكَ الْأَنْبِيَاءُ يَا سَمَاءَ مَا طَوَّلَتْهَا سَمَاءُ

وصرّح في أول شرحه لهمازيتته المذكورة بشيء من ذلك فليتنظره من أرادته وليحذره. وقد أطلنا هنا رجاء أن لا بُتلي بما ابتلي به مسلم. ومما بتأكد بيانه هنا قوله صلى الله عليه وسلم: (ثَلَاثَةٌ يُؤْتَوْنَ أَجْرَهُمْ مَرَّتَيْنِ رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ آمَنَ بِنَبِيِّهِ وَادْرَكَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَاَمَّنَ بِهِ وَاتَّبَعَهُ وَصَدَّقَهُ فَلَهُ أَجْرَانِ، وَعَبْدٌ مَمْلُوكٌ أَدَّى حَقَّ اللَّهِ وَحَقَّ سَبْدِهِ فَلَهُ أَجْرَانِ، وَرَجُلٌ كَانَتْ عِنْدَهُ أُمَةٌ فَغَدَّاهَا فَأَحْسَنَ غَدَاهَا ثُمَّ أَدْبَاهَا فَأَحْسَنَ تَأْدِيبَهَا وَعَلَّمَهَا فَأَحْسَنَ تَعْلِيمَهَا وَتَزَوَّجَهَا فَلَهُ أَجْرَانِ). أخرجه أحمد والشيخان والترمذي والنسائي وابن ماجة.

قال القرطبي: الكتابي الذي يضاعف أجره مرتين هو الذي كان على الحق في شرعه عقداً وفعلًا إلى أن آمن بنبينا صلى الله عليه وسلم، فسوَّج على اتباع الحق الأول والثاني انتهى.

قال ابن حجر في الفتح بعد نقله: ويشكل عليه أن النبي صلى الله عليه وسلم كتب إلى هرقل: (أَسْلِمَ يُؤْتِكَ اللَّهُ أَجْرَكَ مَرَّتَيْنِ)، وهرقل كان ممن دخل في النصرانية بعد التبديل، وأعطى هرقل الأجر مرتين لكونه كان مومنًا بنبيه ثم آمن بمحمد صلى الله عليه وسلم، وهو موافق لقوله تعالى: «أُولَئِكَ يُؤْتَوْنَ أَجْرَهُمْ مَرَّتَيْنِ» ويحتمل أن يكون تضعيف الأجر له من جهة إسلامه ومن جهة أن إسلامه يكون سببًا لإسلام أتباعه. واستنبط منه شيخنا شيخ الإسلام أن كل من دان بدين أهل الكتاب كان في حكمهم في الذبائح والمناكحة، لأن هرقل هو وقومه ليسوا من بني إسرائيل، وهم ممن دخل في النصرانية بعد التبديل، وقد قال له ولقومه بآ أهل الكتاب، خلافاً لمن خص ذلك بالاسرائيليين وبمن علم أن سلفه دخل في اليهودية أو النصرانية قبل التبديل والله أعلم انتهى وقال الداودي ومن تبعه إنه يحتمل أن يتناول سائر الأمم فعلمه من خير كما في حديث حكيم بن حزام أسلمت على ما سلف من خير، وهو متعقب، لأن الحديث قيد بأهل الكتاب فلا يتناول غيرهم إلا بقياس الخير على الإيمان. وأيضاً فالنكحة في قوله آمن بنبيه الإشعار بعلّة الأجر، أي أن سبب الأجر الإيمان بالنبئين، والكفار ليسوا كذلك. ويمكن أن يقال: الفرق بين أهل الكتاب وغيرهم من الكفار أن أهل الكتاب يعرفون محمداً صلى الله عليه وسلم كما قال الله تعالى: «يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ» فمن آمن به واتبعه منهم كان له فضل على غيره، وكذلك من كذبه منهم كان وزره أشد من وزر غيره. هـ. وقال المهلب: جاء النص في هؤلاء الثلاثة لبنيه فيه على سائر من أحسن في معنيين، أي في أي فعل كان من أفعال البر.

قلت: وهذا يؤيد ما قال الداودي من تمكن حمله على من فعل خيراً من أهل الكتاب انتهى كله حاشية العلقي على الجامع الصغير. وقال قبله: فإن قلت: هل يختص ذلك بمن كان في عهده عليه السلام أو يستمر إلى يوم القيامة كالأخريتين؟ قلت: ذهب الكرماني إلى الأول، والبلقيني إلى الثاني، قال ابن حجر وهو الأظهر، والمرأة كالرجل في ذلك هـ. وقال ابن المنير: مومن أهل الكتاب لا بد أن يكون مومنًا بنبينا صلى الله عليه وسلم

لما أخذ الله عليهم من العهد والميثاق، فإذا بُعث في إيمانه مستمر، فكيف يتعدد إيمانه حتى يتعدد أحره؟ ثم أجاب بأن إيمانه الأول بأن الموصوف بكذا وكذا رسول، والثاني بأن محمداً هو الموصوف، فظهر التغاير فثبت التعدد. قال شيخ بعد نقله: ويحتمل أن يكون تعدد أجره لكونه لم يعاند كما عاند غيره ممن أضله الله على علم، فحصل له الأجر الثاني لمجاهدته نفسه على مخالفة أنظاره. وقال قبله أيضاً: وقال شيخنا هو شامل لليهود والنصارى كما دل عليه سبب نزول قوله تعالى: «أُولَئِكَ يُوتَوْنَ أَجْرَهُمْ مَرَّتَيْنِ» نزل في جماعة منهم عبد الله بن سلام ورفاعة القرطبي، وهما من اليهود، وسلمان الفارسي كان نصرانياً خلافاً لمن خصه بالنصارى. ومن رفيع قدره عليه السلام أن الله أخذ على كل نبي أنه إن أدرك زمانه يؤمن به ويكون من أنصاره، وقد أوضح هذا المعنى التاج السبكي في تأليفه المسمى بالتعظيم والمئة، وفي قوله لتؤمنن به وتكنصرتن، فكل أمة تابعة له صلى الله عليه وسلم وهو أس نظامها، ويدر تمامها، وفارس أعلامها، ولا تنفع إلا الاستغاثة به في كل ما عسر على المرء من عيوب نفسه كالكبر وحب العلو والجاه.

وقال تعالى: «تِلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا» الخ. وأصل الادعاءات كلها حب العلو. وفي الصحيحين والنسائي واللفظ للبخاري عن أبي هريرة: قيل يا رسول الله: (مَنْ أَكْرَمَ النَّاسَ قَالَ: أَتْقَاهُمْ. قَالُوا لَيْسَ عَنْ هَذَا نَسْأَلُكَ، قَالَ فَعَنْ مَعَادِنِ الْعَرَبِ تَسْأَلُونِي خَسَارُهُمْ فِي الْجَاهِلِيَّةِ خِيَارُهُمْ فِي الْإِسْلَامِ إِذَا فَقَّهُوا) انتهى. قال القرطبي: وفي حديث آخر كمعادن الذهب والفضة، وهو مثل وجه التمثيل أن المعادن نشتمل على جواهر نفيسة وخسيسة، وكل معدن يخرج ما في أصله، وكذا الناس يظهر على كل ما في أصله، فمن له شرف في الجاهلية فأسلم لم يزد الإسلام إلا شرفاً، فإن تفقه في الدين وصل الغاية في الشرف لاجتماع أسباب الشرف كلها، وعليه يصدق خيارهم في الجاهلية الحديث، وقال الأبي بعد نقله المقصود إنما هو بيان الخيار في الإسلام لا الخيار في الجاهلية لأنه لا يترتب عليه أحكام، فيتعين أن خياركم في الإسلام مبتدا، وخياركم في الجاهلية الخبر. انتهى.

قلت: وفيه نظر، إذ لا يتعن، لأن قوله خياركم في الجاهلية هو المبتدا وخياركم في الإسلام هو الخبر بالشرط الذي في قوله إذا فقها، فإن لم يفقهوا لم يكونوا خياراً. هذا هو الظاهر. قال النووي يعني أن أصحاب المروءات ومكارم الأخلاق في الجاهلية إذا أسلموا وفقها فهم خيار الناس. ثم قال النووي: والفضيلة في الإسلام بالتفوق، لكن إذا انضم إليها شرف النسب زادت فضلاً. وفقها - بضم القاف - على المشهور، وحكي كسرهما، أي صاروا فقهاء عالمين بأحكام الشريعة الفقهية. فإن قيل ما قدرتم من أفضلية العرب على العجم ينافية أحاديث وردت وهي مذكورة في كتب العلماء، منها قول جابر: خطبنا رسول الله صلى الله عليه وسلم في أواسط أيام التشريق خطبة الوداع فقال: (يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ رَبَّكُمْ وَاحِدٌ وَإِنَّ آبَاءَكُمْ وَاحِدٌ لَا فَضْلَ لِعَرَبِيٍّ عَلَى عَجَمِيٍّ وَلَا لِعَجَمِيٍّ عَلَى عَرَبِيٍّ وَلَا لَأَحْمَرٍ عَلَى أَسْوَدٍ وَلَا

لَأَسْوَدَ عَلَى أَحْمَرَ إِلَّا بِالتَّقْوَى. إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ. أَلَا هَلْ بَلَغْتُ. فَأَلَوْا بَلَى يَارَسُولَ اللَّهِ، قَالَ فَلْيُبَلِّغِ الشَّاهِدَ الْغَائِبَ) الحديث رواه البيهقي، ومنها حديث عقبة بن عامر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (إِنَّ أُنْسَابَكُمْ هَذِهِ لَيْسَتْ بِسَبَابٍ عَلَى أَحَدٍ وَإِنَّمَا أَنْتُمْ وَلَدُ آدَمَ طِفُّ الصَّاعِ لَمْ تَمْلُكُوهُ، لَيْسَ لِأَحَدٍ فَضْلٌ عَلَى أَحَدٍ إِلَّا بِالذَّنِّ أَوْ عَمَلٍ صَالِحٍ. حَسَبُ الْمَرْءِ أَنْ يَكُونَ فَاحِشًا بَخْسًا بَذِيًّا). وحديث أبي ذر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (انْظُرْ فَإِنَّكَ لَسْتَ بِخَيْرٍ مِنْ أَحْمَرَ وَلَا أَسْوَدَ إِلَّا أَنْ تَفْضُلَهُ بِالتَّقْوَى) وحديث أبي هريرة قال إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (إِنَّ اللَّهَ أَذْهَبَ عَنْكُمْ غِيَةَ الْجَاهِلِيَّةِ وَقَحْرَهَا بِالْأَبَاءِ. النَّاسُ بَنُو آدَمَ وَآدَمُ مِنْ تُرَابٍ، مُؤْمِنٌ تَقِيٌّ أَوْ فَاجِرٌ شَقِيٌّ، لَبِنتَهُنَّ أَقْوَامٌ يَفْتَخِرُونَ بِرِجَالٍ إِنَّمَا هُمْ فَحْمٌ مِنْ فَحْمِ جَهَنَّمَ أَوْ لِيَكُونُوا أَهْوَنَ عَلَى اللَّهِ مِنَ الْجِعْلَانِ الَّتِي تَدْفَعُ النَّتْنَ بِأَنْفِهَا).

قلنا كل هذه الأحاديث لا تصلح للاحتجاج. أما حديث جابر الأول وهو قوله خَطِينَا فرواه البيهقي وقال في إسناده بعض من نُجْهَل ونقله المنذري. وأما حديث عقبة بن عامر فقال المنذري رواه أحمد والبيهقي كلاهما من رواية من رواية ابن لهبعة، وابن لهبعة هذا هو عبد الله الحضرمي قاضي مصر، قال الذهبي في مختصر التهذيب العمل على تضعيفه، وقال ابن حجر له في التذليل: اخْتَلَطَ فِي آخِرِ عَمْرِهِ وَكَثُرَ عَنْهُ الْمَنَائِرُ فِي رِوَايَتِهِ، وَقَالَ ابْنُ حِبَانَ: كَانَ صَالِحًا وَلَكِنَّهُ بَدَّلَ عَلَى الضَّعْفَاءِ. وأما حديث أبي ذر فال منذري رواه أحمد ورواته ثقات مشهورون إلا أن أبا بكر بن عبد الله المزني لم يسمع من أبي ذر. وأما حديث أبي هريرة فسكت عنه المنذري وقال أخرجه أبو داود والترمذي والبيهقي بإسناد حسن، وقد علمت أن درجة الحسن نازلة عن الاحتجاج، وذكر ابن حجر مثله في كتاب المناقب من شرحه للبخاري عن ابن عمر قال: خطب النبي صلى الله عليه وسلم يوم الفتح فقال: (أما بعدُ يا أيُّها الناس، فَإِنَّ اللَّهَ أَذْهَبَ عَنْكُمْ غِيبِيَّةَ الْجَاهِلِيَّةِ وَقَحْرَهَا بِالْأَبَاءِ. يَا أَيُّهَا النَّاسُ مُؤْمِنٌ تَقِيٌّ كَرِيمٌ عَلَى اللَّهِ، أَوْ فَاجِرٌ شَقِيٌّ هَيْنَ عَلَى اللَّهِ، تَم تَلَا يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ الْخ). قال ابن حجر ورجاله ثقة إلا أن ابن مردويه ذكر أن محمد ابن المنبري رواية عن عبد الله وجاء عن موسى بن عقبة، وإنما هو موسى بن عبيدة، وابن عقبة ثقة، وابن عبيدة ضعيف وهو معروف برواية موسى بن عبيدة. انتهى كلام ابن حجر.

فإذا نقرر هذا تبين أن لامعارضة بين هذه الأحاديث وبين الأحاديث المتقدمة في الدلالة على أفضلية العرب لقصور هذه المعارضة لها وضعفها لأن المتقدمة مستتملة على الصحيح وغير ذلك مع كثرتها. فإن كان مراد صاحب الترجمة أن لا بُهَان واحد من المسلمين من أي جنس كان ولا يحقر ولا بغض منه ولا يترفع عليه ولا يؤذي بشيء لم يلزمه شرعا ولا يُتَناول عليه بالنسبة العربية وغير ذلك فصحيح. وهو واجب على كل مسلم، وبه ندب الله، وهذا ما جاء به رسول الله صلى الله عليه وسلم إذ قال تعالى: « النَّبِيُّ أَوْلىُّ بِالْمُؤْمِنِينَ » وفي الحديث المشهور: (والذي نفسى بيده لَأَنَا أَوْلىُّ بِكُلِّ مُؤْمِنٍ مِنْ نَفْسِهِ، أَقْرَبُ وَأَوْلىُّ مِنْ شَيْئٍ).

النَّبِيِّ أَوَّلَى بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنْفُسِهِمْ) الحديث. ولا يُعْبَرُ عَنْهُنَّ هُوَ حَدِيثٌ عَهْدٌ بِالإِسْلَامِ بِشَيْءٍ مِمَّا يُؤْذِيهِ إِلَّا مَنْ لَا حَيَاءَ فِيهِ. وَلَقَدْ رَأَيْتُ مِنْهُمْ أَفْوَامًا خَيْرِينَ دَنِينَ وَلَهُمْ مَرُوءَةٌ، وَلَا يَغْصُ مِنْهُمْ إِلَّا مَنْ لَا أَخْلَاقَ لَهُ وَمَنْ لَا يَبَالِي بِدِينِهِ. وَإِنْ كَانَ مُرَادُ صَاحِبِ التَّرْجُمَةِ إِنْكَارَ مَحَبَّةِ الْعَرَبِ وَنَفْيَ مَزِيَّتِهِمْ، سَبِمَا مِنْ صَحْتِ فِيهِمُ الْأَحَادِيثُ كَالْأَنْصَارِ وَقَرِيشِ وَأَهْلِ الْبَسْتِ وَمَنْ فِي مَعْنَاهُمْ، فَقَدْ ابْتَدَعَ بَدْعَهُ شَنْيَعَةً، وَيُحْكَمُ عَلَيْهِ بِمَا يُحْكَمُ عَلَى أَهْلِ الْأَهْوَاءِ، وَقَدْ تَقَدَّمَ بَيَانُهُ.

وَأَمَّا التَّمَسُّكُ بِهَذِهِ الْبَدْعَةِ بِأَنَّ مَنْ كَانَ حَدِيثَ عَهْدٍ بِالإِسْلَامِ وَمَنْ فِي مَعْنَاهُمْ دَلِيلُ أَفْضَلِيَّتِهِمْ بِأَنَّهُمْ مِنْ بَقَايَا بَنِي إِسْرَائِيلَ فِيهِمْ أَوْلَادُ الْأَنْبِيَاءِ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ كَسَيِّدِنَا مُوسَى وَسَيِّدِنَا هَارُونَ وَسَيِّدِنَا زَكَرِيَّا وَنَرْفَعُهُمْ بِذَلِكَ عَلَى الْعَرَبِ وَغَيْرِهِمْ مِنَ الْأُمَّةِ، فَهَذَا مِنَ الضَّلَالِ الْمُبِينِ وَالْهَوَسِ الَّذِي لَيْسَ فِيهِ إِلَّا الْخُرُوجُ مِنَ الدِّينِ، لِأَنَّهُ غَيْرُ مُمْكِنٍ إِلَّا فَمَنْ هُوَ مُمَيِّزٌ بِالنَّصِّ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، كَزَوْجِهِ أُمِّ الْمُؤْمِنِينَ صَفْبَةَ كَمَا صَحَّ بِذَلِكَ الْحَدِيثُ. وَأَمَّا غَيْرُهَا فَمَنْ لَا يُمَسِّرُهُ النَّصُّ فَلَا يُمْكِنُ ثَبُوتُهُ وَلَا يَوْجُدُ فِي ذَلِكَ إِلَّا مُجَرَّدُ الْإِدْعَاءِ وَالتَّوَهُمِ، لِأَنَّ هَؤُلَاءِ الْأَنْبِيَاءَ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ كَانُوا قَبْلَ زَمَانِ الْإِسْلَامِ بِفُرُونٍ كَثِيرَةٍ وَسَنِينَ مُتَطَاوِلَةٍ بَعِيدَةٍ، وَكَمَا لَا يَوْجُدُ نَقْلٌ صَحِيحٌ مِمَّا قَبْلَ الْإِسْلَامِ إِلَّا بِالْخَبَرِ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. فَكَذَلِكَ نَقْلُ النَّسَبِ لِأَنَّهُ نَقْلٌ بِالْخَبَرِ وَمَنْدُوجٌ فِيهِ. وَقَدْ قَالَ الْحَافِظُ ابْنُ حَزْمٍ وَغَيْرُهُ مِنْ أُمَّةِ هَذَا الشَّانِ: نَقْلُ الثَّقَةِ عَنِ الثَّقَةِ يَبْلُغُ بِهِ الْمَصْطَفَى مَعَ الْإِتِّصَالِ بِخُصُوصِ الْمُسْلِمِينَ دُونَ جَمِيعِ الْمَلِكِ، أَمَّا مَعَ الْإِرْسَالِ وَالْإِعْضَالِ فَيَوْجُدُ فِي الْيَهُودِ لَكِنْ لَا يَبْقَرُونَ مِنْ مُوسَى قَرِينًا مِنْ نَبِيْنَا حِثَّ يَكُونُ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَهُ أَكْثَرُ مِنْ ثَلَاثِينَ نَفْسًا، وَأَمَّا النَّصَارَى فَلَيْسَ عَنْدهُمْ مِنْ صِفَةِ هَذَا النَّقْلِ إِلَّا تَحْرِيمُ الطَّلَاقِ انْتَهَى كَلَامُ ابْنِ حَزْمٍ. عَلَى أَنَّ هَذَا النَّقْلَ الْمُتَوَهُمَ إِنَّمَا هُوَ بِحِكْمِ عَنِ الْيَهُودِ وَمَنْ فِي مَعْنَاهُمْ مِمَّنْ دَخَلَ فِي أَهْلِ الْكِتَابِ، وَقَدْ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (لَا تُصَدِّقُوا أَهْلَ الْكِتَابِ وَلَا تُكَذِّبُوهُمْ) كَمَا فِي الصَّحِيحِ. قَالَ الْعَارِفُ ابْنُ أَبِي جَمْرَةَ عَلَيْهِ: وَمَنْعَ الْفُقَهَاءِ تَصْدِيقَهُمْ مَرَّةً وَاحِدَةً كَانَ ذَلِكَ فِي كِتَابِهِمْ أَوْ غَيْرِهَا مِنَ الشَّهَادَةِ. ثُمَّ قَالَ بَعْدَ كَلَامٍ: فَحَصَلَ مِنْ كَلَامِ الْوُجْهَيْنِ الْعَمُومُ لِعَدَمِ صَدَقَتِهِمْ عَلَى الْإِطْلَاقِ، وَهَذَا هُوَ الْحُكْمُ وَعَلَيْهِ السَّلَفُ انْتَهَى. وَقَالَ ابْنُ سِيرِينَ إِنَّ هَذَا الْأَمْرَ دِينَ فَانْظُرُوا عَمَّنْ تَأْخُذُوا (كَذَا) دِينَكُمْ، وَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ الْمُبَارَكِ الْإِسْنَادُ مِنَ الدِّينِ، وَلَوْلَا أَنَّ الْإِسْنَادَ مِنَ الدِّينِ لَقَالَ مِنْ تَاءٍ مَا تَاءَ، ذَكَرَهُ مُسْلِمٌ فِي خُطْبَةٍ صَحِيحَةٍ. وَقَدْ حَذَّرَ الْعُلَمَاءُ مِنَ الْإِسْرَائِيلِيَّاتِ وَتَرَكَوْا رَوَايَةَ مَنْ كَانَ بِخَالِطِهَا مَخَافَةٌ إِدْخَالُ شَيْءٍ مِنْهَا فِي أَحَادِيثِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. وَقَدْ بَالِغَ الْعَرَبِ فِي حِفْظِ أَنْسَابِهِمْ وَخُصُوصًا بَنِي هَاشِمٍ مِنْ زَمَنِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَى الْآنَ، وَنَقَلُوهُ بِشَهَادَةِ أُمَّةٍ كُلِّ زَمَانٍ، وَمَعَ ذَلِكَ لَا يَوْجُدُ مَا هُوَ مُسَلَّمٌ إِلَّا الْقَلِيلُ بِالنِّسْبَةِ لِمَا لَا يَسْلَمُ مِنْهُ، مَعَ اعْتِنَاءِ الْمُؤَلِّفِينَ فِي التَّارِيخِ بِذَلِكَ وَالتَّنْبِيهِ عَلَيْهِ فِي كِتَابِهِمْ، إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ مِمَّا لَسَ هَذَا مَحَلُّهُ. فَكَيْفَ يَعْتَبَرُ بِمَا هُوَ بِمُجَرَّدِ الْإِدْعَاءِ أَوْ بِالِاسْتِنَادِ إِلَى شُبْهَةِ كَافِرٍ مَعْلُومٍ بِالتَّبْدِيلِ وَالتَّغْيِيرِ وَالتَّلْبِيسِ مِنْ أَوَّلِ نَشَأَتِهِ، فَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ. وَهَذَا مَا ظَهَرَ فِي تَقْرِيرِ حُكْمِ الْمَسْأَلَةِ فِي الْخَارِجِ. وَأَمَّا الْإِنْسَانُ فِي خَاصَّةِ نَفْسِهِ سِوَاكَ كَانَ عَرَبِيًّا أَوْ

غيره فلا يطمئن لشيء ولا تسكن نفسه لمزية وإن كانت له فيها منزلة بمقتضى الظاهر، فإن الأمر عند الله تعالى مغيبٌ عنا، ولا نتحقق درجة من درجات التعظيم من شرف وعلم وولاية إلا بحسن الخاتمة. قال العارف بالله سيدي عبد الرحمان بن محمد الفاسي: ينبغي لكل أحد له فضيلة وعُد عليها في العُقْبَى أن لا يقطع بذلك لنفسه، فإن شرط ذلك الإيمان عند الله، وهو غيب لا يقطع به لأحد إلا مَنْ ميزه النص. على أن مَنْ تحقق قبضة الحق تعالى لا يسكن لوعده وعُد به، وبه تفهم قول سيدي عبد السلام بن مشيش: وألحقني بنسبه، فإن الطيني مشروط بالدينى، وهو غيب. وكذا ما ورد فى قبول الطاعات والدعاء. وادخاره فإنما هو فيمن علم منه خاتمة الإيمان ونفذت بذلك قدرته ومشيتته. وأما أحد فى خاصته فلا يصح له الجزم والقطع بذلك لنفسه ولا لغيره. وقال شبخنا أبو الحسن: وقد أبهت علينا الأمر لنرجو ونخاف، وذلك سر العبودية، وبذلك تنقطع الآمال إلا من الله، وتحقق الرجاء والاعتماد عليه انتهت كلامه. ولم تزل هذه أحوال الناس من وجوه العرب وعظماء الأخيار من أهل الببت وغيرهم، فقد كان سيد أهل البيت سدننا الحسن بن علي - رضى الله عنه - حليماً ورعا فاضلاً دعاه ورعه وفضله إلى أن ترك الملك والدنيا رغبة فيما عند الله وقال: والله ما أحببت منذ علمت ما ينفعني أن ألي أمر أمة محمد صلى الله عليه وسلم على أن تُراق فى ذلك محجمة دم، فعوضه الله تعالى ملك الآخرة بأن كان هو أول الأقطاب، وجعل الخلافة فى عقبه الشريف، وأظهر الله عليهم بركة ذلك، رحمننا الله بفضله آمين (529).

مَحْمَد بن أَحْمَد بن مُحَمَّد مِيارَة

ومنهم العالم العلامة المشارك المحقق الدراكة الفهامة (أحد أعلام الفقهاء، وأكابر النبهاء، وأفاضل الوجهاء) (530) أبو عبد الله سيدي مَحْمَد - بالفتح - بن أحمد بن الشيخ (شارح العاصمية) (531) سيدي محمد مِيارَة الفاسي، تقدمت ترجمة جده المذكور عام اثنين وسبعين وألف. كان لصاحب الترجمة نحقق فى العلوم العقلية، ودراية تامة فى العلوم النقلية، وحفظ فى النوازل، وكان إليه المرجع فى فتاوى فاس وحوادثها، وكان موثقاً به فى سائر أموره (عند الخاصة والعامة) (532) ولي أولاً الشهادة فى أوقاف المساكين، ثم ولي النظر فى مُحاسبة نُظار سائر الأعباس. وكان يتعاطى الشهادة، مقصوداً فى مهماتها، معتمداً فى مسائلها، وكل ما كان يرجع فيه للعلماء بفاس لا يجاوزه. (وأخبرنى من حضره مع السلطان الخليفة أمير المؤمنين مولانا عبد الله بن مولانا إسماعيل الشريف الحسنى السجلماسي وهو يقول له: افصلني مع إخوانك، يعنى أهل فاس، إذ كانوا حنثلاً لا بُدعون إلى أحكامه، وقد صرحوا بمخالفته فى أمور، فقال له إنى لم أسمع كلامهم، يريد أن القاضي لا يحكم إلا إذا سمع كلام الخصمين معاً، والسلطان أحدهما، والآخر هم أهل فاس وهم

(529) هنا ينتهى البتر الموحّد فى س و ك، وهو المتعلّق برد المؤلف على شعبية ابن ركري

(530) ما بين معقوفتين ساقط من ط

(531) زيادة فى ط.

(532) ساقط من ك و س.

غائبون. قال المُخبر، وهو والدي الخياط بن محمد القادري الحسني وهو الذي أخبر المؤلف بهذه الحكاية بمحضري،: فدخلني دهش حتى أترقب البطش بنا لما واجهه به مع ما هو عليه من شدة البطش ونفوذ الكلمة وصوله الملك وكثرة الأتباع. كان له في السبع سنين الأولى من خلافته من الأتباع ثلاثون ألفا. وكان والي فاس الرئيس الروحي يستشيريه في حوادث ولا يشق إلا به، فكان لا يحيد عن الحق في شيء معلوم ذلك منه (533) وكان صاحب سمت حسن وذكاء وفطنة تامة، وكان مهابا محبباً للعامة والخاصة. توفي رحمه الله في خامس عشر المحرم عام أربعة وأربعين ومائة وألف، ودفن بمقبرة جده بأقصى درب الطويل عدوة فاس القرويين.

من حوادث السنة

رحلة السحاقي الحجازية

ومن حوادث هذه السنة (534) (أن أُلّف الشرقي السحاقي رحلة في حج خناتة حسنة جداً، وكانت فقيهة من القراء، تُحسن القراءات السبع، قرأت على الكاتب السيد محمد المكي الدكالي، توفي في أوائل العشرة العاشرة من الثاني عشر بعد ألف (كذا). والسحاقي توفي بعد الخمسين ومائة وألف (535). وكان رجوع أم مولانا المنصور بالله أبي محمد عبد الله بن مولانا إسماعيل الحسني مع حفيدها المنصور بالله أمير المؤمنين سيدي محمد بن عبد الله الحسني من الحج، واليمن والسلامة يصحبهما، والبركة والخير معهما.

حركة السلطان لأيت يمور

حركة السلطان لأيت يمور، وأتى فيها بيوسف الحنصالي الذي كان سببا في القيام على أخيه مولاي عبد المالك فقتله شر قتلة ومنع من دفنه حتى تمزقت أعضاؤه، فعل به ذلك لئلا يتوهم ضعفة العقول من أصحابه أنه لم يمت لأنه كان يخالط علم الحداث. وقد حُكي لنا أنه قال له حين قتله: أردت أن لا أقتلك لكن خفت أن أتركك يقال إن جنونك غلبني. وقويت رهبة السلطان في قلوب الناس، وعظمت همته، وضخم ملكه، وصار له المغرب كالزيت، وقتل الطغاة من سائر قبائل المغرب، وشدد المغارم على أهل فاس أمر يطول شرحه (536)، ولم يخرج منهم إلا الشرفاء والمرابطين والطلبة، فأخذ منهم إلا الشرفاء والمرابطين والطلبة، فأخذ منهم مالا كثيرا مع الحركة إلى سبته.

533 ما بين معقوفتين ساقط من ط، ثابت كله في صلب س، وبعضه في هامش ك، لعله بخط ابن عم المؤلف، محمد بن الحياط القادري صاحب التقايد التاريخية المشهورة وفيما عدا ذلك تختلف ألفاظ المخطوطتين مع ط في بعض الألفاظ والتراكيب.

534 حوادث هذه السنة سافطة من ط.

535 ما بين معقوفتين لا يوجد إلا في س وحدها

536 في هامش ك و س طرة نصها. أخذ جميع الزرع ولم يترك لهم سوى ربع وسق على يد قائده ولد المجاطية ابن موسى المجاطي صاحب الطابع، وكان عامل فاس عبد اللطيف بن عبد الله الروسي، فلم يعلم ما أخذه المجاطي من فاس من الزرع، فسأل السلطان الروسي عن ذلك فلم يجد عنده علماً فقتله، وولى مكانه محمد بن علي ويشي الزموري فأخذ من أهل فاس من الأموال والمغارم والوظائف ثمانية وعشرين ألف متقال فضة من عشر أواقي. ولا حول ولا قوة إلا بالله

محنة تجار مع فاس مولاي عبد الله (537)

وبعث - مولاي عبد الله - قائده عبد الرزاق بن على ويسى الزموري لفاس وقبضهم في المال أجمعين، وجعلهم في السجن وكلفهم بدفع المال فورا. فمنهم من أعطى عشرة آلاف مثقال، كالحاج حدو ابن زاكور والحاج على الحريشي والحاج محمد الزريهني والحاج عبد الرحمان اللبار، ومنهم من أعطى أربعة آلاف مثقال، ومنهم من أعطى ثلاثة آلاف مثقال إلى الخمسمائة مثقال وهكذا. وعم ذلك جميع وجوه الناس وقُتِنوا بذلك غاية الفينة حتى دفعوا على ما قيل قنطار (538). وعشرين فنطارا من المال. وبعد ذلك بشهرين أو ما يقرب منهم قتل السلطان مولانا عبد الله عبد اللطيف الروسي، وبعث القائد محمد وعلى ويشي أبا عبد الرزاق المذكور، وجعل أيضا يقبض التجار على السروج، فمنهم من أعطى ألفين مثقالا، ومنهم من أعطى ألفا، ومنهم من أعطى خمسمائة إلى المائة مثقال إلى الخمسين مثقالا. وبعد الفراغ من قبض حق السروج جعل يفرض الهدية التي كانت تعمل له من الشهر إلى الشهر، وهو يقبض أهل المدينة ويعذبهم على ذلك بالسجن والضرب المؤلم الموجه الشديد، والناس معه في العذاب الأليم. وكان يقبض النساء ويسجنهم ويضربهم (كذا) الضرب الفاحش، ويباشر ذلك الأرزال، والفساق من أصحابه الأنزال. ودام ذلك الأمر على الناس نحو السنين إلى أن فر هو وأصحابه من فاس بانقضاء دولة مولانا عبد الله من الملك. وحكي عمن يوثق به أنه قتل في مدة خلافته هذه من المخلفات سبعة آلاف، وقتل كبراء الدولة من العبيد وغبرهم من أحرار القبائل.

تذكرة المحسنين

محمد بن أحمد ميارة

العلامة الهمام سيدي محمد بن أحمد ميارة ضحوة الجمعة خامس محرم من السنة.

محمد بن عبد الرحمان ابن زكري

وفى يوم الأربعاء ثامن عشر صفر توفي العلامة سيدي محمد بن عبد الرحمان ابن

زكري.

(537) النص التالي انمردت به الحوليات، (ص 37) وقد ورد فيها - في هذه السنة والتي قبلها - أن خاتنة بنت بكار رأت في حجبها من ثراء الفاسيين ورفاهيتهم ما أحفظها «فاغرت بهم ولدها السلطان مولاي عبد الله، وحرضته على أخذهم ونهبهم بكلام يوغر الصدور، ويشير الشرور».

(538) كذا في الأصل ولعل الصواب: مائة قنطار

العام الخامس من العشرة الخامسة

محمد الطيب بن مسعود المريني

فمنهم الفقيه الأديب، صاحب النظم العجيب، والنثر الغرب، المؤرخ النسابة الأرفع، العالم الصوفي الأنفع، أبو عبد الله سيدي محمد الطيب بن مسعود المريني (539)، من كبار الأدباء، وأعيان الفقهاء النجباء، وله تمسك بأهل الصلاح، وانحياش (540) لجانب الطريقة الصوفية، فألف تأليف، منها: تبصرة الغافل وتذكرة العاقل، جمع فيه من المواعظ والحكم ما ينبيء عن حاله من الفضل والعلم، ورتبه على خمسة عشر باباً، وقبله أعيان الوقت ومدحوه وأحسنوا الثناء عليه وعلى كتابه، فمنها ما كتبه عليه العلامة الصالح البركة الأنور أبو عبد الله محمد بن عبد الرحمان التادلي ما نصه:

الحمد لله الكريم الفتاح، عظيم العفو والفضل والسماح، فاتح أقفال الصدور، بمفاتيح السرور والأفراح، خص نسيم الأسحار بطيب الهبوب، فأحيا به القلوب، وأراح الأرواح. سقى بساتين أسرارهم، يعرف طيب أذكارهم، فعبق عن أنوارهم وفاح، وفق مَنْ شاء من عباده المومنين، لخدمته عباده الصالحين، فغاصوا بينات الأفكار، في تناهي التذكر والأذكار، واستخرجوا دُرَرَ علوم أغنى سماعها عن نعمة الأوتار، واقتطعوا من حدائق الفهوم أزهارها فبلغوا بذلك الأوطار، ورفعوا عن ذوات الحجب والأستار، واقتضوا من عرائس منح الله تعالى لهم حسناء الأبيكار. والصلاة التامة المباركة على الواسطة لهم في كل مجد وفخار، الطيب المحتد والنجار، أشرف المخلوقات كلها براً وبحراً وسائر الأقطار، سيدنا ومولانا محمد النبي الهاشمي الطاهر المختار، صلى الله عليه وسلم وعلى آله الطيبين، والرضى عن صحبه الأكرمين، وخصوصا المهاجرين والأنصار، وعن التابعين ومن تبعهم باحسان في نفع المسلمين إلى انقضاء الآجال والأعمار، صلاة وسلاماً بتعاقبان ما تعاقب الليل والنهار. وبعد، فإن أخانا في الله وحبينا من أجله الفقيه النجيب الأريب الأديب خديم أهل الله، والمحب في جناب رسول الله، ذا العقل التاقب، والقلب السليم المراقب للعواقب، حائز قصب السبق في الخلق الدنيوي والديني، أبا عبد الله محمد الطيب المريني، لما الهمة الله طريق الهدى وسلك به سبيل الرشد وأعانته ووقفه، وأفصح لسان قلبه وأطلقه، ألف هذا الكتاب الذي عثر فيه على الصواب، وسحر بحسنه العقول والألباب، وجمع فيه عين المطولات باختصار في أبواب، وسماه باعانة القاصدين، وسراج نزهة المريرين، وطلب مني أن أكتب عليه ما يوجب بيانه، ويظهر استحسانه. وسعادة المرء استعماله. قال صلى الله عليه وسلم: (مَنْ يَرِدِ اللَّهَ بِهِ خَيْرًا يُقَقِّهِهُ فِي الدِّينِ)، وقال صلى الله عليه وسلم: (مَنْ يَرِدِ

(539) هذه الترجمة الطويلة لمحمد الطيب المريني ساقطة كلها من ط.

(540) في ك: وانحياز - بالزاي.

اللَّهُ بِهِ خَيْرٌ يَسْتَعْمَلُهُ ، ويحمد الله المستعمل على ما استعمل فيه ممّا فيه من رضى الله و صفاء قلب غيره وقلبه، وسمعنه من أوله إلى آخره يسرد مؤلفه ظناً منه أنني ممن بحسن السباحة، في تلك البحار والسياحة، ولاسيما في هذه الصحاري والقفار، ولم أسد ولو خلت الديار. والله در العائل:

إِذَا هَلَكْتَ أَسَدُ الْعَرَبِينَ وَلَمْ يَكُنْ لَهَا خَلْفٌ فِي الْجِيلِ سَادَ الثُّعَالِبُ

ولما رأيت سؤاله إلحاقاً، أولينه إسعافاً، فوجدت كتابه كما يُظن بمؤلفه من النباهة والعقل، ويشهد له ما جمعه من الحكايات والروايات والأحاديث النبويات، والنقل من الداوين الصوفية وغيرها التي لا يحصيها ويلهم إلها إلا النادر القليل، فقلت فيه أبياتاً وإن لم أكن ممن بحسن الشعر من الطويل:

جمعت كتاباً في العلوم مباركاً	جليلاً كنبر النفع للخير مرشداً
صحيحاً به الخيرات لاحت وأشرقت	بأنوارها تُبدي الرشاد إلى الهدا
يفيد الوري علماً وحلماً وحكمةً	وبشرح بالأسرار للناس أقيداً
تبارك ما أولاك مولاك ذو العطا	ونسأله أن لا تزال مُسَدِّداً
هو البحر في علم الحقيقة فائض	ولكنه يروي زلالاً مـبـرـداً
ويخرج منه الدر بسطع نوره	وغوصه أهل المكارم والندا
فكن شاكراً حَسْبِرَ إِلَهِه وبه	تَنَلُ فوق ما قد نَلْتَ علماً وسُوداً

إلى آخره، فقد أطل.

وممن كتب على التأليف المذكور سدي الحاج أحمد بن علي الجرندي ما نصه:

يقول كتابه الراجي عفو مولاه، الغارق في بحار خطاياه، أحمد بن علي الجرندي هداة الله سواء الطريق، وأوقفه على عين الصواب والتحقيق. قد طالعت (من) هذا الكتاب الحفيل ما أعجب، وحتم شكر مؤلفه وأوجب. قد اشتمل على أسلوب غريب، وحسن ترصيف وترتيب، جمع فيه ما افترق في المطولات، وضم أحاديث الوعظ للآيات، ومزج الماء السُلاف، وحاد فيه عن التكلف والاعتساف، فبرز موضوعاً غريباً، قَرَّبَ فيه المحتاج تقريباً، ينتفع به الشادي والمبتدي، ويتفطن لرموزه ذو القريحة المهتدي، فمطالع أنواره قد بزغت ساطعة، وحجج مسائله قد ظهرت باهرة قاطعة، فجزاه الله على هذا الوضع جزاء حسناً، وعوضه نفائس من الثواب ومِنَّا، ووقَّنا وإياه لِمَا يُحِبُّه ويرضاه، ويجعلنا ممن بتثقيبه

ويخشاه، بجاه نبيه الكريم، عليه أفضل الصلاة والتسليم، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

ومما كتب على التأليف المذكور الفقيه العلامة المدرس سيدي محمد بن محمد المشاط ما نص الحاجة منه:

لما طالعت نبذاً من تأليف الأديب الأريب، سيدي محمد الطيب الدراكة النجيب، المسمى بتبصيرة الغافل، وتذكرة العاقل، وجدته قد وافق اسمه مسماء الخ. وكتب عليه جماعة من أعيان الوقت يطول جلب كلامهم. كالفاضل سيدي علي بن أحمد الشدادي، وشيخنا العلامة سيدي محمد بن عبد السلام بناني، والمفتي النوازلي سيدي محمد بن حمدون بناني الملقب بالمحوج، وغيرهم، وله تأليفان في فضل الأذكار وأنواعها وكيفية العمل بها، أحدهما اسمه نزهة الأفكار، في أنواع الأذكار، وفيه قصائد جيدة من نظمه في نحو الاستغفار (والطلاب) (541) والتصليات، والآخر اسمه () (542) وله ديوان مجموع فيه أنظامه موجود الآن بأيدي الناس يتداول، وله مقامة في مدح سيدي أحمد بن عبد الله معن، وأثنى فيها على جدنا عبد السلام بن الطيب القادري الحسني، ومما مدح فيها به كتابه المقصد قوله: لاُمُوا علبك وما دروا بالمقصد ورأوا ملامى للسلامة مرتدي

وتقدمت لصاحب الترجمة الكتابة مع الخليفة أمير المؤمنين السلطان مولانا إسماعيل، ثم ولّاه النقاية على أشرف المغرب والتقديم على جمعهم والفصل بينهم في الخصوص، فقال أمره إلى أن تنكر له السلطان وأمر بقتله، ثم إن الوزير الرئيس عبد الله الروسي أخفاه عن السلطان وأظهر له أنه قتله، وبقي بداره مقتصراً عليها، وسبل الله عليه ستره في الحقيقة ومنعه وكفاه ما أهمه ببركة حبه في أوليائه وأهل بيته. وكان من أهل الدين المتين، والمحبة في أهل بيت سبب النبيين، وأولياء الله الصالحين، والانحياس (543) لجانب العلماء العاملين، وكان من أهل الولاية، والتعلق بسبب الهداية، فصحب الشيخ سيدي أحمد بن عبد الله معن الأندلسي، ثم لما طال أمره جعل يتعاطى الشهادة في سباط عدول فاس. وكان أهل المروءة يقصدونه لمواساته مع ما له من جودة اللفظ وحسن التبليغ في الوثائق لعرضة (كذا) قلمه وعلمه بالنوازل، فانتعش أمره ولم يستطع أحد أن يبلغ أمره للسلطان من شوكة الروسي إلى أن توفى السلطان رحمه الله وأسكنه من الجنان فسيحه، فقتل أهل فاس قائدهم أبا علي الروسي كما ذكرنا وزاك (544) قاضي فاس سيدي علي بن

(541) زيادة من س.

(542) بياض في الأصول بقدر ست كلمات.

(543) في ك: والانحياس.

(544) بمعنى التجأ واحتفى في اللهجة المغربية الدارجة.

أبي عنان في مولانا إدريس. وقتلوا أيضا المحتسب الطالب أحمد المحمودي، وكان من أهل العدل لا ضرر ولا ضرار، فاتفق أهل فاس على أن يولوا صاحب الترجمة الحسبة لعلمه بها والقيام بحقها وثقته وورعه، ولما رأوا من عدله في ولايته النقابة، فطلبوا منه ولاية الحسبة فوليها وصلحت تلك الخطة بولايته، وسار بسيرة العدل. ثم تعرضت له عوارض عزل نفسه عنها ورجع لتحمل الشهادة مقصودا مشهوراً إلى أن توفي بفاس عام خمسة وأربعين ومائة وألف، ودفن خارج باب الجيسة حوز سيدي مسعود الشراط أحد أبواب مدينة فاس القرويين.

علي بن أحمد الحرشي

منهم (العالم المدرس) (545) الوجيه أبو الحسن علي بن أحمد الحرشي - بضم أوله وفتح ثالثة فياء تحتية ساكنة على صيغة المصغر بياء النسب - الفاسي داراً ومنشأً وقراراً. أخذ عن سيدي عبد القادر الفاسي وولديه أبي زيد سيدي عبد الرحمان وسيدي محمد. كان لصاحب الترجمة إقدام على التصنيف، فشرح الموطأ للإمام مالك. والشفة للقاضي عياض، وشمائل الترمذي، واختصر الإصابة، ونفح الطيب، وتخريج أحاديث النصيحة وبعض أهل عصره لم يذعنوا له ولم يسلموا له، وأكثروا عليه من القيل، حتى قال فيه عبد الله بن العلامة سيدي عبد السلام جسوس منظومة، منها:

قُلْ لِلْحُرْشِيِّ الْجَهْلُ الَّذِي	يَزْعُمُ أَنْ صَنَّفَ شَرْحَ الشُّفَا
نَسَخَتْ شُرُوحَ الْأَكْلِ سَلَفُوا	وَلَفَّظْهُمْ فِي نَقُولِهَا حَرْفَا
قَصَدْتُ أَنْ تَمْحُو آثَارَهُمْ	فَمَا عَزَا أَنْ زِدْتَهُمْ شَرْفَا
فَقُلْ لِمَنْ بَيْتِنِي الْمَنَازِلُ (كَذَا)	وَنَسَوْتُ مِنْ سَخَفِكَ الصُّحُفَا
فَلَيْسَ ذَا وَكَرَكَ فَادْرُجْ فَلَنْ	تَعْدُو قَدْرًا لَكَ قَدْ عُرِفَا
حَسْبُ الشِّفَا الْقَاضِي الشَّهَابُ الَّذِي	قَسَّضَهُ اللَّهُ لَهُ وَاصْطَفَا
وَحَسْبُهُ الدَّلِيلُ وَتَالِبُهُ	كَذَا ابْنُ مَرْزُوقٍ لِمَا شَتَفَا
إِنْ صَرَّصَرَ الْبَازِي فَلَا بِنَبْغِي	لِلدَّيْكَ مَا يَعْنُوهُ أَنْ يَهْتَفَا
فَاضْرِبْ بِمَا أَلْفَتْهُ بِحَجَايَا (كَذَا)	بَا مِنْ رَأَى أَنْ نَعْتَلِي فَاخْتَفَا
وَالْبَيْتُ بِالْبَيْتِ مَعْ زَمْزَم	وَالْحَجَرُ الْأَسْوَدُ ثُمَّ الصُّفَا
لَوْ عَلِمَ الْقَاضِي أَبُو الْفَضْلِ أَنْ	سَتَسْتَطِيعُ الشَّرْحَ مَا أَلْفَا
أَوْ عَلِمَ إِمَامُنَا مَالِكُ	أَنْ الْحُرْشِي شَارِحُ لَاخْتَفَى

وحذفت من هذا النظم ما فيه زيادة أغراض ومبالغة فيه، لأن بين الناظم ووالده وبين صاحب الترجمة عداوة لا حاجة في إيرادها ولا في تعيين سببها. وما أشار به الناظم إلى قصور صاحب الترجمة عن هؤلاء الأعلام المذكورين في النظم كالشهاب (546) والدلجي (547) وابن مرزوق (548) لاشك فيه لأنه اشتهر عند أهل العصر بأن لا يجابه لقصور لسانه عن تحرير العبارة (كذا) وعدم ممارسته للعلوم التي يفتقر التدريس إليها، وكونه لم يظهر لشرحه فائدة مع وجود شروح من ذكر. وقد سمعت ممن أثق به أنه حضر بعض أعياد السلطان بمكناسة مع جماعة من علماء الوقت فأحضر صاحب الترجمة شرحه للشفا وناوله لسيدى لحسن بن رحال المعداني فطالع منه ما تيسر ثم قال له: لم نعتز فيه على شيء من كلامك حتى نعلم صحة قولك من بطلانه، وإنما نقلت كلام الشراح خاصة ولم تقل أنت شيئاً (549). واستجازه شيخنا سيدى أحمد بن مبارك السجلماسي عن سيدى عبد القادر الفاسي، عن ابن أبيه سيدى عبد الرحمان، عن القصار، (عن سيدى رضوان، عن سقّين، عن زكرياء، عن ابن حجر بسنده إلى البخاري، فإن ذكر هذا السند تبركاً فمسلّم، وإن كان بقصد اتصال روايته ففيه نظر) (550) لأنه لم يتصل بالسماع، بل تخللته الإجازة في مواضع كما في فهرسة القصار المذكور (551).

توجّه صاحب الترجمة للحج، وتوفى بالمدينة، ودفن في البقيع الشريف عام الترجمة. وكان يتردد للرئيس عبد الله الروسى ودفع له ولده الفقيه عبد القادر فاستخدمه الروسى كاتباً عنده لجودة خطه وحسن ترسيّله وحرصه على القيام بذلك المقام، فنال صاحب الترجمة من الوجاهة بسبب وقوف ولده في تلك الباب الغاية بحيث نفذ الاحباس الموفقة على كراسي التدريس بغير أن يكون لذلك التدريس أهلاً ودفع بخدمة ولده للروسى عن نفسه وأهله إذاية أهل الشرط والتكليف والتقية من عمال فاس. وما ذكرت هذا تنقبصاً منه (552).

(546) يعنى شهاب الدين أحمد بن حسين بن رسلان الرملى الشافعى المتوفى عام 844 صاحب التعلقة الجيدة على الشفا.

(547) يقصد شمس الدين محمد بن محمد الدلجى الشافعى المتوفى عام 947 مؤلف كتاب الاصطفا لبيان معانى الشفا (548) يريد أبا عبد الله محمد بن أحمد بن مرزوق التلمساني المتوفى عام 781 المعروف بالخطيب.

(549) هنا فى هامش ك طرة نصها: «الأولى أن يشرح بما يظهر له من كلامه، ثم ينقل ما دعت الحاجة إليه، وإلا فلا يكون شرحاً، وإنما يكون جمع مجموعاً فيه كلام غيره».

(550) ما بين معقوفتين ساقط من ك و س.

(551) هنا فى هامش ك طرة أخرى نصها: «وقد سمعنا صحيح مسلم دراية عن شيخنا مولاي إدريس العراقى عن الحريشي هذا بهذا السد».

(552) ترجمة الحريشي في ط مختصرة خالية من المنظومة الهجائية والتعليق عليها، ومن القسم الأخير المتعلق بالاتصال بحاكم فاس الروسى.

أحمد بن يوسف الفاسي (553)

ومنهم السيد الفقيه أحمد بن يوسف بن العلامة سيدي محمد بن بوعسرية بن علي ابن العارف سيدي يوسف الفاسي. تقدمت تراجمهم. ولد عام واحد وسبعين وألف، وتوفي عام خمسة وأربعين ومائة وألف بتطاون، ويها دفن بزاويتهم.

أحمد بن عبد الرحمان الفاسي (554)

ومنهم الوجيه سيدي أحمد بن الحافظ أبي زيد عبد الرحمان بن سيدي عبد القادر الفاسي. تقدمت ترجمة أبيه وجده. كان صاحب الترجمة رئيس حرمهم بعد وفاة أخيه سيدي محمد وولى زوايتهم الكائنة بحومة القلقليين، فأدرك بذلك الوجاهة وصار معظمًا ملحوظًا مقصودا في الحاجات والنوائب، ويتحصن به من البلاء والمصائب، مع سخاء ومروءة. ولد عام تسعين - بتقديم التاء - وألف، وتوفي عام خمسة وأربعين ومائة وألف، ودفن بزاويتهم بالقلقليين من فاس القرويين.

تذكرة المحسنين

أحمد بن عبد الرحمان الفاسي

الفقيه سيدي أحمد بن الإمام سيدي عبد الرحمان بن الشيخ الأكبر سيدي عبد القادر الفاسي، في واحد وعشري ربيع الثاني من السنة، ودفن بالزاوية.

(553) هذه الترجمة ساقطة كلها من ط.
(554) وهذه الترجمة أيضا لا توجد في ط.

العام السادس من العشرة الخامسة

أحمد بن عبد الوهاب الوزير الغساني

فمنهم الفقيه الصوفي الأثير، الناظم النائر الأديب الشهير، أبو العباس سيدي أحمد ابن الفقيه عبد الوهاب الوزير الغساني النُّجار، الأندلسي الفاسي الدار . كان رضي الله عنه له مشاركة، وله معرفة في علوم الحديث والسير والتاريخ والأنساب وطريقة الصوفية، أعجوبة الزمان في صنعة الإنشاء والترسيل، وممن عليه فيها المدار والتعويل، يسحر الألباب، ويأتي بالعجب العجائب، وله عارضة متسعة في التأليف، فألف كتباً عديدة، جامعة مفيدة، فمنها: حاشيته على الكلاعي بلغ فيها إلى خلافة أبي بكر وتوفي قبل إكمالها، وشرح على الهزمية، وشرح على البردة في مجلد كبير، وقد التزم فيه كلام الأليوري والعقباني والشطبي بعد شرحه بما يظهر له. أرخ تمامه وكان الفراغ منه عند طلوع فجر يوم الأربعاء الثالث والعشرين من جمادى الثانية عام ثلاثة وأربعين ومائة وألف، وهو شرح مفيد جدا. وتألف في مناقب سيدي أحمد بن عبد الله سماه المقباس في فضائل أبي العباس، وجلاء القلب القاسي بمحاسن سيدي المهدي الفاسي. وله مقصورة في مدح سيدي أحمد بن عبد الله، وشرحها في سفرين، وشرح الحزب الكبير للشيخ سيدي أبي الحسن الشاذلي، وشرح صلاة مولانا عبد السلام بن مشيش، وعوارف المنّة فيمن شهد له بالجنة، وقصيدة مدح فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم أهل الطريقة بعده إلى شيخه سيدي أحمد بن عبد الله الذين هم واسطة وسندُ ببنه وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم من نحو مائة بيت، وشرحها. ومطلع هذه القصيدة:

أَحْمَدُ مَنْ عَمَّ الْوَرَى فَضْلُهُ سَبْحَانَهُ الْمُعْطَى بِغَيْرِ سَوَالٍ
يَزِيدُ الْإِيمَانَ فِي قُلُوبِ مَنْ شَاءَ هُدَاهُ رَبُّنَا ذُو الْجَلَالِ

وله تقييد في التعريف بسيدي محمد المسناوي الدلائي، وتقييد في التعريف بجدنا عبد السلام بن الطيب القادري الحسني. وله أنظام كثيرة، ورسائل برع فيها، وله خطب، كثير التقبيد في أنواع العلوم ونحو ذلك، وكان مبرزاً للشهادة مقصوداً فيها، وله ملكة ومهارة في كتابة الوثائق على اختلاف أنواعها وكثرة اتساعها، ما تبيئت من فصاحة وبيان، وضبط وتحقيق وإتقان. ولما توفي الفقيه الخير الدين الأريب اللبيب أبو الحسن سيدي علي الخميري الأندلسي إمام زاوية سيدي محمد بن عبد الله معن التي بالمخفية من فاس الأندلس، ولي صاحب الترجمة الإمامة بها، فكان يصلي بها الأوقات الخمس. وكان ممن يحضر الصلوات بها سيدي أحمد ابن عبد الله معن، وسيدي أحمد اليمنى، فلهذا كان يقال لصاحب الترجمة إمام الأحمدين، وكان يسرد بها صحيح البخاري بعد صلاة العصر، ويختمه

في كل رمضان ختمة مخصوصة. وكان فصيحاً فكان يورق كتاب الكلاعي في السير بين العشائين، وهو الذي صلى على الأحمدين، وكان عادة أصحابها إذا مات أحدهم يشعرون جنازته من داره إلى الجنان الذي اتخذ أصحاب سيدي أحمد بن عبد الله معن لدفن موتاهم خارج باب الفتوح أحد بابي عدوة فاس الأندلس، ثم يصلي عليه إمام الزاوية من غير مرور به للقرويين والأندلس ليصلي عليه بهما. وكان يرافق سيدي أحمد بن عبد الله إذا سار لبعض ضرورياته. فقد أخبرني شيخنا سيدي محمد الكبير بن محمد السרגيني أن صاحب الترجمة أخبره أنه مرّ مع سيدي أحمد بن عبد الله مرة بسوق الخميس لبعض المقضيات، ولما رجع اختار سيدي أحمد ابن عبد الله المرور على باب الحديد فأرأى من ازدحام الناس عليه، وكان لا يحب الشهرة، فلما مروا بالمحجّ المذكور خرج معهم اليهود جماعة فجماعة يقبلون يدي سيدي أحمد بن عبد الله، فقال سيدي أحمد لصاحب الترجمة هذا جزاء من يفر من المسلمين، كراهة لما تسلط عليه من اليهود. وبقي صاحب الترجمة إماماً بالزاوية إلى أن مرض فاستناب غيره في الإمامة، وكان يصلي بها إلى أن توفي. أخبرني ولد أخيه العدل الأفضل، الأوجه الأمثل، سيدي عبد السلام بن عبد الوهاب الوزير، وتقدمت ترجمة والده، أن عمه صاحب الترجمة ولد حدود سبعين وألف، وتوفي ناني ربيع الأول عام ستة وأربعين ومائة وألف، ودفن بالساحة المزليجة المتصلة بقبة، سيدي محمد بن عبد الله معن خارج باب الفتوح أحد بابي عدوة فاس الأندلس (555).

الحسن الصنهاجي

ومنهم سيدي لحسن الصنهاجي، لا معرفة لي به ولا بحاله دفين (في دار براح زعموا أنها له على يد صاحبه سيدي أحمد بن محمد الوراق الصقلي الحسبني) (556) برجة الزيب بين مسجد الرحبة المعلق ومسجد العقبة الزرقاء المعلق أيضاً الأسفل، واتخذت الدار التي دفن بها مقبرة ويتبرك به الآن.

(555) ترجمة أحمد بن عبد الوهاب الوزير هذا مختصرة في ط بأقل من نصف ما هنا المنقول عن ك و س.

(556) ما بين معقوفتين ساقط من ط.

العام السابع من العشرة الخامسة

محمد المدرّع

فمنهم الولي الصالح البركة العابد الزاهد الورع الفقيه الأستاذ المقرئ المجود المحقق الأنصح الأنفع، أبو عبد الله محمد المدعو المدرّع، الأندلسي النجار، الفاسي القرار. كان متجرداً للعبادة والذكر لا يفنر عنه أصلاً، وكلما كلمته أجاب لا إله إلا الله ملازماً لمسجد الأندلس أو القرويين، متبحراً في التصوف محققاً في الطريقة، مرتبة أوراده لا يغفل عنها، وجهته كلها لمولاه، لا يدع مراقبته في علانيته ونجواه. أخذ طريقة القوم عن العارف المحقق سيدي محمد بن أحمد الدريج التطواني (557)، وهو حرّها وتأدب وتربي بالشيخ سيدي أحمد بن عبد الله وسيدي أحمد اليميني، وشاركه في الأخذ عنهما. وتوجه للحج فلقى مشايخ ورأى منهم أمراض عظيمة. [وحكى عنه أنه لما كان في المواجهة النبوية أحسّ بذاته انحلت حتى صارت كالماء لما أدركه من عظيم المواجهة النبوية، وبقي طريحاً فإذا بشيخ من شيوخ الشرق جعل يده على بعض مفاصله فانجمع ورجع إلى ما كان عليه وقال له: مالك يا مغربي؟ إن الرجال تُقيم هنا أبداً ولا يظهر عليهم هذا، وجعل كلما جعل يده على موضع من جسده رجع إلى معتادة حتى انجمع كله، فكان يقول: لا أنساها له أبداً، لأنه أغاتني. وحج مراراً. وفي عام ثمانبئة وعشرين ومائة وألف صحبه في طريقه للحج والدي وعمي القاسم فانفصلا عنه وتركاه مجاوراً بالمدينة المشرفة على ساكنها أفضل الصلاة والسلام] (558). وكان لصاحب الترجمة أصحاب وأتباع وجلساء يرافقونه سفراً وحضراً، إذ كان شديد الاعتناء بزيارة مولانا عبد السلام بن مشيش، وبقي كذلك يزوره كل عام إلى أن توفي. وكان قبل ذلك شديد الاعتناء بزيارة سيدي أبي يعزى. [وحدثني والدي غير ما مرة أنه خرج وجماعة من الأشراف أهل فاس، منهم من أبناء جنسنا أبي وعمي قاسم وابن عم أبي عبد القادر بن العربي، وأبناء عم جدنا محمد وعبد الله بن أحمد مع صاحب الترجمة في ركب من الزائرين لسيدي أبي يعزى، إذا هم في بعض الفلوات ضلّوا عن الطريق، وكان المحل مخوفاً جداً، فجعل بعض الأشراف يسب سيدي أبا يعزى أقبح السب ويقول له تتركنا تائهيين ولا ترشدنا للطريق، فأخذ والذي يزجره عن ذلك، فبينما هم كذلك إذ أقبل عليهم فارس راكباً على فرسه، فلما رآهم قصدهم بالجري على فرسه، فلم يشكّوا في الهلاك لظنهم أنه مُدْلٌ للصّوص. فلما وصل إليهم سألهم من أنتم؟ فقالوا نحن زائرون سيدي أبا يعزى، فأكب على أيديهم وأرجلهم يقبلهم ويطلب منهم الدعاء، فقالوا له ما شأنك؟ فقال كنت نائماً في خيمتي الساعة، فرأيت رسول

(557) كذا في ك و س. وفي ط: التطواني.

(558) ما بين معقوفتين ساقط من ط.

الله صلى الله عليه وسلم في النوم وهو جالس كهيئة القاضي وقوم يتحاكمون إليه، فلما قربت منه قال: أين أبو يعزى؟ فجاؤوا به إليه صلى الله عليه وسلم وأبو يعزى كالمقبوض في أيديهم فقال له صلى الله عليه وسلم: أتترك أولادي يتيهون وهم جاؤوا يزورونك؟ اذهب إليهم وأرشدهم للطريق فهم في الشعبة الفلانية الشعبة التي وجدتهم فيها، فخرج أبو يعزى وأخذني من يدي وقال لي: اذهب إليهم وأرشدهم للطريق، فجئت إليكم، وصاحب الترجمة في ذلك كله يتبسم، وبقي الفارس المذكور يطلب منهم الوصول إلى محله فأبوا إلا أن يبلغوا لمحل زيارة أبي يعزى، فذهب معهم إلى أن زاروا وزار معهم ورجع بهم على حلتهم وأكرمهم. وهذا من غيرته صلى الله عليه وسلم على ذريته واعتنائه بأهل بيته⁽⁵⁵⁹⁾. ولصاحب الترجمة اعتناء بزيارة الصالحين، وله نظم جيد في أكثر صالحى فاس وقفت عليه بخطه، وأيضا بخط الأديب محمد بن علي بن إبراهيم الدكالي المدعو بغازي. [ومن رسائله هذه الرسالة التي نذكرها، كتب بها لبعض الشرفاء: إلى سيدنا حفظك الله ورعاك، وطهر قلبك من شهواتك وهواك، وورزقك من التوفيق ما يزجرك وينهاك. أما بعد. أما أن لك سيدي أن ترجع إلى مولاك؟ أما تخشى أن يراك حيث نهاك؟ أما تخشى من سطوته وانتقامه؟ أما تخاف من عذابه وعقابه؟ أما لك عقل يزجرك؟ أما لك حياء يمنعك؟ أما تراقب ربك المنان، ذا الطول والإحسان؟ اتبارزه بالمخالفة والعصيان؟ ورحم الله القائل:

إِذَا لَمْ تَضُنْ عِرْضاً وَلَمْ تَخْشَ خَالِقاً وَتَسْتَحْيَ مَخْلُوقاً فَمَا شِئْتَ فَاصْنَعِ

أما ترى الشيب دخل بمفرئك ولحيتك، وأنت في تهاديك وغفلتك؟ أما ترى العمر ينهب، والذئب يكتب؟ ورحم الله الشاعر:

نَسِيرُ إِلَى الْأَجَالِ فِي كُلِّ سَاعَةٍ وَأَيَّامُنَا تُطَوَّرُ وَهُنَّ رَوَاحِلُ
وَمَا أَقْبَحُ التَّفْرِيطِ فِي زَمَنِ الصَّبَا فَكَيْفَ بِهِ وَالشَّيْبُ فِي الرَّأْسِ شَامِلُ
تَزُودُ مِنَ الدُّنْيَا بَزَادٍ مُبْلَغٍ فَعُمُرُكَ أَيَّامٌ وَهَنَ قَلَائِلُ

لكن النفس أمرها عسير، وفي مخالفتها جهاد كبير، فإن رضى الملك القدوس، في مخالفة النفوس، وما استولت عليه فهو في سجن الهوى محبوس، ومن تغافل عن دائمه، أبس من دوائه. فاطلب سيدي التوبة من الله في جميع أوقاتك، فهو الكريم الذي لا يخيب آمال الطالبين. قال جل من قائل: «إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ». والسلام⁽⁵⁶⁰⁾. قرأ على جدنا عبد السلام بن الطيب القادري، وسيدي محمد القسنطيني، وسيدي

(559) ما بين معقوفتين ساقط كذلك من ط.

(560) هذه الرسالة ساقطة أيضا من ط باستثناء الأبيات الثلاثة.

محمد المستناوي، والجرندي، وكان يُجود القرآن بحرفي نافع والمكي. توفي سنة الترجمة ودفن متصلاً بفبرسيدي الغرابلي بالقليلة قرب سيدي محمد القالب في يوم كثير المطر، وبني عليه قوس، وترك ولده الطالب الأتجب أبا عبد الله محمد توفي حدود الأربعين ومائة وألف (561)

من حوادث السنة

ثورة العبيد على السلطان مولاي عبد الله

ففي يوم الثلاثاء منسلك ربيع الثاني (562) ثار العبيد على أمير المؤمنين السلطان المظفر الهمام مولانا عبد الله ابن المجاهد في سبيل رب العالمين مولانا إسماعيل الشريف الحسني بسبب من قتل منهم صبراً من الذين غَدَرُوا أخاه الخليفة السلطان مولاي عبد الملك ودَسُّوا له من قتله، فأخذ بشار أخيه وأكثر القتل من رؤسائهم حتى كاد أن يستأصل كبارهم وطغاتهم بعد أن وضع المغارم الثقيلة خصوصاً مدينة فاس، فكاد أن يفلس أهل الثروة (563) منهم، ولم يحاش عن هذه إلا الشرفاء والمرابطين والطلبة فإنهم كانوا في زمنه في عز ومنعة وتوقير واحترام، وتبجل وإعظام. ثم إن السلطان مولاي عبد الله بن مولاي إسماعيل الشريف الحسني لما ثار عليه العبيد أجمع على الفرار، فأرسل إلى العبيد مائة قنطار من الفضة يريد بذلك حل كلمتهم. فأخذوا وفرقوها في مصالحهم لحربه وازدادوا بها قوة ونفروا منه، وأمر الله ومراده فوق ذلك، فحمل ما رفقته دوابه من المال وذهب إلى نادلا، فنزل على مرس أبي الأعوان الذي هو هناك مجموع لبيت المال، فنادى بإباحته في القبائل، فأخرجته الناس واستعانوا به على المسغبة التي نزلت في تلك السنة في ذلك البلد، لأن تلك السنة كان اليبس بمراكش وحوزها. ثم دخل السوس فنزل بموضع يقال له شوشاوة، فأطال المقام بها، وسيأتي تمام ذلك إن شاء الله.

مبايعة العبيد لمولاي علي بن مولاي إسماعيل

تم بعد مسيره السوس أعلن العبيد بنصر أخيه السلطان أمير المؤمنين أبي الحسن مولاي علي ابن الخليفة أمير المؤمنين المنصور بالله مولانا إسماعيل بن الشريف الحسني، فقاموا بدعوته، وإلى التمسك بطاعته، وتابعهم أهل المغرب في ذلك لما كانوا فيه من ضيق المغرم والتكليف بما لا طاقة لهم به، فأسقط عنهم ذلك، ففرحوا لسقوط المغرم كأنهم خرجوا من الرِّحْم إلى الدنيا أو العيش بعد الموت، فأرسل العبيد، وأهل المغرب فاس وغيرها وكلهم تابعون للعبيد بالبيعة إلى مولاي علي وهو بتافلات، فقدم إلى فاس ودخل دار الملك من فاس المرينية يوم الاثنين السابع والعشرين من جمادى الأولى من السنة. وفي يوم

(561) ولده هذا غير مذكور في ط، ويظهر أنه وقع تصحيف في تاريخ وفاته.

(562) حوادث السنة ساقط كلها من ط، ثابتة في ك و س.

(563) في ك: التورب.

الخميس بعده توجه لمكناس فدخلها غدوة يوم الجمعة وصلّى بجوامع دار الخلافة بالقصبة، وخطبها وإمامها هو قاضي القضاة سيدى محمد الطالب بن عبد الواحد أبى عنان، فقدم ذكر السلطان عن ذكر الصحابة عسى أن ينال بما ابتدعه منزله عند السلطان، فلما فرغ من الخطبة قدم غيره للصلاة، ولما فرغ منها عزله لفعله ذلك ووئى مكانه القاضي العميري. ثم نظر في خزائن المال فوجدها خالية فقراء إلا ذهباً بها أعطاه للعبيد، ولم يف مرتبهم الذي كانوا يقبضونه في نصف كل سنة عادة، فكمل لهم مائتتى قنطار (564) من تنافيد على الناس التي خصتهم لكمال راتبهم. وكان الخليفة السلطان مولاي عبد الله الحسنى لما أراد السير إلى سوس دفن المال الذي لم يخضره من يحمله من الدواب في الأرض و أخفاه بأجمعه هو وما سلم من نهب القصبة بعد وفاة والده، ثم أخرجه هو بعد ذلك بسنين كما باتى ذكر ذلك إن شاء الله.

إسناد السلطان مولاي علي قيادة فاس إلى مسعود الروسى.

ثم إن مولاي علي وئى على فاس القائد مسعود الروسى، فكلفهم بإخراج خمسمائة من الرماة وقتل الحاج أحمد بودة اللمطي رئيس اللمطيين بعد موت مولانا إسماعيل ممن وثب على دار أخيه أبى علي بن عبد الخالق الروسى وقتله، فقتله بأخيه، وكان يميل إلى مولاي عبد الله، لأن السيدة خناته بنت الشيخ بكار المغفري أم مولانا عبد الله تشفعت في بودة لمّا قتل ولدها مولاي عبد الله الفئة الباغية من رؤساء فاس، فاجتمع رؤساء أهل فاس بعد صلاة الجمعة وأعلنوا أصواتهم كصوت واحد قائلين: نحن بالله وبالشرع، فكان من ذلك ضجيج وصياح. فلما سمع ذلك مسعود الروسى خرج من فاراً خوفاً على نفسه فبلغ خبرهم لمولاي علي فتغيظ وأرسل من يستفهم حالهم، فتعددت الرسل بينه وبينهم فى أمر يطول ذكره. [خرج أولاً الشرفاء مستشفعين إليه ليمهل أهل فاس حتى يعينوا الرماة ثم لم يفعلوا، فأراد حصارهم فلبسوا عليه الأمر فأخرجوا الخيام وأنزلوها، بموضع المصلّى خارج باب الفتوح ومعهم بعض (السلّاكط) يلبسون عليه أنهم يخرجون المحلة والأمر خلاف ذلك، ثم وجهوا له شرفاء فاس مستشفعين ليمهلهم حتى يجمعوا الرماة، وعكّلوا له ذلك بتعذر قلة ذات اليد لاستيفاء راتب الرماة، فأمهلهم شهراً ثم إنهم لم يفوا له بذلك، وقال للشرفاء إن أتيتموني ثالثاً مستشفعين فيهم سأسجنكم مكبلين مسلسلين. فلما لم يفعلوا له بعد الشهر أراد إرسال جيش لحصار فاس فطلبوا تانياً من أعيان الأشراف التشفع فيهم، فخرج جميع من خرج في المرتين اللتين قبل هذه، وهم بين الخمسن والستين، فقبض عليهم وسلسهم وكبلهم وهم من جميع الأعيان الذين ذكرهم صاحب الدر السنّي، فلم ينج منهم إلا والدي اختفى في الطريق لأنه كان أخبره بعض رؤساء العبيد بأن السلطان يقبضهم لا محالة فاختفى ونجّاه الله ورجع إلى فاس يخبر بقبضهم] (565)

(564) هنا فى هامش ك طرة نصها: «بلغ صرف الذهب فى هذه السنة ثمان أواق عدة للمثقال السبوك».

(565) ما بين معقوفتين مكتوب فى هامش ك كطرة، وقد أدمجه ناسخ س فى صلب الكتاب، وهو عبد السلام بن الخطاط القادري صاحب التقايد التاريخية.

ثورة الفاسيين على مولاي علي ومحاصرة فاس
فأمر السلطان قواده بمحاصرة فاس، فنزلوا لحصارها أواخر شعبان من سنة سبع وأربعين، فشنوا الغارات على فاس وحصروها، فأقبل ضعفاؤها ومن ليس له قدرة مع رؤسائها لل منع والدفع عن نفسه من المؤمنين العاجزين من الناس والرجال والبنامى والأراامل وأهل البيت على الدعاء إلى الله والتضرع والتشفع بكتاب الله في هذا الشهر رمضان آناء الليل وأطراف النهار، فنداركهم الله بلطفه الخفي المرجو بعد الشدة، وذلك أنه أمر عبيد الرملة بتوجيه جيشهم لحصار فاس فامتنعوا ونهوه عن حصار فاس وقال له رئيسهم سالم الدكالي: إن حصار فاس ينهض الفتن بالمغرب ويكثر النهب والغارات بين القبائل فتتقطع الطرق ويشتد الغلاء، ونكون الكربة لأخيك مولانا عبد الله عليك، فرجع عن ذلك وأمره قواده بالرحيل عن حصار فاس، وكان أهل فاس أسقطوا اسمه من الخطبة في مدة الحصار واكتفوا بذكر الصحابة فقط. فلما رحلت المحلة عنهم خطبوا به كما كانوا عليه. وكان سجن جماعة من أعيان شرفاء فاس وعلمائها الذين جاءوه يطلبون العفو ويمهل أهل فاس في الرماة حتى بعينهم وعطائهم، فامتنعهم محناً عظيمة وهو يهددهم بالقتل والتجريد من الثياب المدة بعد المدة، فلما نهاه العبيد عن حصار فاس وارتحل الجيش عنهم بعث شرفاء فاس إلى الشيخ الولي الصالح المتبرك به شرفاً وغرباً حيا وميتا سيدي محمد المدعو الطيب بن الإمام سيدي محمد الشريف اليملاحي الحسنى العلمي صاحب أزان من بلاد مسمودة الغرب رسولا يطلب منه أن يتشفع في أهلهم المسجونين عند السلطان للعبيد يأمرهم السلطان بتسريحهم فوجه مولاي الطيب المذكور الرسول بنفسه إلى العبيد، فأجابوه إلى ذلك ويعثوا الباشا الحوات أحد رؤسائهم إلى السلطان بعدم موافقة العبيد على فعله بالشرفاء، وهددوه إن لم يسرحهم من سجنهم إلى فاس ير منهم ما يكره، فأطلق فوراً الشرفاء والفقهاء، ووصلوا إلى فاس ورزق الله المطر في هذه السنة فصح فيها الزرع وجميع المواشي والأثمار، وجاء على أكمل حالة، ولم يضع منه لأربابه شيء، واستمرت العافية إلى تمام السنة (566)

تذكرة المحسنين

محمد المذرع

الشيخ الذاكر البركة سيدي الحاج محمد المذرع الأندلسي. كان الشيخ السنائي يُجله ويعظمه ويستخلفه في إمامة الصلاة، وكان كثيرا ما ينشد.

نسيرُ إلى الآجال في كل لحظةٍ وأبامنا تُطوى وهي ——— راحلُ
وما أقبحَ التفريطَ في زمنِ الصِّبا فكيف به والتسبُّبُ في الرأسِ شاعِلُ
تزودُ من الدنيا ب زادٍ مبلَّغٍ فعُنُـرُك أيامُ وهن قـلائِلُ

دُفن رحمه الله بروضة قرب ضريح الولي سيدي محمد بن الطالب برأس القليعة داخل باب الفتوح أحد أبواب فاس.

(566) وردت حوادث هذه السنة في الحوليات مختصرة، إلا أنها تحتوي على إشارات تاريخية مفيدة.

العام الثامن من العشرة الخامسة

محمد الكندوز

فمنهم الشيخ الشهير، العلامة النحوي الكبير، الحافظ الضابط. اللفظ المُعَبَّرُ المحصل المحقق الصالح البركة المتفي الموفق الزاهد الأورع، المدرس الأنفع، شيخنا وشيخ أشيأنا أبو عبد الله محمد بن الحسن الجندوز المصمودي (567) ولم تزل البركة في المصامدة من قدم الزمان، فقد حكى في المنهل الأصفى (568) عن الشيخ علي اللجائي وغيره أن المصامدة فيهم بركة، لأنهم وَقَدَ (569) منهم رجلٌ علي رسول الله صلى الله عليه وسلم. وحكى عن غيره أنهما رجلا. قال وذكر لي قوم أنهم سبعة وأن قبورهم موجودة إلى الآن هـ. وفيه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كلم البعض منهم بلغة البربر [فانظره، وصاحب المنهل الأصفى هو أبو عبد الله محمد بن علي بن أبي الشريف الحسني التلمساني] (570)

كان صاحب الترجمة - رضي الله عنه - من العلماء العاملين، ومن الصلحاء الفاضلين، له عكوف على تعلم العلم وتعليمه، واسع الخلق، كريم النفس، طيب اللقاء، حسن اللهجة، واضح المَجَجُصَة. فمن كريم خلقه أنه لا يستنكف عن القراءة على مَنْ هو أصغر منه سنًا ومنزلة، بل يتبع الحكمة ما أمكن، فهي أبدأ ضالته، حريصاً على الفهم وإدراك الدقائق. وبرع في النحو وكان مشاراً إليه فيه، أحد أعيانه، معلوم في تحقيقه وإتقانه، يقوم على ألفية ابن مالك بشروحها وحواشيها، ويستحضر الكثير من تحقيقات الدماميني في شرح التسهيل، ومثل ذلك من شرح الرضى على كافية ابن الحاجب، وغيرها من كتب العربية، ويحفظ كثيراً من الأدب والحكم واللغة وأنام العرب ماهرًا في جمع ذلك مقبلاً على التدريس، وله فيه لسان فصيح وتبليغ بليغ، مجلسه مجلس أبهة ووقار، لا يستطيع أحد أن يجلس فيه إلا مُشْمَرًا عن ساعد الجد، وله فيه مهابة وجلالة، وعلو مكانة، لا يسع أحدًا الجلوس في مجلس إقرائه إلا مطرقاً مستمعاً مصغياً مستجمعاً. ومع ذلك فله اعتناء بالمساكين والضعفاء وأهل الدين، فبتنازل في علو شرفه، وببساط في منعة قدره، وكان عذب الفكاهة، أربى على أهل زمانه بالمهارة في علم العربية وسعة الخلق وهضم النفس.

(567) هنا في هامش ك و س طرة نصها: «أخذ طريق القوم والأوراد عن شيخنا مولاي الطيب ابن محمد الشريف العلمي الحسني دفين وزان

(568) ها أيضا في هامش ك و س طرة أخرى يتأكد أنها من إنشاء عبد السلام بن الخياط القادري صاحب التعايد التاريخية، وربما كانت بخطه في ك نصها: «مؤلف هذا الكتاب المسمى بالمنهل الأصمى هو أبو عبد الله محمد بن علي بن أبي الشريف الحسني التلمساني، نقل عنه الحكاية تمامها حد والدنا هي كاشه محمد العربي بن الطيب القادري الحسني، لأن ابنته فاطمة هي أم والدي الخياط بن محمد بن علل القادري الحسني. ونقل هذه الحكاية أيضا العلامة الشهاب الخفاجي في شرح نسيم الرياض.

(569) في ط وحده، وهو تصحيف

(570) ما بين معقوفتين ساقط من ك وس.

وكان مفتقراً ومع ذلك لا بتمادى لشيء من الأسباب وغيرها. وكان محباً لآل البيت عظيم المودة لهم ممن يوثقهم بنفسه وماله. وقال لي هذه مدة من اثنين وأربعين عاماً وأنا في قراءة العربية وودت لو اقتصر في العربية على ستة أعوام منها، وجعلت ستة وثلاثين في قراءة فنون من علوم أخرى، فإياك أن تفعل كما فعلت، فعليك بالمشاركة في العلوم، وذلك بقرب سنة وفاته (571)

أخذ عن شيوخ المغرب، كالشيخ المسناوي وطيفته، وتخرج به جماعة. [وقال فيه شيخنا العلامة سيدي عبد المجيد الزيايدي فيما وجدته بخطه ما نصه: الفقيه النبيه، الناقد النزيه، الحافظ الدراكة الفهامة الذي قطع في التعلم والتعليم لباليه وأيامه، نحوى عصره، وشيخ أرباب العربية في قطره ومصره، الجميل الاتصاف، بجميل الأوصاف، كالحلم والإنصاف، والإسعاد والإسعاف، والديانة والصيانة والعفاف هـ. ثم قال: قرأت عليه من مختصر السعد إلى الفن الأول، وحضرت عنده في مجلس ألفية ابن مالك نحو الثلث منها هـ. وكان متين الدين، قوي الورع واليقين، دؤوباً على الذكر لا يفترعته مهما انفرد عن الطلبة والتدريس] (572).

قرأت عليه ألفية ابن مالك ختمة كاملة، ثم أخرى بلفظي إلى النداء، ومختصر السعد، ونحو الثلث من مختصر خليل بكلام الزرقاني، وينقل من التوضيح. توفي عشية يوم الخميس الثالث من المحرم عام ثمانية وأربعين ومائة وألف بفاس، ودفن في عرصة لأبناء بعض أشياخه الشرفاء أهل وازان، اتخذ فيها مقبرة لهم قرب زاويتهم التي بالشرشور من فاس القرويين، ولما دفن خارج قبة ابن شيخه مولانا التهامي، وهو الشيخ البركة الولي الصالح المراقب الكثير الإنفاق وإطعام الطعام للضعفاء والمساكين وإكرام أهل البيت المتبرك به حياً وميتاً سيدي محمد بن الشيخ مولانا التهامي، لم يرض بذلك الطلبة وذهب بعضهم للشرفاء أهل وازان وزنا من جملتهم، وطلبنا منهم بتركنا نحمله لمحل آخر، فطلب من الطلبة أن يتركوه على حاله، ثم تردد الكلام من الطلبة فقام بعض إخواني في الأخذ على شرفاء وازان [وهو محمد بن علال القادري الحسني دفين رأس الجنان] (573) وقال لهم عينوا لنا الموضع التي تريدون حمله إليه. وكان الطلبة من أفراد المدارس ليس لهم مواضع، فأجبت القائل أنا بأن يختار الطلبة في الرواضي الثلاث التي لقبيلنا وهو داخل باب الفتوح، فأجابني بأن تلك المقبرة ذات ستر بالجدران ومتصلة بالعمارات، ورواضنا برآح لا جدران لهم ولا تحافظ ولا سر لمن يريد زيارته من النساء، فكما أشار إليه ابن الحاج في المدخل،

(571) هذه الوصية ومقدمتها اختصرت في سطر في ط

(572) ما بين معقوفتين ساقط من ط

(573) ما بين معقوفتين مكتوب كطرة في هامش ك، وأدمجه ناسخ س في صلب الكتاب.

فقلت له ننقله لجنان أصحاب سيدي أحمد بن عبد الله معن، فقال لي أوقفه أصحابه على دفن موتاهم، وهذا ليس من تلامذته، وهو من بلاد هذا الشرف (كذا) ومن نلامذتهم، وكان يعيش بما يجرونه عليه من عطائهم من الفرض والتطوع، ولما مات أقام تجهيزه ودفنه، فمن فعل معه شيئاً من هذا منكم؟ فلم نجد له جواباً وتركناه على حاله. وكان في جنازته موقف عظيم لم يتخلف عنها أحد من عامة فاس وخاصتها، ورثاه بعض تلامذته، وهو شخنا الأديب اللغوي الناظم سيدي عبد المجيد الزبادي بقوله:

قَضَى فِي سَبِيلِ اللَّهِ جَمَّ الْفَوَاضِلِ مُحَمَّدُ الْجندُوزُ بِحَرِّ الْفَضَائِلِ
حَقِيقٌ لِأَهْلِ النَّحْوِ سَكْبُ دُمُوعِهِمْ عَلَى فَقْدِهِ وَالدَّمْعُ لَيْسَ بِطَائِلِ
فَمَنْ لَتَسَالَفِ النُّحَاةَ يُبَيِّنُهَا وَعُربَ مَا فِيهَا لِكُلِّ مُسَائِلِ
وَمَنْ لَفَهَوُمِ الطَّالِبِينَ يَدُلُّهَا عَلَى الْحَقِّ إِنْ رَامَتْ جَوَابَ مَسَائِلِ
إِذَا لَمْ يَلْحَ لَابِنِ الْحُسَيْنِ بِمَجْلِسِ مُحَيَّا قَمَّا فِي الدَّرْسِ خَيْرُ لِسَائِلِ
لَقَدْ عَزَّزَ إِيَّانَ الزَّمَانِ بِمَثَلِهِ فَيَا لَزَمَانَ فِدَا أَتَى بِتَوَازِلِ
عَلَى مَثَلِهِ يُبْكِي وَلَا يُسَامُ الْبُكَاءُ فَاعْظُمِ يَمْفَقُودَ وَأَشْدُدْ بِتَوَازِلِ
وَيَوْمَ نَوَاهُ غَمٌّ حَرُّ مُصَابِهِ قُلُوبَ ذَوِي الْأَلْبَسَابِ دُونَ الْأَوَازِلِ
عَلَى رَمْسِهِ (574) مَنِّي السَّلَامُ مُصَاحِباً لِرَحْمَةِ مَوْلَانَا الْكَرِيمِ الْمُوَاصِلِ

ولما رأى تقصر أهل الأدب من تلامذته عن رثائه قال أيضاً معذراً عنهم:
وقوله «غَمٌّ حَرٌّ» هو رمز لعام وفاته، وذلك أن الغين المعجمة مع الراء ألف ومائة،
والمليم مع الحاء المهمل ثمانية وأربعين (575).

يَابْنَ الْحُسَيْنِ بِنَحْوِكُمْ حَسُنَتْ عَقُولُنَا وَكَذَا الْأَذْهَانُ وَالْفِكَرُ
إِنْ النُّحَاةَ (غَدُوا) مِنْ هَوْلِ بَسْنِكُمْ رَأَمُوا الرُّثَا فَنَسُوا الَّذِي ذَكَرُوا (576)

أبو جيدة بن محمد المشاط المنافي

ومنهم الأديب الموقت العدل شيخنا سيدي أبو جيدة بن محمد المشاط المنافي. كان موقتاً بمنار مسجد الأندلس، قائماً به وبضبطه، حريصاً على مهمات المسجد المذكور. وكان يقوم على روضة الجادري في التوقيت، وعلى ألفية ابن مالك ويعتني بمطالعة ابن هشام. مات في سنين شبابه، في التاسع والعشرين من جمادى الثانية عام الترجمة، ودفن بقرب باب الحمراء داخل باب الفتوح عدوة فاس الأندلس، وترك ولداً مات صغيراً. قرأت عليه

(574) في ك: على مثله. وما أثبتناه من س أنسب.

(575) البيتان مكسوران في المخطوطتين، وقد اجتهدنا في إصلاحهما بما يظهر أنه أقرب إلى الأصل.

(576) النص الأخير من هذه الترجمة كله ساقط من ط

الجرومية، وألفية ابن مالك إلى الاشتغال، عامله الله برحمته وفضله (577)

محمد السوسي

ومنهم الولي الصالح العَلَم الواضح، سيدي محمد السوسي، أحد أعلام الأولياء، والأكابر الأصفياء، له قَدَمٌ راسخ في الطريقة، وإدراك تام في الحقيقة. أخذ عن سيدي أحمد اليميني، وسيدي أحمد بن عبد الله. رحل لزيارة سيدي محمد بن سعيد نزيل عراضة من طرابلس، لأنه تلاقى بالشيخين المذكورين، قال وأما أنا فأغنانني الله عن الأخذ عنه. وقال لبعض أصحابه: أحبُّ فقراء الزمان ولا تطمع فيهم، لأن الله أغناك عنهم بشيخك. وكان بعض أصحابه ساكناً بمجاورة أبي علي الروسي والي شرطة فاس، فلما عزم أهل فاس على الفتك به خاف وأتى صاحبه هذا، فضمن أن لا يدخل أحد داره على شرط أن لا ينهب شيئاً من متاع الروسي. فلما فتكوا به جعل وتادين الشرطة بتسورون سطح داره للاختفاء بها من أهل فاس ليلاً بقتلوهم، فذهب ولده مكحلة وشكارة بارود بإخفاء من والده، فكسر أهل فاس باب الدار وهجموا عليها لطلب الحرس، فكان من لطف الله أن اعتذر عنه أحدهم وأخرجهم من الدار، فذهب لصاحب الترجمة فأخبره بما وقع فوجده مغضباً عليه وقال له: أليس التزمت أن لا يدخل دارك من نَهَبَ الروسي شيئاً، فرجع لداره وألح عليهم فأقروا له وأخرجوا له مكحلة. وكان صاحب الترجمة يأوي مع سيدي أحمد اليميني حتى مات، فنزل بمسجد سيدي دراس بن إسماعيل بمصمودة عدوة فاس الأندلس، فكان ذلك من سعادة مؤذنه سيدي محمد الصنهاجي. ثم رحل للمشرق فمات بالشام عام الترجمة، وبُنيت عليه قبة، فهي من أعظم مزاراتهم (578)

من حوادث السنة

خصب ورخاء

وفي عام ثمانسة وأربعين وألف (579) أعطى الله تعالى لعباده الخير، وأنزل الله المطر الغزير الذي لم يُعهد (مثله)، وفرح الناس بذلك، وحرث الناس بفاس وبالعرب كله، وكانوا يظنون أنهم يرفعون صابة كثيرة لم يعهد مثلها، والناس بذلك فرحون مطمئنون. وفي سادس ذي الحجة من آخر العام حين قربت الصابة للوجود، قدم مولانا عبد الله من سوس ونزل بتادلا، فوقع في الصابة فساد حين قدومه ولم يكن منها كائنة (580).

577) ترجمة أبي جيدة كلها ساقط من ط. وبعدها أقحمت في المخطوطتين سطور تتعلق بتحركات العبيد، صرنا عنها صفحاً.

578) هنا في ط. إقحام ترجمة قاسم ابن رحمون المتوفى عام 1149 وقد اعتذر المؤلف في آخرها عن ذكرها - خطأ - ضمن عام 1148. وهي في ك و س آخر السنة الموالية

579) حوادث هذه السنة ساقطة من ط.

580) هذه الفقرة القصيرة المتعلقة بالخصب والرخاء منقولة عن الحوليات (ص 38، 39) التي انفردت بها. وأما الفقرة الثانية الطويلة المتعلقة بتنافس السلطانين مولاي عبد الله ومولاي علي وتناحر أنصارهما فهي من ك و س، ومضمونها في الحوليات مع اختلاف يسير لم نر فائدة في تتبعه.

تنافس وتناحر بين السلطانين مولاي عبد الله ومولاي علي ومن حوادث السنة أنه في شهر ربيع عام الترجمة تجهز عبيد مشرع الرملة للحركة لسوس متبعين السلطان مولاي عبد الله بن مولاي إسماعيل، وتولى القيام بذلك كبيرهم الباشا سالم الدكالي، فبلغوا حاحا وعجزوا عن الإقدام عليه وهو بتارودانت لهيبته وخوف بطشه، فطالت إقامتهم وقلت عليهم الميرة، فانقلبوا راجعين لنحو ثلاثة أشهر من خروجهم. ثم بالقرب من ذلك ورد الخبر أن مولاي عبد الله نزل تادلا، فأخذ أخوه مولاي علي في التأهب لقتاله وبعث للعبيد يعلمهم بخروجه، فوعده بالقدوم عليه، وعسكر بجيشه مع الأوداية وغيرهم خارج مكناسة، فبقي يرصد قدومهم عليه حتى عيد الأضحى (581) جاءه المنادي بانهم خلعه ورجعوا لطاعة خليفتهم الأول أخيه أمير المومنين مولانا عبد الله ابن المنصور بالله مولانا إسماعيل بن الشريف الحسني، فارتحل مولاي علي سريعا وفر فوراً فأصبح من ليلته على ضفة واد فاس، فطلب من الأوداية القيام معه فأغلقوا دونه الباب، ثم ارتحل فوراً فنزل بقنطرة سبو حتى قضى أصحابه من فاس ما يحتاجون إليه، وأخرج له بعض أهل فاس خبزاً لأصحابه، ثم ارتحل عشية النهار متوجهاً للاحية المشرق، فبقي بين عرب أهل المشرق، ثم نودي بنصر مولاي عبد الله في المغرب وجميع أقطاره، فانقسم الناس فرقتين: فرقة فرحت غاية الفرح لأن الطرقات منذ خرج عنه أهل المغرب وهي فاسدة، ولم تمض الأحكام لمولاي علي دون أمر العبيد في شيء، وهذه الفرقة هي الشرفاء والمرابطون والطلبة والفقراء الضعفاء الذين لم تلزمهم وظيفة المغارم، وفرقة نكدت وفزعته وكرهت ولايته عليهم مخافة أخذهم بما فعلوا، وهذه الفرقة منهم الذين سعوا في الخروج عليه ومن أظهر في الأرض الفساد وأهل النهب والقطع والتعدي والغصب، ومن كان يناله شيء من المغارم خاف أن يرجعوا لما كانوا عليه، فإن مولاي علي لم يجر عليهم ذلك إلا أمراً يسيراً منه. ومن هذا العام حدث الكره والعداوة بين العوام وأهل البيت إلى الآن. وكان بقصبة تادلا القائد مولود الجبيلي الوديعي مع بعض العبيد عاملاً على تلك البلاد، فلما قدم مولاي عبد الله بلاد تادلا أغلقوا القصبة ليلاً يريد الدخول إليها ظناً منهم أن الأمر لم يرجع إليه، فلم يلبثوا إذ وردت عليهم الأرسال بأن العبيد وأهل المغرب نصروا مولانا عبد الله ورجعوا إلى بيعته وخلعوا أخاه مولاي علي، فسقط في أيديهم وطلبوا الأمان لأنفسهم من السلطان، ثم رجع لداره موهماً لهم أنه يريد بعض مقتضياته، فضرب نفسه برصاصة من كابوس أطارت نحوه، فحملوا شلوه للسلطان كذلك فاشتد غيظه على من بقي فقتل ممن كان بالقصبة نحو سبعين رجلاً، ثم جاء العبيد للقائد بنحو ألف ومعهم الشرفاء والعلماء فبشروهم بالخبر وأعلن لهم أن سبب ما وقع بينهم وبينه هو سالم الدكالي، فوعده أن ساتوه به وسامحهم فيما صدر

(581) في ك: حتى جاء عيد الفطر.

منهم، وأعطاهم مالا وأمرهم بالرحيل في الحين، فارتحلوا وانلاس على وجل ومخافة من انحلال الأمر.

فلما رجعوا لمحلهم مشرع الرمل وجدوا سالم الدكالي وجميع من باشر معه الخروج على مولاي عبد الله مجتمعين معه وخلعوا مولاي عبد الله ثانيا وأعلنوا ببيعة السلطان سيدي محمد بن الخليفة المنصور بالله أمير المؤمنين مولانا إسماعيل بنمولانا الشريف الحسنى السجلماسي المدعو ابن عربيّة، ويعثوا بذلك لفاس ومكناسة وسائر بلاد المغرب يدعونهم لبيعتهم، وإلى التمسك بدعوته، فاجتمع عبيد الزنقة وغيرهم من عبيد مشرع الرمل الذين لم ينكثوا ببيعة مولانا عبد الله ولم يريدوا الخروج عنه، فأل الأمر إلى القتال بين الطائفتين، فغلب سالم الدكالي وطائفته، ففر إلى مولانا إدريس الأكبر دفين زرهون في جماعة من الرؤساء أصحابه، فأخرجه العبيد وقيدوه في الحديد ومعه أصحاب ووجهوهم إلى السلطان مولانا عبد الله، فسجنهم أياما ثم أمر بإحضارهم فأحضروا بين يديه، فعدّد عليه فعلاتهم وقتلهم صبّرا، وذلك في أول المحرم فاتح عام تسعة وأربعين ومائة وألف، ثم قصد الدخول لدار الملك بمكناسة، فنزل قريبا بموضوع يقال له بوفكران، فكان من أمره ما يأتي في العام بعد هذا (582).

تذكرة المحسنين

أحمد بن محمد خان العثماني

مات خامس عشر الدولة العثمانية السلطان أحمد بن محمد خان، وكان تولّى بعد خلع أخيه ووجه العساكر نحو العجم، وسقاهم كؤوس الندم، وبعده فعل أموراً مخلة فعزم القوم على خلعهم، فلما علم ذلك خلع نفسه بعد ولايته سبعة وعشرين سنة، وبقي بعد الخلع ستة أعوام ومات في هذه السنة.

(582) حوادث هذه السنة كما وردت هنا متفقة إجمالاً مع ما في الحوليات.

العام التاسع من العشرة الخامسة

محمد العياشي الرحماني

فمنهم الفقيه الإمام العالم الزاهد الورع العابد الولي المتجرد سيدي محمد العياشي ابن علي مرزوق الرحماني، من رحامنة سوس، كما في فهرسته بخطه. كان شهير الولاية يقصده الناس كثيراً للتبرك به وهو كثر البعد منهم مُقِلٌّ للكلام معهم جداً. سكن سنين بمدرسة الواد من عدوة الأندلس، وله كرمات، منها أن بعض المترفهيين (583) مرض له ولد وكان عنده بمنزلة فأشرف على الهلاك فقصد صاحب الترجمة وطلب منه الوقوف إلى الله في شفاء الولد، فقال له اتتني بمائة مثقال سُنفَ ولدك، فأنتي له بها في الحين، فأخذ منها عشر موزونات فدفعها لمقدم المدرسة وأمره أن يشتري منها للطلبة خبزاً، وردَّ الباقي من المائة مثقال كله لصاحب، فرجع لداره فوجد الولد قد عوفي من مرضه. [ومنها أنه بلغ عنه لبعض المنتصبين لإطعام الفقراء المتصفين بالولاية قال صاحب الترجمة إن الرجل هو الذي يخرج الرصاص من سجنه كالمدفع أو كلام بمعناه، فعاب عليه ذلك، فاتفق أن ورد صاحب الترجمة على الذي عاب عليه كلامه ضيفاً فلما أنزلوا له الطعام امتنع صاحب الترجمة على الذي عاب عليه من أكله، فألح عليه فقال له بسرعة: ما يعرفون إلا أن يعسوا على الناس كلامهم ولا يدرون ما يطعمونهم، فعزم صاحب الطعام على صانعه النائب عنه أن يبين له أمر طعامه، فأخبره أن اللحم الذي في الطعام من كبش وجده ضالاً فالتقطه إلى أن يتبين صاحبه، فلم يظهر مالكة ولم يحضر عند ورود المضيف في الحين غيره وتعذر جلب غره لضيق الوقت، فذبحه النائب على أنه إذا ظهر مالكة يؤدي له آخر أفضل منه، ولم يخبر بالأمر المنوب عنه] (584)

أخذ صاحب الترجمة عن مشايخ كثيرين حسبما تضمنته فهرسته، أخبرني من رآها بمصر ولم أقف عليها، منهم سيدي عبد الرحمن مولاي كرزاز، ورحل إلى الحج فحج وتوفي في إقامته بمصر في رابع عشر المحرم عام تسعة وأربعين ومائة وألف، ودفن بالقرافة منها إزاء ابن أبي جمرة. أخبرني بعض الحجاج أن بينهما نحو ذراع، وحضر جنازته جم غفير من أهل مصر وغيرها، لأنه ظهرت له في إقامته بها خوارق وكرامات.

أبو بكر بن محمد بن محمد الخديم الدلائي

ومنهم الفقيه الولي الصالح الوجيه، المشارك النبيه، المقصود لحل المشكلات، سيدي أبو بكر بن محمد بن محمد المدعو الخديم ابن الشيخ سيدي أبي بكر الدلائي. كان صاحب الترجمة من الأولياء المجتهدين في العبادة والدين، يسافر في فصل الربيع والخريف

(583) في ط أنه والي فاس.

(584) ما بين معقوفتين ساقط من ط ص 38 - 39

لزيرة الأولياء ولقاء المشايخ، يحضر مجالس العلم بفاس على كبر سنة دؤوباً على الذكر وتلاوة القرآن ومطالعة كتب التصوف، وتربى ونأدب بالشيوخين سيدي أحمد اليميني وسيدي أحمد بن عبد الله معن، وكان سيدي أحمد ابن عبد الله يستشير في الأمور المهمة لأنه كان له عقل ودهاء وفراصة. وحج في رفقة شيخه سيدي أحمد بن عبد الله، واستفتاه شيخه في الدخول للروضة المشرفة فأجاب بقوله: أما الدخول من جهة الشرع فجائز لا بأس به، وأما من جهة الأدب فهو أعرف، يعني لا، ففدّم الشيخ الأدب ورجع عن الدخول. وفوله جائز موافق لقول خليل في مناسكه ونصه: واحرص أن يكون ركوعك في الروضة تجعل المنبر على يمينك والفبر عن يسارك، والأحسن من الروضة العمود المخلق، ثم تتقدم إلى القبر. القابسي وأبو بكر بن عبد الرحمن وغيرهما ولا يتلصق به انتهى. قال ابن الحاج: وينبغي له أن لا يدخل من داخل الدرابزين التي هنالك، لأن المكان محل احترام وتعظيم، فينبه العالم غيره على ذلك هـ. ولما حج صاحب الترجمة وأراد أن يحاور بالمدينة أخذ عنه العهد سيدي أحمد بن عبد الله على أن يرجع لفاس وقال له نريد أن يبقى أولادي في حجرك، فأوفى بعهده معه ورجع لفاس ولزم صحبته إلى أن توفى سيدي أحمد، فبقى صاحب الترجمة يفوم بمصالح الزاوية والجل من أولاد سيدي أحمد تحت طوع يديه وكشر من أصحابه مجتمعين عليه، وهو كالأب الشفيق لجميعهم في البحث عنهم والسعي في مصالحهم والنصح لهم، وتوصيل المنافع وتلقي الخلائق. وكان له جاهد عند ولادة الوقت السلطان فمن دونه، فكان مجاب الكلمة فيهم مقبول الشفاعة، وله دراية تامة بسياساتهم. وتزوج ابنة سيدي أحمد اليميني قيل بإشارة من والدها، وورث من أبيها مالا كثيرا، بنى لها داراً بازائها عرساً. وكان أخوها أبو عبد الله محمد يأوي إليه شياطين من الأنس يدلونه على المسائل الفبيحة، فكان صاحب الترجمة ينهاهم، فلما لم ينهوا سلط على بعضهم بعض الولاية، فاغتاز لذلك الأخ المذكور فشكاه لبعض قواد البربر ووشوا به للسلطان وأنه يتشبه بالسلطان وينى في داره على شكل بناء السلطان وغير ذلك مما يغتاز منه الملوك، فأوغروا صدر السلطان عليه فأمر بسجنه فسجن وثقف ما بداره ونهبت عزائبه وماله من الماشية، ثم إن الله تعالى تداركه بلطفه فسرجه السلطان عن قريب، وأمر برجوع جميع مائه له، وسجن السلطان القائد أبا علي الروسى المباشر لنهبه حتى يعطيه مائه له فرد له. وكان أبو علي الروسى نهب أيضاً دار سيدي عبد الرحمان ولد سيدي أحمد بن عبد الله معن التي بالمخفية فرد له ذلك أيضاً. وكان كبير ممن أكثر فيه القول والقيل ورموه بمواجهه أهل ادنيا والولاية وعدم المبالاة بالمساكين وابن السبيل، إذ كان بغلق عليه داره ولا يأذن لأحد في الدخول عليه لأهل الدنيا والوجهات ونحو ذلك، وأما الفقراء والمساكين وابن السبيل فلا يتوصلون له، فكان لايفعل معهم ذلك ويتستر منهم ويتغيب، لأن أهل هذه البلد لهم حدة في البحث في أمور لا تتعلق بمنفعهم ولا بضررهم، وليس لهم من العقل ما ينحجزون به عن أعراض الناس، فيسرعون إلى هتكها كثيرا، وقل من تخالطه أو تباشره فتسلم من إذايته. وصاحب الترجمة في كل ما وصف به

فباجتهاده مصيب، أخذ من الحق بأوفر نصيب. وفي الخبر مرفوعاً وعلى العاقل أن يكون عارفاً بزمانه مُقبلاً على شأنه هـ. [ثم إن صاحب الترجمة كان في زمان القائد محمد بن علي الزموري الذي كان ينهب أموال أهل فاس فخاف أن يأذن لهم في الدخول عليه فيشكوا له به فيتسبب له ويقول إنك مشغول بغيرك وبنهيه، كما سعوا به أولاً ونهب داره وعزائبه أبو علي الروسي، وفي الخبر: المومن لا يلدغ من جحر مرتين] (585). والمراد بمعرفة الزمان معرفة أهله وكيفية الخلوص من الإذابة من جانبه وجانبهم حتى لا يؤذيهم ولا يؤذونه، ولبس ذلك إلاً بالانقطاع عنهم والبعد منهم مع مباشرتهم ظاهراً ونصفية القلب عنهم باطنا، ومراعاة حرمتهم سرا وعلائية. وهذا في حق من سكن هذه المدينة، أعني مدينة فاس، أكيد جداً، فصاحب الترجمة ممن يُفتدى به في ذلك لمعرفته بالطريقة، وبحثه عن المسائل العارضة له في كل أموره، وأخذه في كلها بالعلم عن أهله. وكان مؤدباً بأدب أهل الطريقة الصوفية، عالماً متبحراً حافظاً للسير معتنياً بأخبار الخلق ذرباً على الأمور، جرت عليه العوائد والغرائب، وجال في البلاد فبلغ السودان. سمعت من العلامة سيدي عبد السلام الولايلي أن صاحب الترجمة أخبره عن سفره حيث كان قاصداً للسودان، فإذا الرفقة التي كان معها بتهيؤون لحمل الحجارة وأخذ العصا كحالة من يلقي اللصوص، فإذا هم قصدوا سلحفاة وهي كبيرة تماثل صورة البقرة فجعلوا يضربونها حتى فتلوها فإذا هي أنتى، فجعلوا بملؤون الظروف الكبار من بيضها، قال لأنهم يتداون به كبض الدجاج إلا أنه من غر صفرة فيه، وفيه زفرة، وقسموا لحمها وأطراف ظهرها وفرحوا بذلك غاية. فقدم على بعض الأولياء من العباد بتلك السواحل، فأقام معه نحو ستة أيام ولم يتكلم معه كلمة، ثم لما أراد الانصراف قال له: يا سيدي ودعني لله فإنني أريد الرجوع، فقال له هلاً جلست معنا فإننا استحسنا رفقتك؟ فقال له: لا طاقة لي بذلك، لأن شيعي عهد لي بالرجوع إليه بالمغرب، فقال لي على بركة الله، وأوصيك بأمر، قال فقلت له وما هو؟ فقال لي: التسليم، وإياك أن تنازع الله في فعله.

وتوفي صاحب الترجمة ليلة الجمعة خامس عشر جمادى الأولى، عام تسعة وأربعين ومائة وألف، عن أربعة (كذا) وتسعين سنة - بتقديم التاء - فتكون ولادته في حدود ثمان وخمسين سنة وألف، ودفن في قبة سيدي أحمد اليمنى شيوخه متصلاً به من جهة الغرب التي بالجنان الذي اتخذوه مقبرة خارج باب الفتوح من فاس الأندلس. وسمعت والدي الطيب بن عبد السلام القادري الحسني يقول: إن صاحب الترجمة هو وارث حال سيدي أحمد بن محمد بن محمد بن عبد الله معن، وسيدي أحمد بن عبد الله هو وارث حال سيدي قاسم الخصاصي، وسيدي قاسم الخصاصي، هو وارث حال سيدي محمد بن عبد الله معن، وهو وارث حال العارف بالله سيدي عبد الرحمن بن محمد الفاسي صاحب زاوية القلقلين من فاس القرويين والان غار هذا الماء ولا ندرى أبن ذهب هـ وأخذ سيدي عبد الرحمن بن محمد الفاسي الذي

(585) ما بين معقوفتين ساقط من ك ثابت في س.

اختط زاوية القلقلين (586)، عن الشيخ القصار، عن سيدي رضوان بن عبد اله عن التباع، وأمرني والدي برثائه فقلت:

إذا لم تجد عيني بوبل السحاب
وإن لم تكن تهمي الدماء جفونها
ولو أنصفت حقاً لمن حان فقد
أبصر عيني بعد فقد ضيائها
وأودى بها الدهر الخؤون وعاقها
خليلي إن النهر قد جل خطبه
فكم سيد الأطلال بعد غفائها
فلو كانت الأرواح يوماً وقاية
هو الموت لا ينجو امرؤ من نباله
فعش ما تشا ما أنت أول هالم
ودم في نعيم العز إنك وارد
لئن وافت الأيام قصدك والمنا
فقد علت الوراد صرفاً عن الظما
ووافت بما تهواه في ظل جنة
فكان المنى ممن تقدم فيهم
لقد حاز في المجد المؤئل منزلاً
فيا للثري فاق الثريا مجادة
كريم السجايا واسعاً في المواهب
سمي صفي المصطفى وأمنيه
فكم راض في روض المجادة منهلاً
وكم قد روي ورد الحقيقة وارتوى
وفاز بتقوى الله سرّاً ومعلنّاً
تحلى بحلي يوسف محاسن
وقد ضم سر الأحمدي متابعاً
فتلك شمس أشرقت من مشارق
لئن لم أتل تلك المشاهد منهم
كساهم إله العرش من خلق الرضى

فَمَا هِيَ إِلَّا مِنْ حَجَارِ الْكَتَائِبِ
فَمَا عَرَفْتُ قَدْرًا لَخَطَرِ الْمَصَائِبِ
لَمَّا أَبْصَرْتُ غَيْرَ الدُّجَا وَالْغِيَاهِبِ
وَأَنَسَانُهَا قَدْ نَالَ كُلُّ صَائِبِ
وَأَغْرَبَهَا عَنْ أَهْلِهَا وَالْأَقَارِبِ
بِمَا قَدْ حَوَى مِنْ مَعْجَبَاتٍ عَجَائِبِ
وَكَمْ حَطَّ مِنْ عَالٍ مُدَانِي الْكَوَاكِبِ
لَمَّا نَالَ ذَا عِزِّ صَفَاحِ الْغَوَاصِبِ
وَلَوْ رَصَّ بِالْبَنِيَانِ مِنْ كُلِّ جَانِبِ
وَلَا آخِرَ قَدْ عَصَّ مِنْ حَقِّ صَائِبِ
مَكَانًا بِهِ تُجَلَّى أُمُورُ الْعَسَوَاقِبِ
وَوَقَّى لَكَ الْإِقْبَالُ نَيْلَ الْمَنَارِبِ
وَفَازَتْ بِرِّيَا مِنْ هُنَا الْمَشَارِبِ
مَعَ الْحَبِّ فِي تِلْكَ الْبَقَاعِ الْخَصَائِبِ
مُعِزًّا مُجَلًّا وَافِيًّا لِلرَّغَائِبِ
وَحَلَّ مَكَانًا مِنْ أَعَالِي الْمَنَاصِبِ
بِمَا ضَمَّ مِنْ جِسْمِ عَبِيقِ الْأَطَائِبِ
عَزِيزِ الْعَطَايَا فَاخِرًا فِي الْمَنَاقِبِ
أَبُو بَكْرٍ الْأَسْمَى السَّنِي الْمَرَاتِبِ
وَعَلَّ رَحِيقًا سَائِفًا لِلشُّوَارِبِ
وَحَاضٌ بِهَا بِحْرًا طَمَى الْغَوَارِبِ
وَحَازَ مَقَامًا عِنْدَ أَكْرَمِ وَاهِبِ
بِهَيِّ جَمَالٍ فَاخِرًا فِي الْمَنَاقِبِ
فَنَالَ بِهِ كُلَّ الْمُنَا وَالْمَطَالِبِ
وَعَمَّضَ سَنَاهَا فِي جَمِيعِ الْمَغَارِبِ
قَمْنِ ذِكْرِهِمْ أَرْجُو سَنَى الْمَوَاهِبِ
وَوَالَى عَلَيْهِمْ أَنْفَاءَ كَالسَّوَاكِبِ

586) في هامش ك طرة نصها: «أخذ سيدي عبد الرحمن بن محمد الفاسي الذي اختط زاوية القلقلين عن الشيخ القصار، عن سيدي رضوان بن عبد الله، عن التباع» وقد أدمجها ناسخ س في صلب الكتاب.

وَلَا زَالَ فِي أَسْمَى الْبُرُوجِ شَهَابُهُمْ
وَمَنْ فِي صَلَاةٍ كَلِمًا لَاحَ بَارِقُ
وَأَصْحَابِهِ وَالْأَلَّ وَالْعِشْرَةَ الَّتِي تَنَاهَتْ لِنَيْلِ الْمَجْدِ أَعْلَى الْمَنَاصِبِ
يَغَارُ إِلَى عَلَيْكَ كُلُّ مِثَاقِبِ
عَلَى أَحْمَدِ الْمُخْتَارِ مِنْ نَسْلِ غَالِبِ

والمراد بالأحمدين سيدي أحمد اليميني وسيدي أحمد بن عبد الله معن (587)

عبد القادر ابن الصني التازي (588)

ومنهم الفقيه العالم الشهير سيدي عبد القادر بن الصني القاطن بتازا ودفن فيها. كان له صيت بها، ولم أقف على كلام أحد فيه فنورده فيه، ولم أره. توفي أواخر شعبان عام تسعة وأربعين ومائة وألف بتازا، وبها دفن.

الحاجة الملوانية

ومنهم المرأة العابدة الزاهدة السيدة الحاجة الملوانية. كانت ذات الكرامات الظاهرة، والأنوار الباهرة، والإلهامات العرفانية، والمواهب الرحمانية، من الصالحات المجتهدات، ورزقت من التوفيق والإعانة على المشاق ما لم يتفق لفحول الرجال، ولا يقدر عليه إلا المجتهدون الكمال. ظهرت لها كرامات وخوارق، وتحدث الناس عامة وخاصة بخصوصيتها، وقد حجت من المغرب سبعا وعشرين حجة مشيا على أقدامها، ولا تكون إلا في مقدم الركب بحيث لا يقدم عليها في السير أحد قوة منها، ولا تأكل من عند أحد شئ، وإن ألح عليها أحد في قبول شيء من الطعام أو الماء أو غيره قبلته منه وأعطته بيدها في الحين للمساكين. فإذا عرض عليها أحد الشرب في وقت العطش، وفي أشد ما يكون الحر وغيره تأبى من قبول ذلك مع عزة الماء جدًّا، ومنهم من يقول لها وهبت لك جميع القرية وهي ملئي بالماء لله عز وجل، فإذا علمت صدقه قبلتها منه ونادت في المساكين، فإذا اجتمعوا لها سقتهن منها حتى تفرغ بتمامها في الحبن، هكذا كان دأبها في سفرها. وكانت تحج وترجع للمغرب وتدخل لفاس، فإذا تكلم معها أحد ممن له خبرة ومعرفة بالتصوف ويشيء من طريق القوم أبدت له من المعارف ما لا يعرفه. لما قرئت وفاتها جاورت بالمدينة فماتت بها في حدود عام الترجمة، وهو عام تسعة وأربعين ومائة وألف.

قاسم ابن رَحْمُون

ومنهم العارف الكبير، الشيخ الشهير، الولي الصالح الخطير، الكثير التلامذة والأنبا، الموصوف بالولاية والانتفاع، ذو البحر الزاخر، والمدد المنواتر، أبو محمد مولاي قاسم بن محمد ابن رحمون (589) الشريف الحسني من أولاد ابن رحمون النازلين ببعض

(587) هذه الترجمة المطولة لأبي بكر الدلائي اختُصرت في ط في نصف صفحة فقط.

(588) هذه الترجمة ساقطة من ط

(589) أدرجت هذه الترجمة في ط - خطأ - في سنة 1148 - كما سبقت الإشارة إلى ذلك وهي في ط مختصرة في بضعة أسطر.

مداشر جبل زرهون وبواديه، وهم ينتسبون إلي الشرف، ولا أعلم من أي فريق من الحسينيين هم، (إلا أنهم من الرحامنة النازلين بواد السدد من بلاد الهبط قرب جبل صرصر، وهم في عداد الموارسة من أهل الغرب، وتارة في عداد سفيان) وليسوا هم من أولاد ابن رحمون العلميين الذين هم من بني الإمام محمد بن إدريس بن إدريس. وصاحب الترجمة لم يستمر له عقب لا من ذكر ولا من أنثى، ولا له قرابة كذلك، وبعضهم ينتسب إلى القرب منه، والله أعلم بحقيقة ذلك. قال خليل في المختصر: وفي التوارث بالإقرار وليس ثم وارث ثابت خلاف. ولي معرفة بصاحب الترجمة، لكن لم تدلني على بيان حال، واستفاض عندي بيان حاله عن جماعة من الثقات المعتبر بهم عند قضاة فاس في قبول الشهادات وتلقيها من الناس، وهم من أصحابه الذين طالت ملازمتهم له، فحدثونا عنه بكرامات وخوارق للعادات كثيرة لا تحصى. وكان ممن يطلب عليه الغنى بالله، وينطلق لسانه بالدعوى من غير احتشام، فيدعي بحق عن حق، ويصرح لنفسه بالتصريف التام والتمكين في المقامات والأحوال، وأصحابه لا يرون تقديم أحد عليه من أهل زمانه، وإن لا يدرك أحد مقامه إلى شيخه، إذ كان تصريف صاحب الترجمة في حياة أشياخه بحث لم يخرج قط عن حكم التقليد عن شيخه مدة حياته. فإذا مات له شيخ أخذ عن وصيه بعده حتى مات في حياة شيخه إذ كان دأبه ذلك وكان صاحب الترجمة تعثره الأحوال مع ملازمة السنة، لاسيما عند الاجتماع ومداولة الأذكار، والإنشاد في مدح أولياء الله الأبرار، ومدح مولانا محمد رسول الله المختار، فيحبي وطيسه عند سماع ذلك ويستعمل السماع هو أو يأمر به أصحابه، ويحصل لهم اللذة عند مداولة الذكر أو غيره فينادي هو أو يأمر من أصحابه من يفعل ذلك بأن يقول: من يشتري مني ادراك كذا فيعطيني كذا، فيحصل له ذلك لا محالة، نحو إن شفا الله لك مريضة فعليك لي أداء بدنة، وإن رزقك الله مائة دينار فعليك لي عشرة دنانير. قالوا فيشترون منه ذلك بما قال فيصدق الله فيه ولا يملك فيه، ذلك دأبه، ويصرف الثمن المقبوض منهم باجتهاده إما في إكرام بعض الأصحاب أو في بعض ما يجب عليهم من الإنفاق والمصالح لهم وفي إعانتهم على زيارة دار شيخه وشيخهم، وفي مصالح نفسه، لأنه كان لا شيء له أولاً، وكان حرفته الحياكة طرازاً ينسج بيده، ثم كفي عن ذلك. وسبقت له قراءة فكان من العارفين. ومع وصفه بجميع ما ذكر لا يخرج غالباً عن السنة، وأقواله كلها موافقة لكلام القوم، فمن قرأ كتبهم وسمع كلامه يقول كل ما يخاطبني به أو يأمر بفعله أو يفعله نجد له شاهداً في كتبهم.

والحاصل كل ما ذكرته لك عنهم فهو ضروري عندهم متفقون عليه، وأخباره يطول استقصاؤها في هذه الترجمة، ينبغي أن يفرد لها ديوان. أخذ صاحب الترجمة أولاً عن شيخه الإمام سيدي محمد بن الشيخ مولاي عبد الله الشريف اليملحي العلمي دفين وزان من بلاد مصمودة الغرب، بواسطة مقدمه على تلامذته الذين هم بفاس الشيخ سيدي الحاج الخياط الرقعي دفين زاويتهم التي بالشرشور من فاس القرويين. ثم بعد وفاة سيدي محمد المذكور

أخذ عن وصيه وولده الشيخ مولاي التهامي بن محمد دفين وازان أيضا. ثم بعد وفاته أيضا أخذ عن وصيه وأخيه الشيخ المتبرك به شرقا وغربا في عصرنا سيدي محمد الطيب بن سيدي محمد المذكور. وفي حياته توفي صاحب الترجمة، وهو الذي أذن له وولاه على أصحابه أهل فاس إلى أن توفي سابع ذي الحجة متم عام تسعة وأربعين ومائة وألف، ودفن بدار براحا اشتراها هو قرب وفاته بقصد أن يدفن هو بها فدفنه بها أصحابه إمضاء لقصده بأقصى درب منية من حومة النجارين، ولها باب آخر بزقاق الحجر من فاس القرويين. ثم اشترى بعض قرابته بعد وفاته نائباً عن أصحابه داراً أخرى تجاورها وهي التي دُفن بها سيدي القليز وزادها فيها أصحابه وبنوها زاوية وجعلوا عليها أوقافاً تُقام بها الأوقات وقراءة أحزاب القرآن، ويدرس بها العلم في فصل الشتاء بين العشائين، ويورق بها صباحا، ولكل ذلك أوقاف، ولها كتب محبسة وثريا ومصابيح، وهي اليوم أعظم من جميع زوايا فاس اتباعاً واجتماعاً على مداولة الهيلة واستعمال الرقص والسماع وقراءة الأحزاب المأمور بها من شيخه المذكور، ولها صيت بفاس، تباع فيها القبور بثمان غال لا يدركه إلا من له وسع في المال، فلذلك ترك الدفن فيها أصحابه الذين سعوا في اتخاذها زاوية وفي بنائها، لأن قريبه منعهم من الدفن بها إلا بالشراء منه وأخذ هو ثمن القبر، فتركوا الدفن بها والكلام معه عليها، وجعلوا هجرتهم في ذلك لله ورسوله، فجمع من ذلك أموالاً، وما أظن أن يكون له منها شيء، ولله عاقبة الأمور. إن الأرض لله يورثها من يشاء من عباده، والعاقبة للمتقين. واللَّهُ يَرِثُ الْأَرْضَ وَمَنْ عَلَيْهَا وَهُوَ خَيْرُ الْوَارِثِينَ.

من حوادث السنة

خروج أهل فاس لملاقاة السلطان مولاي عبد الله ببوفكران

لما نزل السلطان المنصور بالله مولانا عبد الله بأبي فكران من عمل مكناسة في محرم فاتح عام الترجمة تهيأ للقائه أهل فاس بأشرافهم وعلمائهم وكبارهم ورماتهم، فلقيه حيث ذكر، فعاتبهم على عدم الإسراع للقائه مع من لاقاه بتادلا، وعلى قتل من قتلوا في ولاية أخيه السلطان مولاي علي، وهم قوم كانوا أصحاب قائده عليهم محمد بن علي بن يشي الزموري، فانتخب من كبارهم الذين لهم الحل والعقد في أمر المدينة لا من أهل المروءة ستة عشر رجلا (590) وقتلهم صبراً، وصرف باقى الرماة أهل المدينة ولم يتعرض لهم بسوء قولاً ولا فعلاً (591)، وولّى عليهم قائده محمد بن علي المذكور، وهو عامله عليهم في أخذ المال منهم قبل خروء العبيد عليه، فرجع جميع من كان عنده ومنعوا القائد محمد بن علي المذكور

(590) في هامش س طرة بخط محمد بن الطالب ابن سودة المتوفى عام 1334 هـ، نصها: انظر هل هم أولاد يزور رهط سيدي عبد الله برور، فإنه قتل منهم في يوم واحد 16 رجلا، والسابع عشر هو العبدوني، كذا أخبرني بعض المسنين الذين ألفوا...

(591) وفي نفس النسخة طرة أخرى نفس الخط: «وكذلك أخبرني أن قتل السلطان مولاي عبد الله ثلاثة العربي الغرناطي، ومسعود قصاره، من الأندلس برجة الزبيب، والعربي الذيب من اللطيين، كان لهم درب بوجاج باللطيين».

من الدخول لفاس، فنزل بالقصبة الجديدة منها إذ كان فيها عبيد السلطان وخاصته إذّاك، وتكررت الرسل بين القائد وأهل فاس.

عصيان أهل فاس ومحاصرة مدينتهم

ثم مقتل القائد مسعود الروسي

ثم كتب للسلطان بامتناعهم، فوجه إليهم قائده أبا بكر الأودبي، فصَبَّحهم في خامس وعشرين من صفر، فأغار على سرحهم، وكان شاع فيهم أن السلطان وجه إليهم قائداً آخر فطلب سلباً كثيراً، وانقطعت السبل ونودي من قِبَل السلطان بالوعيد الشديد لمن دخل مدينة فاس بالميرة، فبقوا محاصرين إلى مُهَلِّ ربيع الأول، فأرسل السلطان القائد مسعود الروسي والياً على فاس لما شاع عنهم أنهم إنما كرهوا محمد بن علي، وأما غيره فهم راضون به أيّاً ما كان، ففرح عامة الناس بدخوله لخمود الفتنة ولإطفاء نار الغلاء، فدخل الروسي دار أخيه بعدوة فاس الأندلس، فجعل الناس ياتون للسلام عليه، وكثر الازدحام عليه وهو داهش لا يدري ما يحلُّ به، ثم في الحين دخل عليه من جرّى في الفتن فقتلوا بعض أصحابه بين يديه، وخرج هو فاراً لدار بعض الأشراف مُحترماً ومختفياً. فلما كان من الليل اجتمع رأيهم على قتل القائد الروسي أخذاً بثأر أخيه بودة، إذ كان هو قتله في زمن ولايته لمولاي علي، فأخرجوه من المحل الذي كان به وقتلوه، وأصبحوا على أشد ما يكون في حصارهم، وغلا الزرع فكان من نحو ثمان موزونات للصاع النبوي، وقل الإدام وانقطع اللحم، واستمروا على حصارهم، ومكث أهل فاس على الإعلان بنصر مولاي عبد الله والخطبة به على المنابر.

مبايعة الفاسيين سيدي محمد ابن عربية

وفي آخر ربيع الأول أجمع أهل فاس على عدم قبول دعوة مولاي عبد الله أصلاً والقيام بدعوة أخيه سيدي محمد المدعو بابن عربية، وكان مختفياً عندهم، وأوغر صدره في الحين أهل فاس على شيعة مولانا عبد الله، وهم الشرفاء والطلبة والزوايا، ووشوا له بمن ذكر بأنهم لما أراد أهل فاس القسام بدعوته مع سالم الدكالي فمنعوه من ذلك وقاموا بدعوة مولاي عبد الله في مقابلتهم، فخافوا أن يكون الظفر لمولاي عبد الله على سالم الدكالي ويقتله ويرجع على أهل فاس، فتركوا القيام بدعوة سيدي محمد وتبعوا مَنْ قام بدعوة مولانا عبد الله. فلما قتل مولانا عبد الله سالمًا الدكالي ولم يتم الأمر لسيدي محمد خاف على نفسه وفرّ لفاس من مكناسة، واختفى بفاس إلى أن كان ما ذكر إلى الآن، فأخبروه بحال مَنْ ذكر، فنودي بفاس ببيعة السلطان الجليل، ذي القدر الكبير، أمير المؤمنين أبي عبد الله الغالب بالله والمتوكل عليه سيدي محمد بن الخليفة الكبير المجاهد في سبيل رب العالمين أمير المؤمنين المنصور بالله أبي النصر مولانا إسماعيل بن السلطان مولانا الشريف الحسني السجلماسي. واجتمع أهل المدينتين فاس الإدريسية والجديدة المرينية على بيعته، فكتبت له البيعة بفاس وجُعِلت في خزانة مولانا إدريس، ونودي بذلك في سائر البلاد المجاورة لها، وبعث بالخبر إلى عبيد مشرع الرمل، وأمر بحصار محمد بن علي قائد أخيه ومن معه

بالقصبين والبستيونين، وذلك في أول جمادى الثانية. فلما وصلت ارساله إلى عبيد مشرع الرمل اجتمعت فرقة سالم الدكالي ونادوا ببيعته ففامت الفرقة الأخرى في مقابلتهم، ووقع القتال بينهم، فغلب أصحاب سالم الدكالي، ثم وقع الصلح واتفق جميعهم على بيعة سيدي محمد ابن عربية ويعثوا ببيعتهم له لفاس، فورد ذلك لفاس يوم الاثنين ثامن عشر جمادى الثانية وفرّ من القصة القائد محمد بن علي ومن معه، ولم يكن بينهم وبين من حاصره من جيش السلطان قتال ولا رمى بكور أو ببُنْب ولا حفر مسنة ولا طمع في الاستيلاء على المدينة، لأن السلطان أو صاهم بعدم ذلك وقال لهم إن ذلك لا يفيد في فاس شيئاً، وقد بلغت في الحصار الآخر الذي قبل هذا الجهد وما حصل لي من ذلك إلا تضييع الأموال والمشقة، وإنما يُدْعَنُ أهلها للطاعة بقطع الميرة عنهم، فنادى في القبائل بذلك وقطعت الميرة عن فاس، فنال أهلها المساكين والضعفاء الذين لا يقدرّون على الدفع عن أنفسهم من رؤسائها شيئاً شدة من الغلاء والجوع. ومن الغد فرّ محمد بن علي والجيش عن فاس، وخرج السلطان سيدي محمد لفاس الجديد فدخل دار الملك منها ومعه الاوداية. وفي عتية هذا اليوم ورد الخبر لفاس من مكناسة أن السلطان مولاي عبد الله احتمل أمه وعياله وحشمه وجميع ذخائره وأمواله وارتحل من مكناس. وكان لما أراد الخروج من مكناسة إلى تادلا حيث وصله خروج العبيد عليه دفن الأموال والذخائر التي لم تحضره الدواب لحملها، وترك أمه وعياله بدورهم. فلما رجع إلى مكناسة وأراد الرحيل منها حمل جميع ذلك وترك دار الملك قفراً.

وفي الحادي والعشرين من الشهر ارتحل سيدي محمد من دار الملك من فاس المرينية ودخل دار الملك بمكناسة فوجدها قفراً فارغة حتى من الزرع، وليس عنده ما يقوم به عيشه فضلاً عن مصالح عيال الجيوش وليس بمكناسة ونواحيها شيء ممن يمشي على أربع، إذ كان مولاي عبد الله لما رحل من مكناسة أمر من تابعه من البربر بشن الغارة على جميع نواحي مكناسة وسایس فلم يتركوا لأحد شيئاً. والذي أزعجه على الخروج من مكناسة أن جميع من بها وبأحوازاها من العبيد خرجوا عن دعوته ونادوا بنصر سيدي محمد مع متولي القيام بذلك منهم الباشة ابن النوني، فوجه لحربهم جميع جيشه وأتباعه مع أخيه الفارس الأنجد، البطل الأرشد، مولانا الرشيد ابن أمير المومنين مولانا اسماعيل الحسني، فوقع القتال بين الفريقين كان الظفر فيه للعبيد بعد أن وقع نهب فيهم وفتن، ومات في القتال مولاي الرشيد وابن النوني. ثم اتبع من كان بمكناس من العبيد مولانا عبد الله ليفتكوا به، فلما نزلوا عين اللوح أرسل الله تعالى عليهم أمطاراً كثيرة وأرياحاً وأصابهم برد شديد حتى كادوا أن يهلكوا فرجعوا خائبين قصدهم، وكسر الله شوكتهم بذلك عنه بغير قتال.

انحباش البربر لمولاي عبد الله

وانتصارهم على جيش سيدي محمد من العبيد

وفي شوال أكثر أنباع مولانا عبد الله من البربر الغارة على سايس وغيره من البلاد

الموالي لجبال البربر، ففرَّ مَنْ كان يلي جبال البربر فخلا جميع تلك البلاد. ثم شَنَّ الغارات البربرُ على من بمر بالطرق، وأكثروا النهب في سائر البلاد التي يقدرّون على الوصول إليها من كل جهة، وقاموا بدعوة مولانا عبد الله في سائر جبالهم، واتخذهم بطانة له. ففي هذا الوقت بدأ انتعاشهم، فكان ظهورهم على يده، فلما رأى مولانا عبد الله فرار الناس من البربر وخلو البلاد التي تليهم، نزل جبل غمرة الموالي لبلاد سايس، وانقطعت الميرة عن فاس الإدريسية من كل ناحية، من غارات البربر على ما حولها، وحبس الله المطر عنها وعن حوزها، فارتفعت الأسعار. فلما رأى سيدي محمد ما أصاب الناس من كثرة النهب استدعى العبيد والقبائل للحركة إلى بلاد البربر وقتالهم عسى أن يكون في ذلك المهادنة وتأمين الطرق وإصلاح الأمة، وليس بدار الملك ما يقوم به عيشه فضلاً عن مصالح عيال الجش، ولم يكن أجرى في أيام ولايته مكسا ولا معونة، لا في حاضر ولا باد، فأجاب الناس لما دعاهم إليه عبيد الرمل والقبائل، فخرج ونزل ببطيط، تاسع عشر ذي القعدة، واجتمع عليه الناس العبيد والأودية وأهل فاس وسائر قبائل الغرب، ثم وقع القتال بين جيش سيدي محمد من العبيد وجيش مولانا عبد الله من البربر، فانهزم جيش سيدي محمد من العبيد واتبعهم البربر فراسخ، واستولى البربر على محلة العبيد بما فيها، فقويت شوكة البربر بذلك وضعفت شوكة العبيد. ثم رجع سيدي محمد لفاس وزار مولاي إدريس أوائل ذي الحجة، فوجد بمولاي إدريس ابن عمه الشريف الوجيه الحاذق في الأخبار مولاي الحسن الشريف الفضلي الحسن السجلماسي، فواجهه بكلام فأجاب به بمتله، فأشار إلى وجهه بيده التي أصابته فيها رصاصة كما يأتي إن شاء الله. وخرج من زيارة مولانا إدريس ونكب جماعة من أشرف تافالت.

(وفى إقامته تلك الأيام جاء إليه من قال له إن هنا عريفة من عرائف مولاي عبد الله ساكنة بدار من حومة جرنيز من مدينة فاس الإدريسية عندها ذخائر كثيرة مدفونة. فأمر فائده حاكم فاس وهو الشريف مولاي عبد المجيد بوطالب مع بعض المقدمين على رماة الجيش بفاس بالبحث عن ذلك والطلب الأحث فيه، فبحثوا في ذلك فوجدوه مبنيا عليه ولوجهه، فحفروا ذلك البناء فوجدوا كثيرا من الذهب المطبوع ومن الدراهم السكية وكثيراً من أساور الذهب والفضة وكثيراً من الجواهر واليواقيت وسكاكين كثيرة بجبائر الذهب وكوابس محلاه وكساو وغنسات وغير ذلك من الأثاث الفاخرة والذخائر النفيسة عند هذه العريفة المذكورة من ذلك بنحو اتني عشر ألف متقال، فأعطى بعض ذلك للقائد المذكور وللمقدمين من الجيش، ورجع لمكناسة بجل ذلك يستعين به على رواتب الجيش من الوصفان وغيرهم) (592).

وبعد ثلاثة أيام خرج لمكناسة وبقيت الناس في غارات البربر كذلك إلى أن خرج سيدي محمد لحربهم الثاني من منتصف المحرم كما يأتي إن شاء الله خبره في عام خمسين

(592) هذه الفقرة المكتوبة بين معقوفتين انفردت بها الحوليات (ص 45).

بعد هذا، واستمر ارتفاع المطر وزادت الأسعار، وأشرف جميع من في المغرب على الهلاك، ولله عاقبة الأمور (593).

كسوف كلي

وفي ليلة الأربعاء الرابع عشر من جمادى الأولى من العام، والمدينة مازالت محصورة وكان لها في الحصار مدة من شهرين وثمانية عشر يوما، كسف البدر كسوبا كليا، وكان ذلك في الثلث الآخر من الليل، وبقي نحو أربع سوانع ونحو درجين وعاد لحاله. (594)

وباء عظيم بمصر قضى على كثير من المغاربة

وورد الخبر قبل ذلك بأيام من مصر في البحر على تطاون في كثير من البراوات أنه ضاع من المغاربة أهل فاس وغيرهم بالوباء من أعيان التجار وغيرهم كثير من الناس، وزعموا أنه ضاع بمصر وأحوازاها من أهلها ستمائة ألف وستون ألفا من الخلق بهذا الوباء، وملت الإسكندرية ورشيد وغيرهما من المدن والقرى، والأمر لله يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد، لا معقب لحكمه ولا راد لقضائه.

تغلب مولاي المستضيء بن اسماعيل على سجلماسة

وفي أوائل رجب العام بعث السلطان سيدي محمد أخاه مولاي سليمان خليفة عنه لتافلات وبعث معه من المحلة ما ياتي له بالعيال من تافلات، وجاوزوا تازا ومنها ذهبوا لتافلات. وبعد ذلك بأيام خرج السلطان سيدي محمد بن اسماعيل مع العبيد حاركا لأخيه مولاي عبد الله لعين اللوح. وحين سمع مولاي عبد الله بخروج أخيه السلطان سيدي محمد مع العبيد من مكناسة قاصدا إليه فر من ثمة وأمعن في دخول الجبل. ورجع السلطان سيدي محمد بسبب ذلك لمكناسة ولم يلق قتالا. وكان الرماة من فاس قد خرجت لتلحف بالسلطان فوجدوه قد رجع لمكناس فردهم لفاس في عافية الله وحفظه. ولما رجع السلطان سيدي محمد لمكناسة بعث خلف أعدئيل وألزمه بإعطاء عشرة آلاف مثقال فأعطاها وقبض من وجوه أهل مكناسة مثلها وأعطوها كل واحد منهم على قدر حاله وماله. ودفع ذلك كله راتبا للعبيد، ولا يفيد فيهم شيء من ذلك. وفي منتصف شعبان العام قدم على السلطان سيدي محمد بن إسماعيل العيال من تافلات مع من بعثه وراءهم وأخبروا أن خليفته أخاه مولاي سليمان لم يدخل قسبة سجلماسة لأنه وجد أخاه مولاي المستضيء قد تغلب عليها وسبقه إليها ومنعه من دخولها، وحماه أخوه الآخر وأعاناه وهو مولاي زين العابدين. ولما أخبر بذلك السلطان سيدي محمد غضب لذلك غضبا شديدا وأمر بقبض كل من يوجد من أصحاب مولاي

(593) حوادث سنة 1149 في الحوليات تتفق في معظمها مع الحوادث المذكورة هنا نقلا عن ك و س، إلا أنها تخالفها في بعض الجزئيات، وتضيف معلومات جديدة لذلك رأينا إثبات نصها - على طوله - للمقارنة عند الاقتضاء.

(594) هذه الفقرة والفقرات الخمس بعدها كلها عن الحوليات (ص 4 - 46) لانفرادها بها.

المستضيء ومولاي زين العابدين. فقبض جميع من وجد منهم فقتل منهم البعض وأبقي البعض مقبوضاً، وأمر بقبض الأشراف السجلماسيين القاطنين بفاس، فأكلت زروعهم ونُهبت ديارهم، ونُهبت جميع أموال التجار من أهل تلمسان من الفنادق والديار، كل ذلك في تلك الأيام وبعد ذلك انقلبت بسبب ذلك الأحوال. هذا كله ومولانا عبد الله يدور عند قبائل البربر بقرب جبال فازازا إلى حوز غمرة إلى البهاليل إلى سهب عشار، والأوداية خائفة منه ومن البربر الذين معه، ونقلوا عزائبهم ومواشيهم قرب فاس الجديد خوفاً عليهم.

قدوم ركب الحاج، ومحنة التاجر عدیل

وفي منتصف شهر ذي الحجة العام قدم ركب الحاج سالماً، وجاءوا بما معهم من السلع لم يفتقدوا في الطريق منها شيئاً بنهب ولا بغيره، إلا أن الحاجة التي كانت عندهم مشترأة في المشرف بمثقال مثلاً كانت تساوي لهم سبع أواقي ووجدوا الخواجة اعدیل مسجوناً عند السلطان سيدي محمد بن اسماعيل وهو يطالبه الأموال الكثيرة، وكان ابن عمه) الحاج الطيب هو شيخ الركب الذي قدم وحلف السلطان للخواجة اعدیل إن لم يأت ابن عمه شيخ الركب الحاج الطيب المذكور ليديحته. فجاءه ابن عمه المذكور وقدم مع الحاج لمكناسة بهديته وهدية الحجاج وتلقى بالسلطان واستعذر له فقبل منه هديته ومعذرتة، وسمح لابن عمه الخواجة وسرحه من السجن وقال له: قد سرحته وسمحت له لأجل وصول ركب الحجاج إلي والتبرك بهم.

إغارة خيل المغافرة على فاس

وفي الحادي والعشرين من ذي الحجة العام جاءت خيل المغافرة الذين هم من شيعة مولاي عبد الله مع القائد بوبكر بن بوزيد بن العربي الوديعي وغاروا على أهل فاس من جهة باب الفتوح وذهبوا بما وجدوه من بقر وغنم ودواب وغير ذلك.

نهب الزرع واشتداد القحط

وأمر السلطان سيدي محمد بن اسماعيل بنهب جميع من يظهر عنده الزرع بمكناس وبزرهون وفاس. فكانوا يدخلون لدار هذا اليوم ومن الغد يدخلون لدار الآخر وبعده لدار غيره، ويأخذ المسخرون في ذلك جميع ما يجدونه من ذلك وغيره ويحتفظون بكثير ولا يبلغون له إلا القليل. وكثر الظلم بسبب ذلك وظهرت السياب بفاس في الليل، فكانوا يقلعون أبواب الدروب ويدخلون على الناس في ديارهم بالأربعين رجلاً وأكثر بفناراتهم وعدتهم وآلات حربهم، ويأخذون جميع ما يجدونه فيها من زرع وأثاث وغر ذلك ويقتلون من يريدون قتله، ويدخلون أيضاً على الناس في الزرائب داخل المدينة ويأخذون أيضاً ما يجدونه فيها من بقر وغنم. وكل يوم يقطعون على سراح المدينة وينهبون جميع ما يجدونه عندهم ولا يقدر أحد أن يُغيث أحداً، أو يدافع عنه لا في ليل ولا في نهار، فأخيفت السبل وقطعت الطرق جهاراً، وأعلنت الوداية بقطع الطريق وصار جميع حوزية فاس كلها تقطع الطريق على المارة كالحجاة وبني راشد وشرافة وأولاد جامع والبربر والحياينة، ولا بقي أحد يدخل لفاس ولا

يخرج منه، وقلَّ المطر في ذلك العام ولم ينزل قط إلا مرتين، وغلت الأسعار بسبب ذلك فبلغ سوم القمح في شهر ذي الحجة منها ستة أواقى للمد، وسوم الشعير إلى أربع أواقى للمد. ولم يجد أحد بما يشتريه من غلبة الفساد وكثرة الكساد في السلع، لأن التي كانت تساوي عدداً صارت تساوي نصفه أو أقل ولم يوجد من يشتريها أيضاً لا بقليل ولا بكثير من كثرة قطع الطرقات وغلبة الفساد وشدة الغلاء وقلة الأمطار، وقاسى الناس من ذلك الشدائد العظام من انقطاع ظهور اللحم وقلة الإدام. ولم يزل الأمر في شدة وازدياد وماتت بالضيعة رقاب كثيرة. وارتفعت الأسعار لأجل الفتن وقلة الأمطار، وبلغ القمح نحو ثمان موزونات للصاع النبوي، وفر الناس من المدينة لأجل ذلك كل فرار، والحول والقوة بالله.

تذكرة المحسنين

الحسن الصنهاجي

السيد الجليل أبو علي سيدي الحسن الصنهاجي، كان من أصحاب الولي الكبير سيدي أحمد ابن ناصر، قدم على فاس فأكب عليه الناس وذكروا له كرامات وأموراً. دفن بروضته عن يمين المنعطف من العقبة الزرقاء لرحبة الزبيب من عدوة فاس القرويين وذكروه ابن عيشون ولم يذكر له تاريخاً فيمن لم يقف لهم على تعريف.

العام العاشر من العشرة الخامسة

محمد ابن عيسى الميسوري

فمنهم الشيخ العالم الأستاذ المقرئ [المجود الصالح الناصح المبارك] (595) المدرس النفاع [المنقطع المتبتل] (596) شيخنا وسيدنا محمد المدعو بن عيسى لا نعرف له لقباً سواه، وهو من قرية ميسور، كان مشاركاً في كثير من العلوم، مجرداً للإقراء، وسكانه بمدرسة الواد من عدوة فاس الأندلس، وتدرسه بها وبمدرسة الصهريج نيابة في الثانية انتفع عليه كثير من طلبة فاس المبتدئين، قريب التفهيم لهم، تدرسه في النحو والبيان والمنطق والكلام والقراءة والتوقيت والفقه، لا يطلب منه أحد تدريس كتاب فيما ذكر إلا أجاب إليه، حسن الصوت في قراءة القرآن، مُغفل عن كثير من عوائد الدنيا، مقصود للتبرك والصلاح، زوجته أمه ودفعت عنه الصداق، ثم في ليلة البناء لم يستطع أن يفارق كتبه خوفاً عليهم من النهب من سكان المدرسة. فلما علم أهل المرأة أنه لا مراد له في التزوج طلبوا منه طلاقها فطلقها ولم يتزوج بعدها. أخذ عن مشايخ فاس، منهم جدنا عبد السلام بن الطيب القادري الحسني، وغيره. ولما اشتد الغلاء بفاس خرج منها فاراً بنفسه مع الطلبة إلى المشرق، فمرض في الطريق قرب وجدة ومات هنالك عام خمسين ومائة وألف (597).

علي بن أحمد الأغصاوي

ومنهم البهلول المؤله المتبرك به سيدي علي بن أحمد الأغصاوي حامل السلل، كان يقال له سيدي علي مولى السلل. ويظهر من حالته الاستغراق والتوله وكل ما يحتاجه يحمله معه من الخبز والماء مزموماً بالقصب، وعلى ظهره سلة أو اثنتان فيها ما يحتاجه لنفسه، ومعه مصحف مزموماً بالقصب والخيط، هكذا دأبه سار أو أقام، كثير الزيارات للمقابر والطواف بها. حدث الناس عنه بكرامات وخوارق. مأواه بمسجد سيدي دراس بمصمودة عدوة فاس الأندلس إلى أن مات في غلاء فاس عام الترجمة، ودفن بباب الفتوح.

إدريس بن محمد العراقي

ومنهم الشريف الوجيه المؤرخ النسابة الإخباري أبو العلاء مولاي إدريس بن محمد العراقي الحسيني. كان يحضر مع شرفاء فاس في المواسم مع السلطان، وكان له لسان طويل في الكلام، فكان علماء فاس ينكرون خروجه معهم لذلك. وكان له مروءة وعقل تام. ومن مآثره بناء مسجد بإزاء داره بفرن شط من فاس القرويين، وجس عليه أوقافاً إعانة للإمام

(595) زيادة من ط.

(596) زيادة من ط كذلك.

(597) لا يختلف مضمون هذه الترجمة في ط عن ك و س إلا اختلافاً يسيراً في الألفاظ، ونقص خبر الزواج والطلاق من ط.

والمؤذن ومرتب لقراءة حزب القرآن. توفي يوم الجمعة سابع صفر عام خمسين ومائة وألف، ودفن بروضة سيد أحمد الشاوي بحومة الجرف من فاس القرويين بشراء القبر له من بعض أهلنا بحكم التنفيذ العام بمنافع الضريح إلينا وما يتعلق به (598).
آمنة الساكمة

وفي اليوم الحادي عشر من محرم الحرام فاتح عام خمسين ومائة وألف توفيت المرأة الصالحة آمنة الساكمة، ودفنت بمأواها الذي كانت تأوي إليه وتبيت فيه بإزاء البرج الجديد من فاس العليا، وكانت لها جنازة حافلة حضرها الجم الغفير من الناس (599).
الحاج علي جسوس

وفي آخر رجب توفي شيخ الركب السيد الحاج علي جسوس أخو الفقيه العلامة المرحوم السيد الحاج عبد السلام جسوس، رحم الله الجميع بمنه وكرمه أمين. (600)
من حوادث السنة

حركة السلطان سيدي محمد لبلاد البربر وانهزامه

ففي منتصف صفر (601) أمر سيدي محمد عبيد الرمل وقبائل المغرب بالحركة معه للبربر الخارجين عنه الذين ينهبون من جاورهم في البلاد، وكان إبان إفراك الزرع، فخرج العبيد فأكلوا كل ما مروا به من الزرع وتركوا الأرض قاعاً صفصفاً، فنزل مكناس مع القبائل المجتمعة مع السلطان، ولحقهم أهل فاس والأودية، وخرج سيدي محمد بالجميع من مكناسة فنزلوا ببطيط، ثم نزلوا على قرية صفرو، فاعتصم أهلها بأسوارها وبذلوا طاعتهم له وطلبوا العفو لأنفسهم حيث كانوا لم يدخلوا في طاعة سيدي محمد، فسمح لهم ورحل السلطان بمن معه، فنزل على قبيلة المزدغ فتحصنوا بمعقلهم وقتلوا من دنا منهم من الجيش وجرحوا، فأظهروا لهم الميل عنهم حتى استأمنوهم، فولّوا عليهم واستباحوهم قتلاً ونهباً، فوقع فيهم والعياد بالله أمر شنيع، ثم رحل سيدي محمد في طلب مولاي عبد الله ومن قام بدعوته من البربر، فمر ببلاد غمارة فلم يترك جيشه داراً إلا وهدموها، وما مروا بشجرة إلا وقطعوها، ولا مالاً إلا ونهبوه، وتركوا تلك الجبال خراباً بلاقيع. ثم ساروا على فعلهم كذلك إلى أن وصلوا إلى بلاد آيت عياش، فخرج المرابطون أولاد سيدي عبد الله أعيّاش ومعهم صبيان المكتب بألواحهم مستشفعين في البربر وتضرعوا لسيدي محمد في العفو وذكروا له أن مولاي عبد الله سار لتافلات وأن البربر انحازت عنه وطلبوا منهم أن يطلبوا العفو عنهم ودخلوا في دعوته، فأبى قبول شفاعتهم فيهم، وشمّر لقتال البربر واتباعهم في رؤوس تلك الجبال، وطمع

(598) هذه الترجمة ساقطة من ط.

(599) هذه الترجمة لا توجد إلا في الحوليات (ص 47)

(600) هذه الترجمة لا توجد كذلك إلا في الحوليات (ص 55)

(601) في الحوليات (ص 47) أن الخروج لهذه الحركة كان في اليوم الآخر من الشهر - المحرم - أو في مهل صفر بعده، وساق أثناء ذلك محنة شرفاء فاس المتخلفين عن الحركة مع السلطان والمغارم الفادحة التي فرضت عليهم.

فى الاستبلاء عليهم وتقدم لحربهم بنفسه من غير تعبته، فأصيب برصاصة هشمت عظم ذراعه فى الحين فى اليد التي لطم بها وجه ابن عمه المستحرم منه بضريح مولانا إدريس، ونجا عن قرب من الهلاك بعد اليأس من الحياة، فانهزم جيشه لجرحه فى الحين، ومات فى القتال بينهما أموات كثيرة، وأمر جيشه بالرحيل فوراً، ورجع إلى الغرب فأخذ البربر فى أعقابهم ونهبوا كثيراً من الدواب الحاملة للأثقال للمحلة والسلطان، ولحقوا بذلك إلى مولاي عبد الله وهو بتافلات، وأعلموه بجرح أخيه ورجوعه للغرب، وطلبوا منه الرجوع لبلادهم لاتباع أخيه سيدي محمد. وكان مولاي عبد الله سئم المقام فى بلادهم ولا رأى منهم نصحا له، وإنما مرادهم النهب فقط لا الهدنة وتمهيد الطاعة، فذهبهم مولاي عبد الله بعد أن تبين له مرادهم.

انقطاع الطرق وارتفاع الأسعار

وانتشار النهب والخراب بفاس

ورجع سيدي محمد لمكناسة واستقر بها، وانقطعت الطرق بالكلية، وارتفعت الأسعار فبلغ القمح نحو ثلاث أواق ونصف قديمة للصاع النبوي، وجعل اللصوص يهجمون على الناس فى ديارهم ليلاً ويقتلونهم ويستغيثون فلا يغاثون. وبلغ النهب فى النهار إلى باب الدور التى بأطراف المدينة، فلا يستطيع أحد أن يخرج عن وادي عدوة الأندلس ولا عن باب القصبين ولا عن الحفارين من فاس القرويين. وانعدم الحطب من فاس فأكثر الناس الهمد فى الدور لأخذ الخشب لطبخ ما يتقوتون به، وخلا من السكنى نحو الثلثين من فاس بالجوع والفرار عنها. وتخرّب أكثر من ذلك من دورها وحوانيتها وغير ذلك، وأخرج العدو الكافر الزرع من بلاده للمسلمين من البحر فى تطاون ونواحيها، فخرج أهل فاس لجلبه إلهيم فاشتروه منهم، فكان والي تلك البلاد الباشا أحمد بن علي بن عبد الله الربفي يباطن البداوة وغيرهم من أهل الإبل الذين يحملون فى الطرق بأن لا يحملوا لأهل فاس شيئاً، وفي الظاهر يأمرهم بالحمل إلى فاس وينصح فى ذلك بلسانه، فتعذر على الناس جلب الزرع لفاس وطال بعد ذلك نحو ستة أشهر حتى وصل للربفي أن أكثر من بفاس الذين لهم عيال كثيرون لا يقدرّون على حملهم لبلاد أخرى من قلة الزاد والتناول وحفظ المروءة ماتوا عن آخرهم بالجوع، فسر بذلك فى الباطن، ولا أغني الناس مال ولا متاع، فعرف كثير من الناس من أهل الأموال ضاعوا، وكل من حفظه الله ونجا من أهل فاس فعن مشقة، وبلغ سوم القمح فى هذه المدة ست أواق للصاع النبوي، ودخل الركب النبوي لفاس فلم يشعروا به إلا بعد وصوله لدور فاس، وأتى بزرع معه من طرابلس فانحط القمح إلى نحو سبع موزنات للصاع النبوي، وسار أهل فاس بإيلهم إلى تطاون فحملوا عليها الزرع وأتوا به لفاس حيث تحققوا ما بطنهم به الربفي، وأخبرهم البداوة بذلك، وتدارك الله تعالى عباده باللطف الخفي المرجو بعد الشدة وبقي الأمر كذلك إلى تمام عام خمسين.

طلوع مولاي عبد الله إلى تادلا، وتنكبله

بأهل فاس المقيمين بمراكش

وفي شوال خرج مولاي عبد الله من تافلات وذهب لتادلا ثم لقصبة مزم بأيّ عتاب، واجتمعت عليه قبائل تلك الناحية وأهدوا له، وجاء أهل تارودانت بعد أن قُتل بها القائم في تلك الناحية محمد بن عبد الله السوسي كان زعم أنه المهدي صاحب الأمر، قُتل في حرب هوارة من عرب سوس، ثم أرسل مولاي عبد الله إلى مراكش فقبض أهل فاس الذين بها واستولى على أمتعتهم ونالتهم محنة، ثم عفا عنهم وأطلقهم، وهو مقيم بالمزم ينتظر جواب العبيد لدعوته، فانصرفوا عنه إلى أخيه مولاي المستضيء بالله كما سنذكره في العام بعد إن شاء الله تعالى.

قتل التاجر بوجيدة برادة

وفي عشية يوم الأربعاء الحادي والعشرين من الشهر (602) أمر السلطان سيدي محمد ابن اسماعيل بقتل التاجر الأرضي الحاج بوجيدة بن محمد برادة، فقطع رأسه وعلق بباب الجديد من مكناسة الزيتون أمنها الله. وكان قبضه قبل ذلك وكلفه بإعطاء المال وأمر بتفريق ذمته وأخذ جميع ماله، وبيعت أصوله بأجمعها. وكان السبب في قتله أن كبير اللمطين محمد الذيب قال للسلطان إن الحاج محمد يزور وأبناء عمه تعرضوا له على برادة المذكور، فحلف السلطان إن لم يأت إليه أولاد يزور لمكناس لملاقاته ليقتل برادة المذكور. ثم إنهم لم يأتوا إليه فقتل برادة - رحمه الله - في هذا الغرض الفاسد، والنظر الكاسد، ظلما وعدوانا، والملافة بينهم عند الله.

فتنة بين قاضي فاس وأحد العدول.

وفي أوائل صفر المذكور وقعت حكاية كبيرة بفاس، وهي أن بعض العدول كان ينتمي إلى النسب العلي بقال له مولاي عبد العزيز البوزيري، كان له خصام مع بعض إخوانه ووصلوا لمجلس القاضي الفقيه السيد يعيش بن الرغاي الشاوي إذ كان قاضيا حينئذ بفاس. فظهر للقاضي فيما بيد العدل الشريف المذكور أنه زور وتلبيس، فوبخه القاضي على ذلك وتخاصم معه. ومن الغد وقت صلاة الظهر جاء عبد العزيز بخنجر تحته فسله من غمده وضرب القاضي به، فلم يصله فمسكه القاضي بيده واعشقه (كذا) واجتمعت عليه الناس وضربوه ضربا فاحشا، وجاءوا به حاكم البلد فأطافه في الأسواق. ثم كتبوا بذلك للسلطان سبدي محمد، وكان نازلا بجيوشه قريبا من صفرو، فبعث أربعة من العبيد وأعرّص أخا الحاكم وأخرجوه لباب الفتوح وضربوه برصاصتين وقُطع رأسه وعلق بباب الفتوح، والحوّل والقوة بالله.

(602) هذه العقرة والعقرات الست بعدها كلها من الحوليات التي انفردت بها دون سائر النسخ.

مقتل مولاي سليمان بن إسماعيل

وفي ثالث عشر صفر المذكور قدم مولانا سليمان بن إسماعيل على أخيه السلطان سيدي محمد وهو نازل بمحلته بحوز صفرو من مدينة تازا ومعه عبيد تازا ومكناسة وزرارة وغيرهم من القبائل الجيشية بحالة حزم وضبط. وحين وصل للمحلة السلطانية تلقته جيوش العبيد عن آخرهم وعملوا ملعبا جيدا بالبارود فرحاً به وبمحلة إخوانهم الذين معه غاية الفرح، فساء ذلك السلطان سيدي محمد وغازله وتغير منه، وقتل رجلاً من أخواله شاوي النسب كان يحمل له المظل. ومن الغد أخذ السلطان جميع ما كان لأخيه مولاي سليمان مما أتى به من تازا من هدية بقر وغنم ومال، وعزل من أصحابه المسخرين الذين كانوا معه بتازا يحملون المكاحيل أمامه ومن المزاريق والمظل والدواب والخزانة من الطعام وغير ذلك وقال له: « اذهب في حال سبيلك إلى مكناسة الزيتونا » وفي ليلة السبت الخامس عشر من الشهر قدم مولاي سليمان المذكور من المحلة من عند أخيه السلطان لفاس فوجد باب الفتوح مغلقاً، فجاء لباب المحروق ودخل منه لفاس ومعه بعض إخوانه وبعض أصحابه، فحين وصل قرب باب القصبة القديمة ضربه بعض اللصوص برصاصة أصابته على ضلعتيه ووقفت بشاكلته. وزعموا أن أخاه السلطان أتبع له من ضربه وذلك عند آخر الثلث الأول من الليل. ونهبوا جميع ما كان معه، وأدخل للقصبة القديمة، وبقي حياً تلك الليلة واليوم بعدها. وفي الليلة الثانية عند الآخر من الليل خرجت روحه. ومن الغد وهو يوم الأحد سادس عشر من الشهر دفن بروضة الشيخ سيدي أبي بكر بن العربي نفع الله به. وأخبر عنه من يوثق به من أهل تازا أنه كان قد كسر الحرمات على الزوايا من أهل الجانب الرباني وأخذهم ونهب أموالهم وقتل في تلك المدة النبي تخلف فيها نحو الثلاثين نفساً. وكانت تلك المدة نحو ثلاثة أشهر. وكان أظلم من أخيه وأعتى وأطغى من غيره، غفر الله لنا وله. وكان يتمسك بخدمة الولي الصالح أبي العباس الشيخ سيدي أحمد الحبيب - نفع الله به -، وحيث كان يوجد بنفسه قال لمن حضره « يا فلان بلغ سلامي إلى الشيخ وقل له إني على محبته وخدمته عفا الله عنا وعنه ».

مقتل قاضي فاس يعيش بن الرغاي الشاوي

وفي ليلة الأحد أول يوم من ربيع الأول النبوي من العام، دخل السياب على الفقيه القاضي السيد يعيش بن الرغاي الشاوي بداره من حومة الدوح، ففتلوه بالرصاص ونهبوا داره وسلبوا أهله وعباله وأولاده، ولم يتركوا من ماله شيئاً بداره وامتلوا به، وأخذ الله الحق فيه بسبب الشريف عبد العزيز الذي قُتل على يده بباب الفتوح، وهو قتل بين أولاده وعباله، وبينهما من الموت شهر واحد أو ما يقرب منه. ويقال إن أهل الشريف المذكور ذهبوا إلى السياب وتشفعوا إليهم في أخذ ثأرهم من السيد يعيش المذكور فأتوا إليه وقتلوه كما ذكر والله أعلم كيف كان هذا الأمر كله، فسبحان مصرف الأمور القادر على ما يشاء، ولا يظلم ريك أحداً.

بيعة مولاي المهتدي بن إسماعيل بسلا
وفي خلال هذه الأيام بعث السلطان أخاه مولاي المهتدي إلى مدينة سلا عاملاً له
ونائباً عنه فيها. ثم إنه دعا لنفسه فبايعه أهل سلا والرباط والصَّبَّاح من بني احسن والبعض
من الجند ونصروه علانية وخطبوا به في الرباط وفي سلا نحواً من ثلاث جمع أو أربع، وبقي
كذلك نحواً من شهر. ثم إن العبيد بالرمل اجتمعت كلمتهم على حَلِّ ذلك، فبعثوا لعبيد جناوة
الذين بقصة الرباط (603) أن يقبضوا على مولاي المهتدي المذكور وعلى من معه. فقبضوه
وجاءوا بهم لعبيد الرمل، فقتلوا البعض من أصحابه، وأتوا به مكبولا لأخيه السلطان سيدي
محمد. فأمر به إلى السجن فسجن بمكناس، وبقي مسجوناً أياماً قلائل وسرحه، والأمر بيد
الله.

انتهاب الأودية بتامسنا

وفي هذا الشهر بلغ الخبر عن الأودية الذين كانوا رحلوا لسوس وذهبوا بأولادهم
ونسائهم وأموالهم مع السيد العسال أن قبائل أهل تامسنا لما توسطوهم النزلة داروا بهم
وقاتلوهم وغلبوا عليهم، فقتلوا منهم ونهبوهم وأخذوا لهم مالا كثيراً، ومنهم من نُهب له نحو
من ثلاثين قنطاراً من المال، ومنهم من نُهب له أقل وأكثر، كل ذلك بحسب الوسع والرفاهية،
وتركوهم حفاة عراة جياعا، فوصلوا لمراكش كذلك وقد أخذ الله الحق فيهم عما كانوا جاروا
على المسلمين وتجروا بقطع الطرقات عليهم وعلى فاس وأحوازها، ولا يظلم ريك أحداً.

زلزلة بفاس ورخص الأسعار

وفي التاسع عشر من ذي القعدة العام المذكور وقعت زلزلة عظيمة بعد العشاء
الآخيرة بساعة، والله لطيف بعباده. وفي أوائل ذي الحجة العام جاءت أيضاً القوافل الكثيرة
من ملوية وتطاون أيضاً بالزرع ونزل المطر ورخصت الأسعار حتى بلغ الزرع ستة أواقٍ للمد.

(603) «قصة جناوة» - من قصص العبيد الإسماعيلية - توجد بمدينة سلا خارج باب سبتة بجوار ضريح الشيخ أبي موسى الدكالي على شاطئ البحر، وما نزال أسوارها وأطلالها قائمة حتى اليوم

فهرس الجزء الخامس
من
موسوعة أعلام المغرب
مرتب على حروف الهجاء
حسب الاسم والنسب والشهرة

فهرس الجزء الخامس من موسوعة أعلام المغرب

أ -

أرقام الصفحات		سنوات الوفيات
1884	آمنة ، الساكمة	1113
	الأبار، محمد بن الحسن	
1830	إبراهيم بن حسن ← الكوراني الشهرزوري	1105
1846.1844	ابن إدريس العمراني، إدريس	1109
1972	ابن الحاج، أحمد بن العربي	1133
1838	ابن الحاج، أحمد بن محمد	1107
1979	ابن الحسن، محمد	1135
1840	ابن حمدوش، علي	1108
1839	ابن حم الشاوي، سالم	1107
2070	ابن حم القصري، محمد بن إبراهيم	1149
2083	ابن رحمون، قاسم	1150
1940.1937	ابن الرغاي الشاوي، يعيش	1120
2033	ابن زاكور، محمد بن قاسم	1144
2016	ابن زكري، محمد بن عبد الرحمان	1141
1991	ابن سليمان، أحمد بن العربي	1136
2029	ابن سودة، محمد الكبير بن الطالب	1142
2070	ابن شرحبيل الدرعي، الحسين	1149
1831	ابن الصنّي التازي، عبد القادر	1106
2079	ابن العروسي، محمد	1150
1845	ابن عيسى الميسوري، محمد	1109
2017	ابن عيشون الشراط، محمد	1141
1945	ابن عيشون، العربي	1124
1826	ابن القاضي، الطيب بن عبد الرحمان	1103
	ابن قريش التطاوني، محمد	

ملحوظة : "أبو" و"ابن" تعتبران في الترتيب.
و"ابن" في البداية بالهمزة (ا ب ن) وفي الوسط بدونها (ب ن).

سنوات الوفيات	أرقام الصفحات
1136	ابن مسعود ، عزوز 1990
1129	ابن مقلب الفاسي ، محمد العربي 1961
1129	ابن ناصر الدوعي ، أحمد بن محمد 1960
1124	ابن يحيى ، أحمد بلعباس 1945
	أبو بكر بن محمد بن الخديم ← الدلائي
	أبو جيدة ← محلى
	أبو عسرية بن أحمد ← الفاسي
1106	أبو عنان ، عبد الواحد بن محمد 1831
1120	أبو مدين السوسي ، محمد 1940.1937
	أحمد بلعباس ← ابن يحيى
	أحمد بن إبراهيم ← العثماني
	أحمد بن أحمد ← العمراني الطود
	أحمد بن عبد الحي ← الحلبي
	أحمد بن عبد الرحمان ← الفاسي
	أحمد بن عبد القادر ← التاستاوتي
	أحمد بن عبد القادر ← القادري
	أحمد بن عبد الله ← معن
	أحمد بن عبد الوهاب ← الوزير الغساني
	أحمد بن العربي ← ابن الحاج
	أحمد بن العربي ← ابن سليمان
	أحمد بن علي ← التملي
	أحمد بن علي ← الجرندي
	أحمد بن علي ← الوجاري
	أحمد بن محمد ← ابن الحاج
	أحمد بن محمد ← ابن ناصر الدرعي
	أحمد بن محمد ← أدراق
	أحمد بن محمد خان ← العثماني
	أحمد بن محمد ← الشريف التونسي
	أحمد بن محمد ← العلمي السلامي
	أحمد بن محمد ← الولاوي
	أحمد بن محمد ← اليمني
	أحمد بن السنائي ← الدلائي

أرقام الصفحات		سنوات الوفيات
	أحمد بن ناجي ← السجلماسي	
	أحمد بن يوسف ← الفاسي	
	أحمد ← الحاج الشعير	
	أحمد ← حجي السلوي	
	أحمد خد ← ميارة	
	أحمد ← الشفشاوني	
	أحمد ← المريني	
	أحمد ← النفراوي المصري	
1893	أحتصال، سعيد	1114
1903	أدراق، أحمد بن محمد	1116
	إدريس ← ابن إدريس العمراني	
	إدريس بن محمد ← العراقي	
	[إدريس ← العراقي الحفيد]	
	إدريس ← المشاط	
	إسماعيل بن الشريف ← العلوي	
1977	أعزوز، علي	1134
1962	أعياش، حمزة بن عبد الله	1130
2079	الأغصاي، علي بن أحمد	1150
1904	امسي الخير، محمد	1117
	الأندلسي ← مروان ... محمد بن علي	
- ب -		
1973.1969	بردة، العربي بن أحمد	1133
1933	بركة، علي الحاج	1120
2009.2003	بناني المحوج، محمد بن حمدون	1140
1897	بيو، محمد بن محمد	1115
- ت -		
1907	التاجمويتي، عبد الملك بن محمد	1118
1944	التادلي الصومعي، محمد بن عبد الرحمان	1123

أرقام الصفحات	سنوات الوفيات
	التازي ← ابن الصنّي ... عبد القادر
1954	التازي ← الصنّي ... محمد بن عبد الرحمان
1964	التاستاوتي، أحمد بن عبد القادر
	الترغي، عبد الكريم
1954	التطاوني ← ابن قرّش ... محمد
	التملي، أحمد بن علي
	التهامي بن محمد ← الوزاني اليملحي
	التواتي ← معاد ... عبد الرحمان
	التونسي ← الشريف ... أحمد بن محمد
- ج -	
1948	الجابري القصري، طاهر
1946	الجرندي، أحمد بن علي
1800	الجزائري، محمد بن عبد الكريم
1942-1941	جسوس، عبد السلام بن أحمد (أحمدون)
1992	جسوس، عبد الله بن عبد السلام
2080	جسوس، علي (الحاج -)
1918	الجَمَاعِي المستغافني، محمد بن سعيد
1915	جَمُوع، مسعود بن محمد
	الجوطي ← الطاهري الحسني ... علال
- ح -	
1897	الحاج الحباط الرقعي، محمد
1895	الحاج الشعبر، أحمد
	الحاجة ← الملوانية
	حاطّ رُوحو ← اللخمي محمد بن المهدي
1825	حجي، أحمد السلوي
2050	الحريشيو علي بن أحمد
1801	الحريشي، محمد بن أحمد
1874	حسو، عبد الله

سنوات الوفيات	أرقام الصفحات
الحسن بن رحال ← المعدني حسن بن علي ← العجيمي الحسن بن مسعود ← اليوسي الحسن ← الصنهاجي الحسين ← ابن شرحبيل الدرعي الحسين بن محمد ← القواس الحلي، أحمد بن عبد الحى حمزة بن عبد الله ← أعياش	1120 1934
- خ -	
الحري، محمد الحياط ← الحاج ... الرقي، محمد	1102 1796
- د -	
الدباغ، عبد العزيز بن مسعود الدرعي ← ابن شرحبيل ... الحسين الدرعي ← ابن ناصر ... أحمد بن محمد الدريج التطواني، محمد الدلائي، أبو بكر بن محمد بن محمد الخديم الدلائي، أحمد بن المسناوي الدلائي، محمد بن أحمد بن الشادلي الدلائي، محمد بن عبد الرحمان الدلائي، محمد بن محمد الشادلي الدلائي، محمد الشادلي الدلائي، محمد المسناوي	1132 1968 1126 1947 1149 2066 1117 1904 1137 1993 1141 2023.2015 1107 1837 1103 1826.1825 1136 1992.1980
- ر -	
الراموش، محمد (حمّ) الرايس، عبد الرحمان	1123 1844 1944

أرقام الصفحات		سنوات الوفيات
	الرحماني ← العياشي ... محمد الرداني ← الصقلي ... محمد الكبير الرقعي ← الحاج الحياط ... محمد	
	- ز -	
1896	الزجني، محمد بن أحمد	1115
1939	الزعتري المصري، علي	1120
1838	الزموري، علي بن منصور	1107
	- س -	
2080	الساكمة، آمنة	1150
	سالم ← ابن حمّ الشاوي	
1944	السالمي، محمد	1123
1943	السجلماسي، أحمد بن ناجي	1122
	سعيد ← أحنصال	
1906	سعيد بن أبي القاسم ← العميري السلاسي، عبد الرحمان بن محمد	1118
	السلامي ← العلمي ... أحمد بن محمد	
	سليمان بن إبراهيم ← العثماني	
	سليمان بن إسماعيل ← العلوي	
	السوداني ← عثمان ...	
2063	السوسي ← أبو مدين ... محمد السوسي، محمد	1148
	- ش -	
	الشاوي ← ابن حمّ ... سالم	
1870	الشاوي ← ابن الرغاي ... يعيش الشديد، محمد بن حمدون	1110
	الشراط ← ابن عيشون ... محمد	

أرقام الصفحات	سنوات الوفيات
1801	الشريف التونسي، أحمد بن محمد 1102
1891	الشفشاوني، أحمد 1113
	الشهرزوري ← الكوراني ... إبراهيم بن حسن
- ص -	
2016	الصقلي الرّداني، محمد الكبير 1141
1830	الصقلي، محمد (حم) 1105
1895	الصني التازي، محمد بن عبد الرحمان الصّني 1115
2078-2054	الصنهاجي، الحسن 1146
	الصومعي ← التادلي ... محمد بن عبد الرحمان
- ط -	
	طاهر ← الجابري القصري
1914	الطاهري الحسني الجوطي، علّال 1118
1827	الطليطي، مسعود بن عبد القادر 1104
	الطود ← العمراني ... أحمد بن أحمد
	الطيب بن عبد الرحمان ← ابن القاضي
	الطيب بن محمد ← الفاسي
- ع -	
1896	العافية، محمد العربي بن محمد 1115
	عبد الرحمان بن محمد ← السلاسي
	عبد الرحمان ← الرايس
	عبد الرحمان ← معاد التواتي
	عبد السلام بن أحمد (حمدون) ← جسوس
	عبد السلام بن الطيب ← القادري
	عبد العزيز بن مسعود ← الدباغ
	عبد القادر ← ابن الصّني التازي
	عبد القادر بن محمد ← العراقي

أرقام الصفحات	سنوات الوفيات
	عبد الكريم ← الترغي
	عبد الله بن عبد السلام ← جسوس
	عبد الله بن محمد ← الفاسي
	عبد الله ← حسو
	عبد الملك بن محمد ← التاجموني
	عبد الواحد بن محمد ← أبو عنان
1893	عثمان السوداني
1836	العثماني، أحمد بن إبراهيم
2065	العثماني، أحمد بن محمد خان
1822	العثماني، سليمان بن إبراهيم
1886	العجمي، حسن بن علي
2079	العراقي، إدريس بن محمد
2027	[العراقي، إدريس ... الحفيد]
2027	العراقي، عبد القادر بن محمد
2030.2024	العراقي، محمد بن إدريس
1902	العراقي، محمد بن العربي
	العربي ← ابن عيشون
	العربي بن أحمد ← بردلة
	العربي بن الطيب ← القادري
	عزوز ← ابن مسعود
	علال ← الطاهري الحسني الجوطي
1844	العلمي السلامي، أحمد بن محمد
1979	العلمي، محمد بن الطيب
2001.1996	العلوي، إسماعيل بن الشريف (السلطان)
2083	العلوي، سليمان بن إسماعيل
1910	العلوي، محمد بن إسماعيل
	علي ← ابن حمدوش
	علي ← أعزوز
	علي بن أحمد ← الأغصاوي
	علي بن أحمد ← الحريشي
	علي بن منصور ← الزموري
	علي ← جسوس

أرقام الصفحات		سنوات الوفيات
	علي الحاج ← بركة	
	علي ← الزعتري المصري	
1913	العمراني ← ابن إدريس .. إدريس	118
1963	العمراني الطود، أحمد بن أحمد	1131
2066	العميري، سعيد بن أبي القاسم	1149
1872	العياشي الرحماني، محمد	1111
	العياشي، محمد بن يوسف	
- غ -		
1839	الغساني ← الوزير ... محمد (حم) بن عبد الوهاب	1107
	الغماري، محمد بن علال	
- ف -		
1904	الفاسي ← ابن مقلب ... محمد بن العربي	1117
2052	الفاسي، أبو عسرية بن أحمد	1145
2052	الفاسي، أحمد بن عبد الرحمان	1145
1883	الفاسي، أحمد بن يوسف	1113
1964	الفاسي، الطيب بن محمد	1131
1978.1974	الفاسي، عبد الله بن محمد	1134
1903.1899	الفاسي، محمد بن عبد الرحمان	1116
2030.2027	الفاسي، محمد بن عبد القادر	1142
1892	الفاسي، محمد بن محمد	1113
1846.1842	الفاسي، محمد الطيب	1109
	الفاسي، محمد المهدي	
1896	الفاسي ← الهواري ...	1115
	الفاسي، يوسف بن محمد بن أبي عسرية	
- ق -		
1969	القادري، أحمد بن عبد القادر	1133

أرقام الصفحات		سنوات الوفيات
1871.1847	القادري، عبد السلام بن الطيب	1110
1836.1831	القادري، العربي بن الطيب	1106
	قاسم ← ابن رحمون	
1901	القسمطيني، محمد بن أحمد	1116
	القصري ← ابن حم ... محمد بن إبراهيم	
	القصري ← الجابري ... طاهر	
1872	القوأس، الحسين بن محمد	1111
- ك -		
2060	الكندوز، محمد	1148
1787	الكوراني الشهرزوري، إبراهيم بن حسن	1101
- ل -		
1891	اللبار، محمد بن حمدون	1113
1870	اللخمي حاط رحو، محمد بن المهدي	1110
- م -		
1826.1823	المجاطي، محمد بن الحسن	1103
1995	محلي، أبو جيدة	1138
	محمد ← ابن الحسن	
	محمد ← ابن العروسي	
	محمد ← ابن عيسى الميسوري	
	محمد ← ابن عيشون الشراط	
	محمد ← ابن قريش التطاوني	
	محمد ← أبو مدين السوسي	
	محمد ← أمسي الخير	
	محمد بن إبراهيم ← ابن حم القصري	
	محمد بن أحمد بن الشاذلي ← الدلائي	
	محمد بن أحمد بن عبد الله ← معن	

أرقام الصفحات

سنوات الوفيات

محمد بن أحمد ←	الحريشي
محمد بن أحمد ←	الزجني
محمد بن أحمد ←	القسمطيني
محمد بن أحمد ←	ميارة
محمد بن إدريس ←	العراقي
محمد بن إسماعيل ←	العلوي
محمد بن الحسن ←	الأبار
محمد بن الحسن ←	المجاطي
محمد بن الحسن ←	اليوسي
محمد بن حمدون ←	بناني المحوَّجَب
محمد بن حمدون ←	الشديد
محمد بن حمدون ←	اللبار
محمد بن سعيد ←	الجماعي المستغاني
محمد بن الطيب ←	العلمي
محمد بن عبد الرحمان ←	ابن زكري
محمد بن عبد الرحمان ←	التادلي الصومعي
محمد بن عبد الرحمان ←	الدلائي
محمد بن عبد الرحمان ←	الصَّني التازي
محمد بن عبد الرحمان ←	الفاسي
محمد بن عبد القادر ←	الفاسي
محمد بن عبد الكريم ←	الجزائري
محمد بن عبد الله ←	الوزاني اليملحي
محمد بن العربي ←	ابن مقلب.. الفاسي
محمد بن العربي ←	العراقي
محمد بن علال ←	الغماري
محمد بن علي ←	مروان الأندلسي
محمد بن قاسم ←	ابن زاكور
محمد بن محمد ←	بيو
محمد بن محمد الشاذلي ←	الدلائي
محمد بن محمد ←	الفاسي
محمد بن المهدي ←	اللخمي (خَاطُ رُوْحُو)
محمد بن يوسف ←	العياشي

أرقام الصفحات		سنوات الوفيات
	محمد حمّ بن عبد الوهاب ← الوزير الغساني	
	محمد ← الحاج الحياط الرقعي	
	محمد (حم) ← الرّاموش	
	محمد (حم) ← الصقلي	
	محمد ← الخرشبي	
	محمد ← الدريج التطواني	
	محمد ← السالمي	
	محمد ← السوسي	
	محمد الشادلي ← الدلائي	
	محمد الطيب بن مسعود ← المريني	
	محمد العربي بن محمد ← العافية	
	محمد ← العياشي الرحماني	
	محمد الكبير بن الطالب ← ابن سودة	
	محمد الكبير ← الصقلي الرّداني	
	محمد ← الكندوز	
	محمد ← المدرّع	
	محمد المسناوي ← الدلائي	
	محمد المهدي ← الفاسي	
	المحوجب ← بناني ... محمد بن حمدون	
2059.2055	المدرّع، محمد	1147
1831	مروان الأندلسي، محمد بن علي	1106
1830	المريني، أحمد	1105
2047	المريني، محمد الطيب بن مسعود	1145
	المستغامي ← الجماعي ... محمد بن سعيد	
	مسعود بن عبد القادر ← الطليطلي	
	مسعود بن محمد ← جموع	
2024	المشاط، إدريس	1142
	المصري ← الزعتري ... علي	
	المصري ← النفراوي ... أحمد	
1827	معاد التواتي، عبد الرحمان	1104
2002	المعدّني، الحسن بن رحال	1140
1940.1922	معن، أحمد بن عبد الله	1120

أرقام الصفحات		سنوات الوفيات
1977	معن، محمد بن أحمد بن عبد الله	1134
2070	الملوانية، الحاجة	1149
1886	الميسوري ← ابن عيسى ... محمد	1113
2044	ميارة، أحمد حد	1144
	ميارة، محمد بن أحمد	
- ن -		
1945	النفراوي المصري، أحمد	1124
- هـ -		
1830	الهواري الفاسي	1105
- و -		
2023.2010	الوجاري، أحمد بن علي	1141
1949	الوزاني اليملحي، التهامي بن محمد	1127
1930	الوزاني اليملحي، محمد بن عبد الله	1120
2053	الوزير الغساني، أحمد بن عبد الوهاب	1146
1915	الوزير الغساني، محمد (حم) بن عبد الوهاب	1113
1956	الولائي، أحمد بن محمد	1128
- ي -		
	يعيش ← ابن الرغاي الشاوي	
	اليملحي ← الوزاني ... التهامي بن محمد	
	اليملحي ← الوزاني ... محمد بن عبد الله	
1892.1875	اليميني، أحمد بن محمد	1113
	يوسف بن محمد بن أبي عسرية ← الفاسي	
1822.1801	اليوسي، الحسن بن مسعود	1102
1837	اليوسي، محمد بن الحسن	1107



دار الغرب الإسلامي

بيروت - لبنان

لصاحبها الحبيب الحسي

شارع الصوراتي (المعماري) - الحمراء - منابة الأسود

تلفون مبانتر: 350331 — حليوى: 638535 (03) — فاكس: 742587

ص.ب.: 113-5787 بيروت — لبنان

DAR AL-GHARB AL-ISLAMI B.P.:113-5787 Beyrouth, LIBAN

الرقم: 1996 / 11 / 1000 / 296

التنضيد: المغرب

الطباعة: دار الريحاني بيروت - لبنان

Dictionnaire **des** **Célébrités Marocaines**

établi et coordonné

par

Hajji Mohamed

Doyen honoraire de la Faculté des Lettres

Université Mohammed V - Rabat

TOME 5

1101 - 1150 H / 1690 - 1737

General Organization of the Alexandria Library (GOAL)



DAR AL-GHARB AL-ISLAMI





Dictionnaire des Célébrités Marocaines

Établi et coordonné

par

El Hajj Mohamed

Doyen honoraire de la Faculté des Lettres
Université Mohammed V - Rabat

TOME 5

1401 - 1450 H / 1690 - 1737

PAR MICHAEL AL-FELAKHI